

مركز دراسات الوحدة العربية

الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري (٢)

نشأة علم التاريخ عند العرب

الدكتور عبد العزيز الدوري

لتحميل أنواع الكتب راجع: (مُنْتَدى إقْرَأ الثَقافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرا الثقافى)

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنْتَدى إقْرَأ الثَقافِي)

www. iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى , عربي , فارسي)

نشأة
علم التاريخ عند العرب

كلمة شكر

يشكر مركز دراسات الوحدة العربية
مؤسسة عبد الحميد شومان
على المساهمة في تمويل جزء من نفقات طبع وإصدار
الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري



مركز دراسات الوحدة العربية

الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري (٢)

نشأة
علم التاريخ عند العرب

الدكتور عبد العزيز الدوري

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد مركز دراسات الوحدة العربية

الدوري، عبد العزيز

نشأة علم التاريخ عند العرب/ عبد العزيز الدوري.

٣٩٥ ص. ـ (الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري؛ ٢)

ببليوغرافية: ص ٣٥٩-٣٦٨.

يشتمل على فهرس.

ISBN 978-9953-82-143-6

١. التأريخ. ٢. المؤرخون العرب. أ. العنوان. ب. السلسلة.

907.202

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٣٤ ٢٤٠٧ ـ لبنان
تلفون: ٧٥٠٠٨٤ ـ ٧٥٠٠٨٥ ـ ٧٥٠٠٨٦ ـ ٧٥٠٠٨٧ (٩٦١١+)
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١+)

e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى عن المركز: بيروت، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥
الطبعة الثانية عن المركز: بيروت، تموز/ يوليو ٢٠٠٧

المحتويات

تمهيد

يلقى علم التاريخ ونظرياته اهتماماً خاصاً من المؤرخين في السنوات الأخيرة، وذلك لأهميته الكبيرة في البحث التاريخي وفي اتجاهاته. ولم يعد النقاش يقتصر على كون التاريخ علماً أو أدباً، أو بالأحرى حول نسبة التاريخ إلى أحد فرعي المعرفة الأساسيين، بل اتجه الرأي إلى أهمية التاريخ كموضوع حيوي لذاته، له أسسه وطرائق بحثه وأهدافه، وله خطورته الخاصة بين حقول المعرفة، حتى أطلق بعضهم على العصر الحديث «عصر التاريخ».

وقد تأثر علم التاريخ بالثورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية الحديثة، وبان ذلك في توسّع فروعه، وفي فلسفته واتجاهاته. وكان للأزمة الشاملة التي يمر بها الغرب منذ مطلع هذا القرن أثر بيّن في الدراسات التاريخية. فقد كان ينظر إلى الحضارة الغربية بأنها أوج التطور الحضاري للبشرية، وكان ينظر إلى تاريخ البشر من زاوية غربية، وكأن محور تاريخ العالم هو الغرب، وكأن كل تاريخ آخر هو ممهد للتاريخ الغربي أو هامش من هوامشه. ولكنّ الحربين العالميتين، وما رافقهما من تطورات كبرى، أوضحت أن الحضارة الغربية مرحلة من مراحل الحضارة البشرية، وأن هيمنة الغرب التي تجلّت في القرن التاسع عشر خاصة إن هي إلا دور تاريخي أوشك أن ينتهي. وتأكد هذا الشعور بظهور قوى جديدة في العالم، لها وجهاتها الحضارية وإنجازاتها، ولها دور حيوي في مستقبل البشرية. وهذا يصح على أمريكا، وينطبق على نهضة روسيا ودورهما الخطير في التطور العالمي من النواحي الحضارية وغيرها.

ثم إن الحركات القومية والنهضات الوطنية، في آسيا خاصة، وظهور شعوب عريقة على مسرح الأحداث ـ بعد الحرب العالمية الثانية خاصة ـ واتخاذها وجهات حضارية لها مميزاتها وأصولها زعزع النظرية الغربية التي تقول بأنّ الحضارة الغربية ستسود العالم، وستطمس الحضارات القديمة الراكدة، وأن مصير العالم حضارياً هو إلى التغريب إن عاجلاً أو آجلاً.

هذه التطورات أدت مع غيرها إلى إعادة النظر في النظريات التاريخية، وفي مفهوم علم التاريخ. فإذا كان التاريخ ضرورياً لفهم الحاضر، فإن هذه التطورات الكبرى في العالم لا يمكن أن تفهم من دراسة التاريخ الغربي. ثم إن التطورات العامة في النصف الأول لهذا القرن أوضحت أن الحضارة الغربية ليست غاية الطور الحضاري، وأنها ليست الحضارة الوحيدة المؤثرة في العالم. وأوضحت هذه التطورات أن النظرة التاريخية في الغرب لا يمكن أن تبقى موضعية تنظر من زاويتها الغربية، إذا أريد فهم الحاضر بصورة شاملة.

وهناك نظرة أخرى أصيبت بالانتكاس بهذه التطورات، وهي أن فهم الحاضر لا يمكن أن يتحقق بفهم المدة التي تسبقه مباشرة فقط، وأن التدرج التاريخي وحده لا يوضح الثورات الكبرى، حضارية وغيرها، بل قد يكون لفترات سابقة أثرها البليغ في التطورات الحاضرة. وهذا يعني أن دراسة النهضات الكبرى تتطلب الرجوع إلى الأصول الحضارية والبشرية، فقد يكون للتكوين التاريخي الشامل أثر كبير في هذه التطورات.

كل هذا ولّد نظرة جديدة إلى التاريخ. فهي نظرة فيها وجهة عالمية حين تؤكد على أهمية الحضارات الأخرى مع الحضارة الغربية، وحين تشير إلى اشتباك الحضارات وتبادل التأثير فيما بينها. وهي موضعية حين تؤكد أهمية دراسة تاريخ الأمة من وجهتها الخاصة جنب النظر إلى التطورات العامة. وبهذا تتبين ضرورة كتابة تواريخ بعض البلاد من جديد بصورة تتصل باتجاه الوعي الجديد فيها وتساعد على فهم نهضتها. وهذا بدوره يضع المسؤولية الأولى من كتابة تاريخ أي شعب على مؤرخيه إن أريد أن يفهم بصورة سليمة.

وهنا نتساءل عن موقفنا في التاريخ العربي بالنسبة إلى هذه الاتجاهات، فنبين أننا لسنا بعيدين كثيراً عن البداية. فكثير من المؤلفات الحديثة كتبت بأقلام خارجية، غربية أو شرقية، نشأ أصحابها في ثقافات أخرى، وفي بيئات غريبة، ومن المنتظر أن تتأثر مؤلفاتهم بالاتجاهات القائمة في تلك الثقافات والبيئات. ومع أن بعضها خدم الدراسات التاريخية إلا أن بعضها الآخر جاء بآراء أو اتجاهات غريبة قبلناها مبدئياً، ولا بد من إعادة نظر جذرية فيها.

ونحن بحاجة ملحّة إلى أن نفهم النظريات والاتجاهات الحديثة في علم التاريخ، لنستنير بها ولنستفيد منها في بحوثنا التاريخية. وقد لا نستطيع متابعتها، أو تطبيق طريقة البحث التاريخي الغربي بصورة حرفية في دراساتنا، ولكننا نستطيع الاستفادة كثيراً مما نجد من مذاهب ومناهج تمهيداً لوضع مناهج تاريخية منبعثة من

طبيعة الدراسات التاريخية الإسلامية.

ويهمنا بصورة خاصة أن ننتبه إلى «تاريخ التاريخ»، أو تطور الكتابة التاريخية وما رافقها من مناهج وآراء تاريخية. ونحن بأمسّ الحاجة إلى دراسة تاريخ التاريخ وبحثه لدى العرب، وبدونها تتعذر الكتابة التاريخية النقدية. إننا لن نستطيع فحص مصادرنا التاريخية، ونقد رواياتها، وتمييز القوي من الضعيف، والأول من التالي، والأصيل من الموضوع، ولن نميز الروايات التاريخية من القصص دون دراسة نقدية للمؤرخين، ولتطور علم التاريخ عند العرب. إننا بحاجة لأن نفهم سبب نشأة الكتابة التاريخية عند العرب؛ لنرى دوافع كتابة التاريخ، واتجاهات المؤرخين، وآراءهم التاريخية، وأسلوبهم في تمحيص الروايات وفي الكتابة، ونظرتهم إلى أهمية التاريخ ودوره في الحياة الثقافية والحياة العامة. ويهمنا أن نرى عوامل الوضع والارتباك في الكتابة التاريخية، من أثر التيارات السياسية والحزبية، إلى دور القصّاص فيها، إلى أثر الشعوبية، إلى المؤثرات الدينية، وأن نرى أثر التطورات العامة في تطور الكتابة التاريخية. وبدون دراسة هذه النواحي يتعذر علينا أن نفهم قيمة المواد التاريخية المتيسرة لدينا، أو أن ننقد بحوث غيرنا، أو أن نخلّص تاريخنا من الشوائب التي لحقت به في الماضي والحاضر. ولن يجدينا في هذا المجال الاستفادة من مصطلح الحديث في التاريخ، أو الاعتماد على السمعة التي يتمتع بها بعض المؤرخين. فالطبري مثلاً من مصادرنا الجليلة، ولكن نظرة إلى ما كتبه عن صدر الإسلام تكشف لنا أننا أمام مجموعة من المؤرخين وغير المؤرخين استند إليهم الطبري، مثل أبي مخنف، وسيف بن عمر، وابن الكلبي، وعوانة بن الحكم، ونصر بن مزاحم، والمدائني، وعروة بن الزبير، والزهري، وابن إسحق، والواقدي، ووهب بن مُنبِّه، وكعب الأحبار إلخ... وهم يتباينون في الدقة والاتجاه والأسلوب، وفي طريقة الرواية، وكل منهم يحتاج إلى دراسة تاريخية خاصة.

ولنأخذ موضوعاً معيناً كمثَل، وليكن السيرة النبوية. وهنا تتمثل أمامنا سيرة ابن إسحق ومغازي الواقدي باعتبارهما أقدم المصادر، ثم ابن سعد، والطبري، وقد نرجع إلى مصادر متأخرة مثل ابن سيد الناس (**عيون الأثر**)، وابن كثير (**البداية والنهاية**). ولكن هذا الاتجاه، وإن بدا مقبولاً، قد يوقعنا في مزالق خطيرة. **فسيرة ابن اسحق** (التي هذبها ابن هشام هي أقدم سيرة وصلت إلينا، ويوازيها **مغازي** الواقدي. وعند فحص روايات ابن اسحق وأخباره نرى أنها متباينة في الأهمية، فالعنصر التاريخي المتين يرجع بالدرجة **الأولى** إلى الزهري وبعض المحدثين، وقسم **آخر** من أخباره مأخوذ من القصص الشعبي الذي يغلب عليه عنصر التسلية، أو التقوى، أو الفخر، مع كثير من الشعر الموضوع، وقسم **ثالث** يرجع إلى

الإسرائيليات وإلى قصص وهب بن منبّه وأخباره في فترة ما قبل الإسلام خاصة. وعندئذ يتضح التباين في القيمة والأهمية بين هذه العناصر الثلاثة التي تكوّن مادة السيرة لدى ابن اسحق. وليس من الممكن في بحث جدي الاكتفاء بذكر أخبار ابن إسحق دون تمييز بين العناصر الثلاثة المذكورة.

ومن ناحية ثانية قد نقول إن ابن سيد الناس أو ابن كثير متأخر، ومعلوماته مأخوذة عن مؤرخين سابقين معروفين، فهي إذاً ثانوية في الأهمية. وقد يصح هذا على كثير من أخبارهما، ولكننا عند التدقيق نجد كلاً منها مادة أولية، ترجع إلى مؤرخين أقدم من ابن إسحق كالزهري، وهي ليست موجودة في سيرة ابن هشام وبهذا نحصل على مادة تاريخية مهمة. وبعد هذا نستطيع، بدراسة المصادر المبكرة التالية، أن نرى تطور نظرة المؤرخين العرب في الكتابة عن السيرة حين نقابل مثلاً بين **سيرة ابن هشام وعيون الأثر**، ونشهد الانتقال من الأخبار التاريخية البسيطة في المصادر المبكرة (مثل عروة بن الزبير والزهري) إلى الأخبار التي تسيطر عليها التقوى والقدسية الدينية، والتي يختلط فيها الشعور الديني والاتجاه نحو المبالغة بالنظرة التاريخية بصورة قوية. وهكذا نستطيع أن نقوم بدراسة تاريخية للسيرة تستند إلى تقدير لأصولها وإلى نقد تاريخي للروايات عنها.

ولكن دراسة هذا الموضوع عسيرة وقلقة، إذ إن المؤلفات التاريخية الأولى لم تصل إلينا كاملة، وليس أمامنا منها إلا مقتطفات مبعثرة في تواريخ تالية. ومعنى هذا أننا بحاجة إلى أن نجمع هذه المقتطفات، وأن نصنّفها لأجل أن نحصل على هيكل تقريبي للمؤلفات المذكورة. ومثل هذه المحاولة تعني إعادة تصنيف المواد التاريخية التي وصلت إلينا للقرون الأولى الثلاثة للهجرة خاصة، بإرجاعها إلى أصولها، وهو عمل شاق وخطير وبطيء.

وهناك مشكلة ثانية وهي أن هذه المقتطفات تنسب عادة إلى أصحابها دون الإشارة إلى الكتاب الذي أخذت عنه، إلا في النادر، وهذا يضعنا في موضع لا يخلو من كثير من الافتراض والتخمين حين نحاول معرفة المصدر. ثم إننا قد لا نحصل بعد هذا الجهد إلا على خطوط عامة، قد تكون مترابطة أو غير مترابطة، بالنسبة إلى المؤلفات التاريخية.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات، فإننا نشعر بأنه لا يمكن دراسة التاريخ العربي دون هذه المحاولة، ودون إعادة تصنيف المادة التاريخية حسب أصولها وإلا اختلط التاريخ بالقصص والأدب، ووضعت الروايات المبكرة والأخبار المتأخرة في صعيد واحد، لا يقره منطق التاريخ أو أسلوب البحث التاريخي.

إن الصفحات التالية تمثّل محاولة أولى لدراسة نشأة علم التاريخ عند العرب. وهي مجموعة مخططات تجمعها المدة الزمنية الواقعة بين القرن الأول والقرن الثالث للهجرة، وتجمعها وحدة الموضوع.

وقد تناولت في الرسالة **الأولى** نشأة علم التاريخ وتطوّره حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وذلك بصورة عامة موجزة، تكاد تكون مجموعة تراجم تظهر الخيوط العامة لتطور الموضوع. وهي خطوة تمهيدية.

وتناولت الرسالة **الثانية** نشأة مدرسة التاريخ في المدينة، متمثلة في رائدها عروة بن الزبير، وفي مؤسسها الحقيقي الزهري. وهي تساعد على فهم أصول السيرة النبوية.

وتناولت الرسالة **الثالثة** وهب بن منبه بصفته قاصّاً وأخبارياً تغلب عليه القصص، ويبدو أثره في الإسرائيليات وفي قصص ما قبل الإسلام، كما أنه يمثل الوجهة القصصية اليمانية، لأبيّن أنه لم يكن له أثر جدي في كتابة السيرة كما ظن بعض المستشرقين، وأن دراسة السيرة كانت من قبل مؤرخين من أهل الحديث، ولم تأت عن طريق القصّاص، وإن دخل عنصر القصص إلى السيرة فإن ذلك جاء في ما بعد، وكان موضع نقد المؤرخين.

وتناولت الرسالة **الرابعة** نشأة مدرسة التاريخ في العراق (الكوفة والبصرة)، وهي المدرسة الأخرى للتاريخ عند العرب. وهذه مدرسة نشأت مستقلة، ومن جذور تختلف عن جذور مدرسة المدينة، وهي مدرسة ظهرت بتأثير ظروف وأوضاع ودوافع متميزة ومتصلة بالاتجاهات القبلية في إطارها الإسلامي الجديد. وأرى أن نشأة علم التاريخ عند العرب تتصل بهاتين المدرستين المدنية والعراقية.

وعرضت في الرسالة **الخامسة** الدوافع التي أدت إلى نشأة علم التاريخ عند العرب، والآراء والأفكار التاريخية التي أرادوا التعبير عنها وضمّنوها مؤلفاتهم.

وبعد، فإننا نمر بمرحلة تحرّر شاملة، ونرجو أن يكون للدراسات التاريخية دورها وأثرها في هذه المرحلة المباركة.

عبد العزيز الدوري



الرسالة الأولى
نشأة التاريخ عند العرب
وتطوّره خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة

- ١ -

يكوّن علم التاريخ عند العرب جزءاً من التطور الثقافي العام. وصلته بعلم الحديث وبالأدب بصورة خاصة وثيقة، وتستحق اهتماماً خاصاً. ثم إن ظهور الإسلام، وتكوين الإمبراطورية، والتصادم بين الآراء والتيارات الحضارية، وتطور الأمة وخبراتها، هذه كلّها حيوية لفهم التطورات الأولى للكتابة التاريخية.

ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر في صدر الإسلام، إلا أن الاستمرار الثقافي يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الإسلام.

لقد كان في الجزيرة العربية في الدور الجاهلي مجتمعات بدوية وأخرى مستقرة، ومع أن المعلومات المتوافرة لدينا ضئيلة، وعلى العموم متأخرة، إلا أننا سنستعرضها بإيجاز تمهيداً للبحث.

ففي جنوب الجزيرة، تشير الكتابات والنقوش إلى ظهور أربع ممالك خلال المدة ما بين عامي ١٢٠٠ق.م. و٥٢٧م. وقد سارت هذه الممالك في تطورها في اتجاهات متماثلة، فهي تبدأ بثيوقراطية يحكمها أمير كاهن أو «مكرّب»، يمارس السلطتين الدينية والزمنية، ثم تتدرّج إلى ملكية دنيوية تسود فيها بعض الأسر من المحاربين والملاكين[١]. وقد خلّفت هذه الممالك - حسب معلوماتنا الآن - كتابات تتراوح تواريخها بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي، وتسجل تلك الكتابات الفعاليات المختلفة، مثل أعمال البر والتقوى، وتقديم الجزية، ومشاريع

---

(١) Jacques Rychmans, L'Institution monarchique en Arabie méridionale avant l'islam (màin et saba), bibliothèque du Muséon; v. 28 (Louvain: Publications universitaires, 1951), p. 25 ff.

الري، وإنشاء الأسوار والتحصينات، والحملات العسكرية[٢]. ومع أن بعض هذه الكتابات دينية في طبيعتها، إلا أن بعضها الآخر في الأساس تسجيل للفعاليات البشرية، وتخليد للأعمال الهامة[٣]. ونجد فيها في البدء طريقة مشوشة لتأريخ الحوادث، إلا أن تقويماً ثابتاً أدخل في ما بعد يبدأ بسنة ١١٥ ق. م.، مما أدى إلى نظام ثابت للتأريخ[٤]. وهذا التطور مع تسجيل الأعمال البشرية قد يوحي بوجود شيء من الفكرة التاريخية. إضافة إلى ذلك يشير الهمداني إلى وثائق ملكية وسجلات حميرية، حفظت واستفيد منها في ما بعد[٥]، وإلى «زُبُر» أو وثائق وسجلات للأنساب، حفظتها بعض العوائل والبطون[٦].

إلا أن الروايات اليمانية الموجودة في المصادر الأولى بمجموعها ذات طابع أسطوري، بل إننا نجد حوادث القرن السادس الميلادي، وهي قريبة نسبياً، مرتبكة[٧]. فبدلاً من أن تصل إلينا روايات متينة نجد الرواة ـ مثل وَهَب بن مُنبِّه (ت ١١٤ هـ/ ٧٣٢م) وعَبيد بن شَرْيَة ـ يوردون قصة خيالية شعرية لتاريخ اليمن، هي مزيج من القصص الشعبي والإسرائيليات، وحاولوا بذلك تمجيد عرب اليمن بأن نسبوا إليهم أمجاداً في الحرب والصنعة واللغة والأدب، وحتى في الدين؛ ليدللوا على أنهم سبقوا عرب الشمال في أمجادهم، أو أنهم لا يقلّون عنهم في ذلك[٨]. وقد

---

(٢) Répertoire d'epigraphie sémitique (Paris: Imprimerie nationale, 1929-1950), nos. 2689, 2695, 2975, 2999, 3021, 3391 and 3943.

(٣) المصدر نفسه، العددان ٣٨٥٨ و٣٩٤٣؛ Rychmans, Ibid., pp. 71-72; Corpus inscriptionum semiticarum, 3 vols. (Paris: Academie des Inscriptions et belles-lettres, 1889-1931), pp. 294-295, and Sidney Smith, «Events in Arabia in the 6th Century A.D.,» Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. 16 (1954), p. 31.

(٤) Ryckmans, Ibid., p. 282.

(٥) يقول الهمداني في تعريفه بعالِم يماني إنه «إرث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب علمها»، وإنه «قرأ زُبُر حمير القديمة ومساندها الدهرية». ويذكر أن أنساب ولد الهميسع «كانت مزبرة في خزائن حمير، وكذلك أنساب الملوك من ولد عمرو بن همدان». انظر: أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، **الإكليل**، حققه أوسكار لوفكرن (ابسالا: [د. ن.]، ١٩٥٣)، ج ١، ص٥ وج١٠، ص ٣٠.

(٦) يقول الهمداني عن نسب اللعويين: «وهذه نسبة الأمويين مقيدة الأصول.. أخذتها عنهم رواية عن زبور قديم بخط أحمد بن موسى». ويقول في مكان آخر: إنه أخذ نسب بني لعوة: «نقلاً عنهم في أيامهم ببلدة (ريدة)، وعن الزبر التي في أيديهم، وقابل ذلك بما يرويه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره من النسّاب». انظر: المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٣٠ ـ ٣١، ١١١ و١١٩ ـ ١٢٠.

(٧) ينتقد الهمداني في مطلع **الإكليل** الروايات التاريخية عن اليمن، ويقول: «فوجدت أكثر الناس يخبط خبط عشواء ويَغمَه في حندس طخياء»، ويرى في قلة التدقيق في علم الأخبار ما يساعد على هذا الارتباك. انظر: المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٤.

(٨) أبو محمد عبد الملك بن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، نشره ف. كرنكو (حيدر آباد الدكن: مطبعة =

أورد هؤلاء أخبارهم بأسلوب يشبه أسلوب قصص «أيام العرب» مع نسبة أوفى من الشعر الموضوع لتقوية تأثير القصة. وهذه ظاهرة تجلب الانتباه، ويبدو أن أسبابها تتصل بظروف العرب في صدر الإسلام. فقد كان للظروف السياسية وللعوامل الجغرافية أثرها؛ إذ إن العصبية والتنافس بين عرب الشمال (مضر) وعرب الجنوب (يمن) كانت مسؤولة بالدرجة الأولى عن مثل هذه الأخبار، ولعلها أدت إلى بعض التعصب عند نسّابي عرب الشمال[9]. وقد تكون المسافات البعيدة سبباً أعاق علماء الشمال من زيارة اليمن والحصول على معلومات مباشرة عنها[10]. ثم إن هؤلاء الرواة الأولين هم أقرب إلى القُصّاص منهم إلى المؤرخين. وهكذا وصلت إلينا روايات ضئيلة القيمة خالية من الفكرة التاريخية. ومن ناحية أخرى يحتمل أن يكون لفكرة التاريخ الثابت (التقويم) لدى اليمانيين أثر في إحداث تاريخ ثابت (التاريخ الهجري) لدى المسلمين[11].

أما في شمال الجزيرة، فقد كان لدى المناذرة «كتب» تحوي أخبار عرب الحيرة وأنسابهم وسير أمرائهم، وكانت هذه محفوظة في كنائس الحيرة. كما أنهم كانوا يعرفون الكثير من الأخبار الفارسية[12]. وقد استفاد بعض المؤرخين في ما بعد من هذه الكتب والأخبار في تآليفهم. ولكننا لا نجد ما يشير إلى أن عرب الحيرة كانت لديهم فكرة تاريخية واضحة.

وكانت لدى عرب الشمال روايات شفوية من قصص عن آلهتهم وروايات عن شؤونهم الاجتماعية ومآثرهم. ويدور جلّ تلك الروايات حول غزواتهم ومعاركهم

= مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، ص ٣٥، ٤٧ ـ ٤٨، ٥٢ ـ ٥٣، ٨٦ ـ ٨٧، ١١٠ و١٦٢.

(٩) يرى الهمداني في عصبية نساب العراق والشام عاملاً في إرباك سلسلة اليمانيين، فيقول: «وكذلك سبيل نساب العراق والشام يقصرون في أنساب كهلان ومالك بن حمير ليضاهوا بها عدة الآباء من ولد إسماعيل». انظر: الهمداني، المصدر نفسه.

(١٠) ويقول الهمداني عن أخباريي الشمال: «قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن». انظر: المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٣٠.

(١١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤.

(١٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الشماريخ في علم التاريخ**، تحرير كريستيان فريدريخ سيبولد (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٤)، ص ٩؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ١٣ ج في ٥ (القاهرة المطبعة الحسينية، ١٣٣٦هـ/١٩١٧م)، ج ٢، ص ١٢٧؛ مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف مجرداً عن الزيادات واللواحق من بعده وتعليق حواشيه ثم بترتيب الذيول عليه وطبعها محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، ٢ مج (استانبول: وكالة المعارف، ١٩٤١ ـ ١٩٤٣)، مج١، ص ٣٥، وأبو محمد عبد الملك ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، حققها وضبطها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ٤ ج (القاهرة: البابي، ١٩٣٦)، مج ١، ص ٣٢١.

(الأيام) وحول أنسابهم، وهي تتّصل بالتنظيم الاجتماعي وبالآراء والمثل الاجتماعية، وفي طليعتها المروءة، أو مجموعة الفضائل البدوية، وفكرة النسب، أو شرف الأصل، وفكرة الحسب، أو نبل الأعمال والمآثر. إذ يلزم الأفراد أن يعرفوا آباءهم والمآثر التي قاموا بها. كما أن «الأيام» تجد عناية خاصة في المجتمع القبلي.

وهكذا كان لدى القبائل قصص وأخبار عن أعمالها. وكانت الروايات القبلية هذه تُتداول شفهياً وبصورة نثرية، ولكن الشعر يلعب دوراً أساسياً في الرواية الشفهية، يتخلّل القصة، أو يرد في نهايتها حسب دور الشاعر، إذا شارك في الحوادث أو لم يشارك. وهذا الشعر لا يسير بالقصة، ولكنه يعطيها حيوية وتأثيراً. وبمرور الزمن أصبح الوثيقة التي تعزز صحة القصة. يقول ابن فارس: «الشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرضت المآثر، ومنه تُعلّمت اللغة...»[١٣] وقد نشأت قصص «الأيام» في المجالس القبلية المسائية.

وكانت قصص «الأيام» مجموعة روايات شفوية قبلية جماعية، وهي ملك مشترك للقبيلة، وبقيت كذلك حتى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، حين جمعت هذه الروايات وصُنّفت. ولكننا يلزمنا أن نلاحظ أن فترة صدر الإسلام، بتياراتها السياسية والاجتماعية، أثرت أثرها في أدب «الأيام». كما أن روايات «الأيام» مرتبكة من ناحية التوقيت، وهي على العموم لا تخلو من عصبية، وتمثّل جانباً واحداً. ثم إنها ينقصها التآلف والسبك، وليست فيها فكرة تاريخية. ومع ذلك فإنها تحوي بعض الحقائق التاريخية. وأهميتها الأساسية في أنها استمرت في صدر الإسلام، وقد أثر أسلوبها في بداية علم التاريخ، وبخاصة في العراق.

صارت «الأيام» جزءاً من الأخبار التاريخية، كما أن ورود الشعر فيها جعلها موضع اهتمام اللغويين والنسابين والمؤرخين (مثل أبي عبيدة، وابن قتيبة، والمدائني والأصفهاني صاحب الأغاني وابن عبد ربه). وقد حاول ابن الأثير أن يورد أخبار الأيام في تسلسل تاريخي. ويرى حاجي خليفة أن تكون «الأيام» فرعاً من التاريخ؛ إذ يقول: «علم أيام العرب وهو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة والأهوال الشديدة بين قبائل العرب... والعلم المذكور ينبغي أن يجعل فرعاً من فروع التواريخ»[١٤].

---

(١٣) حبيب بن أوس أبو تمام، **ديوان الحماسة**، مختصر من شرح العلامة التبريزي، ٢ ج (القاهرة: [د.ن.]، ١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، ج١، ص ٣، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ٢ج (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، [١٩؟])، ج٢، ص ٤٧٠.

(١٤) حاجي خليفة، المصدر نفسه، مج ١، ص ٢٠٤. وعن الأيام، انظر: أحمد الشايب، **تاريخ النقائض في الشعر العربي** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، [١٩٤٦])؛ أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، =

إن أهمية روايات «الأيام» تكمن في استمرارها في صدر الإسلام وفي أسلوبها. فأسلوب قصص الأيام مباشر يفيض بالحيوية، وواقعي يختلط فيه النثر بالشعر. وهذا الأسلوب له أثره في بداية علم التاريخ عند العرب، وفي الأوساط القبلية بخاصة.

تتّسم الحياة القبلية بالمحافظة على التقاليد، وليس لديها إلا فكرة مشوشة محدودة عن الوقت. فالزمن لديها منقط بحوادث كبرى، تتّخذ عادة بدايات للتاريخ أو التوقيت، وحين تأتي حادثة مهمة يهمل ما قبلها ويؤرخ بها. وكانت القبائل في بعض الأوقات والأماكن ـ مثل الحيرة ومكة ـ على صلة بثقافات أخرى، إلا أن اهتمامها اقتصر على شؤونها الخاصة، وليس لدينا ما يشير إلى وجود مؤثرات أجنبية.

ولم تترك الفترة الجاهلية أدباً مكتوباً، فهي فترة ثقافية شفوية. ومع أن تراثها على العموم أدى إلى استمرار الاهتمام بالأيام والأنساب، وإلى بقاء أسلوب الأيام في الرواية، وهو الأسلوب القصصي شبه التاريخي، إلا أنه يخلو من أية نظرة تاريخية.

ـ ٢ ـ

وبظهور الإسلام، بدأت نظرات جديدة. فقد جاء القرآن بنظرة جدية إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة، وعاد إلى بدء الخليقة. وأكد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة؛ للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها.

وجاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ، تتمثل في توالي النبوّات، وهي في الأساس رسالة واحدة بشّر بها أنبياء عديدون، وكان الرسول الأعظم (ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين. وكان لهذه النظرة أثرها في الالتفات إلى تاريخ الأنبياء وإلى الإسرائيليات. إلا أن هذه النظرة العالمية اقتصرت على الفترات التي سبقت ظهور الإسلام، أما بعد ذلك فإن الاهتمام انصب على تاريخ الإسلام. فالمسلمون خلفوا الأمم السابقة التي ظهرت فيها نبوّات، وأعمالهم وشؤونهم تستحق عناية خاصة. وقد أكد هذه النظرة الحديث المشهور «لا تجتمع أمتي على ضلال»، وهو حديث هام في تقرير الإجماع.

ثم إن القرآن نصّ على أن أقوال الرسول (ﷺ) موحى بها، وأن سيرته مثل للمسلمين يقتدون به. وهنا نجد دافعاً مباشراً لدراسة أقوال الرسول (ﷺ) وأفعاله.

= **تاريخ الكامل: وبهامشه أخبار الدول وآثار الأول للقرماني وغيره،** ١٢ج (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م)، ج١، ص ٢٠٩، ٢١٩ ـ ٢٢٠ و٢٢٥ وبعدها، و W. Caskell, in: Islamic, vol. 3 (1931), pp. 1-99.

وقد شعر العرب في الإسلام بأنهم أصحاب رسالة جليلة، وأنهم يمرون بمرحلة هامة، كما أن الفتوحات الكبرى جعلتهم يحسّون بأن لهم دوراً تاريخياً خطيراً، وهذا كان له أثر قوي في الدراسات التاريخية.

ووضع عمر بن الخطاب تقويماً ثابتاً هو التاريخ الهجري، فأصبح عنصراً حيوياً في نشأة الفكرة التاريخية. ومنذ ذلك الوقت أصبح توقيت الحوادث (أو تأريخها) العمود الفقري للدراسات التاريخية. وقام عمر بن الخطاب بتأسيس الديوان، أو سجلّ المحاربين وأهليهم حسب قبائلهم، وهذا أعطى الأنساب أهمية جديدة، وكان حافزاً إضافياً للاهتمام بدراسة الأنساب.

وهكذا، فإننا حين نتذكر هذه الآراء والمواد التي ذكرت أعلاه، وإن استعرضنا نشأة الدراسات التاريخية، نلاحظ أن **بدايات علم التاريخ عند العرب سارت في اتجاهين أساسيين ـ الاتجاه الإسلامي، أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث، والاتجاه القبلي، أو اتجاه «الأيام»**. وهذان الاتجاهان يعكسان التيارين الكبيرين في مجتمع صدر الإسلام، التيار القَبلي الذي يمثّل استمرار التراث القبلي، والتيار الإسلامي الذي يتمثل في المبادئ والفعاليات الإسلامية. وكان كلّ من الاتجاهين غالباً في مركز ثقافي، الاتجاه الإسلامي في المدينة، دار سنة الرسول (ﷺ)، والاتجاه القبلي في الكوفة والبصرة، المصرين الجديدين اللذين كانا مركزين فعّالين للقبلية. وقد كانت المدن الثلاث المذكورة مراكز النشاط الثقافي في صدر الإسلام. وصار لكل اتجاه مدرسة تاريخية، وحصل تأثير متبادل بين المدرستين التاريخيتين، ثم بان تفوق الاتجاه الإسلامي أخيراً حين غلب اتجاه أهل الحديث في الكتابة التاريخية، كما سنرى في ما بعد.

ـ ٣ ـ

كان الاهتمام بأقوال الرسول (ﷺ) وأفعاله للاهتداء بها، أو للاعتماد عليها في التشريع وفي التنظيم الإداري وفي شؤون الحياة ضرورة مباشرة وطبيعية لدى أهل العلم. كما أن مغازيه وغزوات أصحابه كانت مصدر اهتمام واعتزاز لدى المسلمين، وكانت موضوعات محببة في مجالس السمر. وكانت المشاركة في مغازي الرسول(ﷺ) وفعالياته الأخرى عاملاً في رفع المنزلة الاجتماعية، وعنصراً في تحديد العطاء في الديوان، ما قوّى الاهتمام بها. وسرعان ما صار الصحابة أنفسهم قدوة لمن بعدهم في أقوالهم وأعمالهم، فصارت هذه مشمولة بالحديث[١٥].

---

(١٥) انظر: Joseph Schacht, *The Origins of Muhammadan Jurisprudence* (Oxford: Clarendon Press, 1950), p. 3 ff.

وأخيراً اتسع الاهتمام ـ خلال القرن الأول الهجري ـ ليشمل فعاليات الأمة بكاملها. وقد ظهرت هذه النواحي المختلفة في الدراسات التاريخية.

بدأت دراسة «مغازي» الرسول(ﷺ) في المدينة ضمن دراسة الحديث. ومع أن المحدِّثين استمروا على اهتمامهم بالمغازي، إلا أن بعضهم أخذ يعنى بدراسة حياة الرسول(ﷺ) بشكل يتعدى الاقتصار على نواحي التشريع. وكان رواد دراسة «المغازي» محدثين، كما أن النظرة التي نظر بها العلماء إلى مؤلفي «المغازي» تؤيد هذا الرأي. وهذا يفسر أهمية «الإسناد» ـ أو سلسلة الرواة في تقدير قيم المغازي، ويعني ذلك ربط قيمة الحديث أو الرواية بمنزلة المحدثين أو الرواة. وهذا الاتجاه ولّد في فترة مبكرة نظرة نقّادة إلى الرواة، أو مصادر المعلومات، وأدخل عنصر البحث والتحرّي في جمع الروايات، وكوّن أساساً متيناً للدراسة التاريخية. ومن ناحية أخرى تُنوقلت الأخبار والقصص عن «المغازي» وتوسع فيها القصّاص، وجعلوها أدباً شعبياً. ومع أن بعض هذه الأخبار والقصص وجد طريقه إلى بعض كتب السيرة في ما بعد، إلا أن النظرة إلى الروايات وطرق نقدها بقيت في الأساس تسير على طريقة أهل الحديث.

وقد سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول(ﷺ) باسم «المغازي»، وتعني لغوياً غزوات الرسول(ﷺ) وحروبه، ولكنها تناولت في الحقيقة عصر الرسالة بكامله. وقد قام بها بعض أبناء الصحابة البارزين[١٦]. ولنلق الآن نظرة عليهم.

نبدأ بأبان بن عثمان بن عفان (ت بين ٩٥ ـ ١٠٥هـ ـ ٧١٣ ـ ٧٢٣م) فهو محدث له ميل إلى دراسة المغازي. ومع أن أحد تلامذته كتب مغازيه، إلا أنها توصف بأنها من الحديث[١٧]، وإذا استثنينا إشارة إليه في اليعقوبي[١٨] فإننا لا نجد بين المؤرخين من نقل أو روى عنه، في حين أنه يروى عنه في كتب الحديث. ويبدو أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي.

ويبدو أن عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ/ ٧١٢م)، وهو فقيه ومحدث مشهور، كان

---

(١٦) J. Horovitz: «The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors I,» 4 Parts, *Islamic Culture*, vol. 1 (1927), pp. 535-539, and «The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors II,» *Islamic Culture*, vol. 2 (1928), pp. 22-50 and 164-182, and

جوزف هوروفتس، **المغازي الأول ومؤلفوها**، ترجمة حسين نصار (القاهرة: البابي، [١٩٤٩]).

(١٧) انظر: أبو عبد الله محمد الزبير بن بكار، **الأخبار الموفقيات**، تحقيق سامي مكي العاني (بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٢)، ص ١٣٢ ـ ٣٣١، حيث يتحدث أبان بن عثمان عن كتابة المغازي وتوثيقها.

(١٨) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، تحرير مارتن ثيودور هوتسما، ٢ج (ليدن: مطبعة بريل، [١٨٨٣])، ج١: **تاريخ ما قبل الإسلام**، ص ٣.

مؤسس دراسة المغازي، إذ كان أول من ألف كتاباً في «المغازي»[19].

وقد وصل إلينا شيء من مغازيه في مقتبسات وردت عند بعض المؤرخين، كالطبري، وابن اسحق، والواقدي، وابن سيد الناس، وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصل إلينا من تاريخ المغازي. وهي تتناول جوانب مختلفة من حياة الرسول(ﷺ)، كبدء الوحي، وبعض الغزوات، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول(ﷺ)، ولم يدخل عروة في رواياته في تفاصيل القتال في المغازي. وقد كتب عروة بعض رواياته في حين أن بعض كتاباته التاريخية أجوبة مكتوبة عن أسئلة وجهت إليه من البلاط الأموي[20]. وقد استعمل عروة «الإسناد» بشكل يعكس نظرة عصره. ويبدو أنه اعتمد على الأحاديث في أجوبته المكتوبة، ولكنه قدم رواية (أو قصة) متسلسلة دون ذكر الإسناد. وهو في رواياته عن الحوادث المهمة، مثل بدء الوحي والهجرة يعطي إسناده. وقد كانت النظرة إلى الإسناد في زمنه لا تزال مرنة، ولم تكن القواعد الدقيقة للإسناد قد ظهرت بعد.

وأسلوب عروة في التأليف بسيط، بعيد عن الإنشاء، في حين أن نظرته واقعية وصريحة وخالية من المبالغات. وقد مكنته منزلته الاجتماعية من الحصول على معلومات تاريخية من مصادرها الأولية وبخاصة من عائشة ومن آل الزبير، أسرته، وقد حصل على بعض الوثائق، كما أنه أشار إلى آيات قرآنية تتصل بالحوادث[21]. ومع أنه يورد الشعر في بعض الأحيان[22] إلا أن هذا ليس نتيجة لأثر أسلوب الأيام، بل إنه يعكس حبه للشعر ودور الشعر في الثقافة.

وامتد اهتمام عروة بالتاريخ إلى عصر الخلفاء الراشدين ـ فتناول مثلاً الردة، ومعركتي القادسية واليرموك[23]. وهكذا نجد الاهتمام مبكراً بأحداث الأمة.

---

(١٩) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،** مج٢، ص ١٧٤٧؛ شمس الدين محمد بن عبد الله السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل] التاريخ** (دمشق: القدسي، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، ص ٩٩، والزبير بن بكار، المصدر نفسه، ص ٣٣٢.

(٢٠) ابن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية،** ج ٥، ص ١٣٣، وأبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك،** [تحقيق ميخائيل جان دو غويه]، ١٥ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج١، ص ١١٨٠، ١٢٨٤ و١٦٣٤.

(٢١) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨٠ ـ ١١٨١ و١٢٨٨؛ أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **كتاب فتوح البلدان،** تحرير م.ج. دو غويه (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٦٦)، ص ٧٩، وأبو محمد عبد الملك بن هشام، **سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم،** تحقيق فرديناند وستنفلد، ٢ج (غوتنغن: [د.ن.]، ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠)، ص ٧٥٤.

(٢٢) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٤٨.

(٢٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨٥، ١١٩٩، و١٢٤٢.

ولكن الروايات التي وصلت إلينا عن عروة قليلة مبعثرة، ولا تمكننا من الحصول على فكرة واضحة عن مغازيه، أو عن الهيكل الذي انتظمت فيه رواياته إن وجد.

ولنلاحظ هنا أننا إذا أردنا أن نتفهم تطور الكتابة التاريخية يلزمنا أن نلاحظ أن الدراسات، حتى في المغازي، كانت أعمالاً جماعية، وأن فعاليات الأفراد تكون جزءاً من مدرسة. فكان كل واحد من حملة العلم يضيف دراساته وبحوثه إلى دراسات أساتذته، وبذلك يحفظ علم المدرسة التي ينتمي إليها، ويضيف إلى ما وصل إليه.

ومن معاصري عروة شراحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ/ ٧٤٠م). وهو بدوره يعكس تطوّر النظرة الاجتماعية حين يقدم قوائم بأسماء الصحابة الذين شاركوا في الأحداث الكبرى، مثل البدريين، والذين اشتركوا في معركة أُحد، وجماعة المهاجرين إلى الحبشة، والمهاجرين إلى المدينة، لما للمشاركة فيها من قيمة اجتماعية متزايدة.

وفي الجيل التالي، قام ثلاثة من العلماء بتنمية دراسة «المغازي» وتوسيعها، وهم عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٠ ـ ١٣٥هـ/ ٧٤٧ ـ ٧٥٢م)، وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٧م)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري. وليس أمامنا إلا مقتطفات من مؤلفاتهم التي حددت إطار «المغازي»، وهيّأت جل المواد التي اعتمد عليها ابن إسحق والواقدي بعده.

والزهري (ت ١٢٤هـ/ ٧٤١م)[٢٤] هو المؤرخ الأول بين الثلاثة المذكورين. إذ إنه لم يقتصر على رواية «مغازي» عروة بن الزبير[٢٥]، بل قام ببحث واسع عن روايات المدينة وأحاديثها، وكتب ما كان يسمع ليعين ذاكرته. وقد محّص تلك الروايات ووضعها في إطار متين واضح. ودراسة رواياته التي وصلت إلينا تجعلنا نميل إلى أنه كان أول من أعطى «السيرة» ـ وهو التعبير الذي استعمله ـ هيكلاً محدداً، ورسم خطوطها بوضوح. وتبدأ خطته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن زمن ما قبل الإسلام، والتي تتصل بحياة النبيّ محمد (ﷺ). ثم يتناول النواحي الهامة من الفترة المكية من حياة الرسول(ﷺ)، ثم الهجرة إلى المدينة، ويتناول المغازي وفتح مكة، وبعض السفارات التي أرسلها الرسول، والوفود التي قدمت عليه، ويتحدث عن فعاليات أخرى للرسول(ﷺ)، ثم مرضه وانتقاله من هذه الحياة. وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة وأعطى تواريخ الحوادث المهمة.

وقد أخذ الزهري جلّ مواده عن السيرة من الحديث. ولا نجد إلا أثراً بسيطاً للقصص في ما كتب، كما أننا نجد صدى ضعيفاً في مادته لقصص الأنبياء التي اهتم

---

(٢٤) لقد كتبت بحثاً خاصاً عن الزهري، لذا حذفت ذكر المراجع هنا، ويمكن الرجوع إليه في فصل تالٍ.

(٢٥) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل] التاريخ**، ص ٨٩.

بها كما يبدو. ومع أن الزهري كان يحب الشعر مثل أبناء عصره، بل إنه كان ضليعاً في الشعر، إلا أن استعماله له محدود في مغازيه، فهو بعيد عن أسلوب الأيام في كتابته.

وتناولت دراسات الزهري عهد الخلفاء الراشدين، إذ تناول بإمعان الحوادث الهامة والمشكلات الرئيسة في تاريخ الأمة، مثل انتخاب أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وتأسيس الديوان، وجمع القرآن، والشورى، والفتنة، ومقتل عثمان، وانتخاب علي ـ رضي الله عنه ـ والحرب الأهلية الأولى وانتقال السلطة إلى الأمويين. وهو بذلك يظهر أهمية التجارب التي مرت بها الأمة.

ومن ناحية أخرى كان الزهري عالماً بالأنساب؛ إذ ألف كتاباً في نسب قريش، كما أن مصعباً الزبيري يذكره مصدراً في كتابه المعروف بـ **نسب قريش**.

وقد أسند الزهري رواياته، واشتهر بقوة إسناده. ونظرته في ذلك تمثل نظرة عصره، حيث نجده يعدّ رواية التابعين أحياناً وافية بشروط الإسناد.

ولكنه أدخل شيئاً جديداً هو الإسناد الجمعي، حيث يدمج عدة روايات في خبر متسلسل، وبذلك يسير خطوة مهمة نحو الكتابة التاريخية المتّصلة.

وقام الزهري بخدمة أخرى هامة للدراسة التاريخية؛ إذ إنه كتب رواياته، ويُعتبرّ الزهري أول من فعل ذلك بصورة منظّمة. وقد وجدت أحمال عديدة من مؤلفاته في خزانة الكتب في البلاط الأموي. أما الروايات التي تذكر أنه أجبر على الكتابة فهي صدى لمناقشات حصلت بعد عصر الزهري[(٢٦)].

إن دراسات عروة بن الزبير والزهري تلقي ضوءاً على بدايات الكتابة التاريخية ونطاقها. ومنها يظهر أنه بالإضافة إلى السيرة كانت أهمية تجارب الأمة وخبراتها عاملاً أساسياً في نشأة الكتابة التاريخية. ثم إن التفسير مع كثرة الإشارات القرآنية إلى شؤون المسلمين كان عاملاً آخر. وكانت الحاجات الإدارية ـ كتنظيم الضرائب والديوان من دوافع الكتابة[(٢٧)]. ثم إن المنزلة الاجتماعية والاحترام اللذين يتمتع بهما العلماء في المجتمع كانا من الدوافع لطلب العلم، كما أكد ذلك عروة بن الزبير والزهري[(٢٨)].

---

(٢٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عن مهم**، نشره أوغست فيشر (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٠)، ص ٦٧، ٦٩ و٧٢؛ أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ١٤ ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨هـ/١٩٢٩ ـ ١٩٣٩م)، ج٩، ص ٣٤٤، وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ٤ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٥ ـ ١٣٥٦هـ/١٩٣٦ ـ ١٩٣٧م)، ج٢، ص ٧٨.

(٢٧) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٥، وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **التاريخ الكبير**، ٣ج (حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف، ١٣٦٠ ـ ١٣٦٤هـ/[١٩٤١ ـ ١٩٤٤م])، ص ٣٢.

(٢٨) انظر: البلاذري، **كتاب فتوح البلدان**، ص ١٩ ـ ٢٠، ٦١ و٣٨٤.

ونلاحظ أن رواياتهما تتصف بصراحتها وبطابعها الإنساني، ويندر فيها ما نشاهده لدى المؤرخين في ما بعد من مبالغة. كما أن الاتجاه نحو الجبرية في تفسير الحوادث، وهو اتجاه شجعه الأمويون، لا يبدو واضحاً لديهما، بل إننا نجد أن أعمال الرسول(ﷺ) ذاتها تعرض أحياناً على أنها موحى بها، وتعدّ في بعض الحالات مجرد تدابير بشرية محضة وعملية، كما في قصة الخندق.

ثم إن دراساتهما تدل على أن خطوط السيرة وضعت في القرن الأول الهجري، ولم يكن واضعوها من القصّاص مثل وَهَب بن منبِّه، بل كانوا محّدثين، على قدر محمود من المقدرة على نقد الروايات وتحرّيها. أما القصّاص الذين طوروا القصص الشعبي، وأخذوا من الإسرائيليات في قصصهم فإن أثرهم يظهر بعد جيل الزهري.

ومن المناسب هنا أن نعرض لوَهَبَ بن منبِّه (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م) لأثره في ناحيتي القصص والإسرائيليات. فوهب يمانيّ المولد والثقافة، وقد جاء بوجهة غريبة عن مدرسة المدينة.

ألف وهب في «المغازي»[٢٩]، وقد وجد الأستاذ بيكر قطعة من مغازيه، ولكنها لا تعطي فكرة واضحة عن هيكله للسيرة أو عن نظرته إلى الإسناد. وقد أورد صاحب **حلية الأولياء** قطعتين في السيرة عن وهب[٣٠]، جاءتا دون إسناد، وأسلوبهما نموذج من أسلوب القصّاص ـ فيه تصوير حاذق، وفيه التمجيد، وفيه المادة الأسطورية. كما أن أسلوب الأيام واضح في القطعة التي وجدها بيكر. ولكن مغازي وهب لا يشار إليها في تواريخ السيرة، ولا أثر لها في أدب المغازي.

لقد اعتنى وهب بالإسرائيليات، وهي قصص وأساطير عن العهد القديم، وأراد بها توضيح بعض الإشارات القرآنية. وهو بهذا استطاع أن يدخل عنصر القصص إلى الدراسات الإسلامية. وقد جمع وهب من هذه القصص ما كان متداولاً بين المسلمين، وبخاصة قصص كعب الأحبار (ت ٣٢ ـ ٣٤هـ/ ٦٥٢ ـ ٦٥٤م) وعبد الله بن سلام (ت حوالى سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م)[٣١]. وقد أضاف إليها ما حصل عليه من القصص نتيجة اتصالاته بأهل الكتاب، ومن قراءاته للكتب المقدسة. وكان

(٢٩) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مج٢، ص ١٧٤٧.

(٣٠) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ١٠ج (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣٢ ـ ١٩٣٨)، ج٢، ص ٧٣ وما بعدها.

(٣١) الذهبي، في: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* (ZDMG) (1890), p. 439, and

السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل] التاريخ**، ص ٤٩.

كتابه **المبتدأ** أول محاولة لكتابة تاريخ الرسالات. وتدل دراسة المقتبسات في ابن قتيبة (**المعارف**) والطبري والمقدسي (**البدء والتاريخ**) على أن وهب بدأ بالخليقة، وتدرج إلى تاريخ العهد القديم، ثم إلى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن مثل هود وصالح، بل حتى إلى بعض الصالحين مثل لقمان وأهل الكهف.

أما روايات وهب عن تاريخ اليمن فهي أسطورية، تأخذ من قصص الإسرائيليات والقصص الشعبي، مع كثير من الشعر الموضوع، وتتمشى مع أسلوب قصص الأيام، وقد قدم وهب ملحمة نثرية يمانية شعبية لتجابه تفوّق عرب الشمال.

ولم يكن وهب دقيقاً، بل إنه لم يترفع عن الادعاء الكاذب. ولذا فإنه يعدّ أخبارياً قاصّاً، ويعدّ السخاوي أخباره غير جديرة بالمؤرخين الجديين[٣٢]. وقد جاء باتجاه منحرف ضعيف بالنسبة إلى وجهة المحدّثين في المدينة، ولكنه جعل من الإسرائيليات مادة لتاريخ ما قبل الإسلام، وقدم أول نموذج للتاريخ العالمي متمثلاً في **تاريخ الرسالات**. وهذا الاتجاه وجد صدى قوياً عند مؤرخ مشهور من مؤرخي المدينة، هو ابن إسحق.

ولنرجع الآن إلى مدرسة التاريخ المدنية التي ركّزها الزهري، لننظر في مؤرخين لهما أهمية خاصة، وكلاهما من تلاميذ الزهري، هما موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحق.

أما موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ/٧٥٨م) فقد اتبع بدقة أسلوب مدرسة المدينة. فنجده يعكس تزايد تأكيد المحدثين على الإسناد، ويبدي اهتماماً خاصاً بذكر تواريخ الحوادث. وقد استفاد من مواد مكتوبة (وبخاصة من آثار أستاذه الزهري) إضافة إلى الوثائق والروايات الشفوية، ولكن الاعتماد في الروايات المكتوبة بقي على الراوي لا الكتاب. وقد استند موسى بن عقبة بالدرجة الأولى إلى الزهري، وأضاف إلى ذلك بحوثه الخاصة، وبذلك أضاف مادة إلى تراث المدرسة. ولكننا نبين أن تقدير إنتاجه يتطلب دراسة تفصيلية دقيقة لكل المقتبسات المأخوذة عنه التي ترد في ابن إسحق والواقدي والطبري وابن سيد الناس وابن كثير.

وحين نأتي إلى ابن إسحق نحس بخطوط جديدة في التطور. ومن مظاهرها الواضحة وجود عنصر القصص الشعبي والاتجاه نحو المبالغة. ونحس بأننا انتقلنا إلى علماء هم مؤرخون أولاً، ثم محدّثون من الدرجة الثانية.

---

(٣٢) السخاوي، المصدر نفسه، وشمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: [**ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي**]، ٢ج (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩٩هـ/١٨٨١م)، ج٢، ص ٢٣٨.

وقد وصلت إلينا من ابن إسحق (ت ١٥١هـ/٧٦٨م) أقدم **سيرة** تكاد تكون محفوظة بكليتها. ويحتمل أن خطته الأصلية للسيرة كانت تتألف من ثلاثة أقسام ـ «المبتدأ» أو تاريخ الفترة بين التكوين ومبعث الرسول(ﷺ)، و«المبعث» أو رسالة النبي محمد (ﷺ) ـ و«المغازي» أو غزوات الرسول وسراياه. ولكني أرى أن الكتاب نفسه يتألف من قسمين متميزين، المبتدأ والمغازي، ولذا كان جائزاً روايتهما معاً أو كلاً على انفراد[٣٣].

ذهب ابن إسحق أبعد من حدود مدرسة المدينة، سواء أكان ذلك في نظرته التاريخية أم في أسلوبه. فقد جمع بين أساليب المحدّثين والقصاص في كتاباته، واستفاد من نواحي الاهتمام المختلفة بالمغازي وتواريخ الأنبياء، فجمع بين الأحاديث والروايات التاريخية والإسرائيليات والقصص الشعبي مع كثير من الشعر الصحيح والموضوع. ولذا فإن مصادر معلوماته تكوّن خليطاً يجلب الانتباه. ففي «المبتدأ» روى ابن إسحق عن «أهل الكتاب»، وعن الداخلين حديثاً في الإسلام، وأخذ كثيراً عن وهب بن منبه[٣٤]، وعن العجم، وروى قصصاً عربية قديمة، وأقاصيص من أصل يماني[٣٥]. أما رواياته عن فترة الرسالة فترجع في جوهرها إلى أساتذته في المدينة[٣٦]، مع إضافات حصل عليها ببحوثه. وفي بعض الحالات لا تتعدى رواياته أن تكون شرحاً لآيات قرآنية، نقله عن غيره أو عمله هو. ولكننا نلاحظ أن معلوماته عن الفترة المكية وردت في الغالب دون إسناد، وكثيراً ما نجد كلمة

---

(٣٣) يقول السخاوي: «وأما قصص الأنبياء ففي المبتدأ لمحمد بن إسحق بن يسار المطلبي صاحب السيرة النبوية». انظر: السخاوي، المصدر نفسه، ص ٨٨ و٩٢؛ **البدء والتاريخ (المنسوب) لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي**، *Le Livre de la creation et de l'histoire de Motahhar ben Tahir el-Maqdisi*، اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرانسوية كلمان هوار، ٦ج (باريس: ارنست لورو، ١٨٩٩ ـ ١٩١٩)، ج٢، ص ٣٨؛ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام: وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣هـ** (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣١)، ج١، ص ٢١٥؛ أبو الفلاح عبد الحي ابن أحمد بن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ٨ج (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥٠ ـ ١٣٥١هـ/ ١٩٣١ ـ ١٩٣٢م)، ج١، ص ٢٣٠، والذهبي، في: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* (1890), p. 419.

(٣٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ٣١٦، ٤٧١، ٥٠٤، ٥٣٩، ٥٥١ و٥٦٢ وما بعدها، وتفسير **الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر؛ راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر، ١٥ج (القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٤ ـ ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨م)، والهمداني، **الأكليل**، ج١، ص ١٠.

(٣٥) ابن هشام: **السيرة النبوية لابن هشام**، ج١، ص ٢٧، ٢٩، ٧٥ و٨١ ـ ٩٥، **وسيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، ص ١٩٧.

(٣٦) بخاصة عروة والزهري وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم.

«قصة»[٣٧] عنواناً لأخباره، مما يشير إلى أثر القصص. ومع أن رواياته عن العصر المدني فيها طابع جدي أقوى وعناية أوضح بالإسناد، إلا أننا نجد مع هذا أثر القصص الشعبي كما نجد أثر التقوى في المبالغة. ويرد الشعر خلال أخباره أو في نهاية الكلام عن الحادث بشكل مجموع، وهذا يظهر بوضوح جمعه بين أسلوب القصّاص وأسلوب المحدّثين. وهذا الشعر، بنوعيه الموضوع والصحيح، يلقي ضوءاً على التيارات السياسية المعاصرة كالمنافسة بين الأنصار وقريش[٣٨].

ويُنتقد ابن إسحق لاعتماده على أهل الكتاب في الرواية، ولإيراده كثيراً من الشعر الموضوع، ولأخطائه في الأنساب، ولأنه لا يمحّص مصادره، ولأنه ينقل من كتب الآخرين مباشرة (أي دون سماعها عن أصحابها)[٣٩]. ومع ذلك فإن ابن إسحق يبدي شكّاً ببعض رواياته[٤٠] ويستعين أحياناً بالآيات القرآنية ليعزز رواياته. أما في الشعر فلم يكن متيناً، ويعترف بضعفه. أما في الإسناد فلم يكن دقيقاً كما يتطلّب أهل الحديث، ولكنه تقدّم بطريقة الإسناد الجمعي بكفاءة واستطاع أن يقدم قصة جذابة من رواياته. وقد استفاد ابن إسحق من الوثائق والمواد المكتوبة والروايات والأخبار الشفوية.

ويظهر أثر التيارات السياسية ـ الفكرية في التهمة الموجهة إلى ابن إسحق في أنه ذو ميول شيعية، وهي تهمة لا تخلو من أساس[٤١]. ويوصف بأنه قدري ـ يؤمن بحرية الإرادة ـ وربما كان ضد الأمويين، ولكن هذا يتطلب الأدلة لإثباته.

وقد انتقدت سيرة ابن إسحق في المدينة، ولكنها لقيت عناية في المشرق، ويبدو أنها بأسلوبها ومادتها ناسبت الاتجاهات الثقافية هناك. وقد وصلت إلينا منقحة من قبل ابن هشام (ت ٢١٨هـ/ ٨١٣م)، الذي أخذها برواية البكائي، وهي بنظر السخاوي أوثق من رواية يونس بن بكر الشيباني[٤٢]. وقد حاول ابن هشام في **تهذيبه** أن يحذف الأقسام الضعيفة في «المبتدأ» خاصة، وأن يطرح الشعر الموضوع،

---

(٣٧) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج١، ص ٢٠٣ و٢٢٤.

(٣٨) انظر: Walid Arafat, «A Critical Introduction to the Study of the Poetry Ascribed to Hassan Ben Thabit,» (Ph. D. Dissertation, [n.d.]).

(٣٩) فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ٢ ج (القاهرة: [د.ن.]، ١٣٥٦هـ/[١٩٣٧م])، ص ١٢، وشهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، نشره مرغليوث، ٧ج (ليدن: [مطبعة بريل]، ١٩٠٧ ـ ١٩٢٧)، ج ٦، ص ٤٠٠.

(٤٠) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج١، ص ١٨٦، ١٩٤ و٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٤١) ابن هشام: المصدر نفسه، ج١، ص ١٠٦ وج٣، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥، **وسيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، ص ١٥٢ ـ ١٥٤ و٤٣٥، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٦، ص ٤٠٠.

(٤٢) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل] التاريخ**، ص ٨٨.

وأن يجعلها أقرب إلى وجهة نظر المحدثين. ويظهر أن المؤرخين عامة ينظرون إلى **سيرة** ابن إسحق ـ بعد أن نقحها ابن هشام خاصة ـ نظرة حسنة(٤٣).

وينسب إلى ابن إسحق كتاب آخر هو **تاريخ الخلفاء**، ولم يصل إلينا منه إلا مقتطفات مبعثرة، ويبدو أنه تناول تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين(٤٤).

لقد استفاد ابن إسحق من وجهات أسلافه، وأضاف إليها. فهو في «المبتدأ» يبدو متأثراً في خطته بوهب بن منبه، وربما كان هذا سبب وجود قسم خاص باليمن فيه. ومع أن تآليفه منفصل بعضها عن بعض إلا أنها بمجموعها تعبّر عن فكرة تاريخية هي كتابة تاريخ عالمي (من **المبتدأ** و**المغازي** و**تاريخ الخلفاء**).

وتطورت الدراسات التاريخية لدى محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧هـ/ ٧٤٨ ـ ٨٢٣م). فكتابه **المغازي** أو غزوات الرسول(ﷺ) وسراياه يقتصر على الفترة المدنية، ويتمشى بدقة أكثر من ابن إسحق مع مدرسة المدينة في المادة والأسلوب. فهو منتظم ومنطقي في تناول مادته؛ إذ يعرض أولاً إطار الموضوع، ثم يعقبه بذكر التفاصيل، ويبدأ بقائمة لمصادره الأساسية، وبقائمة بمغازي الرسول(ﷺ) وتواريخها، وحين يذكر الغزوات التي قادها الرسول(ﷺ) يورد أسماء أمراء المدينة في غيابه، ثم يتناول تواريخ الغزوات واحدة بعد الأخرى حسب تسلسلها التاريخي، ويبدي اهتماماً خاصاً بالتواريخ.

وهو في أسلوبه أكثر دقة من ابن إسحق في استعمال الإسناد، وفي تحقيق تواريخ الحوادث، وفي نظرته إلى الشعر؛ إذ يقتبس منه باعتدال، وفي تقليصه لعنصر القصص الشعبي في مادته. وقد استعمل طريقة الإسناد الجمعي بانتظام تقريباً ليعطي المواد الأساسية عن كل غزوة، ثم يورد بعد ذلك روايات فردية ليعطي تفاصيل أخرى أو روايات مباينة. وهذا الأسلوب يدل بوضوح على أن الواقدي يعطي بإسناده الجمعي روايات مدرسة المدينة، ثم يضيف إليها ما وصل إليه. ويظهر أثر بحوثه الشخصية في المادة الإضافية التي يقدمها، وفي ضبط التواريخ، وفي تقديم

---

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١١٧؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ٤ج في٢، ط٢ (حيدر آباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤هـ/ ١٩١٤ ـ ١٩١٥م)، ج١، ص ١٦٣ ـ ١٦٤؛ ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج١٠، ص ١٠٩؛ ابن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١، ص ٢٢٥ و٢٣٠، وشمس الدين أبو العباس بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق فرديناند وستنفلد، ٣ج (غوطا: دويرليخ، ١٨٣٥ ـ ١٨٥٠)، ج٢، ص ٧ ـ ٨.

(٤٤) Nabia Abbott, *Studies in Arabic Literary Papyri* Oriental Institute publications; v. 75-77, 3 vols. (Chicago, IL: University of Chicago Press, [1957-1972]), vol. 1: *Historical Texts*, p. 80-77.

إطار أوضح للغزوات، وفي اهتمامه بالتفاصيل الجغرافية التي تتصل بمواقع المعارك.

وتبدو نظرته النقدية في زيارته لمواقع المعارك ليكمل بذلك مادته، وفي تمحيصه للمواد التي وصلت إليه[٤٥]، وفي بحثه عن وثائق جديدة، وفي إعداد قوائم أوفى للمشاركين في الغزوات، حتى جاء منها بمجموعة طيبة. ويكثر الواقدي من الإشارة إلى الآيات القرآنية التي تتصل بالحوادث، وفي الحالات المهمة يذكر الآيات ملحقة برواياته، كما في حديثه عن بدر وأُحُد والخندق، وبذلك يجعل قصته التاريخية سهلة التسلسل. والواقدي صريح في رواياته، ومع وجود ميول علوية لديه إلا إنه بعيد عن التحزّب[٤٦]. ولكننا نحس بأثر القصص في مغازيه.

ولا يأخذ الواقدي شيئاً عن ابن إسحق، وهذا يرجع إلى نظرة المدينة إلى ابن إسحق، وإلى اختلاف وجهة الواقدي عن ابن إسحق، وإلى النظرة السائدة في المدينة، وهي أن الأحاديث التاريخية ملك مدرسة المدينة فهي تحت تصرف الاثنين.

وقام الواقدي بدراسة التاريخ الإسلامي، فكتب كتباً عن موضوعات مهمة، مثل «الردة» ويوم «الدار» أو مقتل عثمان، «وصِفِّين» و«الجمل» وفتوح الشام والعراق. ويهمنا بصورة خاصة كتابه **التاريخ الكبير** الذي يتناول كما يبدو تاريخ الخلفاء حتى سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م على الأقل. ثم إن مؤلفه **كتاب الطبقات أو تاريخ طبقات المحدِّثين** في الكوفة والبصرة مهم؛ لأنه يظهر أثر دراسة الحديث في كتابة التاريخ؛ لأنه يساعد المحدّثين في تحقيق الأسانيد. ولعله كان المثال والأساس الذي اعتمده ابن سعد كاتب الواقدي في **طبقاته**.

لقد وضعت التواريخ المذكورة وفق منهج أهل الحديث في التاريخ الإسلامي، واتسعت في نطاقها، حتى وصلت مرحلة التقت فيها من ناحية الموضوع بمؤلفات الأخباريين واللغويين. وجاء ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) فألف **كتاب الطبقات الكبرى**، وهو في القسم الأول منه «أخبار النبي»، يضع الخطوط الأخيرة لهيكل السيرة؛ إذ ذهب أبعد من الواقدي في تنظيم مادته وتبويبها، وفي إعطاء مجموعة أوفى من الوثائق، وفي اهتمامه بصورة أقوى بسفارات النبي(ﷺ). كما أن القسم الذي يتناول عهد ما قبل الإسلام عبارة عن مقدمة لعهد الرسالة؛ إذ يتحدث عن بعض الأنبياء الذين لهم صلة برسالة النبيّ محمد(ﷺ) ثم ذكر نسبه. وقد توسع ابن سعد في الحديث عن شمائله وفضائله وعن دلائل نبوته، وجعل ذلك باباً خاصاً

---

(٤٥) ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج١، ص ١٧ ـ ١٨.

(٤٦) انظر النص الكامل للواقدي في: أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، **المغازي**، حققه جي. أم جونز، ([لندن]: مكتبة مدرسة اللغات الشرقية، [د. ن.]).

أصبح نموذجاً لأدب «الشمائل» و«الدلائل» في ما بعد[٤٧].

وهكذا نجد هيكل تاريخ السيرة يثبت نهائياً، ونرى تواريخ السيرة التالية تتبع الخطة نفسها وتعتمد بالدرجة الأولى على المواد التي قدمتها المؤلفات المذكورة.

وخلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، انتشرت دراسات السيرة إلى بلدان أخرى خارج المدينة ـ في اليمن والعراق والشام ـ وقد بقيت منها آثار قليلة، ولكنها تدل على تزايد الاهتمام بهذا الحقل من الدراسات التاريخية.

من هذا العرض الموجز نرى أن العناية بدراسة الحديث أدت إلى الدراسات التاريخية ـ وهو اهتمام بمعرفة «العلم» بالمقابلة للرأي في تثبيت حقيقة أو قضية. ولما توسع الحديث ليشمل فعاليات وأقوال الصحابة والتابعين، ولما كانت تجارب الأمة (والإجماع خاصة) مصدراً في التشريع، توسعت الدراسات التاريخية لتشملها. ثم إن القضايا السياسية وبخاصة مسألة الخلافة تطلبت البحث في ناحية تاريخية وموضوعية. كما أن الدوافع الأخرى، إدارية واجتماعية، كان لها أثرها.

وقد ظهرت نظرات تاريخية مع المبادئ الإسلامية تتمثل في دراسة السيرة، وفي كتابة تاريخ عالمي متمثلاً في توالي الرسالات، وفي دراسة تاريخ الأمة. وتتخلل هذه النظرات فكرة أساسية هي أن المشيئة الإلهية كونت العالم، وهي التي تسيّره، ولكن فكرة القدر أو حرية الإرادة موجودة أيضاً، كما أن خبرات الأمة مهمة جداً. ونلاحظ أن الغالب على أخبار السيرة أنها بسيطة وواقعية وصريحة، ولكن مرور الزمن ومَثَل أهل الكتاب وفعاليّات القصّاص ـ مدفوعة بعوامل اجتماعية أو بالتقوى ـ أدت بمرور الزمن إلى شيء من التفخيم والمبالغة.

ـ ٤ ـ

وتطور الاتجاه الثاني للكتابة التاريخية من استمرار الاهتمام بالمآثر والأنساب القبلية، وقد أضافت الفتوحات مآثر وأمجاداً جديدة إلى الموضوعات القبلية. كما أن إنشاء إمبراطورية إسلامية فتح آفاقاً جديدة. وسرعان ما ظهرت عصبية محلية للأمصار واعتزاز بها لدى القبائل التي تسكنها. ثم إن التطورات السياسية العامة ساعدت في البدء على تقوية الخطوط القبلية، وعلى زيادة الاهتمام بها. يضاف إلى ذلك أن المعلومات المتعلقة بالفتوحات كانت مهمة بالنسبة إلى إسكان القبائل في الأمصار، وبالنسبة إلى الأغراض الإدارية العامة.

---

(٤٧) H.A.R. Gibb, «Ta'rikh,» *Encyclopedia of Islam* (supplement).

وشجّع الأمويون مثل هذه الدراسات، فكانت ضرورة للثقافة الحسنة في العهد الأموي(٤٨).

وقد شهد القرن الثاني الهجري الأخباريين واللغويين والنسّابين وكانوا يعملون بنشاط كلٌّ في حقله. ويمثّل الأخباريون خط الدراسات التاريخية (الخبر يعني الرواية أو القصة)، في حين أن الآخرين قاموا بدور في الدراسات التاريخية. ومع ذلك فإن كتاباتهم، وخاصة في الفترة الأولى تدل على أن نواحي اهتمامهم ومؤلفاتهم كانت متداخلة أحياناً.

وتركزت فعالياتهم خلال القرنين الأولين للهجرة في الكوفة والبصرة، وهما مركزان نشيطان للقبائل العربية. وهذا أعطى الروايات العراقية منزلة غالبة في هذا الاتجاه من الكتابة التاريخية.

وكانت القصص والأخبار تروى في مجالس السمر القليلة، أو في مجال سمر الأمير، أو في المسجد، وهي تدور حول الأمجاد القبلية. وينظر إليها عادة كملك مشترك للعوائل أو القبائل. وظهر رواة يروون أخباراً متفرقة أو شعراً، ونحن إن جهلنا رواة الشعر، فإننا نعرف الكثير عن رواة الأخبار. وفي مطلع القرن الثاني للهجرة نلاحظ الاتجاه لجمع هذه الأخبار وروايتها، بشكل متصل منظم حول موضوع أو حادث، في إطار كتاب، فكان الأخباريون المؤرخين الأولين في الاتجاه القبلي. ورجع الأخباريون في جمعهم للمواد التاريخية إلى الروايات العائلية والروايات القبلية، وإلى الروايات التي تتداول في المصر. وأُتمت هذه الروايات، وبخاصة بالنسبة إلى خلافة الراشدين، بروايات من المدينة. وكانت هناك سجلات حكومية (ديوان الخاتم خاصة) في العراق والشام، وكذلك دواوين الجند، وفيها تسجل القبائل، ويحتمل أن الأخباريين رجعوا إليها. ولم يكن باستطاعة الأخباريين تجاهل الإسناد، مما يؤكد أثر الإطار الإسلامي. ومع أنهم استعملوا الإسناد بحرّية وببعض التساهل إلا أن ازدياد أهميته بالتدريج لدى الأخباريين يظهر اطراد أثر الاتجاه الإسلامي في التاريخ. وكان جمع الأخبار جزءاً من ظاهرة ثقافية عامة، هي ظاهرة جمع الأحاديث والروايات في كل مصر على انفراد.

ولم تصل إلينا مؤلفات الأخباريين الأولين، لذا فإن تقديرنا لعملهم مقيد بالمقتطفات التي وصلت إلينا عن طريق المؤرخين في ما بعد، مثل الطبري

---

(٤٨) أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، **الفهرست**، تحرير غوستاف فلوغل واعتنى به بعد موته يوهانس روديغر وأوغست موللر، ٢ج في١ (ليبزيغ: فوغل، [١٨٧١ ـ ١٨٧٢])، ص ٨٩، وعمر بن يوسف السلطان الملك الأشرف، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، تحقيق صلاح الدين المنجد، ص ٦ ـ ٨.

والبلاذري. ولننظر الآن إلى بعض هؤلاء الأخباريين.

لنبدأ بأبي مخنف (ت ١٥٧هـ/ ٧٧٤م) وهو أخباري كوفي، له اهتمام بالأنساب(٤٩). وقد كتب عن الردة، وعن فتوح الشام والعراق، والشورى، وصِفّين، وعن الحوادث التالية في العراق حتى نهاية العصر الأموي وبخاصة الثورات والمعارك، وعن الخوارج، ووضع ذلك في كتب تجاوزت الثلاثين. ويعتبر أبو مخنف من أميز الأخباريين في العراق(٥٠).

استعمل أبو مخنف الإسناد بشيء من التسامح(٥١). واستعمل الروايات العائلية عن صفّين خاصة(٥٢)، واعتمد بكثرة على روايات قبيلته الأزد(٥٣). كما أنه استفاد من الروايات الكوفية الأخرى ـ فمثلاً يأخذ عن الشعبي، وعن رواة من قبائل أخرى، كتميم وهمدان وطيّئ وكندة. ثم إنه أتمها بروايات من المدينة(٥٤). ونلاحظ أن سلاسل رواياته كثيرة، وتتبدل بتبدل الحوادث، وهذا طبيعي في أخباريّ من الأولين.

ويورد أبو مخنف عادة الصورة العراقية (الكوفية) للحوادث. فهو أميل للعراق تجاه الشام، نتيجة اعتزاز القبائل بمصرها، كما أنه أميل للعلويين تجاه الأمويين. كما أن اعتزاز القبائل بمآثرها ينعكس أحياناً في رواياته(٥٥)، ولكن أخباره على العموم ليست متحزبة.

ونرى في كتابة أبي مخنف تسلسلاً متصلاً، ولكن التماسك ضعيف في بعض

---

(٤٩) كان جده من أتباع الإمام علي المخلصين، واستشهد في صفين. انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ٣٣٠٢ ـ ٣٣٠٣.

(٥٠) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٩٣؛ ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٦، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١؛ أبو عبد الله محمد الله بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، ٢ج (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م)، ج٢، ص ١٣٥، وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **المعارف**، [تحقيق فرديناند وستنفلد] (غوتنغن: فاندنهوك وروبرخت، [١٨٥٠])، ص ١٩٤.

(٥١) يعده المحدثون ضعيف الإسناد، انظر: ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص ١٤٤، وابن شاكر الكتبي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٥.

(٥٢) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ٣٢٠٢ ـ ٣٣٠٣، ٣٢٦٦ و٣٣٨٣، وج٢، ص ١٢٢.

(٥٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢٧٦ ـ ٣٢٧٧، ٣٢٨٣، ٣٢٨٨، ٣٣٤٩، ٣٣٩٦، ٣٤٣٠ و٣٤٣٨، وج٢، ص ١١.

(٥٤) انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ٣٤٠٣، وأبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سولومن غويتن، ٢ج في ٤ (القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠)، ج٥، ص ٣١.

(٥٥) المصدران نفسهما، ج١، ص ٣٢٠٢ ـ ٣٢٠٣، ٣٣٢٣ و٣٣٢٥ ـ ٣٢٧٠، وج٥، ص ١٩ ـ ٢٠ على التوالي.

الأحيان. وهي تقدم أحياناً صورة أخاذة حية للحوادث مع كثير من الخطب والمحاورات، ويتخللها الشعر في بعض المناسبات[٥٦]. وهكذا نجده يعكس أثر مجالس السمر، وشيئاً من وجهة قصص «الأيام» في أسلوبه.

أما عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ/ ٧٦٤م) فهو أخباري كوفيّ متضلع في الشعر والأنساب[٥٧]. وقد كتب **سيرة معاوية وبني أمية**، ويرجح أنه تاريخ للأمويين يتناول الخلفاء الأمويين على التوالي[٥٨]. وتناول مؤلفه الآخر **كتاب التاريخ**، التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري. وتدلنا المقتبسات المأخوذة عنه أنه كتب عن الخلفاء الراشدين والردة والفتوحات ـ وهو ثقة فيها بصورة خاصة ـ والصراع بين الإمام علي وخصومه، وتنازل الحسن، وشؤون العراق والشام حتى نهاية عهد عبد الملك بن مروان.

وتدل رواياته على معرفة داخلية بشؤون الأمويين[٥٩]. ولعله أخذ معلوماته هذه من قبيلة كلب الموالية للأمويين، وبخاصة أنه يفخر بعلمها[٦٠]. ويقدم عوانة على الأكثر الرواية الأموية للحوادث مقابل الرواية العراقية[٦١]، وهذا يوضح ما يبدو من نبرة أموية في بعض رواياته، حتى إن تأكيد الأمويين على فكرة الجبر في تفسير الحوادث ينعكس في رواياته[٦٢]، ومع ذلك يورد أحياناً الروايات العراقية والمدنية التي تعكس آراء جماعات مضادة للأمويين[٦٣]، ولذا يمكن القول إن عوانة لم يكن متحيزاً لجهة خاصة.

وصلت إلينا روايات عوانة عن طريق ابن الكلبي والمدائني والهيثم بن عدي، وهؤلاء أخذوها عنه مباشرة أو من كتبه[٦٤]. ثم إن خطته في كتابة التاريخ العام على أساس التسلسل التاريخي، أو على سير الخلفاء تمثّل خطوة لها دلالتها في تطور

---

(٥٦) المصدران نفسهما، ج١، ص ٣٢٩٦ ـ ٣٢٩٨ و٣٣٠٣ ـ ٣٠٣٤، وج٥، ص ٣٤ ـ ٣٥ و٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٥٧) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٦، ص ٩٤، وابن النديم، **الفهرست**، ص ١٣٤.

(٥٨) Franz Rosenthal, *A History of Muslim Historiography* (Leiden: Brill, 1952), p. 92

(٥٩) انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٢، ص ١٩٧ ـ ١٩٨، ٢٣٩ ـ ٢٤٠ و٧٩١ ـ ٧٩٥، والبلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٣٢ ـ ١٣٥ و١٥٩.

(٦٠) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ص ٩٥.

(٦١) الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.

(٦٢) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٤٠، ١٤٠ و١٩٤ ـ ١٩٥.

(٦٣) الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٠٩ ـ ٣١١، وياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٦، ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٦٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٣، ١٨٩، ٤٢١ و٤٢٤.

الكتابة التاريخية ضمن الاتجاه القبلي. واستعمل عوانة الإسناد بصورة مفككة(٦٥)، كما أن طريقة إيراده الشعر في أخباره تعكس أثر أسلوب قصص الأيام(٦٦).

وكتب سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، وهو كوفي، كتابين يتناول أولهما «الردة» و«الفتوحات»، وهو طريف في نظرته التاريخية التي تجمع بين الحركتين. ويتناول الثاني «الفتنة»، وبخاصة وقعة الجمل. ويقدم سيف في الأساس النظرة العراقية، ويستفيد بالدرجة الأولى من روايات قبيلته تميم. وأخباره عن الفتوحات (فتح العراق خاصة) تميمية الميول، وتتجه إلى أن تكون عاطفية على أسلوب «الأيام». ومع ذلك فإنه استفاد من الروايات المدنية في أخباره (ومن رواته هشام بن عروة وابن إسحق)(٦٧).

وكان نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)، وهو كوفي، أول أخباري شيعي. ونجد كتبه تدور حول موضوعات تهمّ الشيعة [«الجمل» «**صفّين**»، «مقتل الحسين»، «مقتل حجر بن عدي»، «أخبار المختار» و«المناقب» أو «مناقب الأئمة»](٦٨). وقد جمع كتابه المطبوع **صفين** من المقتبسات الموجودة، ويمكننا فحصه للحصول على فكرة تقريبية. ففي **صفين** نلاحظ أن ميول نصر بن مزاحم عراقية وعَلَويّة. فهو يورد الحديث ضد معاوية وحزبه، ويورد الأحاديث والأخبار وحتى القصص ليسند قضية الإمام علي(٦٩). ومع ذلك فإنه حين يتناول مثالب معاوية لا يخفي بعض النقد الموجّه للحزب العلوي من خصومه. ونتيجة لميول نصر الحزبية نجد البعض ينتقده بشدة، بينما يثني آخرون عليه(٧٠).

---

(٦٥) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٦٦) الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٦٣ وبعدها، والبلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٨ ـ ٤٠.

(٦٧) انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٩٨ ـ ١٧٩٩ و١٨٧١؛ شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ١٢ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م])، ج٤، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦، و Julius Wellhausen, *Skizzen und Vorarbeiten* (Berlin: [n.ph.], 1899), vol. 6, p. 3.

(٦٨) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٧، ص ٢١٠؛ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، ٧ج (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١)، ج٣، ص ٢٣٢، وابن النديم، **الفهرست**، ص ٩٣.

(٦٩) نصر بن مزاحم المنقري، **كتاب صفين**، [تحقيق] عبد السلام هارون (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)، ص ٣٥، ١٥٨، ١٦٤ ـ ١٦٥ و٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٧٠) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٧، ص ٢١٠؛ ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، ج٦، ص ١٥٧، وأبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ج١، ص ١٨.

يعطينا نصر قصة تنبض بالحياة والحيوية للحوادث التي أدت إلى صفين، وانتهت بالتحكيم، ويكثر من الشعر والحوار والخطب خلال رواياته، فترى كل الشخصيات البارزة تقول الشعر (من نظمها أو اقتباساً)، وتورده حتى في المراسلات، وكثير من هذا الشعر موضوع. والكتاب شبه قصصي، فهو مجموعة من الأخبار المتتالية، وفيه شيء من التخلخل في الحبك. ويجلب الانتباه أن معاوية يظهر في الكتاب كشيخ قبيلة، حتى إن بعض الأقوال التي قالها أبو سفيان في مكة ترد على لسانه هنا. ويلاحظ أن العناية بالتواريخ ضعيفة، كما أن الإسناد يستعمل بكثير من التساهل[٧١]. أما أسلوب الكتابة فهو مثل واضح لأسلوب قصص «الأيام»، وهو يعكس مجالس السمر، وينتهي بقائمة بأسماء أنصار الإمام علي البارزين الذين استشهدوا في صفين (وفق طريقة قصص **الأيام**). وأخيراً نبين أن إمكان إعادة جمع الكتاب ـ من مقتطفات الطبري وابن أبي الحديد بالدرجة الأولى ـ تدل على قيمته بنظر المؤرخين.

وتصل دراسات الأخباريين قمتها عند المدائني (١٣٥ ـ ٢٢٥هـ/ ٧٥٢ ـ ٨٣٩م) وهو بصري، استقر بعدئذ في بغداد. ويظهر أثر الإسناد عليه أقوى ممن سبق نتيجة للتطورات الثقافية[٧٢]. ويظهر عنده الاتجاه نحو جمع أوسع وتنظيم أوفى للروايات التاريخية، وقد صار هذا ممكناً نتيجة التآليف السابقة، فنراه يأخذ من الأخباريين السابقين، مثل أبي مخنف وابن إسحق والواقدي مضيفاً إلى ذلك بحوثه الخاصة. ويبدو أنه جمع بين الدراسات التاريخية والأدبية. ونظرة إلى القائمة الطويلة بمؤلفاته وكتبه (وتبلغ حوالى ٢٤٠)، تبين أنه جال في دراساته من حياة النبي ـ ﷺ ـ إلى التاريخ العباسي، وتناول الفتوحات والخلفاء والأشراف والمعارك والشعراء... إلخ. كما أن أحد تآليفه **نسب قريش وأخبارها**[٧٣] كتب على خطة كتب الأنساب. وبعض كتبه كتلك التي تتصل بحياة الرسول (ﷺ) لا تتعدى كونها فصولاً للسيرة. أما تاريخه للخلافة **أخبار الخلفاء الكبير** فيبدو أنه أوسع مؤلفاته التاريخية؛ إذ يتناول المدة من خلافة أبي بكر حتى المعتصم، وقد كتب بأسلوب الأخباريين.

ويمثل المدائني درجة أعلى من أسلافه في البحث والدقة. ويظهر أنه اتبع أسلوب المحدّثين في نقد الروايات، وبذا صار يتمتع بثقة أكثر من أسلافه. ثم إنه توسع أكثر ممن سبقه في الأخذ من روايات المدينة، واستفاد من روايات البصرة،

---

(٧١) المنقري، المصدر نفسه، ص ٤٢ ـ ٤٣، ١٥٨ و١٦٧.

(٧٢) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٠٩.

(٧٣) ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٠٢.

بخاصة عن الخوارج وعن مدينة البصرة وعن فتوح خراسان وما وراء النهر. وقد جاء المدائني بأخبار أوفى وأكثر توازناً ممن سلف عن الحوادث والموضوعات التي تناولها. وقد أيد البحث الحديث دقته، وصار المصدر الأساسي للمؤرخين التالين.

- ٥ -

خدمت دراسات الأنساب علم التاريخ في المادة وفي خطة الكتابة، فقد تجددت العناية بالأنساب في الإسلام[٧٤]، وجاء إنشاء «الديوان» بدافع جديد للاهتمام بها. وقد شجع الأمويون، ابتداء من معاوية، مثل هذه الدراسات، ويروى أن الوليد الثاني أمر بعمل سجل وافٍ بالأنساب[٧٥]. ثم إن الحاجات الإدارية كتنظيم العطاء وإسكان القبائل في الأمصار أدت إلى وضع سجلات الأنساب، وعززت الاهتمام بها. يضاف إلى ذلك الخصومات القبلية، وأثر الأوضاع السياسية في وضع القبائل، وظهور ارستقراطية جديدة في الإسلام، والعوامل الاجتماعية - وكل هذه شجعت دراسات الأنساب. وأخيراً فإن المناقشات مع الشعوبية وتهجُّم هؤلاء على الأنساب أدت إلى تأكيد جديد على دراسة الأنساب.

جاءت المعلومات عن الأنساب في الشعر، وبخاصة شعر النقائض، وفي الروايات العائلية والقبلية، وفي سجلات دواوين الجند.

ظهر النسّابون الأولون في العهد الأموي. وكانت عنايتهم محدودة بأنساب قبيلة من القبائل. ثم ظهر نسابون عنوا بأنساب أكثر من قبيلة، وذلك في فترة جمع الروايات في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

وأول من كتب في الأنساب أبو اليقظان النسابة (ت ١٩٠ هـ/ ٨٠٥م)، ولم يصل إلينا من آثاره إلا مقتطفات في كتب تالية، ولكنها أول أثر لجمع الأنساب من الروايات القبلية بالدرجة الأولى.

إن التطورات الثقافية، والصلات الوثيقة بين الأنساب والأخبار والدراسات الأدبية تظهر في اثنين من الكلبيين. فمحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ/ ٧٦٣م) قام بدراسات في الأنساب واللغة والتاريخ. وتشير دراساته للأنساب إلى محاولة لجمع الروايات القبلية معتمداً كما ادعى على أفضل نسابة في كل قبيلة[٧٦]. وإضافة إلى

---

(٧٤) انظر مقدمة المنجد في: السلطان الملك الأشرف، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**.

(٧٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩١.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ١٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج٩، ص ١٨٠؛ ابن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، وابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي]**، ج١، ص ٦٢٧.

ذلك رجع إلى شعر النقائض، ودرس نقائض الفرزدق على الشاعر الكبير نفسه. ومع أن المحدثين ينتقدونه ويتهمونه بالغلو في التشيع، إلا أن مقدرته في الأنساب متفق عليها[٧٧].

وجاء ابنه هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، وتابع دراسات والده في الأنساب، وتقدم بها. ويظهر أن كتابه **جمهرة النسب** ـ ويوجد قسم منه في المتحف البريطاني ـ هو طبعة موسعة لمؤلّف والده ويحوي ملاحظات مختصرة، بعضها مهم، عن مشاهير الرجال في الحقول كافة. وأصبح هذا الكتاب المرجع الأول للمؤلفين في ما بعد. ولكن الهمداني يعده ناقصاً في أنساب قبائل اليمن[٧٨].

أما في دراساته التاريخية فإنه تناول تاريخ الأنبياء، والجزيرة العربية قبل الإسلام، وأيام العرب، والتاريخ الإيراني، والتاريخ الإسلامي، ومصادر أخباره مختلفة. ففي تاريخ الأنبياء يأخذ عن «أهل الكتب»، وفي تاريخ إيران يأخذ من الترجمات عن الفارسية، ومن الأخبار والقصص المتداولة، وبعض معلوماته وثيقة. وهو يأخذ عن كتب عوانة وأبي مخنف. ويبدي حصافة خاصة حين يستفيد من الكتابات ومن الوثائق في كنائس الحيرة، وهي تتعلق بتاريخ عرب الحيرة والعلاقات بين العرب والساسانيين. وهو يأخذ من القصص الشعبي في تاريخ اليمن. ولكنه لم يكن مدققاً كما يلزم؛ إذ أخذ الكثير من القصص الشعبي، ومن مواد أسطورية، ومن بعض الأخبار الموضوعة عن شعراء الجاهلية[٧٩].

ومن النسابين مصعب الزبيري (ت ٢٣٣ ـ ٢٣٦هـ/ ٨٤٧ ـ ٨٥٠م) وهو من سلالة ابن الزبير. وكان مصعب عالماً بالأيام والأنساب، وكتب كتابين: **النسب الكبير**، و**نسب قريش**، وقد وصل إلينا الثاني منهما. ويعد أفضل من كتب عن نسب قريش. وتدل خطة الكتاب على أنه اتبع إطاراً ثابتاً للكتابة، اتبعه ابن الكلبي من قبل، والبلاذري في ما بعد. وهو يشير في كتابه إلى الزهري وإلى والده وإلى أهل النسب، وأحياناً إلى بعض الرواة[٨٠]. ويعطي الانطباع بأنه رجع إلى الروايات

---

(٧٧) ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٨٠، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٢٥.

(٧٨) أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي، **جمهرة النسب**، رواية محمد بن حبيب عنه، تحقيق وخط ولوحات محمود فردوس العظم؛ مراجعة محمود فاخوري، ٣ ج (دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٨٦).

(٧٩) انظر: ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٤٣؛ ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ٦، ص ٢٥٩؛ الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج ١، ص ٣١٣، علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني** (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٧ ـ ١٩٧٤)، ج ٩، ص ١٩.

(٨٠) أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، **نسب قريش**، عني بنشره إ. ليفي بروفنسال، ذخائر العرب؛ ١١ (القاهرة: دار المعارف، [١٩٠٣])، ص ٢٢٩ و٢٤٦.

الشفوية المختلفة. والكتاب يلقي ضوءاً خاصاً على التحولات في الروابط القبلية وعلى التبدلات في خطوط الأنساب[٨١]. ويعطي الزبيري إضافة إلى سلسلة الأنساب أخباراً، بعضها مفصل ومهم، عن بعض الشخصيات المهمة من العصر الجاهلي حتى زمنه[٨٢]. ويورد الشعر، وبخاصة في الفترة الأولى، للاستشهاد أو التأييد. وبصورة عامة يظهر الكتاب قيمة دراسات الأنساب لكتابة التاريخ.

وحين نأتي إلى الهيثم بن عدي (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) نرى مثلاً آخر للجمع بين الدراسات التاريخية ودراسات الأنساب، وذلك نتيجة وجهات مختلفة للدراسة[٨٣]. فكتابه **تاريخ الأشراف الكبير** كتاب للتاريخ في إطار الأنساب، سبق أنساب البلاذري. وكتب تاريخاً للفقهاء والمحدّثين بعنوان **طبقات الفقهاء والمحدثين** على أسلوب كتب الطبقات، ولعله أول كتاب من نوعه في هذا الاتجاه. وتظهر نواحي اهتمامه بالشؤون المحلية في كتابيه عن خطط الكوفة والبصرة، وكل منهما تاريخ للمدينة، ويحتوي على معلومات طوبوغرافية وجغرافية. ويسترعي انتباهنا بصورة خاصة مؤلفه **كتاب التاريخ على السنين**، وهو كتاب في التاريخ الإسلامي على توالي السنين[٨٤]، ولكن الهيثم بن عدي ينتقد بشيء من ضعف

---

(٨١) المصدر نفسه، ص ٥ و٧.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ٤، ١٢٨، ١٤٥ و١٤٧.

(٨٣) ألف كتباً تربو على الخمسين بعضها في أنساب القبائل، وفي أخبار القبائل وبيوتاتها، وفي المثالب، وفي ولاة الأمصار، وفي الخطط، وفي موضوعات أخرى كالخوارج وأخبار الفرس. انظر: ابن النديم، المصدر نفسه، وياقوت الحموي، **معجم الأدباء**.

(٨٤) في الطبري والبلاذري مقتطفات من مؤلفات الهيثم بن عدي، نشير إليها في ما يلي:

أ ـ التواريخ بالسنين من آدم إلى الهجرة، ولعله من كتاب: **هبوط آدم وافتراق العرب في نزولها منازلها**.

ب ـ أسماء بعض كتابه النبي وأبي بكر وعمر، والخلفاء الأمويين بين يزيد بن عبد الملك وإبراهيم بن الوليد.

ج ـ الفترة الأموية ـ وهنا ترد أخبار عن يزيد بن معاوية وعن حركة ابن الزبير وعن يوم الحرة وعن عبيد الله بن زياد وعن مروان بن الحكم وعن أيام عبد الملك ـ ابن الزبير وأمر التوابين وإبراهيم بن الأشتر ومصعب ابن الزبير ويوم حروراء وأمر زفر بن الحارث، ومقتل مصعب وأخبار أخرى عن عبد الملك ودخوله الكوفة، وبعض الأخبار عن هشام بن عبد الملك وخالد القسري.

هـ ـ ويذكر أخباراً عن «الدولة العباسية» تتعلق بالمنصور بالدرجة الأولى، منها: العهد للمنصور، وبيعته، وبناء بغداد، ووفاته وشيءً عن المهدي. ويبدو أن أكثر أخباره مقتبس من مؤلفات مكتوبة، إذ ترد الرواية عنه «قال الهيثم بن عدي» و«وذكر الهيثم بن عدي»، ولكن بعضها بالرواية الشفوية منه. وفي مقتبساته ترد رواية واحدة أو خبر واحد عن كل أمر أو حدث ولا ترد روايات متباينة حول الموضوع نفسه.

لمزيد من التفاصيل، انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٠٧٢، ج٢، ص ٨٣٦، =

التدقيق وبالتساهل في استعمال الإسناد(٨٥).

وفي خلال القرن الثاني للهجرة شارك اللغويون في دراسة التاريخ. فالاتجاهات القبلية، والمنافسات القبلية، والمتطلبات اللغوية ـ كل هذه أدت إلى دراسة مركزة للشعر. وأكد هذه الدراسة الصراع الثقافي بين العرب والعجم بعد ظهور الحركة الشعوبية(٨٦).

وكان الشعر يروى من قبل رواة من البدو، ويقدمون له عادةً بمقدمة نثرية توضح ظروف نظمه وتشرح الإشارات التاريخية الواردة فيه. وقد أبدى بعض اللغويين، إلى جانب اهتمامهم بمسائل النحو واللغة، اهتماماً بالأخبار والأنساب التي ترد في الشعر أو التي يشير إليها الشعراء، وأظهروا ميلاً لكتابة التاريخ. ومن أمثلة هؤلاء أبو عمرو بن العلاء، وكان «أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس»(٨٧).

ويمثل أبو عبيدة (١١٠ ـ ٢١١هـ/٧٢٨ ـ ٨٢٦م)، تلميذ أبي عمرو بن العلاء، الاتجاه نفسه. وقد أخذ أبو عبيدة من شيوخه (مثل أبي عمرو ويونس بن حبيب)، كما اتجه إلى الرواة البدو وجمع رواياتهم، وهي تتعلق على الأكثر بقبائلهم. وقد أدى الاهتمام بروايات هؤلاء الرواة إلى قدومهم إلى المدن ـ وبخاصة مربد البصرة ـ واستقر بعضهم فيها. وقد قام أبو عبيدة بدراسات واسعة تكاد تشمل حقل الروايات العربية الشمالية بكامله. وكانت هذه روايات عائلية، وروايات قبلية، وروايات محلية، إضافة إلى روايات الرواة. ويعتبره أبو الفرج «من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها»(٨٨)، في حين يراه الجاحظ من أعلم أهل زمانه؛ إذ يقول: «لم يكن في الأرض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم

= ٨٣٨، ١٦٥٥، ١٦٥٨ و١٦٦٨ وج٣، ص ٨٩، ٢٧٣، ٢٧٨، ٤٠١، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٥٦ و٥٣٢، والبلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٤، ص ١، ٨، ٢١، ٣٠، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٩، ٨١، ٨٣، ٨٤، و١٠١، وج٥، ص ١٣٦، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٩١، ٢١٢، ٢٣١، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣٣٥ و٣٤٥ ـ ٣٤٦ و٣٥٢.

(٨٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٤٥؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٧، ص ٢٦١، وابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص ٢٤٩.

(٨٦) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ؛ ٢، ٤ج (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠)، ج٣، ص ٣٦٦.

(٨٧) طه الهاجري، «أبو عبيدة،» **مجلة الكاتب المصري**، السنة ٢، العدد ٦ (١٩٣٦).

(٨٨) المصدر نفسه، ص ٢٨٥.

منه»[٨٩]. ويشير ابن النديم إلى شمول دراساته فيقول: «وله علم الإسلام والجاهلية»[٩٠].

وقد كتب أبو عبيدة عدداً كبيراً من الكتب في تاريخ العرب وتاريخ صدر الإسلام. ووجهته في الكتابة وجهة اللغويين، أي إنه يجمع الروايات المتعلقة بحادث أو بموضوع في كتاب. وهكذا كتب عن المدن والأمصار، وعن «المفاخر» و«المثالب» القبلية، وفي «الأخبار»، وعن شخصيات تاريخية، وعن المعارك، وعن الأحزاب (الخوارج)، وعن القضاة، وعن الموالي، إضافة إلى دراسات أخرى عن الحديث والقرآن والشعر. واشتهر بعلمه بأيام العرب، حتى جعله أبو العباس المبّرد أعلم أقرانه «بأيام العرب وأخبارهم»، كما أشاد ابن قتيبة بعلمه بأيام العرب وأخبارها[٩١]. وأصبحت دراساته للأيام أساساً للمؤرخين في ما بعد[٩٢].

وحاول أبو عبيدة أن يكون مدققاً بأن ذكر رواته، وأعطى الروايات المتباينة في موضوع ما، وقدم أحياناً سلسلة روايات يكمل بعضها بعضاً في توضيح الخبر. وهو في أخباره عن الأيام يعكس بأمانة الرواة البدو في الروح والأسلوب الأدبي. وقد اعتمد أبو عبيدة بالدرجة الأولى على ملاحظاته المكتوبة ومدوناته لا على الذاكرة، وهو بهذا يمثل المرحلة الثقافية التي عاش خلالها. وقد قيل عنه «أما أبو عبيدة فعالم ما ترك مع أسفاره يقرأها». ويذكر عنه أنه «كان ديوان العرب في بيته»[٩٣].

وقف أبو عبيدة موقفاً يسيء إلى العرب في الصراع الثقافي بين العرب والشعوبية. وقد كتب **كتاب الموالي**، تناول فيه المسلمين من غير العرب كما يبدو، وكتب **أخبار الفرس** (أو **فضائل الفرس** كما يسميه ابن النديم)، أعطى فيه الأخبار الفارسية. كما أنه كتب الكثير عن «مثالب العرب». وكل هذا يتمشى مع الخط الثقافي الشعوبي. وهو لا يتهم بالوضع في رواياته، ومنزلته العلمية عالية، إلا أن

---

(٨٩) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام: وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣هـ**، ج١٣، ص ٢٥٢، وياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٦، ص ١٦٥.

(٩٠) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٥٣.

(٩١) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٦٥.

(٩٢) انظر: معمر بن المثنى أبو عبيدة، **كتاب النقائض: نقائض جرير والفرزدق**، تحرير انطوني اشلي بفان، ٣ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٧ ـ ١٩١٢)، الفصل ١.

(٩٣) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام: وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣هـ**، ج ١٣، ص ٢٥٢؛ ابن النديم، **الفهرست**، ص ٥٣؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٦، ص ١٦٤؛ أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ٤ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٧ ـ ١٣٣٩هـ/ ١٩١٨ ـ ١٩٢٠م)، ج٢، ص ٤٤ و٤٦ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج ٢، ص ٢٤.

أخباره تكشف عن مثالب بشعة(٩٤). ومن المحتمل أن يكون أبو عبيدة شعوبياً ممن يسمون «أهل التسوية»، وقد ينسجم هذا مع نسبته إلى الخوارج(٩٥).

وكان للحركة الشعوبية أثرها في الدراسات التاريخية، إذ إن أصحابها قاموا بجهود خاصة لتشويه تاريخ العرب والدس عليهم. كما أنها أدت إلى رد فعل واضح لدى العرب للقيام بدراسة واسعة لتاريخ العرب وأدبهم(٩٦).

وكان «الشعوبية» والكتّاب مسؤولين عن توسيع الاهتمام بالثقافة الفارسية وبالتراث الفارسي، وقد شهد القرن الثاني للهجرة حركة شعبية واسعة للترجمة عن الفارسية، فترجمت كتب تاريخية وشبه تاريخية، وأهم هذه الكتب كتاب الـ **خداينامة** الذي ترجمه ابن المقفع (ت ١٤٤هـ/ ٧٦٠م) عن الفهلوية، وسماه كتاب **سير الملوك**. وعملت ترجمات أخرى مباشرة للكتاب نفسه، كما ظهرت صور أخرى له هي ترجمات مع إضافات لأخبار تاريخية وأساطير من كتب فهلوية أخرى، ووضعت مصنفات في الموضوع نفسه تعتمد على تلك التراجم(٩٧).

يعطي الـ **خداينامه** قصة التاريخ القومي الإيراني كما يراه الأشراف ورجال الدين. وهو يحوي حكايات خرافية وأساطير من **الأفستا**، وأحاديث دينية، وقصة الإسكندر المأخوذة من مصادر أجنبية، وأنساباً خيالية، وهو لا يفرّق بين ما هو خرافيّ تماماً وبين ما هو شبه أسطوري وبين المعلومات التاريخية. ولعل الصورة المعطاة عن الساسانيين تاريخية أكثر من غيرها، ولكن المعروف عن عهد الساسانية

---

(٩٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٥٣، وأبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، **لطائف المعارف**، تحرير بيتر دو يونغ (ليدن: مطبعة بريل، [١٨٦٧])، ص ٦٣.

(٩٥) الهاجري، «أبو عبيدة،» ص ٤١٤؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٦، ص ١٦٤؛ ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٢٦٩؛ **رسائل البلغاء**، اختيار وتصنيف محمد كرد علي، ص ٣٤٦، وH.A.R. Gibb, «The Social Significance of the Shúubyya,» in: H.A.R. Gibb, *Studies on the Civilization of Islam*, Beacon Books on World Affairs (Boston, MA: Beacon Press, [1962]).

(٩٦) عبد العزيز الدوري، **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام** (بغداد: مكتبة المثنى، [١٩٤٩])، ص ١٢ وما بعدها، وGibb, Ibid.

وقد صدر هذا الكتاب عن مركز دراسات الوحدة العربية ضمن سلسلة الأعمال الكاملة الدكتور عبد العزيز الدوري، انظر: عبد العزيز الدوري. **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥).

(٩٧) وجد حمزة الأصفهاني ثماني ترجمات للخداينامه، وأستفاد الموبذ جرام مرادنشاه من عشرين ترجمة، ولم يجد عيسى الكسروي نسختين متطابقتين. انظر: حمزة بن الحسن الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ٢ج (بطرسبورج: [د.ن.]، ١٨٤٤ ـ ١٨٤٨)، ص ٨ ـ ٩، وأبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، *Chronologie Orientalischer Volker* تحقيق ادوارد ساخو، ص ٩٩.

حتى يزدجرد الأول لا يتعدى القليل من المعلومات، ولذا سدت الفجوة بالإنشاء البليغ وبالخطب الرنانة.

وترجمت كتب أخرى غير الـ **خداينامه**، **مثل الآيين نامه (آيين نامغ)**، أو التقاليد والمراسيم، والكاه نامه (كاه نامغ)، أو طبقات العظماء، وقصص تاريخي وشعبي، وكتب تاريخية تستند إلى مواد الـ **خداينامه** مرتبة ترتيباً جديداً[٩٨].

وهذه الكتب أدخلت عنصراً قصصياً ضعيفاً مع كثير مما هو أسطوري إلى المواد التاريخية. ولم يكن في هذه الكتب تسلسل تاريخي حسب السنين، لأنه لم يكن للفرس تقويم ثابت. ومن ناحية ثانية فإن أسلوب كتابة التاريخ على توالي السير كان معروفاً ومتبعاً لدى العرب قبل ظهور هذه الترجمات، ولذا سميت الـ **خداينامه** بـ **سير الملوك**، بينما أطلق على السلالات المتعاقبة اسم «طبقات»[٩٩]. فكتب الأخبار عن الأسر الحاكمة تتألف من سلسلة «سير» للخلفاء المتعاقبين. ولذلك فإن كتب الـ **خداينامه** قدمت مادة تاريخية مشوشة لعهد ما قبل الإسلام، ولكنها لم تأت بفكرة أو بخطة جديدة لكتابة التاريخ. ويبدو أن دوافع الترجمة كانت سياسية وحضارية[١٠٠].

وهناك ترجمات عن اليونانية (أو السريانية)، ولكن هذه الترجمات كانت ثقافية، ولا يوجد ما يدل على أي أثر لها في كتابة التاريخ.

وهكذا يتضح أن هذا الاتجاه للكتابة التاريخية نشأ عن استمرار ميول وبدايات سابقة وجدت دوافع جديدة وآفاقاً جديدة وإطاراً جديداً في الإسلام.

وكانت الدوافع بالدرجة الأولى اجتماعية وسياسية وإلى درجة محدودة دينية وإدارية. فالدعوة إلى «الجبرية» في الحوادث، وهي الدعوة التي تبناها الأمويون، لم تجد تأييداً يذكر في مراكز المعارضة مثل الكوفة والبصرة. ولكن العصبية للأمصار، والسياسة الحزبية، والعصبية القبلية ينعكس أثرها على الكتابة التاريخية. كما أن العلاقات الثقافية والتطورات الثقافية تفسر التطور من روايات الرواة إلى كتب

---

(٩٨) انظر: Arthur Christensen, *L'Iran sous les Sassanides* (Copenhague: Levin and Munksgaard, 1936), p. 52 ff.

وللكتاب ترجمة بالعربية: آرثر كريستنسن، **إيران في عهد الساسانيين**، ترجمه يحيى الخشاب؛ راجعه عبد الوهاب عزام (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧)، ص ٥٢ وما بعدها؛ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، **كتاب التنبيه والإشراف**، تحقيق ميخائيل جان دو غويه، المكتبة الجغرافية العربية؛ ٨ (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٣)، و Theodor Nldeke, *Geschichte der Perser und Araber Zu Zeit der Sasaniden: Aus der Arabischen Chronik des Tabari Übers* (Leiden: Brill, 1879).

(٩٩) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص ٨، والمسعودي، **كتاب التنبيه والإشراف**، ص ٨٥ وبعدها.

(١٠٠) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٣، ص ٣ و١٤.

الأخباريين وكتب الأنساب، ومن الروايات الشفوية إلى المؤلفات المكتوبة. وما طلع القرن الثالث الهجري حتى نجد الاتجاهين التاريخيين ـ اتجاه المدينة، واتجاه الكوفة والبصرة ـ يلتقيان في حقول مشتركة للدراسة التاريخية وفي آراء تاريخية مشتركة.

ـ ٦ ـ

أنتجت الدراسات التاريخية المارة الذكر مادة تاريخية واسعة على مستويات مختلفة من الدقة. كما أن الاتجاه نحو استعمال أسلوب المحدّثين في النقد ازداد قوة واستقر في العراق. وظهر الحماس للرحلة في طلب العلم لغرض الدراسة ولجمع أكثر ما يمكن جمعه من المعلومات، وقد بدأ المحدّثون في هذا النهج وتابعهم المؤرخون. كما أن الشعور بأهمية الخبرة المتجمعة لدى الأمة، وبأهمية الإجماع على نطاق واسع تركّز أكثر من قبل نتيجة التطورات الثقافية، ووجد عناية خاصة. ثم إن المبادئ الإسلامية والاتجاهات الإسلامية تفوقت بصورة حاسمة على الاتجاهات القبلية في المجتمع، فأثرت هذه العوامل بمجموعها في الدراسات التاريخية، وفي النظرة إلى كتابة التاريخ.

وقد شهد النصف الثاني للقرن الثالث الهجري ظهور مؤرخين لا تحدهم مدرسة أو اتجاه مما ذكر، بل حاولوا أن يستفيدوا من مواد السيرة ومن «كتب» الأخباريين، ومن كتب الأنساب والمصادر الأخرى المتيسرة. وشملت دراستهم الأمة بصورة منظمة. وكان عملهم انتقاء المادة بعد النقد، وأفقهم عاماً أو عالمياً.

وأول ممثل للتطور الجديد هو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). وله كتابان مهمّان هما **فتوح البلدان** و**أنساب الأشراف**. أما **فتوح البلدان**، فيبحث تاريخ الفتوحات الإسلامية ويقدم قصة متسلسلة لفتح كل مصر. وقد أخذ البلاذري مادته من الكتب الخاصة بفتوح كل مصر، ومن المواد التي استطاع جمعها خلال زيارته للأمصار، ومن الروايات الأخرى المتيسرة. وطريقته في الكتابة تكمن في أنه ينتقي المادة بعد الغربلة والنقد، ويعطي صورة متزنة للحوادث، مع تجنب إيراد روايات متعددة حول الحادث. وهو يعتمد كثيراً على روايات المدينة التي تتصف بالحياد والدقة أكثر من غيرها، كما أنه استفاد بالدرجة الأولى من الروايات المحلية. وقد أورد البلاذري كثيراً من المعلومات القيمة عن النواحي الثقافية والاقتصادية والإدارية.

أما **أنساب الأشراف** فهو كتاب عام للتاريخ الإسلامي في إطار الأنساب. وهو يمثّل مزيجاً فذاً في الخطة والمادة. فخطته تجمع بين أساليب كتابة كتب الطبقات وكتب الأخبار وكتب الأنساب. وتشمل سيرة كل خليفة الأحداث التي وقعت على

عهده بما في ذلك فعاليات الأحزاب السياسية، مع عناوين فرعية للحوادث المهمة تشبه عناوين «كتب» الأخباريين. وهو يراعي التسلسل التاريخي عادة، ومع ذلك توجد استثناءات فرضتها ضرورة مراعاة تسلسل النسب (مثلاً يرد الكلام عن يزيد قبل عثمان بن عفان).

ينقد البلاذري مصادره قبل الأخذ عنها. ولكننا نلاحظ أن الآراء عن المؤرخين السابقين قد استقرت في عصره. وهذا ينعكس في مثل قوله «الواقدي في إسناده»، و«أبو مخنف في إسناده» إلخ[١٠١]. ويظهر أن بعض الروايات كانت مقبولة لدى عامة المؤرخين كما يظهر من بعض أخباره التي تبدأ بـ «قالوا...»[١٠٢]. ويظهر أن البلاذري في انتقائه لمادته التاريخية أعطى أهمية خاصة للروايات التي تعود للمنطقة التي وقع فيها الحادث، وأتمها بروايات أخرى حول الموضوع. فمثلاً في حديثه عن «الشورى» يعتمد بالدرجة الأولى على الواقدي والزهري (المدينة)، ويضيف إلى ذلك روايات عن أبي مخنف (وهي أقرب للعلويين)، ويأخذ عن الزبير بن بكار في ما يخصّ الأنساب. وفي أخباره عن عبد الملك بن مروان يعتمد كثيراً على المدائني (عن عوانة بن الحكم)، وعلى عوانة بن الحكم والواقدي (دمشق والمدينة) ويضيف إلى ذلك بعض الروايات العراقية. وفي أخباره عن وقعة «الحرة» يستند بصورة أساسية إلى المدائني والواقدي وعوانة و«أشياخ» من المدينة، وبذلك يعطي روايات مدنية وأموية.

أما مصادر البلاذري فمؤلفات مكتوبة وروايات شفوية. فبعض التعابير مثل «حدثني» و«قال لي» تشير إلى روايات شفوية مباشرة، بينما تشير «روى» بصورة عامة إلى مؤلفات مكتوبة، في حين أن «قال» تعني أخذ رواية شفوية أو الأخذ من كتاب[١٠٣]. ويستعمل البلاذري الإسناد عادة في بعض رواياته التي تتعلق بحوادث المدينة زمن الراشدين، وفي بعض الروايات المنفردة، وإلا فإنه يأخذ عن مصدر سلسلة إسناده معروفة، فيكتفي بذكره. وكثيراً ما يستعمل الإسناد الجمعي ليدل على الاتفاق على المعلومات الأساسية ثم يورد إضافات بسيطة[١٠٤]. ويحدث أحياناً أن يورد البلاذري عدة روايات، بينها شيء من الاختلاف حول الموضوع نفسه[١٠٥].

(١٠١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج ٥، ص ٣ و٣٦.
(١٠٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥ و٢٨٧ ـ ٢٩٠.
(١٠٣) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٤ ـ ٢٥، ٢٨ و١٣٥، وج٤، ص ٥٤.
(١٠٤) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٤.
(١٠٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩ ـ ٢٠ و٢٤.

وترد لديه بعض الروايات المنفردة دون إسناد[١٠٦].

على الرغم من اتصاله بالعباسيين إلا أن البلاذري محايد في أخباره، ومتّزن، فهو يفسح في المجال للروايات كافة، ويحاول بصورة جدية أن يكون موضوعياً في أخباره.

ويعبّر البلاذري في **أنساب الأشراف** عن فكرة وحدة الأمة واتصال خبراتها في التاريخ الإسلامي. أما في **فتوح البلدان** فيظهر قيمة خبرة الأمة للأغراض الإدارية والتشريعية.

وحين نأتي إلى اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) نرى أنه يعبّر عن فكرة التاريخ العالمي. واليعقوبي مؤرخ من طبقة الكتّاب، يجمع بين ثقافة واسعة وخبرة عملية في الإدارة. وقد أمضى كثيراً من أيام شبابه في الأسفار، وجمع المعلومات التاريخية والجغرافية[١٠٧]. وكتب كتاب **البلدان** في الجغرافية التاريخية، وهو أول مؤلف من نوعه في العربية. كل هذا أثر في تاريخه من ناحية الأسلوب والمادة.

وتاريخ اليعقوبي عبارة عن خلاصة وافية للتاريخ العالمي (قبل الإسلام)، وللتاريخ الإسلامي حتى سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م. وقد راعى اليعقوبي في كتابته التسلسل التاريخي للفترات والحوادث. فهو يبدأ بالخليقة (وهذا القسم مفقود من النسخة المطبوعة)، ولا يقتصر على تناول تاريخ الأنبياء، والتاريخ الإيراني، وتاريخ العرب قبل الإسلام، بل يتناول تاريخ أمم أخرى قديمة كالآشوريين والبابليين والهنود واليونان والرومان والمصريين والبربر والحبشة والزنوج والترك والصينيين، وبذلك يطبق فكرته عن التاريخ العالمي بصورة شاملة. ويبدو أن اهتمامه في هذا القسم من تاريخه، وبقدر ما تسمح معلوماته، انصب على الجوانب الثقافية، ويمكن القول إن مادته التي عرضها في كتابه تعكس امتزاج الثقافات في المجتمع الإسلامي. ونلاحظ أثر اهتمامه بالجغرافية في كتابته[١٠٨]، كما أن رغبته في الفلك تظهر في كتابته عن التقاويم الفارسية والرومية في هذا القسم[١٠٩]، وفي إعطائه معلومات فلكية عند تحديد بدء فترة كل خليفة في القسم الثاني.

---

(١٠٦) يقول «قال بعض أهل العلم».

(١٠٧) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، **البلدان**، المكتبة الجغرافية العربية؛ ٧ (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٢)، ص ٢٣٣.

(١٠٨) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج١، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(١٠٩) المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٨ و١٩٩ ـ ٢٠٠.

يتخذ اليعقوبي نظرة نقدية إلى مصادره في القسم الأول. ففي كتابته عن تاريخ الأنبياء رجع إلى المصادر الأصلية، وهو دقيق في ذلك بشكل يسترعي الانتباه. وحين يتكلم عن التاريخ الإيراني يبين أن مواد هذا التاريخ قبل العصر الساساني أسطورية، ولا يمكن الوثوق بها. وهو يأخذ من مؤلفات يونانية (مترجمة) حين يكتب عن الثقافة اليونانية.

أما في التاريخ الإسلامي فإن اليعقوبي يتبع أسلوب الانتقاء من الروايات بعد التدقيق. وهو يبين أنه رجع إلى «ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتأريخات» ووجد أنهم «اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمار»، فحاول أن يمحصها، وأن يأخذ «أجمع المقالات والروايات»، وأن يؤلف بينها لكتابة تاريخه. وهو لا يرى ضرورة لإعطاء الأسانيد، وذلك لأن النظرة إلى الأسانيد التاريخية الهامة استقرت قبله، ولذا فإنه يكتفي بذكر مصادره الأساسية في مقدمة القسم الثاني(١١٠)، ولا نجد بعد ذلك إشارات إلى مصدر أو سلسلة إسناد إلا في حالات نادرة(١١١). ونلاحظ أن مصادره علوية، وعباسية (مثل سليمان بن علي الهاشمي)(١١٢)، ومدنية (مثل الواقدي وابن إسحق)، كما أخذ من الأخباريين (مثل المدائني، والهيثم بن عدي، وابن الكلبي - في النسب)، ومن بعض الفلكيين (مثل الخوارزمي المنجم وما شاء الله الحاسب).

نلاحظ أن اليعقوبي متزن في أخباره، وأنه بصورة عامة دقيق في ما أورد من معلومات. وقد جاء أحياناً بمعلومات فريدة(١١٣). وهذا لا يمنع من ظهور شيء من اتجاهاته في التفاصيل. فهو في حديثه عن الراشدين والأمويين يظهر ميولاً علوية أحياناً، ويسهب في ذكر أقوال الأئمة وخطبهم، ويعطي سيرهم عند ذكر وفياتهم(١١٤). ولعلنا نكون أدق إن قلنا إن وجهة نظره (إمامية) إذ إنه يمر بإيجاز عرضي بثورة زيد بن علي(١١٥).

---

(١١٠) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣ - ٤.

(١١١) انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧، ٣٢ - ٣٣، ١٢٦ و١٥٩.

(١١٢) انظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٣، ص ٣٦٧.

(١١٣) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص ٤٧٩.

(١١٤) لمزيد من التفاصيل حول إسلام علي وعن منزلته وعن أبي طالب وعن غدير خم وعن فضائل آل البيت وعن الشقيفة وعن وضع طلحة والزبير وعن الحسن بن علي وعن نظرته إلى الزبيريين وعن المدة الأموية، انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٥، ٥٢، ١٢٥ - ١٢٧، ١٣٧، ٢٢٠ - ٢٢١، ١٩١ - ١٩٢، ١٩٥ وما بعدها، ٢٢٥ - ٢٢٦، ٢٥٦ - ٢٥٧، ٢٦١ - ٢٦٢، ٣١٥ - ٣١٦، ٣١٨ و٣٢٠.

(١١٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٩١.

وفي حديثه عن العباسيين يظهر شيئاً من التسامح أو المجاملة. فهو يسمي «الدعوة» بالدعوة الهاشمية[١١٦]، ويسمي عصر العباسيين بـ «الدولة». وهو يورد روايات عباسية في أخباره[١١٧]، كما أن حديثه عن المهدي العباسي يعكس بصورة هادئة شيئاً من دعايات العباسيين في أن هذا الخليفة «مهديّ» ينشر العدل[١١٨]. وحين يتناول بعض الحوادث المحرجة للعباسيين مثل مقتل ابن هبيرة وأبي مسلم وسقوط البرامكة يقدمها بصورة مناسبة. بل إنه حين يتطرق إلى وفاة الإمام موسى الكاظم يكتفي بذكر البيان العباسي. ولكن هذه النقاط لا تحد قيمة مؤلفه وأهميته ومنزلته في تطور علم التاريخ عند العرب.

وقد سار اليعقوبي على خطة دراسة التاريخ الإسلامي حسب توالي الخلفاء، إلا أنه مع ذلك راعى خطة تسلسل الحوادث على السنين[١١٩].

وحين يقترب اليعقوبي من عصره يقتصر على ذكر الأخبار بإيجاز، فنرى مثلاً أن ثورة الزنج الخطيرة لا يصيبها إلا ملاحظات بسيطة. وهذا يمكن تفسيره في ضوء خطة اليعقوبي. فقد أراد أن يكتب تاريخاً مختصراً مركزاً من المواد الواسعة المتباينة أمامه، وذلك لإظهار تطور الأمة من جهة، ولسد حاجة ثقافية، وحتى لو كان لا يساعد التاريخ المعاصر كثيراً في ذلك.

ولننظر الآن إلى ابن قتيبة (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م). فكتابه **المعارف** هو دائرة معارف تمتزج فيها مختلف خطوط الكتابة التاريخية المختلفة. إذ نجد فيه فكرة كتابة تاريخ عالمي يبدأ بالخليقة، وينتهي بأيام المعتصم. وتظهر فيه وجهة أصحاب الأخبار والأنساب في كتابة التاريخ، كما أنه يتناول «أيام العرب» بإيجاز. ويبدو فيه اهتمام الفقيه بطريقة الفتح هل تمت صلحاً أم عنوة. وأعتقد أن الكتاب وضع ليسد حاجة الكتّاب إلى المعلومات التاريخية الأساسية.

استفاد ابن قتيبة في كتابه **المعارف** من مصادر مكتوبة ومن الروايات الشفوية، وسلك سبيل انتقاء معلوماته التاريخية بعد نقد مصادره. ويلاحظ أن من ذكر من مصادره لهم منزلة عالية في حقول دراساتهم (مثل ابن إسحق والواقدي وابن الكلبي). وكان ابن قتيبة أول من رجع إلى «العهد القديم» ليأخذ منه مباشرة عن بدء

(١١٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٨، ٣٩٢ و٤٠٨.

(١١٧) المصدر نفسه، ج ٢، ٤٠٩، ٤٢٩ ـ ٤٣١ و٤٣٣.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٤٣٢ وما بعدها، ٤٧٥ وما بعدها و٤٧٩.

(١١٩) انظر بصورة خاصة: المصدر نفسه، ج٢، ص ١٦٧.

الخليقة وعن تاريخ الأنبياء[١٢٠]. وتتميز مادته التاريخية بالحياد وبالتأكيد على الحقائق. ومع أنه يورد الآراء السائدة أحياناً[١٢١] إلا أنه يعطي أحكاماً خاصة طريفة في بعض الأحيان[١٢٢].

وكتب الدينَوَري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩١م) **الأخبار الطوال**، وهو نموذج آخر للتاريخ العالمي. فهو وإن راعى التسلسل التاريخي في كتابته يركز على بعض الحوادث والحركات ويتناولها بشيء من التفصيل، وهذا ما يجعل تاريخه أقرب إلى أن يكون سلسلة من «الأخبار» التي يربط بينها. ففي عهد ما قبل الإسلام حاول أن يقدم صوراً متوازية مترابطة للحوادث في إيران واليمن والجزيرة العربية وبيزنطية، ولكن التاريخ الإيراني هو الغالب، وله المكانة الأساسية في هذه الفترة. وهو لا يبدي اهتماماً بتاريخ الرسل ويمر بعهد الرسالة بسطور قليلة. أما في العهود الإسلامية فإن حوادث العراق وإيران هي موضع اهتمامه بالدرجة الأولى.

ولا يظهر الدينوري كثيراً من القابلية على النقد في كتابه. ويبدي شيئاً من الميل إلى العباسيين في أخباره. ولا يبدي اهتماماً بالإسناد، إذ إنه أراد أن يعطي خلاصة مأخوذة من مؤلفات أخرى. ويدل فحص مادته التاريخية على أنه جمع بين الإسرائيليات والمصادر الفارسية والروايات العراقية والمدنية.

وأخيراً نأتي إلى **تاريخ الرسل والملوك** للطبري (ت ٣١٠هـ/ ٨٢٣م) وهو يمثّل قمة ما وصلت إليه كتابة التاريخ عند العرب في مدة التكوين. فقد كان الطبري طالب علم لا يعرف الكلل، فدرس على أساتذة في الري وبغداد والكوفة والبصرة والشام ومصر، واستقر أخيراً في بغداد. وقد بلغ في علمه بالروايات التاريخية والروايات الفقهية منزلة لا تبارى.

إن نظرة الطبري إلى التاريخ وأسلوبه في كتابته متأثرة بدراسته وثقافته كمحدِّث وكفقيه. ولذا فإن طريقته في نقد الروايات تتجه إلى الإسناد، في حين أن مصادره مؤرخون لهم منزلة موثوقة في حقولهم أو في الموضوعات التي كتبوا عنها. وهو يعبّر في كتابه عن فكرتين أساسيتين في التاريخ: وحدة الرسالات من جهة، وأهمية خبرات الأمة واتصالها على الزمن من جهة أخرى. ومثل هذه الخبرات عظيمة الأهمية في سلوك الأمة في حالات الوحدة أو الاختلاف، وهي في الحالين توضح ما يصيب الأمة في تاريخها.

---

(١٢٠) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٧ وماجعدها.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ١٨٣ و١٨٦.

(١٢٢) عن الحجاج، انظر: المصدر نفسه، ص ٢٦٩.

إن قيمة الروايات في نظر الطبري تعتمد على قوة أسانيدها، وكلما كان بدء السند أقرب إلى الحادثة كان أفضل. وهكذا وصلت إلينا عن طريقه كتابات تاريخية وروايات تاريخية مبكرة، لم تحفظ إلا في تاريخه. والروايات قد تتأثر بعوامل مختلفة مثل الذاكرة والميول والرغبات وغير ذلك، ولا يمكن الجزم بدقتها وسلامتها بصورة قاطعة حتى بعد نقدها وتمحيصها. وهذا ما يجعل «الرأي» أو الحكم الفردي غير مأمون، وقد يكون مربكاً، ولذا فيكفي نقل الروايات ممن يوثق بهم من الرواة والمؤرخين، والعهدة في صحتها عليهم.

لذا فإن رأي الطبري في ما أورد يظهر في تمحيصه للروايات والأخبار، وأخذ البعض منها دون الآخر. وهو يتجنب إعطاء حكم، ويندر أن يفضل رواية على أخرى ما دام قد أورد روايات مقبولة، ويبدي حياداً واضحاً في ما يورد من روايات.

وقد تأثر أسلوب كتابته بنظرته إلى الروايات، فهو في حرصه على إعطاء الروايات المختلفة حول حادث أو موضوع لا يستطيع تقديم تاريخ متصل للحادث. ويبدو أنه أراد أن يصنف الروايات التاريخية العربية كافة في كتابه ـ وهو منحى سبق اتباعه في الحديث ـ وهذا يفسر العدد الضخم لمصادره. وهذه خدمة كبرى قدمها الطبري، وهو بذلك ينهي العصر الأول في تطور الكتابة التاريخية؛ لأننا لا نرى أحداً بعده حاول إعادة فحص المصادر التاريخية للأزمنة التي كتب الطبري عنها.

ويبدأ تاريخ الطبري بالخليقة، ويتناول الرسل والملوك في القديم، وينتقل إلى تاريخ الساسانيين والعرب، ثم يتناول التاريخ الإسلامي حتى عصره (٣٠٢هـ). ولعل نظرته إلى التاريخ كتعبير عن المشيئة الإلهية، وكمستودع للخبرات، تفسر الإيجاز أو الضعف في القسم الأخير الذي يتناول التاريخ المعاصر.

ـ ٧ ـ

وظهرت تواريخ محلية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وبعضها تواريخ مصر من الأمصار، مثل **فتوح مصر** لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)، والبعض الآخر تواريخ لمدن مثل **تاريخ واسط** لبحشل (ت ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م)، **وتاريخ بغداد** لطيفور (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). وقد وضع بعض هذه الكتب نتيجة للدراسات المحلية للحديث، فهي تعطي سير المحدّثين الذين نشأوا في تلك المدن أو مكثوا فيها مدة من الزمن، وتورد هذه السير على هيئة طبقات. والبعض الآخر كتب نتيجة الشعور بالولاء للمدينة (أو للمصر) والاعتزاز بها. وتتضمن هذه التواريخ عادة

بعض المعلومات الجغرافية أو الخطط.

وإذا استعرضنا ما مر نرى أن علم التاريخ عند العرب تطور طبيعي في الإسلام. فالدين الجديد، وتكوين امبراطورية، ووضع تقويم ثابت، كل هذه هيأت الأساس. ثم إن الاتجاهات الإسلامية المتمثلة في الاهتمام بسيرة الرسول(ﷺ)، وبإجماع الأمة وخبراتها، وبآراء علمائها وأحكامهم، وبالحوادث الكبرى التي حددت سيرها التاريخي كانت الدوافع الرئيسة لدراسة التاريخ في المدينة. ومن جهة ثانية استمرت الاتجاهات القبلية نحو العناية بالأنساب والأيام والشعر في المراكز القبلية الجديدة في الكوفة والبصرة في إطار جديد، ووجدت حوافز جديدة في التيارات السياسية والاجتماعية والمدنية الجديدة. وراء هذين الاتجاهين كان هناك الشعور لدى الجميع برسالة تاريخية، وهذا يوضح إلى درجة ما ذلك التنوع، وتلك السعة في الكتابات التاريخية.

إن تطوّر الكتابة التاريخية يكوّن جزءاً حيوياً من التطور الثقافي. فالروايات المبعثرة ـ في الأخبار والحديث والأنساب ـ صارت تجمع من قبل الأخباريين أو المحدّثين بصورة شفوية، إلا أن التاريخ لم يظهر بصورة ثابتة إلا حين بدأ استعمال الكتابة لحفظ الأخبار والروايات. وكانت المرحلة الأولى في نشأة التاريخ محلية بالدرجة الأولى ومحدودة تقريباً في نطاقها، ففي المدينة مهد الإسلام انصبّ الاهتمام على السيرة وعصر الخلفاء الراشدين، وفي الكوفة والبصرة اتجه الاهتمام إلى الفعاليات القبلية والفتوحات. وهذه الظاهرة تبدو في جوانب ثقافية أخرى، في تطور الإجماع وفي دراسة الحديث؛ فقد كانت العناية بهما في هذه المرحلة تنحصر في نطاق مدينة أو مصر (المدينة، الكوفة مثلاً). ولكن اطّراد أثر المبادئ والأفكار الإسلامية وتغلغلها في المجتمع على حساب الآراء القبلية والاجتماعية المحلية توضح حصول تطورات ثقافية جديدة، مثل ازدياد أهمية الإسناد، وانتشار استعماله في الرواية، وتركيز الشعور بوحدة الأمة، وأهمية خبراتها المتصلة. وعندئذ بدأ نوع من الجمع المنظّم للأخبار والروايات التاريخية (وكذلك للحديث) من الأمصار المختلفة، والاتجاه نحو كتابة تواريخ عامة بعضها ينطوي على نظرة عالمية للتاريخ قبل الإسلام.

وقد عدّ التاريخ منذ البداية «علماً»[١٢٣]، وكان التأكيد على تمحيص الروايات ونقدها عن طريق الإسناد. ولما كانت الروايات والأخبار عرضة لتأثير الرغبات والميول الحزبية والعصبيات، كان التأكد من سلسلة الرواة هو السبيل إلى التثبت من

---

(١٢٣) تستعمل كلمة «علم» بالمقابلة لكلمة «رأي».

صحة الرواية. ويمكن القول بعد هذا إن ميول المؤرخ تظهر من نوع الروايات والأخبار التي يقبلها ويوردها. ويجوز إبداء الرأي بعد إيراد نص الرواية أو الخبر لا قبل ذلك. وتتكون الثقة بالمؤرخ حينما يورد الروايات المتباينة، أو حينما يورد روايات مشهورة محايدة. وعلى هذا، فدرجة التدقيق والنقد لدى المؤرخ تظهر في فحص الروايات في ضوء ما ذكرنا.

إن الإسلام يعنى بالحياة بصورة عامة، ولذا فإن شؤون هذه الحياة مهمة، كما أن التجارب والأمثلة ضرورية للسلوك الطيب. والتاريخ خير مرشد هنا. فإنه يقدم من الأمثلة ما يمكن المرء أن يحيا حياة أفضل، وما يساعد على تنوير الحكام، ولذا فهو مهم للثقافة. ثم إن الإجماع مصدر مهم للتشريع، وسبيل أساسي للاتجاه السليم. والتاريخ بخطوطه الكبرى تعبير عن إرادة الله. أما الحوادث أو الحركات الفردية فالمسؤولية البشرية فيها أكيدة، ولذا تتباين الآراء فيها. فالتاريخ إذاً، وبصورة عامة، مفيد لفهم تطور الأمة. وهو مفيد للدراسات الإسلامية الدينية حين يقدم تواريخ السير، وحين يعطي سوابق عملية للإدارة، وحين يلقي ضوءاً على الخبرات والإجماع. ومن ناحية أخرى فإن الكثير من التاريخ كتب لأسباب سياسية أو اجتماعية، وهذا يصدق على أكثر «كتب» الأخباريين. وقد يصدق كذلك على بعض التواريخ العامة، إذ يتعذر أن نجد دافعاً لكتابة **الأخبار الطوال** (للدينوري) **والمعارف** (لابن قتيبة) غير الدوافع الثقافية العامة.

ولنذكر هنا أن مبدأ حرية الإرادة وجد مجالاً واسعاً (على يد المتكلمين والمعتزلة) في العصر العباسي الأول، ومع أن أهل الحديث انتصروا على المعتزلة سياسياً في النصف الأول للقرن الثالث الهجري، إلا أن التفوق الثقافي جاء بعد ذلك. لذلك يتعذر التأكيد ـ كما فعل البعض ـ على سيطرة مبدإ الجبر، وما يترتب عليه في كتابة التاريخ في هذه الفترة. فالتسبيب إذاً موجود في الفعاليات البشرية ضمن مشيئة الله في العالم.

ويظهر في كتابة التاريخ تأكيد قوي على عنصر الوقت، والتسلسل الزمني يراعى في كتب التاريخ بصورة عامة. وهذا يظهر في كتابة التاريخ على أساس تعاقب الخلفاء، أو تتابع الحوادث، أو توالي الطبقات، ويصل حدوده الدقيقة في كتابة التاريخ على السنين. وكانت التواريخ والأسانيد العناصر الأساسية في الضبط. وفي كتب الأنساب والطبقات، يلاحظ الزمن في ذكر تواريخ الوفيات، وفي ذكر الأعمار (وهذه تذكر لتعوّض عن الشك في تواريخ الولادة). فالتاريخ هو فعاليات البشر في أوقات معينة. وهذه النظرة إلى الوقت إسلامية.

أما أشكال الكتابة التاريخية فنمت من أسلوب «السيرة»، وأسلوب «الأخبار»، وأسلوب «الأنساب»، وفكرة «الأمة»، وكان عنصر الوقت يتخللها جميعاً. وهكذا فإن «الكتب» التاريخية ترجع إلى أسلوب «الأخبار»، والسيرة والطبقات والسير ترجع إلى أسلوب «السيرة»، بينما تعود كتب التاريخ العام أو التأريخ على السنين إلى فكرة «الأمة»، وأخيراً يظهر أسلوب «الأنساب» في بعض كتب التاريخ العامة ـ حتى تواريخ الأسر المتأثرة بصيغة الأخبار ـ وفي تواريخ أخرى.

كانت هذه القرون الثلاثة فترة التكوين لعلم التاريخ عند العرب، فيها وضعت خطط كتابة التاريخ وأساليبها. وقد شهدت الفترة التالية عناصر ثقافية أخرى مثل الجغرافية والفلسفة والفلك التي تؤثر في كتابة التاريخ، ولكن الأفكار التاريخية والأساليب التاريخية لم يطرأ عليها تبدّل يجلب الانتباه.

ملاحظة: نشير إلى بعض المؤلفات العامة في كتابة التاريخ عند العرب:

١ ـ **دائرة المعارف الإسلامية** (مادة تاريخ). بقلم هـ. أ. ر. جب.

٢ ـ هوروفتس، جوزف. **المغازي الأول ومؤلفوها**. ترجمة حسين نصار. القاهرة: البابي، [١٩٤٩].

٣ ـ Blachére, Regis. *Le Probléme de Mahomet, essai de biographie critique du fondateur de l'islam*. Paris: Presses universitaires de France, 1952.

٤ ـ Brockelmann, Carl. *Geschichte der arabischen litteratur*. 2 nd ed. den supplement bnden angepasste aufl. Leiden: E.J. Brill, 1943.

٥ ـ Fück, Johann. *Muhammad ibn Ishâq*. Frankfurt am Main: [n.pb.], 1923.

٦ ـ Margoliouth, D.S. *Lectures on Arab Historians*. [Calcutta]: University of Calcutta, 1930.

٧ ـ Rosenthal, Franz. *A History of Muslim Historiography*. Leiden: Brill, 1952.

٨ ـ Wüstenfeld, F. *Die Geschichteschreiber der Araber und ihre Werke*. Gottingen: Dieterichsche Verlagsbuchh und Lung, 1882.



الرسالة الثانية
أصول مدرسة التاريخ في المدينة
عروة ــ الزهري

بدأت الدراسات، تاريخية وغيرها، بجهود مشتركة تتمثل في حلقات للدراسة، تحيط كل حلقة باستاذ، وقد يبرز طالب العلم حين يجتاز مرحلة دراسية، فيكوّن حلْقته، والدراسة مفتوحة لمن يريد، والرواية تسير في سلسلة، وبنتيجة ذلك وبمرور الزمن تكونت مدرسة في التاريخ والحديث والفقه.

وأول مدرسة للتاريخ هي مدرسة المدينة، مدرسة «المغازي»[1]، وترتبط في نشأتها ووجهتها بجهود اثنين من الفقهاء المحدّثين، عروة بن الزبير وتلميذه الزهري.

عروة

وعروة من أشراف قريش، أبوه الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة، وجدّته خديجة بنت خويلد، وأخوه عبد الله بن الزبير، وزوجته أم يحيى ـ أصغر ولد الحكم ـ، وكان يعتز بنسبه من جهة الأب والأم[2]. وكان لذلك أثر في نشأته وفي رواياته.

---

(١) تعني كلمة «المغازي» عادة المعارك والغزوات. ومع أن هذا صحيح لغوياً إلا أن معنى الكلمة في هذا الصدد وفي هذه المدة يشمل دور الرسالة.

(٢) انظر: أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر، والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سولومن غويتن (القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠)، ج٥، ص ١٦٠ و٣٧١؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ؛ ٢، ٤ج (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠)، ج١، ص ١٨٠؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دو غويه]، ١٥ ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج٢، ص ٢٣١٣، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، نشره أوغست فيشر (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٠)، ص ٤٠.

وتختلف الروايات في سنة ولادته، فقيل إنه ولد سنة ٢٢هـ، وقيل سنة ٢٦هـ، وقيل سنة ٢٩هـ[٣]. وجاء في رواية أنه ولد سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م ويبدو أنها أدق الروايات، إذ تؤيدها رواية أخرى تذكر أنه كان يوم الجمل (سنة ٣٦هـ) ابن ثلاث عشرة سنة، ويسندها ما ذكره عن نفسه بأنه رُدّ يوم الجمل من الطريق لصغر سنه[٤]. ولدينا عدة روايات عن سنة وفاته، فيضعها الطبري سنة ٩٤هـ، وبذلك قال «ابن سعد وجماعته»[٥]، بينما يجعلها ابن قتيبة بين ٩٣هـ و٩٤هـ، ويردد ذلك ابن خلكان، هذا إضافة إلى روايات أخرى[٦]. ولكن أقدم الروايات وأوثقها تجعل وفاته سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م.

نشأ عروة ودرس في المدينة، وأقام بعدئذ بمصر سبع سنين بين ٥٨هـ و٦٥هـ وتزوج فيها[٧]. وزار دمشق عدة مرات. وكان طموح عروة يختلف عن طموح والده وأخويه عبد الله ومصعب، وقد عبر هو عن وجهته بوضوح بقوله: «أمنيتي الزهد في الدنيا والفوز في الآخرة وأن أكون ممن يروى عنهم العلم»[٨]. ويتمثل هذا في سيرته، فقد روى عنه ابنه هشام بأنه «كان يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر ويوم النحر، ومات وهو صائم»[٩]. ويتجلى حبه للعلم من رواية ابنه هشام؛ إذ يقول

---

(٣) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٨، وشمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي]**، ٢ج (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)، ج٢، ص ٤٢١.

(٤) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٨؛ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ١٢ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥هـ/[١٩٠٧م])، ج٧، ص ١٨٣ ـ ١٨٤، وأبو عبد الله محمد بن منيع بن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، عني بتصحيحه أوجين منوخ [وآخرون]، ٩ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٤ ـ ١٩١٨)، ج٧، ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٥) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٢ و٤٨؛ ابن سعد، المصدر نفسه، ج٥، ص ١٣٥، والطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٢٦٦.

(٦) ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي]**، ج٢، ص ٤٢١؛ ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ج٧، ص ١٨٤؛ الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٨؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **المعارف** (القاهرة: [د.ن.]، ١٩٣٤)، ص ٩٨، وأبو زكريا يحيى بن شرف النووي، **تهذيب الأسماء**، ص ٣٣١. والروايات الأخرى تجعل الوفاة سنة ٩٣، ٩٥، ٩٩، ١٠٠ و١٠١هـ.

(٧) أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان**، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد، ٣ج (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٢)، ص ٢١٩، وجوزف هوروفتس، **المغازي الأول ومؤلفوها**، ترجمة حسين نصار (القاهرة: البابي، [١٩٤٩])، ص ١٣.

(٨) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٢١.

(٩) ابن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، ج٥، ص ١٣٤، والذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٤٢ ـ ٤٣.

«أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له، فكان يقول بعد ذلك لأن تكون عندي أحب من أن يكون لي مثل أهلي ومالي»[10]. ولم يشارك عروة في الأحداث السياسية المتوالية في زمنه. قال العجلي فيه: «كان ثقة رجلاً صالحاً لم يدخل في الفتن»[11]. هذا مع أنه كان ضد سياسة الأمويين، ولكنه يرى اعتزال «أهل الجور»[12].

وقد أمضى عروة حياته بين الدرس والتدريس، فكان يتتبع الحديث والعلم، وروى عن أعلام المدينة من رجال ونساء مثل عائشة، وعمرة، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس[13]. وأصبح من فقهاء المدينة السبعة، ومن أعلام محدّثيها، حتى قال عمر بن عبد العزيز عنه: «ما أحد أعلم من عروة بن الزبير». وقال الزهري «كان عروة بحراً لا يكدره الدلاء»[14]. ويهمنا هنا أن ندرس عروة كمؤرخ تاركين دوره في الفقه والحديث.

وقبل الخوض في دراساته التاريخية، نبين أنه كانت لعروة صلات بالأمويين، فهو يعرف عبد الملك في صباه في المدينة، وكان يجتمع به في مسجد المدينة، ووفد عليه في دمشق بعد مقتل أخيه عبد الله، كما وفد على الوليد. وكان يلقى عنتاً من أهل الشام، وما لدينا من أخبار يدل على احترامهم لعلمه، وعلى أن صلته بهم كانت على حذر، ولا يهمنا إلا أن البلاط الأموي سأله عن حوادث تتعلق بفترة الرسالة، فأجاب عن ذلك برسائل وصل إلينا بعضها في الطبري، وهي من أقدم القطع التاريخية التي وصلت إلينا ومن أوثقها[15].

وسنحاول في ما يلي الإشارة إلى آثار عروة التاريخية لتكوين فكرة تقريبية عنها:

١ ـ بعث الرسول(ﷺ) وهو ابن أربعين سنة[16]: أوليات النبوة، «وأول ما

---

(١٠) المصدران نفسهما، ج٥، ص ١٣٣ و٤١ على التوالي.

(١١) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٥ .

(١٢) ابن سعد، المصدر نفسه، ج٥، ص ١٣٥، والذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٣ ـ ٤٤.

(١٣) المصدران نفسهما، ج٥، ص ١٣٣ و٤٥ على التوالي.

(١٤) انظر: المصدران نفسهما، ج٥، ص ١٣٤ و٤٥ ـ ٤٦ على التوالي؛ ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج٧، ص ١٨٢؛ علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ٢٤ ج (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٧ ـ ١٩٧٤)، ج٨، ص ٨٩ و٩٣، والجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٢، ص ٢٠٢. وعظ عروة بنيه فقال: «تعلموا العلم فإنكم إن كنتم صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين».

(١٥) عن صلة عروة بالأمويين، انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي]**، ج٢، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١؛ أبو الفرج الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٤، ص ١١٨ و١٢٣؛ ج٩، ص ١٤٧ وج ١٦، ص ٤٤ ـ ٤٥، والجاحظ، المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٠.

(١٦) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١١٤٠ و١٨٣٥.

ابتدئ به رسول الله (ﷺ) من النبوة. . الرؤيا الصادقة. . وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده»[١٧].

نزول الوحي على الرسول(ﷺ) وهو يتعبد بغار حراء، والآيات الأولى ﴿**اقرأ باسم ربك**. . .﴾[١٨]. الروع الذي حل بالرسول(ﷺ) من أثر ذلك وتعبيره لخديجة عن قلقه، فتنطلق به إلى ورقة بن نوفل، ونبوءة ورقة بأنه سيكون له شأن عظيم[١٩].

ويورد عروة رسالة تبيّن كيف تبيّن للرسول(ﷺ) أنه معدّ للمهمة العظمى ـ وهي خبر الملكين اللذين لقياه ببطحاء مكة، وشقا بطنه وقلبه، وأخرجا مغمز الشيطان وعلق الدم من جوفه، وجعلهما خاتم النبوة بين كتفيه[٢٠].

٢ ـ الهجرة إلى الحبشة. وترد في رسالة من عروة إلى عبد الله بن مروان، فيها يتحدث عن بداية الدعوة وموقف قريش آنئذٍ إذ يقول: «لم يبعدوا عنه أول ما دعاهم، وكادوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم. . .». فاشتدوا عليه حينئذ، فانفض الناس عنه إلا القليل، «فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث». ثم يذكر أن قوماً من قريش وفدوا من الطائف إلى مكة أنكروا دعوة الرسول(ﷺ)، وأغروا به قومه، فاشتدوا على المسلمين، ثم تآمروا عليه؛ ليفتنوا من تبعه؛ «فكانت فتنة شديدة الزلزال. . فافتتن من افتتن وسلّم الله من شاء». فلما رأى الرسول(ﷺ) ما حل بأصحابه أمرهم بالهجرة إلى الحبشة. وأوضح عروة سبب اختيار الحبشة بأنه كان فيها ملك صالح لا يُظلم أحد بأرضه، كما أن بلاد الحبشة كانت متجراً لقريش. فهاجر كثير منهم، وبقي هو «فمكث بذلك سنوات»[٢١]. ويذكر تنصّر عبد الله بن جحش بالحبشة[٢٢].

٣ ـ ازدياد مقاومة قريش للدعوة: وما كان يلاقيه الرسول(ﷺ) من أذى قريش، حتى إنهم كانوا يرمون القاذورات في داره، ونثر بعضهم التراب على

---

(١٧) أبو محمد عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، حققها وضبطها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، ٤ج (القاهرة: البابي، ١٩٣٦)، ج١، ص ٢٤٩.

(١٨) **القرآن الكريم**، «سورة العلق،» الآية ١.

(١٩) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١١٤٧، وأبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ج٢، ص ١٥.

(٢٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٥٤.

(٢١) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨٠ ـ ١١٨١.

(٢٢) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج٤، ص ٦.

رأسه[٢٣]. وذكر أسماء المستهزئين من قريش بالرسول(ﷺ)[٢٤].

اجتماع أشراف قريش في الحجر يتذاكرون أمر الرسول(ﷺ) ويقولون «إنه سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا». ومر الرسول(ﷺ) بقريش في اليوم الثاني فوثبوا عليه وثبة رجل واحد. فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه، فقام أبو بكر دونه يقول وهو يبكي: ويلكم أتقتلون رجلاً يقول ربي الله. فانصرفوا عنه[٢٥].

خروج أبي بكر من مكة بعد أن رأى تظاهر المشركين على الرسول(ﷺ) ورجوعه إليها في جوار ابن الدغنة[٢٦].

٤ ـ الهجرة: يبدأ عروة بتمهيد عن الظروف المؤدية لذلك، فيشير إلى رجوع جلّ من هاجروا إلى الحبشة، و«جعل أهل الإسلام يزدادون ويكثرون، وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا بالمدينة الإسلام. فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله». واضطربت قريش وتآمرت على أن تفتن المسلمين، «فأصابهم جهد شديد، وكانت الفتنة الآخرة». ويذكر عروة اتصال المدنيين بالرسول(ﷺ) قائلاً: «ثم إنه جاء رسول الله (ﷺ) سبعون نقيباً رؤوس الذين أسلموا، فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة، وأعطوه عهودهم على أنّا منك وأنت منّا». فاشتدت قريش على المسلمين، فأمر الرسول(ﷺ) بالهجرة إلى المدينة. وهي التي أنزل الله عز وجل فيها **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾**[٢٧].

وهذه القطعة تكمل حديث الفتنة الأولى والهجرة إلى الحبشة. ولا ندري إن كانت هذه جزءاً من رسالة عروة إلى عبد الملك ـ كما يظن هوروفتس ـ أو أنها رواية مستقلة، إذ يحتمل أن عروة حدّث بمحتويات تلك الرسالة وبهذه التتمة[٢٨].

حديث هجرة الرسول(ﷺ) نفسه إلى المدينة: ابتدأ عروة بالإشارة إلى هجرة المسلمين إلى المدينة، وبقاء الرسول(ﷺ) بمكة ينتظر الوقت المناسب. ويذكر عروة تفاصيل التدابير للهجرة واختفاء الرسول(ﷺ) وأبي بكر في غار ثور ثلاثة أيام، وما

---

(٢٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٧ ـ ٥٨، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٩٩.

(٢٤) ابن هشام، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٠.

(٢٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠٩، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨٥.

(٢٦) ابن هشام، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠٩.

(٢٧) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ١٩٣، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٢٤ ـ ١٢٢٥.

(٢٨) هوروفتس، **المغازي الأول ومؤلفوها**، ص ٢٠.

رافق ذلك، ويصف بقية الطريق حتى المدينة(٢٩). وتأتي هذه القطعة بإسناد القطعتين السابقتين وفيها إشارة إلى الآية **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾**، كل هذا يدعو إلى الاعتقاد بأن حديثها يتمم الروايتين السابقتين(٣٠).

وفي رواية أخرى يذكر عروة وصول الرسول(ﷺ) إلى قباء في طريق المدينة، وكيف كان المسلمون ينتظرون قدومه كل يوم(٣١).

يذكر عروة إصابة بعض أصحاب الرسول(ﷺ) بالحمى بعد وصولهم إلى المدينة(٣٢). ورواية عن موقف عبد الله بن أبيّ من دعوة الرسول(ﷺ)، فيها يبدو عدم الارتياح والجفاء للرسول(٣٣).

٥ ـ خبر سرية عبد الله بن جحش: وفي الرواية تفاصيل إنفاذ السرية وتوصية الرسول(ﷺ) لعبد الله، والهجوم على القافلة القرشية، واستيلاء المسلمين على العير، ومقتل اثنين من القرشيين، وتبلبل الرأي حول مسألة القتال في الشهر الحرام حتى نزلت الآية **﴿يسألونك عن الشهر الحرام..﴾**(٣٤)، ثم استلام الرسول(ﷺ) للعير(٣٥).

٦ ـ غزوة بدر: ترد رواية عروة في رسالة بعث بها إلى عبد الملك بن مروان، تبدأ بـ «أما بعد، فإنك كتبت إليَّ في أبي سفيان ومخرجه..»، وهي رواية طويلة متسلسلة، تبدأ بذكر عودة أبي سفيان من الشام، واستنجاد أبي سفيان بقريش، وأسر النبي(ﷺ) لغلام من روايا قريش، ومحاولته معرفة عدد العدو. ويشير عروة إلى استعداد الرسول(ﷺ) للمعركة والتقاء الجمعين وانتصار المسلمين. ولا يتحدث عن تفاصيل القتال ويكتفي بالقول: «والتقوا (قريش) هم والنبي(ﷺ) ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المسلمين منهم». وفي الرسالة نواحٍ طريفة

---

(٢٩) انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٣٤ و١٢٣٧. وهناك رواية أخرى تذكر خبر الهجرة تشبه الرواية السابقة إلا أنها بسلسلة إسناد مختلفة.

(٣٠) هذا جعل هوروفتس يعدها والقطعتين السابقتين من رسالة واحدة إلى عبد الملك، ولكني لا أدري ذلك. انظر: هوروفتس، المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٣١) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٤٢، وابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج٢، ص ١٣٧.

(٣٢) ابن هشام، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣٨، والبلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٢٥.

(٣٣) ابن هشام، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣٦.

(٣٤) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ٢١٧.

(٣٥) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٢٧٣.

منها مقدمة تمهيدية تقول: «وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك فقتلت قتلى وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخله. وأسرت أسارى من قريش... أصابهم عبد الله بن جحش.. وكانت تلك الوقعة... هاجت الحرب بين رسول الله وبين قريش، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب». ونلاحظ وصفه لنفسية المسلمين حين خرجوا إلى بدر «لا يرونها إلا غنيمة لهم... لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم»(٣٦).

وترد إشارات أخرى إلى بدر برواية عروة، منها قول الرسول(ﷺ) للمسلمين حين ندبهم: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها»(٣٧). ومنهم تخوّف قريش من بكر إن هي خرجت، ودور إبليس المزعوم في تطمينها(٣٨). ودعاء الرسول(ﷺ) يوم بدر حين رأى جموع قريش مقبلة: «اللهم إنك أنزلت عليّ الكتاب ووعدتني إحدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد. اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم الغداة»(٣٩) ثم طرح قتلى المشركين في القليب بعد انتهاء المعركة(٤٠).

٧ ـ غزوة قينقاع: وبعد بدر أظهرت قينقاع الحسد والغش. ويذكر عروة نزول آية ﴿**وإما تخافنَّ من قوم خيانة..**﴾(٤١) ومحاصرة الرسول(ﷺ) لهم ونزولهم على حكمه ووساطة عبد الله بن أبيّ، وإجلاءهم عن المدينة، وما أصاب الرسول(ﷺ) من أموالهم(٤٢).

ذكر غزوة بئر معونة(٤٣). إشارة عابرة إلى غزوة الرجيع(٤٤).

٨ ـ غزوة الخندق: محاولة اليهود تحزيب الأحزاب على الرسول(ﷺ)، وتحريضهم قريشاً وغطفان، وخروج قريش بقيادة أبي سفيان تتبعها غطفان وفزارة

---

(٣٦) المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٨٤ ـ ١٢٨٨.

(٣٧) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج٢، ص ٢٥٧.

(٣٨) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٦٣، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٩٦.

(٣٩) أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، **المغازي** (القاهرة: [د.ن.]، ١٩٤٨)، ص ٤٣.

(٤٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٣١، وابن هشام، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٩١.

(٤١) **القرآن الكريم**، «سورة الأنفال،» الآية ٥٨.

(٤٢) الواقدي، **المغازي**، ص ١٣٩ و١٤١، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٦٠.

(٤٣) الواقدي، المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٥.

وبني مرة وقوم من أشجع. يسمع الرسول(ﷺ) بذلك ويضرب خندقاً على المدينة[٤٥].

٩ ـ غزوة بني قريظة: وبعد ذهاب الأحزاب غزا الرسول(ﷺ)، قريظة وحاصرهم، فنزلوا على حكمه، فولى سعد بن معاذ الأمر، فحكم فيهم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وتقسيم أموالهم[٤٦].

١٠ ـ غزوة بني المصطلق: إشارة إلى توزيع سبايا بني المصطلق، وزواج الرسول(ﷺ) من جويرية بنت الحارث[٤٧]. خبر الإفك في هذه الغزوة[٤٨].

١١ ـ صلح الحديبية: خروج الرسول(ﷺ) عام الحديبية لزيارة البيت ومعه البُدن لا يريد قتالاً، وعدد من معه. نزول الرسول(ﷺ) الحديبية والمفاوضات مع قريش. الدعوة إلى الموادعة، الهدنة والصلح لأربع سنين على «أن يأمن بعضهم بعضاً على ألا أغلال ولا أسلال.. الخ». أدخل النبي(ﷺ) في عهده بني كعب، وأدخلت قريش في عهدها حلفاءها بني كنانة. بقية الشروط وتأجيل دخول المسلمين مكة إلى العام القابل[٤٩].

١٢ ـ غزوة مؤتة: تاريخها، وتنظيم قيادتها، وعدد المشاركين فيها. وصول المسلمين معان ومجيء هرقل وعدته وحلفائه، وقرار المسلمين بعد المذاكرة[٥٠]. رجوع المسلمين وموقف الناس والصبيان منهم وتشجيع الرسول(ﷺ) لهم[٥١].

١٣ ـ فتح مكة: رواية تذكر بعض شروط صلح الحديبية، ونقض قريش لها في النزاع بين بكر حليفتها وبين خزاعة حليفة الرسول(ﷺ)[٥٢]. حاطب بن بلتعة

---

(٤٥) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٦٣.

(٤٦) المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٩٤؛ ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج٣، ص ٣٥٢؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٣٥، وأبو عبيد القاسم الهروي بن سلام، **الأموال**، صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفقي، ٤ج في ١ (القاهرة: مطبعة حجازي، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، ص ١٢٩.

(٤٧) عن رواية أخرى لعروة حول زواج الرسول(ﷺ) بجويرية، انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥١٧، وابن هشام، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٠٧ وج٤، ص ٢٩٥.

(٤٨) هناك إشارة إلى حديث الإفك في: الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥١٨، وابن هشام، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٠٩.

(٤٩) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٣٤؛ ابن سلام، **الأموال**، ص ١٥٧ ـ ١٥٨، والبلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٩.

(٥٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٦١٠، وابن هشام، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٥.

(٥١) المصدران نفسهما، ج١، ص ١٦١٧، وج٤، ص ٢٤ على التوالي.

(٥٢) المصدران نفسهما، ج١، ص ١٦١٩، وج٤، ص ٣٢ على التوالي.

يكتب إلى قريش بعزم الرسول(ﷺ) على السير إليهم[٥٣].

ويفصل عروة خبر فتح مكة في رسالة بعث بها إلى عبد الملك، فيوضّح سبب الحملة وتنظيمها، ومجيء رسل قريش إلى الرسول(ﷺ) (أبو سفيان ومن معه)، ودخول المسلمين مكة، وقتال خالد للأحابيش وانتصاره عليهم مع بعض التفاصيل الفردية[٥٤].

١٤ ـ غزوة حنين: مكث الرسول(ﷺ) في مكة حوالى نصف شهر. تجمع ثقيف وهوازن عندما سمعوا بخبر الحملة (على مكة) خوفاً من توجهها إليهم، ومجيئهم بعدئذ إلى وادي حنين. أتاهم الرسول(ﷺ) وهزمهم وغنم ما معهم من ماشية وسبى النساء والصبايا[٥٥]. مجيء وفد هوازن بالإسلام بعد غزوة الطائف، فأعتق الرسول(ﷺ) أبناءهم ونساءهم[٥٦].

١٥ ـ غزوة الطائف: توجه الرسول(ﷺ) إلى الطائف بعد حنين، وقتال ثقيف للمسلمين من وراء الحصن، وإسلام من حولهم من الناس. دوام الحصار لنصف شهر. عودة الرسول(ﷺ) إلى الجعرانة حيث كان سبي حنين، وبعد أن أعتقه رجع إلى المدينة. مجيء وفد ثقيف إلى المدينة ومبايعته الرسول(ﷺ)[٥٧].

١٦ ـ رسائل من النبي إلى جهات مختلفة: كتاب إلى أهل هجر[٥٨]. كتاب إلى الحارث بن عبد كلال، وإلى شريح بن عبد كلال، وإلى نعيم بن عبد كلال[٥٩]. كتابه إلى المنذر بن ساوى[٦٠]. كتابه إلى أهل اليمن[٦١]. كتابه إلى ثقيف[٦٢]. كتابه إلى أهل أيله[٦٣]. كتابه إلى خزاعة[٦٤]. كتابه إلى زرعة بن ذي يزن[٦٥].

---

(٥٣) ابن هشام، المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٠.
(٥٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٠، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٣٢ ـ ١٦٣٦ و١٦٤٤.
(٥٥) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٥٤.
(٥٦) المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٧٠.
(٥٧) المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٧٠.
(٥٨) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٦٠، وابن سلام، **الأموال**، ص ١٩٩.
(٥٩) ابن سلام، المصدر نفسه، ص ١٣.
(٦٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠.
(٦١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧.
(٦٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٠.
(٦٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٠.
(٦٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٠.
(٦٥) المصدر نفسه، ص ٢٠١، والبلاذري، المصدر نفسه، ص ٨١.

كتابه إلى عبد الله بن جحش[٦٦].

١٧ ـ الفترة الأخيرة من حياة الرسول(ﷺ): أمر الرسول(ﷺ) بإعداد حملة أسامة. بدء مرض الرسول(ﷺ). حثه المسلمين على إنفاذ بعث أسامة[٦٧]. اشتداد مرض الرسول(ﷺ) ووفاته، وعمره[٦٨]. إشارة إلى خروج الأسود العنسي ومقتله في حياة الرسول(ﷺ)[٦٩].

١٨ ـ شؤون خاصة: في رسالة إلى عبد الملك يرد ذكر وفاة خديجة وزواج الرسول(ﷺ) من عائشة[٧٠]. وفي رسالة إلى الوليد يبين عروة أن الرسول(ﷺ) لم يتزوج أخت الأشعث ولا تزوج كندية، بل تزوج أخت بني الجون، ولكنه لم يبنِ بها وطلّقها[٧١].

ولم يقصر عروة اهتمامه على المغازي، بل تعرّض لفترة الراشدين، وهذا واضح في بعض المقتبسات التي وصلت عنه. ونحن نشير إليها بإيجاز لتكوين فكرة عامة عن دراساته.

أ ـ يذكر عروة عزم أبي بكر على إنفاذ بعث أسامة على الرغم من ردة القبائل وحرج وضع المسلمين[٧٢]. ويورد خبر ردة القبائل بإيجاز وافٍ شامل[٧٣]. ويفصل في خبر ردة اليمامة لخطورتها[٧٤]. ويذكر خبر مجيء متمِّم بن نويرة إلى أبي بكر ينشد دم أخيه، ويطلب رد السبي، ويشكو خالد بن الوليد، ثم يذكر رفض أبي بكر مشورة عمر بتنحية خالد[٧٥].

---

(٦٦) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ١، ص ١٢٧٣.

(٦٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٠٨ ـ ١٨٠٩، وابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج٤، ص ٢٩٩.

(٦٨) المصدران نفسهما، ج١، ص ١٨١٣، وج٢، ص ٣٠٤ على التوالي، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ١٣ ج في ٥ (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٣٦هـ/١٩١٧م)، ج٢، ص ٤٤٧ و٤٥٤.

(٦٩) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء، ٨ج (القاهرة: المكتبة التجارية؛ مطبعة الاستقامة، ١٩٣٩)، ج٢، ص ٤٣١.

(٧٠) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٧٧٠.

(٧١) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤٥٨.

(٧٢) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٢، ص ٤١٦.

(٧٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧٥.

(٧٤) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٩٩.

(٧٥) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ٢٠٨٥ وج٢، ص ٥٠٣.

ب ـ أبو بكر يجهز الجيوش إلى الشام ويبين طريق كل قائد[٧٦]. خبر أجنادين وتاريخ المعركة وانتصار المسلمين وأسماء بعض من استشهد[٧٧].

ج ـ طلب العباس وفاطمة من أبي بكر ميراثهما من الرسول(ﷺ) ـ فدك وسهم الرسول(ﷺ) في خيبر ـ ورد أبي بكر. طلب أزواج النبي من أبي بكر مواريثهن من سهم الرسول(ﷺ) بخيبر وفدك ورأي عائشة[٧٨].

د ـ ترك أبي بكر للتجارة لينصرف إلى شؤون المسلمين واعتماده على مرتّب من بيت المال[٧٩]. مرض أبي بكر وتاريخ وفاته[٨٠].

هـ ـ إشارة إلى وقعة اليرموك[٨١]. إشارة إلى وقعة القادسية[٨٢].

و ـ خبر عن ذهاب عمر بن الخطاب إلى أيله (في طريقه إلى القدس)[٨٣].

ز ـ خبر عن وقعة الجمل[٨٤].

ويتعذر علينا من الروايات المتعلقة بفترة الراشدين تكوين فكرة عن نظرة عروة التاريخية، فهو لا يفصّل نسبياً إلا في أخبار الردة، وما عدا ذلك يورد نتفاً وإشارات عابرة. ونلاحظ في أخباره عن الردة أنه يتبع أسلوبه نفسه في المغازي. ولكننا نجد مادة أكثر في مغازيه ونستطيع تكوين فكرة تقريبية منها.

فنرى أن عروة تطرّق في مغازيه إلى بدء الوحي، وبداية الدعوة، والهجرة إلى الحبشة، والهجرة إلى المدينة. ثم تناول بعض فعاليات فترة المدينة مثل سرية عبد الله ابن جحش، وغزوة بدر الكبرى، وغزوة قينقاع، والخندق، وغزوة بني قريظة، وصلح الحديبية، وحملة مؤتة، وفتح مكة، وغزوة حنين، وغزوة الطائف، وبعض مراسلات الرسول(ﷺ)، وأواخر أيامه. وقد جاءت بعض رواياته أجوبة عن أسئلة البلاط الأموي، وبعضها حدّث بها طلبته.

---

(٧٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٨٥.

(٧٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٢٥.

(٧٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٢٥، والبلاذري، المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٨٩) ابن سلام، **الأموال**، ص ٢١١.

(٨٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ٢١٢٨ و٢١٣٠.

(٨١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٤٨.

(٨٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٥١.

(٨٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٢٢.

(٨٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٠٧ وج٢، ص ٨١١. ويروي عروة خبراً عن مقتل أخيه مصعب، وتعليق عبد الملك بن مروان على ذلك.

ويبدو أن رواياته مجرد خطوط أولية تتباين في التفصيل، ففي حين أن بعضها لا يعدو إشارات عابرة، نرى البعض الآخر متصلاً كما في حديثه عن بدر والحديبية وفتح مكة. ونلاحظ أن معركة أحد لا يرد عنها ما يذكر[٨٥]. كما أننا لا نجد في هذه الروايات ذكراً لتاريخ الوقائع (عدا مؤتة). ومع هذا فإننا نرى أن عروة تناول «المغازي» في دراسته، ولم يقتصر في ذلك على الغزوات، بل تناول بعض نواحي السيرة منذ نزول الوحي إلى وفاة الرسول(ﷺ). وترد في السخاوي إشارة إلى «مغازي» عروة[٨٦]، وأورد حاجي خليفة ما يؤيد ذلك بقوله «ويقال أول من صنف فيها (المغازي) عروة بن الزبير»[٨٧]. وكل ما نستنتجه من المقتطفات التي أوردناها هو أن عروة حدّث في المغازي ولكننا لا نستطيع أن نتبين في رواياته خطة واضحة للسيرة.

كان عروة محدثاً ثقة، وقد اتبع أسلوب أهل الحديث في رواياته. ومكنته منزلته وصلاته الاجتماعية من أخذ الروايات من منابعها. ونحن نجد ذكر الإسناد في بعض رواياته»[٨٨]، ولا يرد إسناد في روايات أخرى[٨٩]. ويبدو أن عروة أدمج في أجوبته المكتوبة إلى عبد الملك عدة أحاديث في رواية متسلسلة، وإن لم يذكر إسناداً. ولنتذكر أن عروة من جلة التابعين، وأن قواعد الإسناد لم تتبلور، وأن الرواية المباشرة ـ وبخاصة التاريخية ـ عن تابع سبيل موثوق.

وعني عروة بالوثائق المكتوبة إلى جانب الروايات الشفوية، فأورد جملة من كتب الرسول(ﷺ) إلى جهات مختلفة كما لاحظنا أعلاه، وهذه ناحية مهمة في وجهة الكتابة التاريخية. كما أنه استشهد بالآية القرآنية التي تتصل بالحوادث، كما في

---

(٨٥) في الطبري إشارة عابرة إلى حادث استلام أبي دجانة لسيف الرسول(ﷺ) في أحد، انظر: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٢، ص ١٩٤.

(٨٦) شمس الدين محمد بن عبد الله السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل] التاريخ** (دمشق: القدسي، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، ص ٨٨.

(٨٧) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف مجرداً عن الزيادات واللواحق من بعده وتعليق حواشيه ثم بترتيب الذيول عليه وطبعها محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، ٢ مج (استانبول: وكالة المعارف، ١٩٤١ ـ ١٩٤٣)، مج٢، ص ١٧٤٧.

(٨٨) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١١٤٧، ١١٥٤، ١١٨٥، ١٢٣٧، ١٣٣١، ١٤٥٤، ١٥٣٤، ١٨٠٨ ـ ١٨٠٩، ١٨١٣، ١٨٢٥، ٢١٢٨ و٢٢٥١.

(٨٩) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٤٠، ١١٦٧، ١١٧٣، ١١٩٩، ١٢٩٦، ١٣٦٠، ١٤٦٣، ١٥١٨، ١٦١٠، ١٦١٧، ١٦٧٠، ١٨٣٦، ٢٠٨٥، ٢١٢٥، ٢٥٢٢ و٢٣٠٧.

حديثه عن الهجرة[٩٠]، وفي توضيحه لنفسية المسلمين عند خروجهم إلى بدر[٩١]، وفي عرضه لغزوة قينقاع[٩٢]. كما أنه شرح لابن هنيدة كاتب الوليد الظروف التاريخية للآيات **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات... (إلى) الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾**[٩٣]، وبذلك عرف بناحية مهمة وهي هجرة نساء بعد الحديبية من مكة إلى المدينة، رغبة في الإسلام، وموقف الرسول(ﷺ) منهن[٩٤]. وهذا يشير إلى الصلة المبكرة بين التفسير والتاريخ. وقد صار الاستشهاد بالآيات في المغازي وجهة مألوفة.

إن قيمة الرواية هي في الثقة براويها، وقد أخذ عروة عن ثقات، وأشهر من روى عنهم عائشة، وأكثر أحاديثه عنها، وقد كان يشعر بأهمية أحاديثها[٩٥]. وروى عن آل الزبير[٩٦]، وعن آخرين مثل أسامة بن زيد[٩٧]، وعبد الله بن عمرو بن العاص[٩٨]، وأبي ذر[٩٩]. وهذا التأكيد على المحدث أدى إلى وجود صدى ضعيف للقصص الشعبي في ما روى، فمثلاً يروي عن عائشة: «لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال على قبره نور»[١٠٠] وفي هذه الحالة نرى دقة عروة في روايته، إذ نراه يحترس ويقول «كان يتحدث»، وكمثل آخر نجده حين ذكر أسر المسلمين لروايا من قريش قبل بدر واستجوابهم يقول: «فزعموا أن النبي قال... الخ»[١٠١].

ويورد عروة بعض الشعر في رواياته على لسان المشتركين في الحوادث، وإن قل ذلك، مثل ما قاله ورقة بن نوفل حين رأى بلالاً يُعذَّب في الرمضاء[١٠٢]،

---

(٩٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٢٤.
(٩١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٨٤.
(٩٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٦٠.
(٩٣) **القرآن الكريم**، «سورة الممتحنة،» الآية ١٠.
(٩٤) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج٣، ص ٣٤٠.
(٩٥) لمزيد من التفاصيل عن بدء الوحي وعن حديث الهجرة وعن بعض زيجات النبي، انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٤٧، ١٢٦٢، ١٣٣٤ ـ ١٣٤٠ و١٥٤٧، والذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٤٦.
(٩٦) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٤٨ وج٢، ص ٨١١.
(٩٧) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج٢، ص ٢٣٦.
(٩٨) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨٥.
(٩٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٥٤.
(١٠٠) عن خبر المستهزئين بالرسول(ﷺ)، انظر: ابن هشام، المصدر نفسه، ج٢، ص ٥١.
(١٠١) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٨٨.
(١٠٢) أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ج٣، ص ١٥.

ومثل ما قاله أبو بكر وبلال حين اشتدت بهما الحمى بعد الهجرة[١٠٣]. ويبدو أن هذا كان طبيعياً في بيئة المدينة، إذ إن الشعر عنصر أساسي في الثقافة وفي الأخبار. هذا وقد قال أبو الزناد في عروة: «ما رأيت أروى للشعر من عروة»[١٠٤].

وأسلوب عروة واضح مباشر فيه حيوية وسلاسة، بعيد عن المبالغة أو محاولة التأثير. وهو يمهّد أحياناً للحادثة بمقدمة تضعها في موضعها التاريخي، وتجعل الحديث متسلسلاً متصلاً، كما نرى في حديثه عن وقعة بدر حين يمهد بالإشارة إلى بداية الحرب بين المسلمين وقريش[١٠٥]، وكما نرى في حديثه عن الهجرة إلى الحبشة حين يمهد بذكر تطور العلاقة بين المسلمين وقريش منذ بداية الدعوة[١٠٦]، كما أنه يمهّد في حديثه عن الهجرة إلى المدينة[١٠٧]. ويسترعي انتباهنا اتصال حديثه بحيويته وسلاسته دون تقطع في رسائله المكتوبة.

مما مرّ نلاحظ أن الدراسات التاريخية بدأت متصلة بدراسة الحديث، بل إنها فرع منها، وأن أسلوب الرواية شابه أسلوب الحديث شكلاً ومبنى. ويمكننا القول إن عروة قدم لنا صورة حية واقعية ودون مبالغة لما تعرّض له المسلمون، وما أنجزوه. ويبدو أن الفكرة التاريخية وراء هذه الدراسة هي عرض الظروف والأحداث التاريخية الهامة في حياة الرسول(ﷺ) والمسلمين الأولين، وفيها إشعار بأهمية السيرة وبأهمية تجارب الأمة. كما أننا نحس من أسئلة البلاط الأموي أن الاهتمام بالمغازي لم يقتصر على طلبة العلم، بل إنه يعبر عن رغبة اجتماعية وثقافية.

إن مجهود عروة مجهود خطير، إذ جعل للدراسة التاريخية بداية قائمة بذاتها حين جمع الكثير من الأحاديث التاريخية في المغازي ورسم بعض الأسس لهذه الدراسة، وعبر عن فكرة تاريخية لها أثرها. ومن المنتظر أن لا يتضح منهج الدراسة التاريخية أو هيكلها في هذه البداية، ولكن ما بدأه عروة أتمّه الزهري بصورة تسترعي الانتباه.

---

(١٠٣) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٢٥.

(١٠٤) الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٤٦. وحين قيل لعروة ما أرواك يا أبا عبد الله؟ قال: «ما روايتي في رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً».

(١٠٥) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٢٨٤.

(١٠٦) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨٠ ـ ١١٨١.

(١٠٧) المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٢٤ ـ ١٢٢٥.

الزهري

إن الدور الأول في نشأة مدرسة التاريخ في المدينة يعود إلى أبي بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، إذ إنه وضعها على أسس راسخة، ورسم وجهة الدراسة التاريخية فيها. ولذا فدراسته مهمة من هذه الناحية، كما أنها مهمة من ناحية أخرى إذ إنها تمكننا من تقرير في ما إذا كانت أصول «المغازي» ترجع إلى القصص كما يرى البعض[١٠٨]، أو أنها ترجع إلى الدراسات الجدية التي قام بها المحدثون وتلامذتهم.

يكاد تاريخ وفاة الزهري يكون أكيداً، إذ تتواتر الروايات على أنه كان في ١٧ رمضان ١٢٤هـ/ ٧٤٢م[١٠٩]. أما تاريخ ولادته فهو موضع خلاف كما ينتظر، إذ ورد في ٥٠هـ، ٥١هـ، ٥٦هـ، ٥٨هـ حسب الروايات المختلفة[١١٠]. ولكن الزبير بن بكار[١١١] والواقدي - في رواية له - [١١٢] يذكران أنه عاش ٧٢ سنة، وهذا يقرّب احتمال ولادته سنة ٥١ هـ/ ٦٧١م[١١٣].

---

(١٠٨) انظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة «سيرة».

(١٠٩) يعطي كل من الذهبي وابن كثير تواريخ أخرى وهي سنة ١٢٣هـ و١٢٥هـ ولكنهما يؤيدان سنة ١٢٤هـ، انظر: الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٧٣؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ١٤ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨هـ/ ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩م)، ج١، ص ٤٣٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ج٦، ص ١٠٦؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ٤ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٥ ـ ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧م)، ج٢، ص ٧٩؛ أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ٤ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٧ ـ ١٣٣٩هـ/ ١٩١٨ ـ ١٩٢٠م)، ج١، ص ٢٦٠؛ ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٢٣٩، وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **التاريخ الكبير**، ٣ج (حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف، ١٣٦٠ ـ ١٣٦٤هـ/ [١٩٤١ ـ ١٩٤٤م])، ج١، القسم١، ص ٢٢١. انظر أيضاً: الذهبي، في: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* (ZDMG), vol. 44 (1890), p. 435.

(١١٠) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٩؛ ابن كثير، المصدر نفسه، ج٩، ص ٧٤٤؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي]**، ج١، ص ٤٥٢؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي: المصدر نفسه، ص ٧٣، **وتذكرة الحفاظ**، ٤ج في ٢، ط٢ (حيدر آباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤هـ/ ١٩١٤ ـ ١٩١٥م)، ج١، ص ١٠٢.

(١١١) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٩، ص ٣٤٤.

(١١٢) الذهبي، في: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, p. 435.

(١١٣) انظر: ابن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، ج٤، القسم١، ص ٩٢ وج٥، ص ١٥٨؛ أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، [تحقيق كارلوس يوهانس تورنبرغ]، ١٢ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٥١ ـ ١٨٧١)، ج٢، ص ١١٩؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**=

درس الزهري على أعلام المحدثين، وهو يضع أربعة منهم في منزلة خاصة من الاحترام والتقدير، ويكثر الأخذ عنهم، وهم: سعيد بن المسيب[114]، وأبان بن عثمان[115]، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعروة بن الزبير. وكان يراهم «أربعة بحور» للعلم[116]. ويروى أنه وعى علمهم وأضاف دراساته إلى ذلك[117].

واشتهر الزهري بقوة الذاكرة، وهي مهمة جداً في عصره، وحاول أن يقويها بتناول شراب العسل[118]. ويهمنا أكثر من ذلك اهتمام الزهري بتدوين ملاحظاته وما يسمع من أحاديث على «الألواح» و«الصحف» ليعين ذاكرته. وقد انتبه معاصروه لهذه الناحية عنده، وعدوا كتابته سبباً أساسياً في تفوّقه على أهل زمانه في العلم. وقد جاء في رواية أنه كان يكتب كل ما يسمع، وجاء في رواية أخرى أنه كان يكتب «سنن» الرسول(ﷺ) و«ما جاء عن أصحابه»[119].

اعتمد الزهري في «المغازي» على عروة بن الزبير بالدرجة الأولى. ودرس معه كما يبدو مدة غير قصيرة، وكان ينظر إليه باحترام خاص، ويراه «بحراً لا ينزف»[120]. ويشير البخاري إلى تأليف الزهري في المغازي بقوله: «حدثنا... موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال هذه مغازي رسول الله، فذكر الحديث»[121].

= وأنباء أبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي]، ج١، ص ٤٥١؛ ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٢٣٩؛ الذهبي: **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٧١، **وتذكرة الحفاظ**، ج١، ص ١٠٥؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ١٠ج (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣٢ ـ ١٩٣٨)، ج١، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١؛ ابن كثير، المصدر نفسه، ج٩، ص ٣٤٢، وابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ج٢، ص ٧٨.

(١١٤) حضر مجلسه بين ٦ و١٠ سنوات، انظر: الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٦٧.

(١١٥) انظر: البخاري، **التاريخ الكبير**، ج١، القسم١، ص ٤٥١.

(١١٦) أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ج ٨، ص ٩٢ ـ ٩٣.

(١١٧) المصدر نفسه، ج٨، ص ٩٢، وابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج٧، ص ٦٥.

(١١٨) الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٦٩؛ ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٢٦٠؛ البخاري، **التاريخ الكبير**، ج١، القسم ١، ص ٢٢١، وابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ج٢، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(١١٩) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٦٨؛ ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج٧، ص ٦٨؛ ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٢٤٢، وأبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، **كتاب الأنساب لأبي سعد** [نسخة مصورة عن مخطوط المتحف البريطاني]، مع مقدمة بقلم د. ص. مرغليوث، مجموعة ج. ب. التذكارية، ٢٠ (ليدن: مطبعة بريل؛ [١٩١٢])، ص ٢٨١.

(١٢٠) البخاري، المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٢؛ الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٣، ص ٣٦٠؛ الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٥، وابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ج٧، ص ٦٥.

(١٢١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، ٨ج (القاهرة: بولاق، ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م)، ج٥، ص ١٤.

وذكر السخاوي أن الزهري روى المغازي عن عروة(١٢٢). وتحدث حاجي خليفة عن مغازي الزهري فقال: «منها (أي المصنفات في المغازي) مغازي محمد بن مسلم الزهري»(١٢٣). هذا، وروايات عروة هي المصدر الأول للزهري في ما وصل إلينا من مغازيه.

وإلى جانب عروة يكثر الزهري من الرواية عن سعيد بن المسيّب(١٢٤)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة(١٢٥)، كما أنه يروي عن آخرين كثيرين(١٢٦).

ويظهر أن الزهري قام ببحث واسع في المدينة عن أحاديث الرسول(ﷺ) وأصحابه، وساعده في ذلك مكانته الاجتماعية وذاكرته القوية واستعانته بالكتابة. ولم يقصر دراسته وسؤاله على المحدّثين، بل سأل كل من يمكن أن يكون عنده حديث أو خبر ويصحّ الوثوق به. فكان يغشى المجالس، ويزور الأشخاص في دورهم لهذا الغرض. يقول الذهبي: «قال إبراهيم بن سعد: قلت لأبي بم فاتكم الزهري؟ قال: كان يأتي المجالس من صدورها ولا يأتيها من خلفها، ولا يبقي في المجلس شاباً إلا ساءله ولا كهلاً إلا ساءله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقي شاباً ولا كهلاً ولا عجوزاً ولا كهلة إلا ساءلهم حتى يحاول ربات الحجال»(١٢٧).

ولسنا بصدد بحث منزلته الكبيرة كمحدّث وفقيه(١٢٨)، بل سنقصر بحثنا على

---

(١٢٢) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل] التاريخ**، ص ٨٨، وفتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ٢ج (القاهرة: [د. ن.]، ١٣٥٦هـ/[١٩٣٧م])، ج١، ص ٨١.

(١٢٣) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مج٢، ص ١٧٤٧.

(١٢٤) الواقدي، **المغازي**، ص ١٥١، ٢١٩، ٤٢١، ٤٣٦، ٥٦٢، ٨٢٨، ٨٦٩، و١٠٢٥؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٥ ـ ٢٦، ٦٧ و٩٧، والطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، المصدر نفسه، ج١، ص ١٨١٥.

(١٢٥) الواقدي، المصدر نفسه، ص ٣٨٣، ٥١٩، ٦٥٧ و٨١٦، والطبري، ج١، ص ١٨٣٤.

(١٢٦) مثل ابن كعب بن ملك وأنس بن مالك ومحمد بن جبير بن مطعم وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومالك بن أوس الحدثان، انظر: المصدران نفسهما، ص ١٦٢، ٢٠٨، ٢٤٩، ٣٨١ و٧٥٤، وج١، ١٠١٩، ١٥٦٩ و١٨٢٩ على التوالي؛ ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج١، ص ٣٠، ١٤٢ و٢٣١ وج٢، ص ١٤٥، وأبو محمد عبد الملك بن هشام، **سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق فرديناند وستنفلد، ٢ج (غوتنغن: [د. ن.]، ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠)، ص ٤١٢.

(١٢٧) الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٦٩.

(١٢٨) الذهبي: المصدر نفسه، ص ٦٨ و٧٠، **وتذكرة الحفاظ**، ج١، ص ١٠٤ ـ ١٠٥؛ ابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ج٢، ص ٧٧ ـ ٧٨؛ الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٣، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١؛ ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣، وهوروفتس، **المغازي الأول ومؤلفوها**.

آثاره كمؤرخ. ويكفي أن نذكر بعض ما قيل عنه، فقد «حفظ علم الفقهاء السبعة»، وأنه «ما له في الناس نظير» كما قال مالك بن أنس، وأنه «لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه» كما قال عمر بن عبد العزيز، وأنه «جمع من العلم ما لم يجمعه أحد قبله» كما روى إبراهيم بن سعد عن أبيه، و«أنه أعلم الناس» كما قال عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه(١٢٩)، وهذا يدل على علوّ شأنه وأثره.

لقد لخص الطبري دور الزهري المؤرخ بقوله «كان محمد بن مسلم الزهري مقدّماً في العلم بمغازي رسول الله (ﷺ) وأخبار قريش والأنصار، راوية لأخبار رسول الله (ﷺ) وأصحابه»(١٣٠). وسنتناول دراساته التاريخية مبتدئين بالمغازي.

يبدو أن دراسات الزهري تناولت حياة الرسول(ﷺ)، فابتدأت ببعض الحوادث السابقة للإسلام وبعضها يتصل بالرسول(ﷺ)، ثم حياة الرسول(ﷺ) في مكة وبعدها في المدينة. ويذكر السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) أن حجاج بن أبي منيع (ت بعد ٢١٦هـ/ ٨٣١م) روى المغازي عن الزهري(١٣١)، ويؤيده حاجي خليفة في أن الزهري وضع كتاباً في المغازي(١٣٢). وقد استعمل الزهري تعبير «السيرة»(١٣٣). كما استعمل تعبير «المغازي»(١٣٤) إلا أن التعبير الأول لا يرد عنواناً لمؤلّفه.

وليس لدينا من «مغازي» الزهري إلا مقتطفات وردت بالدرجة الأولى في ابن إسحق والواقدي والطبري والبلاذري وابن سيد الناس. وفي ما يلي محاولة لوضع هذه المقتطفات في إطارها التاريخي لنحصل على هيكل تقريبي لهذه المغازي.

١ ـ قبل الإسلام

أ ـ يوم خلق آدم (الجمعة)، ويوم دخوله الجنة، ويوم إخراجه منها. رواية عن التواريخ من هبوط آدم إلى الأرض حتى مبعث الرسول(ﷺ)(١٣٥).

---

(١٢٩) انظر: ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٧، ابن كثير، المصدر نفسه، ج٩، ص ٣٤٢؛ البخاري، **التاريخ الكبير**، ج١، القسم١، ص ٦٢١؛ الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٦٨ و٧٢، واليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ص ٢٦١.

(١٣٠) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **المنتخب من كتاب ذيل المذيل**، ص ٩٧.

(١٣١) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل] التاريخ**، ص ٨٨.

(١٣٢) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مج٢، ص ١٧٤٧.

(١٣٣) أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ج١٩، ص ٥٩.

(١٣٤) الطبري، **المنتخب من كتاب ذيل المذيل**، ص ٩٧.

(١٣٥) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١١٢.

ب - ذكر نوح وانتشار أبنائه وذريته في الأرض وتوزيعها بينهم[(١٣٦)].

ج - تقويم أبناء إسماعيل أو العرب ابتداء من نار إبراهيم إلى عام الفيل، وأخيراً التقويم الهجري[(١٣٧)].

د - أخبار عن بعض الأنبياء[(١٣٨)]، ومناداة الله لموسى وذكره محمداً وأمته له[(١٣٩)]. موسى والخضر[(١٤٠)]. مرض أيوب[(١٤١)].

خبر نذر إبراهيم (عن كعب الأحبار) بتضحية ابنه إسحق، ومحاولة الشيطان أن يفسد ذلك[(١٤٢)].

وهذه القطع تظهر اهتمام الزهري بأخبار الأنبياء الماضين. ولا ندري إن كانت جزءاً من مغازيه، وإن كنا نستبعد ذلك.

هـ - بعض الروايات عن آمنة بنت وهب حين علقت بالرسول(ﷺ)[(١٤٣)]. وفاة عبد الله بن عبد المطلب عند أخواله في يثرب[(١٤٤)].

و - يذكر السخاوي[(١٤٥)] أن يونس بن يزيد (ت ١٥٩هـ/ ٧٧٥م) روى عن الزهري مشاهد النبي، أو الأحداث التي شهدها النبي قبل الإسلام مثل بناء الكعبة وحلف الفضول. وقد نفى الزهري حضور محمد بن عبد الله حرب الفجار[(١٤٦)]، وهذه الرواية بذاتها تؤيد ما ذكره السخاوي.

ز - خديجة بنت خويلد تتفق مع محمد بن عبد الله ليرأس قافلتها إلى الشام. زواجه من خديجة وعمره آنذاك[(١٤٧)].

---

(١٣٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠٠ - ٢١٠.

(١٣٧) المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٥٣.

(١٣٨) الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٣، ص ٣٧٢، وابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٣٤٨.

(١٣٩) الأصبهاني، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٧٥.

(١٤٠) البخاري، **صحيح البخاري**، ج١، ص ٢٧، والطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ٤١٩.

(١٤١) الأصبهاني، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٧٤.

(١٤٢) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٣.

(١٤٣) ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج١، ص ٢٥.

(١٤٤) المصدر نفسه، وابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص ٦.

(١٤٥) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل] التاريخ**، ص ٨٨.

(١٤٦) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٣.

(١٤٧) ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج١، ص ٤٧، و٥٠، والطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١١٥٤.

ح ـ ويورد الزهري روايات عن دلائل نبوة الرسول(ﷺ) منها خبر ملاك ينذر كسرى[١٤٨]، وكاهن يروي إنذاراً من صاحبه عن نهاية الوثنية، كما ينسب إلى عمر ابن الخطاب خبراً عن إحدى هذه الخوارق[١٤٩].

٢ ـ دور الرسالة

أ ـ الفترة المكية

١ ـ بدء نزول الوحي ـ (البدايات ـ الرؤيا الصادقة، التحنث في الخلوة، ونزول الوحي)، واضطراب الرسول(ﷺ) ورجوعه إلى خديجة، وذهابها به إلى ورقة ابن نوفل، وحديث ورقة. كيف أدرك الرسول(ﷺ) لأول مرة أن الله اختاره لرسالته[١٥٠]. أولى الآيات نزولاً وآخرها[١٥١]. انقطاع الوحي فترة وقلق الرسول(ﷺ) لذلك[١٥٢]. أول المسلمين[١٥٣].

٢ ـ فكرة عن نظرة قريش إلى دعوة الرسول(ﷺ) وفعالياته[١٥٤]. الرسول(ﷺ) يحاول نشر الدعوة بين قبائل أخرى، مثل كندة وبني عامر بن صعصعة، خلال المواسم وعدم نجاح هذه المحاولة[١٥٥].

٣ ـ الإسراء والمعراج[١٥٦].

---

(١٤٨) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٠١٤.

(١٤٩) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٤٥.

(١٥٠) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٤٧ ـ ١١٤٨ و١١٥٤؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ٨٤ ـ ٨٥؛ ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج١، ص ٢٤٩، والبخاري، **صحيح البخاري**، ج١، ص ١١٥.

(١٥١) ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ٨٨؛ الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٥٥، وأبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، **الفهرست**، تحرير غوستاف فلوغل واعتنى به بعد موته يوهانس روديغر وأوغست موللر، ٢ج في١ (ليبزيغ: فوغل، [١٨٧١ ـ ١٨٧٢])، ص ٢٥.

(١٥٢) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٥٥، وابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ٨٥.

(١٥٣) المصدران نفسهما، ج١، ص ١١٦٧، وج١، ص ٩١ على التوالي.

(١٥٤) ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ١١١ ـ ١١٢، وابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ٢٠٣.

(١٥٥) ابن هشام، المصدر نفسه، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٠٥ ـ ١٢٠٦ و١٢١٣.

(١٥٦) ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٢، ١٤٥ و١٤٨؛ ابن هشام، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤١، والبخاري، **صحيح البخاري**، ج٤، ص ٩٩.

٤ ـ الهجرة إلى الحبشة. أول من هاجر. موقف النجاشي من المسلمين. قريش ترسل وفداً ليقنع النجاشي بالتخلي عن المسلمين وفشل الوفد. تفاصيل أخرى عن النجاشي[١٥٧].

٥ ـ مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب (الزهري ضمن إسناد جمعي). وفاة أبي طالب[١٥٨].

٦ ـ بيعة العقبة ـ نص البيعة، وبداية الإسلام في المدينة[١٥٩].

ب ـ الفترة المدنية

١ ـ حديث الهجرة إلى المدينة وحادثة سراقة بن جشم[١٦٠]. المسلمون ينتظرون الرسول(ﷺ). ظروف وصول الرسول(ﷺ)، وتاريخه. بناء مسجد المدينة[١٦١]. أثر جو المدينة في المهاجرين وإصابة بعضهم بالحمى[١٦٢].

٢ ـ سرية عبد الله بن جحش. عدد وهوية المشاركين فيها[١٦٣]. نظرة الرسول(ﷺ) إلى الهجوم على القافلة[١٦٤].

٣ ـ بعض المعلومات عن نظرة اليهود إلى الرسول(ﷺ)[١٦٥]. موقف عبد الله ابن أبيّ (خشن وعدائي)[١٦٦]. تحويل القبلة إلى الكعبة[١٦٧]. فرض الصيام وتاريخه، وفرض زكاة الفطر[١٦٨].

---

(١٥٧) ابن هشام، المصدر نفسه، ص ٢١٧ ـ ٢٢٣، وابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٥، ١٢٦ و٢٩٢.

(١٥٨) ابن سيد الناس، المصدر رنفسه، ج١، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(١٥٩) المصدر نفسه، ج١، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(١٦٠) المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٧ ـ ١٥٨؛ البخاري، **صحيح البخاري**، ج٤، ص ٢٤٣، الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٢١٣.

(١٦١) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(١٦٢) المصدر نفسه، ص ٤١٧؛ الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٥٠ و١٢٥٦؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٥ ـ ١٨٦، والبخاري ، المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ و٢٥٦ ـ ٢٥٨ وج٥، ص ٤٣.

(١٦٣) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٧٣.

(١٦٤) ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٩، والواقدي، **المغازي** ص ١٠.

(١٦٥) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

(١٦٦) المصدر نفسه، ص ٥٩١.

(١٦٧) ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢١ و٢٣٦.

(١٦٨) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٩.

٤ ـ غزوة بدر ـ رواية الزهري جاءت ضمن إسناد جمعي[١٦٩]. تفاصيل أخرى تتصل ببدر ـ رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب عن القافلة القرشية[١٧٠]. اماء بن رحضة يعرض على قريش تقديم عشرة جمال، ويبدي استعداده لمساعدات أخرى. عمير بن وهيب، من عيون قريش، يتحدث عن نظام المسلمين وينصح قريشاً بالرجوع عن القتال ويؤيده عتبة بن ربيعة، ولكن أبا جهل يتدخل فترفض النصيحة، وتبدأ المقابلة مع المسلمين. دعوة أبي جهل حين يرى المسلمين. الرسول يرى قريشاً مقبلة. صلاته ودعاؤه على قريش[١٧١]. تفاصيل أخرى[١٧٢]، منها ذكر أول شهيد من المسلمين وأول شهيد من كل جماعة من المسلمين. الرسول يفحص ساحة القتال. عدد من استشهد من المسلمين، وعدد من أسر وقتل من قريش. وقت جلب أسرى قريش، وميل الرسول إلى معاملتهم بلطف[١٧٣].

٥ ـ غزوة السويق وتأريخها[١٧٤].

٦ ـ تدهور العلاقات مع اليهود وحصول نزاع معهم. الأوس تقتل كعب بن الأشرف[١٧٥]. تنافس الأوس والخزرج في مرضاة الرسول(ﷺ)، وقتل الخزرج لابن الحقيق اليهودي[١٧٦]. رعب اليهود ووضع «الكتاب» المشهور[١٧٧].

٧ ـ غزوة بني قينقاع على أثر نزول الآية **﴿وإما تخافنَّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾**. تفاصيل عن الغزوة وتاريخها ومعاملة بني قينقاع[١٧٨].

٨ ـ غزوات أخرى ـ غزوة قرارة الكدر ضد بني سليم وغطفان، بعد الهجرة بـ ٢٢ شهراً[١٧٩]. إرسال سرية ضد بني سليم في البحرين، بعد الهجرة بـ ٢٧ شهراً[١٨٠].

---

(١٦٩) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٢٩١ وما بعدها، وأبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ج٤، ص ١٧٠.

(١٧٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢١٢.

(١٧١) الطبري: المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٢٢ ـ ١٣٢٣، **وتاريخ الأمم والملوك**، ص ٤٣، ٤٥ ـ ٤٦ و٥٠.

(١٧٢) الواقدي، **المغازي**، ص ٦٢ و٨٢.

(١٧٣) المصدر نفسه، ص ٧٩ و١٠٩ ـ ١١١.

(١٧٤) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(١٧٥) المصدر نفسه، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

(١٧٦) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩.

(١٧٧) الواقدي، المصدر نفسه، ص ١٥١.

(١٧٨) المصدر نفسه، ص ١٣٩ ـ ١٤١، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٦٠.

(١٧٩) الواقدي، المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(١٨٠) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

٩ ـ معركة أُحُد ـ [رواية الزهري ضمن إسناد جمعي][(١٨١)]. مشاورات المسلمين حول البقاء في المدينة أو الخروج للقاء قريش[(١٨٢)]. رأي عبد الله بن أبي سلول (ابن أبيّ)[(١٨٣)]. انسحاب المنافقين وعدد المسلمين. القتال وانتشار إشاعة مقتل الرسول(ﷺ)، ثم يرى أحد المسلمين الرسول(ﷺ) بعد المعركة[(١٨٤)]. أبي بن خلف من قريش يحاول قتل الرسول(ﷺ)، ولكن الرسول(ﷺ) يبتدره ويقضي عليه[(١٨٥)]. تفاصيل عن استشهاد حمزة بن عبد المطلب[(١٨٦)]. الرسول(ﷺ) يفحص ساحة القتال[(١٨٧)].

١٠ ـ إخراج بني النضير، وهم قبيلة يهودية، من المدينة. ظروف ذلك وتاريخه والشروط التي تم بموجبها. أموال بني النضير ونوعها.

الرسول(ﷺ) يقسم ما غنم منهم بين المسلمين[(١٨٨)].

١١ ـ غزوة الخندق ـ [رواية الزهري ضمن إسناد جمعي][(١٨٩)]. صعوبة وضع المسلمين. الرسول(ﷺ) يفاوض بعض الجماعات المحاصرة للمدينة، وجهة نظر الأنصار ضد أية مساومة. المحاولة القرشية الوحيدة لاختراق خط دفاع المدينة وفشلها[(١٩٠)]. الرسول(ﷺ) يتخذ من مؤامرة بني قريظة ضد المسلمين وسيلة لإثارة

---

(١٨١) المصدر نفسه، ص ١٨٥؛ الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٨٤ وما بعدها، وابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج٢، ص ٢ وما بعدها.

(١٨٢) الواقدي، المصدر نفسه، ص ١٦٤ ـ ١٦٨.

(١٨٣) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ٥٩١.

(١٨٤) الواقدي، المصدر نفسه، ص ١٨٤ ـ ١٨٥؛ الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٤٠٦، وابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج٢، ص ٥ و١١ ـ ١٢.

(١٨٥) الواقدي، المصدر نفسه، ص ١٨٥ ـ ١٨٦، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٠٦ ـ ١٤٠٧.

(١٨٦) الواقدي، المصدر نفسه، ص ٢١٢.

(١٨٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٩؛ ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ٥٧٦، وابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج٢، ص ٢١.

(١٨٨) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٤٥١؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ١٨ ـ ٢١؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٨ و٥٠ ـ ٥١؛ الواقدي، المصدر نفسه، ص ١٥٨ وما بعدها، وأبو زكريا يحيى بن سليمان بن آدم، **كتاب الخراج**، صححه وشرحه أحمد محمد شاكر (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م).

(١٨٩) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٦٢؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ص ٥٨ وما بعدها، والواقدي، المغازي، ص ٣٨٧ وما بعدها.

(١٩٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٧٣، والواقدي، المصدر نفسه، ص ٤٢١ ـ ٤٢٤.

الشكوك بين أعدائه. العواصف ونهاية الحصار[١٩١].

١٢ ـ الهجوم على بني قريظة (القبيلة اليهودية الثالثة في المدينة) بعد الخندق مباشرة[١٩٢]، والشروط التي أخضعوا لها[١٩٣]. تفاصيل أخرى[١٩٤].

١٣ ـ إرسال سرية ضد بني لحيان ـ [الزهري في إسناد جمعي][١٩٥].

١٤ ـ حديث الإفك[١٩٦].

١٥ ـ سرية زيد بن حارثة على أمَ قِرَفة[١٩٧].

١٦ ـ صلح الحديبية ـ أهداف الرسول(ﷺ)، وعدد المسلمين الذين خرجوا من المدينة معه (وعدد الجمال للأضحية)[١٩٨]. الرسول(ﷺ) يعيّن طريق المسيرة، وقوف المسلمين عند الحديبية. الرسول(ﷺ) يبدي رغبة في مسالمة قريش. رد الفعل في قريش ووجهة نظرها. خزاعة علاقتها ودية مع المسلمين وتنقل وجهة نظرهم إلى قريش[١٩٩]. سير الرسل وجلّهم من جهة قريش بين الطرفين، وانطباعاتهم عن المسلمين. الرسول(ﷺ) يتكلم بلهجة دبلوماسية، ويؤكد نياته الطيبة، ويقترح الهدنة. مجيء سهيل بن عمرو أخيراً ليفاوض عن قريش، النقاش حول بعض الكلمات، النص النهائي للصلح وأسماء الشهود. تفاصيل أخرى، منها تردد بعض الصحابة في نحر الضحايا في الحديبية. تعليق الزهري على أهمية صلح الحديبية ونتائجه[٢٠٠].

---

(١٩١) المصدران نفسهما، ج١، ص ١٤٧٥ ـ ١٤٧٦، و٤٣١ ـ ٤٣٢ و٤٣٦ على التوالي.

(١٩٢) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٨٥، وابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٨.

(١٩٣) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٢٨٣.

(١٩٤) ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٤.

(١٩٥) الواقدي، **المغازي**، ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.

(١٩٦) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٥١٧ وما بعدها؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٨٧ وما بعدها، والبخاري، **صحيح البخاري**، ج٥، ص ٥٤ ـ ٥٦.

(١٩٧) الواقدي، المصدر نفسه، ص ٥٠٨، وابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(١٩٨) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٢٩؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣، وابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج٣، ص ٣٢٢.

(١٩٩) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٣١ و١٥٣٧؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٥؛ الواقدي، المصدر نفسه، ص ٥١٩ و٥٢٩ ـ ٥٣٠، وابن هشام، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(٢٠٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٤٩ ـ ١٥٥٠؛ ابن هشام، المصدر نفسه، ص ٧٤٠ ـ ٧٤٩؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٥ ـ ١١٩ و١٢١ ـ ١٢٢، والواقدي، المصدر نفسه، ص ٥٦٥ ـ ٥٧٠ و٥٧٢ ـ ٥٧٣.

١٧ ـ فتح خيبر ـ ظروف ذلك وتاريخ الفتح. الاتفاق مع خيبر، ودلائله الفقهية، ووجهة نظر أبي بكر وعمر في ذلك(٢٠١).

حادث في الطريق إلى خيبر(٢٠٢). معاملة فدك. غزوة مؤتة(٢٠٣). غزوات صغيرة(٢٠٤).

١٨ ـ فتح مكة ـ يبيّن الزهري دور خزاعة كحلفاء وعيون للرسول(٢٠٥)، تحالفهم مع الرسول(ﷺ) بعد الحديبية، اعتداء بكر وقريش حليفتها على خزاعة يكوّن السبب المباشر للحملة(٢٠٦). أبو سفيان يذهب إلى المدينة ليفاوض ويفشل. استعدادات الرسول(ﷺ) للحملة(٢٠٧). الرسول(ﷺ) يترك نائباً عنه في المدينة، ويقود الحملة. تاريخ الحملة وعدد الجيش ودخول الرسول(ﷺ) مكة منتصراً(٢٠٨). مسح الصور الموجودة داخل الكعبة وقرارات أخرى. مدة مكث المسلمين في مكة بعد الفتح(٢٠٩).

١٩ ـ غزوات تالية ـ غزوة هوازن، ثقة المسلمين بكثرة عددهم (قصة «ذات أنواط»)(٢١٠). تضعضع المسلمين في المعركة، نداء الرسول(ﷺ) للأنصار واستجابتهم، الفترة الحرجة في القتال ودعاء الرسول(ﷺ)، النصر(٢١١). توزيع

---

(٢٠١) ابن هشام، المصدر نفسه، ص ٧٧٩؛ الواقدي، المصدر نفسه، ص ٦٣٤ و٦٥٧؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٦ ـ ١٣٧، والبلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٢٧.

(٢٠٢) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٧٥.

(٢٠٣) ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٨؛ البلاذري، المصدر نفسه، ص ٥٩، وابن هشام، المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٥.

(٢٠٤) انظر غزوة القضية وسرية أبي العوجاء السلمي في: الواقدي، **المغازي**، ص ٦٧٠ وما بعدها. وكانت هاتان السريتان في سنة ٧هـ.

(٢٠٥) سرية إلى ذات اطلاء (سنة ٨ هـ)، انظر: ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٥٢.

(٢٠٦) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ٧٤٧ ـ ٧٤٩.

(٢٠٧) ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٥٢، والطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٦٢٠.

(٢٠٨) الواقدي، **المغازي**، ص ٧٣١؛ الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٢٨؛ ابن هشام، المصدر نفسه، ص ٨١٠، والبخاري، **صحيح البخاري**، ج٥، ص ٩٠.

(٢٠٩) الواقدي، المصدر نفسه، ص ٧٦٥ ـ ٧٦٦، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٦٥ ـ ١٥٦٦.

(٢١٠) ابن هشام، المصدر نفسه، ص ٨٤٤؛ الواقدي، المصدر نفسه، ص ٨١٨ ـ ٨١٩، وابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ١٩١، وج٢، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

(٢١١) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٦١ ـ ١٦٦٢؛ الواقدي، المصدر نفسه، ص ٨٢٦ ـ ٨٢٩، وابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج١، ص ١٩١.

الغنائم ورد السبي[٢١٢]. الحملة على تبوك - [الزهري في إسناد جمعي)][٢١٣].
تفاصيل منفردة[٢١٤]. فرض الجزية على (آيلة) و(آذرح) و(آذرعات)[٢١٥] و(تبالة) و(جرش)[٢١٦]. حملة على (دومة الجندل) وفرض الجزية عليها[٢١٧].

٢٠ - رسائل وسفارات - زيارة وفد كندة[٢١٨]. الرسول يرسل كتاباً إلى هرقل مع دحية الكلبي، وتفاصيل الموضوع. ويعطي الزهري أيضاً قصة رؤيا هرقل وميله للإسلام سراً، ويشير إلى أسقف لتأييد ذلك[٢١٩]. الرسول يرسل رسالة إلى كسرى فيمزقها، تعليق الرسول(ﷺ) على الخبر[٢٢٠]. كسرى يطلب إلى باذان حاكم اليمن أن يسير إلى الرسول وأن يطلب إليه أن يتوب أو يقتله. باذان يراسل الرسول(ﷺ) وتنتهي المراسلة بدخوله ودخول الأبناء (الفرس) في الإسلام، وذلك حين تحققت نبوءة الرسول(ﷺ) عن نهاية كسرى[٢٢١].

٢١ - بعض الاضطرابات. إرسال خالد بن الوليد ضد بني الحارث في نجران ودخولهم الإسلام[٢٢٢]. تميم ترفض دفع الصدقة، فيخضعها المسلمون، ويأتي وفدها إلى المدينة[٢٢٣].

٢٢ - تفاصيل خاصة بالرسول(ﷺ) - إشارات إلى أزواجه[٢٢٤]، وتوضيح بعض أسمائه[٢٢٥].

---

(٢١٢) الواقدي، المصدر نفسه، ص ٨٦٩ - ٨٧٠.

(٢١٣) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٩٢، والبخاري، **صحيح البخاري**، ج٤، ص ٩٩ - ١٠١ و١٠٤ - ١٠٥.

(٢١٤) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ٧٩٨، وابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج٢، ص ٢١٨.

(٢١٥) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٦٨.

(٢١٦) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٢١٧) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٢١٨) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٧٣٩.

(٢١٩) المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٦٥ - ١٥٦٦، والبخاري، **صحيح البخاري**، ج٤، ص ٢ - ٤.

(٢٢٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٧٢.

(٢٢١) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج١، ص ٧٩.

(٢٢٢) ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج٢، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢٢٣) الواقدي، **المغازي**، ص ٨٩٦ - ٩٠٣.

(٢٢٤) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٧٧٦، والبخاري، **صحيح البخاري**، ج٥، ص ١٧.

(٢٢٥) انظر: المصدران نفسهما، ج١، ص ١٧٨٨، وج٤، ص ١٦٢ على التوالي، وابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج١، ص ٣٠.

٢٣ ـ إشارة إلى حَجَّة الوداع وبعض المعلومات عنها[٢٢٦]. إعداد حملة أسامة ابن زيد[٢٢٧].

٢٤ ـ المرض الأخير للرسول. الرسول(ﷺ) يحس بأن أجله قريب، ويلمح إلى ذلك في خطاب من المنبر، ويؤكد على إرسال حملة أسامة.

العباس يطلب إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن يصحبه ليسألا الرسول(ﷺ) عمن يخلفه وعدم موافقة علي. تفاصيل أخرى[٢٢٨]. الرسول(ﷺ) يلقي نظرة على المسلمين في المسجد في آخر أيامه من الدنيا، ويفوّض إلى أبي بكر إمامة المسلمين في الصلاة[٢٢٩]. آخر ما عهد به الرسول(ﷺ) وانتقاله إلى دار الخلود، وتاريخ ذلك وعمره[٢٣٠]. أثر الوفاة. دفن جثمان الرسول(ﷺ) الكريم[٢٣١].

من هذا العرض الموجز يتبين أن الزهري أعطى أول إطار واضح للسيرة، وأنه رسم خطوطها بجلاء. فترك لمن بعده أن يكمل هذا الإطار في التفاصيل فقط. وخطته في المغازي (أو السيرة) تبدأ ببعض المواد المتّصلة بحياة الرسول(ﷺ) قبل بدء الرسالة، وربما أعطى نسبه ضمن ذلك[٢٣٢]. وبعد أن يشير إلى بعض الدلائل على مجيء النبوة ينتقل إلى بدء نزول الوحي. ثم يتناول فترة الرسالة، فيذكر بعض النواحي الهامة في الفترة المكية، الهجرة، الغزوات والسرايا، وفعاليات أخرى مثل السفارات والوفود، وأخيراً مرض الرسول ووفاته.

ويبدو أن الزهري لاحظ بصورة عامة التسلسل التاريخي للحوادث، وأعطى بعض التواريخ، مثل تاريخ الهجرة، وربما تواريخ بدر وأحد والخندق (إذ ترد رواياته ضمن إسناد جمعي، وتواريخ بعض الغزوات مثل قرارة الكدر وبني سليم

---

(٢٢٦) الواقدي، **المغازي**، ص ١٠٠١ و١٠٠٥ وما بعدها.

(٢٢٧) المصدر نفسه، ص ١٠٢٥.

(٢٢٨) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٠٠ و١٨٠٩ ـ ١٨١٠؛ ابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧، والبخاري، المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٥، وج٥، ص ١٣٧ و١٣٩ ـ ١٤١.

(٢٢٩) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٨١٣، وابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ١٠١٠.

(٢٣٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٨١٤ و١٨٣٤ ـ ١٨٣٥، والبخاري، **التاريخ الكبير**، ج١، القسم ١، ص ٨.

(٢٣١) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٣١؛ ابن هشام، المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦، والبخاري، **صحيح البخاري**، ج٤، ص ١٦٣.

(٢٣٢) انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١١٦.

وقينقاع وبني النضير وخيبر وفتح مكة، وتاريخ مجيء وفد كندة ووفاة الرسول(ﷺ)[٢٣٣]. وهذا الاهتمام بالتواريخ ساعد على تثبيت إطار السيرة عند الزهري.

إن وجهة الزهري في الأساس هي وجهة محدّث[٢٣٤]. فقد كان همه أن يحصل على «العلم» أو الأحاديث، وبضمنها الأحاديث التاريخية. وهو يرى أن العلم ضرورة اجتماعية ودينية، إضافة إلى أنه من أعمال التقوى[٢٣٥]، وبالتالي فإنه يكسب صاحبه شرفاً ومنزلة اجتماعية سامية[٢٣٦].

أما طريقته في تحقيق الأحاديث والروايات فتعتمد على الإسناد[٢٣٧]. وموقفه من الإسناد موقف محدّث متين في عصره، حيث يكتفي أحياناً برواية أحد التابعين، وحيث يسمح بحرية أكثر في الأحاديث التاريخية. لكن الزهري سار خطوة مهمة حين اتخذ الإسناد الجمعي، وذلك بجمع عدة روايات في قصة سهلة متسلسلة يتقدمها رجال الأسانيد، وهو بهذا خطا خطوة مهمة نحو الأخبار التاريخية المتصلة[٢٣٨].

وبعد هذا، فالزهري يكثر من ذكر الآيات القرآنية التي تتصل بما يورد من أخباره[٢٣٩]. بل إن روايات الواقدي عن الزهري تظهر بجلاء أن دراسة القرآن، وهو حافل بالإشارات إلى شؤون المسلمين في المدينة، كانت عاملاً آخر في ظهور الدراسات التاريخية[٢٤٠].

---

(٢٣٣) المصدر نفسه، ص ٨٥ ـ ٩٢.

(٢٣٤) انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٣٤٣، والذهبي، في: ***Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft***, p. 431.

(٢٣٥) يقول الزهري «الاعتصام بالسنّة نجاة» ويقول أيضاً «واعبد الله بشيء أفضل من العلم»، انظر: الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٧٢، وابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج١، ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٢٣٦) هناك قول ينسب إليه وإلى عروة هو «تعلموا العلم تسودوا به قومكم»، انظر: الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٥، والبخاري، **التاريخ الكبير**، ج١، ص ٣٢.

(٢٣٧) قال عمرو بن دينار: «ما رأيت انص للحديث من الزهري». انظر: الذهبي، في: ***Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft***, p. 431.

(٢٣٨) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٥١٧، وابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج٢، ص ٩٦.

(٢٣٩) انظر: الواقدي، **المغازي**، ص ١٥٦ ـ ١٥٧ و٥٦٢ ـ ٥٧٠، وابن سيد الناس، المصدر نفسه، ج٢، ص ٩٦ وما بعدها.

(٢٤٠) المصدران نفسهما، ص ٥٦٢ ـ ٥٧٠ و٥٧٢ ـ ٥٧٣، وج١، ص ٢٢٢ على التوالي.

ونستطيع أن نرى في روايات الزهري الفعاليات التي كانت بوحي إلهي والفعاليات البشرية العلمية وبخاصة في التفاصيل عن الغزوات[٢٤١]. ففكرة الجبر لم تكن هي الفكرة السائدة. والواقع أن رأي الزهري في صلح الحديبية يتضمن تأييداً لعمل لم يلق ما يستحق من تأييد في حينه[٢٤٢].

ويمكن القول إن روايات الزهري عامة تعطي معلومات واقعية متزنة عن الحوادث بأسلوب يتصف بالصراحة والبساطة والتركيز[٢٤٣]. وتقلّ فيها محاولات التفخيم أو المبالغة التي كثرت عند المؤرخين في ما بعد. ومع ذلك نحس ببوادر الاتجاه نحو التمجيد لديه[٢٤٤].

ومعلومات الزهري التاريخية على العموم مستقاة من الأحاديث. أما القصص الشعبي فقد عدّه مادة للتسلية أو المتعة[٢٤٥].

ولكن يظهر أن مواد أخرى تسربت إلى أخباره التاريخية، وإن كان ذلك إلى درجة محدودة.. ووجود هذه المواد يشعر بالبداية للتطورات التي ظهرت بعد عصر الزهري. فهناك شيء من أثر القصص الشعبي في بعض الأماكن مثل الخبر عن نظرة هرقل إلى الدين الجديد[٢٤٦]، والإنذار الذي سمعه كسرى[٢٤٧]، وقصة الكاهن الذي أنذره الشيطان[٢٤٨]، وتفاصيل حادث سراقة[٢٤٩]. كما أن اهتمام الزهري بأخبار الأنبياء الماضين وبأهل الكتاب[٢٥٠] ترك صدى خافتاً للإسرائيليات في كتاباته، وهنا يظهر كعب الأحبار كمصدر[٢٥١].

---

(٢٤١) الواقدي، المصدر نفسه، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢، والطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٧٣.

(٢٤٢) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٩٤.

(٢٤٣) عن «ذات أنواط»، انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ٨٩٤.

(٢٤٤) انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٥٤، ١٣٦٠، ١٣٦٠ و١٤٨٥.

(٢٤٥) حيث يقول «كان الزهري يحدث ثم يقول: هانوا أشعاركم وأحاديثكم فإن الأذن مجاجة والنفس محمضة». انظر: الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٧٣ ـ ٧٤، وابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٣٤٣.

(٢٤٦) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٦٥ ـ ١٥٦٦.

(٢٤٧) المصدر نفسه، ج١، ص ١٠١٤.

(٢٤٨) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٤٥.

(٢٤٩) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٢٥٠) «وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت لا يحسن إلا هذا...». انظر: ابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ج٢، ص ٨٨؛ ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٣٤٢، والأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٣، ص ٣٦٢.

(٢٥١) انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١١٢، ٢٠٠ ـ ٢٠١ و٢٩٣. ولكن يبدو أن مثل هذه الأخبار لم تكن جزءاً من مغازي الزهري.

يورد الزهري أحياناً قطعاً من الشعر في أخباره[٢٥٢]. وهذا طبيعي إذا تذكرنا أن الناس عامة يميلون إلى الشعر، وأنه كان عنصراً أساسياً في الثقافة. وكان الزهري نفسه مولعاً بالشعر[٢٥٣]، واشتهر بتضلعه فيه[٢٥٤]. ومع ذلك فإن مقدار الشعر في مغازيه محدود، واقتباسه له لا يدل على أي أثر لأسلوب قصص الأيام.

ولم تقتصر دراسات الزهري التاريخية على المغازي، بل شملت الأنساب وتاريخ صدر الإسلام. وقد عرف باطلاعه الواسع على الأنساب[٢٥٥]. وقد سأله خالد القسري أن يكتب أنساب العرب، فبدأ بأنساب مضر، ولكنه لم يتم ذلك[٢٥٦]. وأخذ عنه مصعب الزبيري في كتابه **نسب قريش**[٢٥٧]، وهذا يعزز قول قرة بن عبد الرحمن إنه كتب كتاباً في نسب قومه (أي قريش)[٢٥٨].

وتناول الزهري عهد الخلفاء الراشدين، إذ إن الأحداث الكبرى التي لعبت دوراً أساسياً في تطور الأمة، وكذلك سنن المدينة، كانت مسائل حيوية درسها الزهري. فهو يعطي معلومات مفصلة عن انتخاب أبي بكر، ويبين الأثر الذي تركه ذلك الانتخاب[٢٥٩]. ثم يعطي الخطاب الأول لأبي بكر مع فكرة عن سلوكه كخليفة[٢٦٠]. ويورد بعدئذ نظرة عليّ إلى الانتخاب. ثم بيعته في ما بعد، وطلب فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ أن ترث فدك[٢٦١]. وفي ما يخص عصر عمر بن الخطاب، يتناول بتفصيل إنشاء الديوان (ديوان الجند) وتنظيمه والأعطيات[٢٦٢]،

---

(٢٥٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٥٢ ـ ١٦٥٣، والواقدي، المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٢٥٣) الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٧٣، وابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٣٤٣.

(٢٥٤) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ج٤، ص ٤٩.

(٢٥٥) «وإن حدث عن الأعراب والأنساب لقلت لا يحسن إلا هذا». انظر: الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٣، ص ٣٦١؛ ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج١، ص ٨، وابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ج٢، ص ٧٨.

(٢٥٦) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٥٩.

(٢٥٧) أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، **نسب قريش**، عني بنشره إ. ليفي بروفنسال، ذخائر العرب؛ ١١ (القاهرة: دار المعارف، [١٩٥٣])، ص ٣.

(٢٥٨) قال قرة بن عبد الرحمن: «لم يكن للزهري كتاب إلا كتاب نسب قومه». انظر: الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٦٨.

(٢٥٩) وعن فورة التأثر على أثر وفاة الرسول(ﷺ)، انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٨٢٠ ـ ١٨٢٤، وابن هشام، **سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ**، ص ٦٧٣ ـ ٦٨٦.

(٢٦٠) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ و٢١٤٢ ـ ٢١٤٣.

(٦٢١) وعن وفاة أبي بكر، انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٢٥ ـ ١٨٢٧ و٢١٢٨.

(٢٦٢) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٥٠ و٤٥٥ وما بعدها.

ويحتمل جداً أنه تناول الشورى[٢٦٣]. ويعطي سن عمر وبعض خطبه[٢٦٤]. ثم يفصل في خلافة عثمان، فيتناول أولاً جمع القرآن[٢٦٥]، ثم يورد تفاصيل دقيقة عن الفتنة، ورواياته عنها مهمة، لأنها تعبر عن وجهة نظر المدينة للموضوع. ويبدو عثمان في رواية الزهري محبوباً خلال السنوات الست الأولى من خلافته ثم تبدأ الشكوى وتتجمع[٢٦٦]. ويفصل الزهري في ذكر الانتقادات الموجهة لعثمان[٢٦٧]، ومحاولته الرد عليها[٢٦٨]، والأثر السيئ لمروان بن الحكم[٢٦٩]، والانقسامات الخطيرة في المدينة[٢٧٠]، وتجمّع الغيوم فالعاصفة فنهاية عثمان[٢٧١]، ورد الفعل الذي تكوّن لدى الشخصيات الكبيرة في المدينة، وأخيراً انتخاب الإمام علي[٢٧٢]. ثم يعرض نظرة طلحة والزبير إلى الخليفة الجديد، ومفاوضتهما مع عائشة، وخروج الثلاثة إلى البصرة، والمفاوضات مع علي قبل القتال، وأخيراً وقعة الجمل[٢٧٣]. وبعد ذلك يتناول النزاع بين علي ومعاوية، ومعركة صِفّين، ثم التحكيم، واستيلاء معاوية على مصر[٢٧٤]. وأخيراً يذكر علاقة الحسن بالكوفيين، ومفاوضته مع معاوية، وينتهي بتنازل الحسن[٢٧٥].

ويظهر أن الزهري لم يعالج الفترة الأموية. ولكن يروى أن الوليد بن عبد الملك سأله عن أعمار الخلفاء الأمويين[٢٧٦]، كما أنه كتب أسنان هؤلاء الخلفاء ومدة حكم كل منهم لجده[٢٧٧]. ويأخذ الطبري عنه (وهذا آخر ما أخذه عنه) مدة خلافة

---

(٢٦٣) انظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢١.

(٢٦٤) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ٢٧٣١، ٢٧٥٧ ـ ٢٧٥٨ و٢٧٩٨.

(٢٦٥) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٢٤.

(٢٦٦) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٤٦٢، و**أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٥

(٢٦٧) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٦ ـ ٢٧، ٣٨ ـ ٣٩ و٨٨ ـ ٨٩.

(٢٦٨) المصدر نفسه، ص ٢٦، ٦٧ وما بعدها و٨٩.

(٢٦٩) المصدر نفسه، ص ٦٢ و٦٧ ـ ٦٩.

(٢٧٠) المصدر نفسه، ص ٢٦ و٨٨ ـ ٩٠.

(٢٧١) المصدر نفسه، ص ٦٢، ٦٧ ـ ٧٠، ٨٥، ٩١ و٩٧، والطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ٣٠٥ ـ ٣١٢ و٢٨٧١.

(٢٧٢) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص ٦٩ ـ ٧١ و٩١ ـ ٩٢.

(٢٧٣) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠٦٩، ٣١٠٢ ـ ٣١٠٣ و٣١٨٥ ـ ٣١٨٧.

(٢٧٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢٤١ ـ ٣٢٤٢، ٣٣٤١ ـ ٣٣٤٣ و٣٣٩٠ ـ ٣٣٩٢.

(٢٧٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ١ و٥ ـ ٧.

(٢٧٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٩.

(٢٧٧) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٢٨.

الوليد بن عبد الملك[٢٧٨].

إن هذا القسم من دراسات الزهري يدل على أن الاهتمام بتجارب الأمة كان عاملاً آخر له أهميته في نشأة الكتابة التاريخية. فمبدأ الإجماع، وظهور الأحزاب السياسية والجدل بينها حول الأحداث الماضية وبخاصة «الفتنة»، ومسألة الخلافة وهل هي بالانتخاب أم بالوراثة، ومشكلة التنظيم الإداري وبخاصة تنظيم الضرائب[٢٧٩]، والديوان ـ كل هذه المسائل كانت تتطلب الإيضاح بوساطة الدراسة التاريخية. والزهري يقدم لنا روايات المدينة. وهذه الروايات بصورة عامة تظهر الأمة على صواب. فمثلاً نفهم منه أن الرسول(ﷺ) لم يسمِّ أحداً بعده لقيادة الأمة، فقررت مبدأ الانتخاب لا الوراثة. وانتخبت الأمة أبا بكر، حتى إنّ علياً لم يرتح أول الأمر للنتيجة، ثم بايعه في ما بعد مختاراً. وهو يرينا أبا بكر وعمر مثلين ممتازين للصلاح. ولكن مشكلة الفتنة فيها تعقيد كبير، والشكاوى من عثمان لها بعض المسوِّغ في أعماله. ولكن الصورة التي يعطيها ليست قائمة بالشكل الذي تظهر به في روايات أخرى. ويتضح من رواياته أن المدينة انقسمت على نفسها خلال الفتنة، وأن علي بن أبي طالب اتخذ موقف الناصح في البدء، ثم اعتزل، ووقف جانباً خلال العاصفة، ولكنه انزعج للغاية لمقتل عثمان. وانتخب علي لأنه المرشح الطبيعي، لمنزلته ومزاياه. وعند الحديث عن خروج طلحة والزبير، تقف الروايات التي يوردها الزهري بجانب علي، وتلقي ظلاً خفيفاً على الثوار. وفي النزاع بين علي ومعاوية، تبدو قضية علي هي العادلة مع إظهار معاوية بمظهر الدهاء. ولكن الزهري يروي أن الحسن تنازل لمعاوية عن الخلافة، وبذلك يختم القصة. إن الملاحظات المارة تظهر أن الزهري لم يكن متأثراً بالحزبية السياسية، وأنه حاول أن يقدم صورة للحوادث كما تراها المدينة. وهنا لا بد من أن نقول كلمة عن علاقات الزهري بالأمويين[٢٨٠].

يذكر اليعقوبي أن عبد الملك بن مروان حاول خلال النزاع مع ابن الزبير أن يمنع الشاميين من الذهاب إلى الحج، وليسند موقفه نسب إلى الزهري حديثاً يجيز الحج إلى المسجد الأقصى[٢٨١]. والحديث بذاته مشكوك فيه، كما أن الزهري كان

---

(٢٧٨) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٢٦٩.

(٢٧٩) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٩ ـ ٢٠، ٥٩، ٦٨، ٨٠ و٣٨٤.

(٢٨٠) انظر: الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٧٢. أما ملاحظات كولدتسيهر في كتابه **دراسات إسلامية** فهي ليست دقيقة.

(٢٨١) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، تحرير مارتن ثيودور هوتسما، ٢ج (ليدن: مطبعة بريل، [١٨٨٣]، ج٢: **التاريخ الإسلامي حتى المعتمد على الله العباسي**، ص ٣١١.

شاباً في ذلك الوقت ـ حوالى ٧٢ ـ ٧٣هـ ـ ولم يكن قد اشتهر بعد. والروايات تذكر أن الزهري سافر إلى دمشق، والتقى عبد الملك عن طريق المصادفة، وكانت عند عبد الملك مشكلة فقهية خاصة، ولم يكن عبد الملك يعرفه، ولكنه أعجب بعلمه وذكائه خلال المقابلة، وكافأه بدفع ديونه وبإعطائه هدية، ثم نصحه أن يتابع دراسته، فرجع الزهري إلى المدينة[٢٨٢]. وهذه الرواية تدل على أنه كان طالب علم آنئذٍ، كما أنه لا ينتظر أن ينصحه الخليفة خلال النزاع مع ابن الزبير بالعودة إلى المدينة، إذا كانت له تلك الأهمية التي تبدو في رواية اليعقوبي. ومن ناحية أخرى، توجد رواية عن الزهري تدل على أنه كان ينتقد عبد الملك خلال فترة النزاع مع ابن الزبير[٢٨٣]. ولذا فإننا لا نستطيع قبول رواية اليعقوبي، بل نأخذ رواية الزهري نفسه، إذ يقول «قدمت دمشق زمن تحرّك ابن الأشعث»[٢٨٤]، حوالى ٨٠هـ، أي سبع أو ثماني سنوات بعد ثورة ابن الزبير.

ومن المحتمل أن دراسات الزهري أبقته طويلاً في المدينة، مع قيامه أحياناً بزيارات متقطعة إلى البلاط الأموي. ثم نقل سكناه إلى أدامة جنوبي فلسطين، قرب حدود الحجاز، وكان يقوم من هناك بزيارات للحجاز ولدمشق (البلاط الأموي) «لعلمه»[٢٨٥]. وكان عمر بن عبد العزيز يحترمه كثيراً[٢٨٦]. ويرجح أنه استقر في دمشق في زمن يزيد بن عبد الملك وهشام. وقد عينه يزيد بن عبد الملك قاضياً. وكانت صلاته وثيقة بهشام بن عبد الملك الذي جعله مؤدباً لولده، وهذا دليل على زيادة قوة الاتجاه الإسلامي. وطلب إليه هشام أن يملي الحديث لفائدة أولاده[٢٨٧]، كما طلب في ما بعد من كاتبين أن يصحباه، ويحضرا دروسه، وأن يدوّنا أحاديثه، ففعلا ذلك مدة سنة[٢٨٨]. ولعل هذا يفسر وجود جل تآليفه في خزانة كتب البلاط

---

(٢٨٢) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٧٠؛ ابن قتيبة، **المعارف**، ٢٢٨ و٢٣٩؛ ابن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، ج٧، ص ١٥٧؛ ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١. ويضيف ابن كثير أن عبد الملك خصص له راتباً بناء على طلبه.

(٢٨٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ص ١٦٣.

(٢٨٤) البخاري **التاريخ الكبير**، ج٤، ص ٩٣.

(٢٨٥) الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٧٠؛ ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢، وابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ج٢، ص ٧٩.

(٢٨٦) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٨، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق شارلز كتلر توري، سلسلة الدراسات الشرقية، جامعة يال؛ ٣ (ليدن: مطبعة بريل، [١٩٢٢])، ص ١٠٤.

(٢٨٧) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤٢، والذهبي، المصدر نفسه، ص ٧٠ ـ ٧١.

(٢٨٨) الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٣، ص ٣٦١.

الأموي. ولكننا نلاحظ من نقاش حاد جرى بينه وبين هشام أن الزهري لم يقع تحت تأثير الأمويين. فقد سأله هشام عن المشار إليه بالآية **﴿والذي تولى كبره منهم﴾**[٢٨٩]، فقال الزهري هو عبد الله بن أبي. فقال هشام: كذبت، هو علي. قال الزهري: «أنا أكذب! لا أبا لك، فوالله لو ناداني مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت»[٢٩٠]. هذا هو الزهري العالم.

ولم تقتصر خدمة الزهري للدراسات التاريخية على نظرته التاريخية ودراسته لتاريخ صدر الإسلام، بل قدّم خدمة كبرى لعلم التاريخ بتدوين أحاديثه. وفي داره كانت كتبه تحيطه من كل جانب[٢٩١]. كما أن خزانة الكتب الأموية ضمت أحمالاً من «دفاتر» علمه، كتبت لهشام بن عبد الملك[٢٩٢]. أما ما ينسب إليه من أنه قال: «كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا عليه الأمراء فرأيت أن لا أمنعه مسلماً»[٢٩٣]، فيبدو أنه صدى لآراء المحدثين في ما بعد. والحقيقة أن الزهري اعتاد أن يكتب أحاديثه ورواياته مذ كان طالب علم[٢٩٤]. والرواية التالية، وهي معاصرة، تعدّ كتابته لعلمه أمراً طبيعياً. عن الليث «قلت لابن شهاب: يا أبا بكر لو وضعت للناس هذه الكتب ودوّنت فتفرغت. فقال (الزهري): ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري ولا بذله بذلي»[٢٩٥]. وقد أكسب الزهري الكتابة قيمة حين قال: «القراءة على العالم والسماع عليه سواء إن شاء الله»[٢٩٦]. وروى عبيد الله بن عمر قال: «كنت أرى الزهري يعطي الكتاب، فلا يقرأه، ولا يقرأ عليه، فيقال نروي هذا عنك، فيقول: نعم»[٢٩٧]. وقد أدرك مالك بن أنس دور الزهري في الكتابة فقال: «أول من دوّن

---

(٢٨٩) **القرآن الكريم**، «سورة النور،» الآية ١١.

(٢٩٠) الذهبي، **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**، ص ٧٢.

(٢٩١) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١، واليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج١، ص ٢٦١.

(٢٩٢) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٧٢؛ ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٣٤٤، والأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٣، ص ٣٦١ و٣٦٣.

(٢٩٣) «كنا لا نطمع أن نكتب عن الزهري حتى أكره هشام الزهري فكتب لبنيه، فكتب الناس الحديث». وقال الزهري: «كنا نكره الكتب حتى أكرهنا عليه السلطان فكرهنا أن نمنعه عن الناس». انظر: المصادر نفسها، ص ٦٩؛ ج٩، ص ٣٤١، وج٣، ص ٣٦٣ على التوالي.

(٢٩٤) انظر ص ٧٩ من هذا الكتاب في الأصل.

(٢٩٥) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٧٢ ـ ٧٣.

(٢٩٦) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٩، ص ٣٤٤.

(٢٩٧) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٦٩ ـ ٧٠.

العلم ابن شهاب»[٢٩٨]. وهذه الكتابة فتحت الطريق للآخرين.

بعد هذا يتضح أن الزهري وضع خطوط كتابة السيرة النبوية وإطارها، وقام بدور مهم في ضبط أحاديث المدينة ورواياتها. وإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ فإن الزهري أسّس المدرسة التاريخية في المدينة. ويمكننا أن نؤكد أن أسس المغازي وضعت بدراساته الجدية، ولم تكن وليدة قصص القصّاص أمثال وهب بن منبّه، كما رأى البعض. وقد سار تلاميذه مثل موسى بن عقبة وابن إسحق في الطريق الذي رسمه، ومع أن ابن إسحق أخذ كثيراً من مادته من القصص الشعبي ومن الإسرائيليات وبذلك انحطت سويته التاريخية، إلا أن روايات الزهري بقيت المادة الأساسية في سيرته.

ويتضح من دراسات الزهري أيضاً أن الاهتمام بتجارب الأمة وخبراتها كان عاملاً آخر للدراسة التاريخية، وهنا نحس أن البدايات البسيطة التي بدأها عروة نمت وأثمرت لدى الزهري.

وأخيراً ساعدت كتابة الزهري لعلمه على وضع الدراسات التاريخية على أساس ثابت، وأدت إلى حفظ الروايات التاريخية الأولى.

---

(٢٩٨) ابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، ج٢، ص ٧٨، والأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٣، ص ٢٦٠.

الرسالة الثالثة
بداية القَصص التاريخي
وَهَب بن مُنبِّه

إنّ دراسة وهب بن منبّه تخرج بنا عن نطاق بحث علم التاريخ عند العرب. ولكن وضعه من قبل بعض الباحثين في هذا النطاق[1]، وتأكيد البعض أهميته في السيرة[2]، دفعانا إلى بحثه هنا، لنبيّن بوضوح أنه لم يعدّ من أهل المغازي، وأن حقله وأثره هو في نطاق القصص والإسرائيليات.

ولد وَهَب بن منبّه في ذمار باليمن على بعد مرحلتين من صنعاء. وهناك اختلاف في تاريخ مولده ووفاته. فالروايات تتباين في وفاته بين ١١٠هـ و١١٤هـ، ويبدو أن التاريخ الثاني هو الراجح، ويؤكد ابن أخيه عبد الصمد بن معقل أنه توفي في ١١ محرم ١١٤هـ/ ٧٣٢م[3]. ويذكر الذهبي أنه ولد في خلافة عثمان، وهذا يجعلنا نميل إلى قبول الرواية بأنه توفي وعمره ٨٠ سنة، فيكون تاريخ ولادته سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥م[4].

---

(١) جوزف هوروفتس، **المغازي الأول ومؤلفوها**، ترجمة حسين نصار (القاهرة: البابي، [١٩٤٩])، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) انظر مادة «سيرة،» في: **دائرة المعارف الإسلامية**.

(٣) انظر: أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ٤ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٧ ـ ١٣٣٩هـ/ ١٩١٨ ـ ١٩٢٠م)، ص ٢٥؛ شهاب الدين أبو عبد الله بن عبدالله ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، نشره مرغليوث، ٧ج (ليدن: [مطبعة بريل]، ١٩٠٧ ـ ١٩٢٧)، ج٧، ص ٢٣٢؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **المعارف** (القاهرة: [د. ن.]، ١٩٣٤)، ٢٣٣؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **التاريخ الكبير**، ٣ج (حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف، ١٣٦٠ ـ ١٣٦٤هـ/[١٩٤١ ـ ١٩٤٤م])، ص ١٦٤، والذهبي، في: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* (ZDMG), vol. 44 (1890), p. 438.

(٤) شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ١٢ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥هـ/[١٩٠٧م])، ج١١، ص ١٦٨.

ووهب من الأبناء، فأبوه منبّه من هراة بخراسان، أرسل إلى اليمن زمن كسرى أنوشروان، وأسلم في حياة النبي (ﷺ) ونشأ وهب باليمن، وعرف بالميل إلى الزهد. يقول الذهبي: «لبث وهب أربعين سنة لم يسب شيئاً فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً»[٥]. وتكثر الروايات من الإشادة بتقواه وزهده. وكان قدرياً أول الأمر، ثم ترك ذلك بعد قراءته كتب الأنبياء الماضين كما يقول. ومع ذلك فترد إشارة إلى أنه بقي قدرياً إلى فترة متأخرة من حياته[٦]. وكان يعتقد بالأحلام[٧].

وولي وهب القضاء لعمر بن عبد العزيز[٨]. ويدّعي ياقوت أنه مات على قضاء صنعاء»، وهذا غير ممكن[٩]. وقد سجن وهب في الأعوام الأخيرة، كما أنه جلد، ولا نعرف بالتأكيد سبب ذلك[١٠] ويبدو أنه كان حادّ المزاج يتعصّب ليمانيته[١١].

ومن هنا يتبين أن وهباً كان بعيداً عن مدرسة المدينة، فهو يماني يختلف في وجهته عن أهل الحديث. ويبدو أنه كان من أصحاب الأخبار والقصص. فياقوت يدعوه «الأخباري صاحب القصص»[١٢]، وابن خلّكان يصفه بـ«صاحب الأخبار والقصص»[١٣]، ويؤيدهما الذهبي حين يقول: «كان أخبارياً علاّمة قاصّاً»[١٤]. ولذا نجده موضع نقد واختلاف، فبينما يوثّقه البعض ينتقده آخرون[١٥].

---

(٥) الذهبي، في: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* p. 439.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ج١١، ص ١٦٨؛ ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٧، ص ٢٣٢، وأبو محمد عبد الملك بن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، نشره ف. كرنكو (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٧) الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٤٠، وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ١٤ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨هـ/١٩٢٩ ـ ١٩٣٩م)، ج٩، ص ٣٩٣.

(٨) اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان**، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٩) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٧، ص ٢٣٢.

(١٠) ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج١١، ص ١٦٨، والذهبي، في: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, p. 442.

(١١) الذهبي، في: المصدر نفسه، ص ٤٤٠.

(١٢) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٧، ص ٢٣٢.

(١٣) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: [**ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي**]، ٢ج (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩٩هـ/١٨٨١م)، ج٢، ص ٢٣٨.

(١٤) الذهبي، في: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, p. 439.

(١٥) وقال الذهبي: «روى عن ابن عباس وجابر... على خلاف فيه». انظر: المصدر نفسه، ص ٤٣٨. وقال العجلي عنه إنه تابعي ثقة. وقال أبو زرعة والنسائي إنه ثقة. وذكره أبو حيان في الثقات. وعدّه ياقوت «من خيار التابعين، ثقة صدوقاً». انظر: ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج١١، =

أخذ وهب مواده من الروايات الشفوية ومن الكتب. وقد ادّعى أنه قرأ مجموعة واسعة من كتب الأنبياء، يختلف عددها في الروايات بين ٣٠ و٣٢، وبضعة وسبعين، و٩٢ و٩٣ كتاباً. ومن المتعذّر قبول مثل هذه الأخبار، كما يبدو من التباين الواسع في عدد الكتب، وكما يبدو من نسبتها[١٦]. وعلى كل فقد اشتهر باطّلاعه على كتب الأولين، فيقول ابن خلّكان: «كان شديد الاعتناء بكتب الأولين وأخبار الأمم وقصصهم»[١٧]. ويروى أن أخاه كان يشتري الكتب له. ويقول ابن كثير: «له معرفة بكتب الأوائل»[١٨] كما يذكر ياقوت: «أن وهباً كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات»[١٩].

ويلاحظ من الروايات المنسوبة إليه أن وهباً روى قطعاً من العهد القديم منقولة بصورة حسنة ومقتبسة في تفسير الطبري، وقطعاً من المزامير، وتدل بعض أخباره على معرفة بالتلمود[٢٠]. ويبين هوروفتس أنه روى أسماء سفر التكوين وأشخاصه طبقاً للنص العبري مع ملاحظة تحريفات الترجمة السريانية[٢١]. وهناك إشارات تدل

= ص ١٦٧، وأبو عبد الله محمد بن منيع بن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، عني بتصحيحه أوجين منوخ [وآخرون]، ٩ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٤ - ١٩١٨)، ج٦، ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

(١٦) اسماعيل... سمعت وهب يقول: لقد قرأت ٩٢ كتاباً أنزلت من السماء، ٧٢ منها في الكنائس في أيدي الناس، و٢٠ لا يعلمها إلا القليل. ويذكر ياقوت الحموي على لسانه «قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء»، وجاء في **التيجان** على لسانه «قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء»، ويعطي التفاصيل: «صحيفتين على آدم، ٥٠ صحيفة على شيث بن آدم، ٣٠ صحيفة على إدريس، صحيفتين على نوح، ٤٠ صحيفة على هود، صحيفتين على صالح، ٢٠ صحيفة على إبراهيم، ٥٠ صحيفة على موسى، الزبور على داود، الإنجيل على عيسى، الفرقان على محمد (ﷺ)». و«قرأت ٣٠ كتاباً نزلت على ٣٠ نبياً». «قرأت نيفاً وتسعين... إحدى وتسعين». انظر: الذهبي، المصدر نفسه، ص ٤٣٩؛ ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ج١١، ص ١٦٧؛ ابن سعد، المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٩٥؛ ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٢٣٣؛ ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٧، ص ٢٧٢؛ ابن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، ص ٢؛ شمس الدين محمد بن عبد الله السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ [أهل] التاريخ** (دمشق: القدسي، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، ص ٤٨، وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ١٠ ج (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣٢ - ١٩٣٨)، ج١، ص ٢٤.

(١٧) ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للإصلاح الكتبي]**، ج٢، ص ٢٣٨.

(١٨) ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج٩، ص ٢٧٦.

(١٩) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٧، ص ٢٣٢.

(٢٠) جواد علي، «موارد تاريخ الطبري،» **مجلة المجمع العلمي العراقي** (بغداد): السنة ١ (١٩٥٠)، ص ١٩٣.

(٢١) هوروفتس، **المغازي الأول ومؤلفوها**، ص ٣٣.

على معرفة وهب بالعبرية وربما بالسريانية[22]. ويبدو أنه أخذ من الإنجيل والكتب المسيحية معلومات عن ميلاد المسيح وحياته[23]. ثم إن معلوماته عن بداية المسيحية وانتشارها في اليمن تتصل بالنص السرياني لكتاب سمعان، مع التنميق الذي تتطلبه القصة الشعبية[24].

ويبدو أن الكثير من معلوماته مستقى من القصص عند المسيحيين واليهود. فيذكر الذهبي أنه كان «شديد العناية بالإسرائيليات»[25]. كما أنه أخذ الكثير من القصص الشعبي اليماني، كما سنلاحظ في ما بعد.

ولكن بعض معلومات وهب تختلف عن النصوص المقدسة. وقد لاحظ ابن قتيبة الفرق بين معلوماته عن بدء الخليقة وبين سفر التكوين. ومقارنة ابن قتيبة لمعلومات وهب تدل على أنه أضاف مادة إلى ما أخذه عن العهد القديم والنصوص، وعناصر هذه المادة تستند إلى شرح الآيات القرآنية، وإلى الإسرائيليات، وإلى تأملاته في كتب أهل الكتاب[26]. ويلاحظ أن رواياته يعارض بعضها بعضاً، مما يدل على أن هذه أصابها التحريف أو الإضافة بعده[27]. ويعدّ السخاوي روايات وهب غير صالحة للمؤرخين[28]. ويلاحظ أن وهباً لم يكن يترفع عن الادعاء في ما لا يعرف، كما في قراءته لكتابة يونانية في مسجد دمشق للوليد بن عبد الملك[29].

وتنسب إلى وهب بعض المؤلفات عن فترة ما قبل الإسلام، مع اختلافات في التسمية. فابن سعد يذكر أنه ألف «أحاديث الأنبياء والعباد وأحاديث بني

---

(٢٢) «نقينان» عبراني تفسيره باللسان العربي «مشتري»، «مهليل» عبراني تفسيره باللسان العربي «محموده»، «مالالي» سرياني تفسيره بالعربية «مسيح الله». ورد في: ابن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، ص ٢٨.

(٢٣) انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر؛ راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر، ١٥ ج (القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٤ ـ ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨م)، ج١، ص ١٠٢، و**الكتاب المقدس**، «سفر التكوين،» الأصحاح ١٠، الآية ٢١ وما بعدها.

(٢٤) وعن مولد المسيح وحياته، انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ٧٧ و١٤٧، وج١٦، ص ٤٣، Axel Moberg, *The Book of the Himyarites*, (London: C.W.K. Gleerap, 1924).

(٢٥) الذهبي، في: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, p. 440

(٢٦) انظر: ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٨ ـ ٩ وما بعدها.

(٢٧) هوروفتس، **المغازي الأول ومؤلفوها**، ص ٣٢.

(٢٨) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل] التاريخ**، ص ٤٨.

(٢٩) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، طبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي، ٩ج (باريس: [د.ن.]، ١٨٦١ ـ ١٨٧٦)، ج٣، ص ٩٧.

إسرائيل»[٣٠]، وابن النديم يشير إلى **المبتدإ**، وينسبه إلى حفيده عبد المنعم[٣١]. وابن قتيبة يشير إلى **قصص الأنبياء ومبتدأ الخلق** أو **المبدأ** أو **المبتدأ**[٣٢]، والمسعودي يشير إلى **المبتدإ**[٣٣]. ولعل حاجي خليفة يشير إلى أقسام من المؤلف نفسه حين ينسب إلى وهب **قصص الأخبار وقصص الأنبياء، كما يشير إلى كتاب الإسرائيليات**[٣٤].

ويرى روزنثال أن كتاب **الإسرائيليات** قد يكون كتاب **المبتدأ** نفسه[٣٥]. ويبدو لنا من هذا ومن المقتطفات التي وصلت إلينا أن وهباً تناول بدء الخليقة وقصص الأنبياء والعباد. ولم يصل إلينا كتاب بما ذكر من عناوين، ولكن وصلت إلينا بعض آثاره مقتبسة في الطبري **التفسير والتاريخ** وابن قتيبة وابن إسحق وغيرهم. وفي حين تردنا الروايات في الطبري على الأكثر عن إسماعيل بن عبد الكريم بن عبد الصمد ابن معقل (أخي وهب) عن وهب، نجد كتاب **التيجان في ملوك حمير واليمن** برواية عبد المنعم (ت ٢٢٨هـ) بن إدريس ابن ابنة وهب.

ولا من بد أن نلاحظ أن روايات وهب وقصصه أصبحت، كما يبدو، إرثاً لعائلته التي حاولت نشرها وربما الإضافة إليها على يد عبد المنعم بن إدريس وإسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه (ت ٢١٠هـ)، ولعلهما لجآ إلى الوضع لتمجيد اسم وهب[٣٦]. ومن ناحية أخرى، صار وهب علماً في **الإسرائيليات** ويحتمل أن آخرين أضافوا إليه أو عدّلوا في قصصه، لأننا نحس بتناقض في

---

(٣٠) ابن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، ج٧، ص ٩٧.

(٣١) أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، **الفهرست**، تحرير غوستاف فلوغل واعتنى به بعد موته يوهانس روديغر وأوغست موللر، ٢ج في ١ (ليبزيغ: فوغل، [١٨٧١ ـ ١٨٧٢])، ص ١٣٨.

(٣٢) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ١، وابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج١، ص ٧٨٨.

(٣٣) المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٥، ص ١٢٧.

(٣٤) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** (لندن: بنتلي، ١٨٣٥ ـ ١٨٥٨)، ج٥، ص ٤٠، رقم ٩٨٢٦، وج٤، ص ٥١٨.

(٣٥) انظر: Franz Rosenthal, *A History of Muslim Historiography* (Leiden: Brill, 1952), p. 265, footnote no. 2, and Carl H. Becker, *Papyri* Schott-Reinhardt I (Heidelberg: [n.pb.], 1906), p. 8 ff.

(٣٦) عبد المنعم بن إدريس قاص مشهور، وضع قصصاً واشترى كتباً من ضمنها كتب السير وروى من قصصها ونسب ذلك إلى جده الأعلى وهب. وجاء في ابن سعد حديث «يكون في أمتي رجلان أحدهما وهب يهب الله له الحكمة»، وهو كما يلاحظ موضوع لتمجيد وهب. انظر: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **لسان الميزان**، ٦ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٩ ـ ١٣٣١هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م)، ج٢، ص ٧٣، و**تهذيب التهذيب**، ج١، ص ٣١٥، وابن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، ج٥، ص ٣٩٥.

الروايات المنسوبة إليه في المصادر الأولى مثل الطبري وابن قتيبة والمسعودي[٣٧].

ولنحاول تكوين مخطط أولي لمبتدإ وهب من مقابلة القسم الأول من كتاب **التيجان في ملوك حمير واليمن** بالروايات المنسوبة إلى وهب في **تفسير** الطبري و**تاريخه** وابن قتيبة.

١ ـ عمر الأرض، وخلق السموات والأرض والبحار في سبعة أيام[٣٨]. قصة آدم وحواء في الجنة[٣٩]. هبوط آدم إلى الأرض، ومعرفته بأن أولاده يعمرونها، وأن الله سيجعل بمكة «البيت حرماً آمناً»[٤٠]. أولاد آدم[٤١].

٢ ـ نوح وأولاده وانتشار ذريته في الأرض، والأقوام التي تنسب إليهم وألسنتهم[٤٢].

٣ ـ ويتابع وهب التوراة في قصص الأنبياء، بخاصة بني إسرائيل، مع تفسير الإشارات القرآنية، فيذكر إسحق بن إبراهيم وقصة يعقوب بن إسحق والأسباط من ذريته[٤٣]، وقصة موسى وهرون، وموسى في الوادي المقدس، وموسى وعصاه، وسحرة فرعون وبقرة بني إسرائيل، ووفاة موسى[٤٤].

٤ ـ توالي الأنبياء في بني إسرائيل. شدة أصابت بني إسرائيل وإنقاذهم على يد النبي حزقيال[٤٥]. كثرة الخطإ في بني إسرائيل وقصة التابوت والسكينة ودورهما في نصر بني إسرائيل. زوال التابوت ودور محنة لمدة ٤٠٠ سنة، حتى ظهور النبي شموئيل ورجوع التابوت. وشموئيل يبارك طالوت، ويصير ملكاً، ولكنه لا يحقق

---

(٣٧) انظر مادة «وهب بن منبه،» في: **دائرة المعارف الإسلامية**.

(٣٨) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دوغويه]، ١٥ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج١، ص ٣٦ ـ ٤٠، و**تفسير الطبري**، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١٢، ص ٤، وابن قتيبة، **المعارف**، ص ٨ ـ ٩.

(٣٩) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٠٦، و**تفسير الطبري**، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٧، ص ١٠٦، وج٨. ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٤٠) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٤١) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ١٠.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ١١ ـ ١٤، والطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ٢١١.

(٤٣) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص ١٦ ـ ١٧.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٠؛ الطبري: المصدر نفسه، ج١، ص ٤٧١ ـ ٤٧٤، و**تفسير الطبري**، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢؛ ج٢، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤، ٣٨٥ ـ ٣٨٦ و٣٨٨ وج١٦، ص ١٠٧ ـ ١٠٨، ١١٨ ـ ١١٩ و١٣٩ ـ ١٤١.

(٤٥) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١، ص ٥٣٦ و٥٣٩.

المشيئة، فتنتقل البركة إلى داود الذي يقتل جالوت ويصير ملكاً. تفاصيل عن داود[٤٦]. سليمان وصلته ببلقيس[٤٧]. ولد سليمان ومن بعدهما إلى زمن أرميا وخراب بيت المقدس على يد بختنصر[٤٨].

٥ ـ أنبياء إسرائيل التالون[٤٩]. ولادة السيد المسيح ومعجزاته، ودعوته لأصحابه إلى العشاء الأخير، ونبوءة المسيح عن أصحابه[٥٠].

وبصورة عامة يورد وهب قصص الأنبياء بصورة موافقة في خطوطها العامة لما جاء في كتب أهل الكتاب وقصصهم. وفي كتاب **التيجان في ملوك حمير واليمن** نجد قصصاً عربية عن بدء الوثنية[٥١] وعن عاد وعن مدينة إرَم[٥٢]. كما أخذ ابن قتيبة عنه في قصة إبراهيم ونمرود وهجرته وقصة إسماعيل[٥٣]، وكذا أصحاب أهل الكهف، وشعيب ومدين[٥٤]، وقد حدد ابن خلكان إطار اهتمامه حين قال: «وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك»[٥٥]. ويبدو أن ابن خلكان نظر إلى أخباره عن ملوك اليمن، إضافة إلى ما ذكرنا.

وقد ذكر ياقوت أن وهب بن منبه ألف كتاباً عنوانه **كتاب الملوك المتوَّجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم**[٥٦]. وقد رأى ابن خلكان هذا الكتاب ووصفه بأنه «من الكتب المفيدة»[٥٧]. ويحتمل أن هذا الكتاب كان الأساس

---

(٤٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٠١ ـ ٥٠٤، ٥٦١ وما بعدها و٥٧١ ـ ٥٧٢، والطبري، المصدر نفسه، ج٢، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٦ و٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(٤٧) الطبري، **تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٩، ص ٨١ ـ ٨٢، ٨٦، ٨٨، ٩٠ ـ ٩١ و٩٦ ـ ٩٧.

(٤٨) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٠ و٢٢ ـ ٢٣، وابن قتيبة، **المعارف**، ص ٢٠ ـ ٢٢.

(٤٩) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص ٢٢ ـ ٢٤.

(٥٠) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص ٢٠٥، وج٦، ص ٤٩، ١٦١، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٣ و٣٩٠.

(٥١) ابن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، ص ٢٠٣ وما بعدها و٢٠٧ وما بعدها.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٣٩ ـ ٤١.

(٥٣) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ١٥ ـ ١٦.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ١٩ ـ ٣٥.

(٥٥) ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي]**، ج٢، ص ٣٨٢.

(٥٦) شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله اقوت الحموي، **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء**، تحقيق د. ص. مرغليوت، سلسلة و. ج. التذكارية؛ ج٦، ٤ج، ط٢ (القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٢٣ ـ ١٩٢٦)، ص ٢٢٢.

(٥٧) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٨٢.

لكتاب **التيجان في ملوك حمير واليمن** الذي رواه ابن هشام منسوباً إلى وهب عن طريق عبد المنعم بن إدريس.

يتناول القسم الأكبر من كتاب **التيجان في ملوك حمير واليمن** قصة عرب الجنوب وماضيهم وأمجاد ملوكهم وهجرتهم. وقد جاء الكتاب بأسلوب قصصي مؤثر يشبه قصص قبل الإسلام، فهو شبه أدبي، ويتمشى في شعره ونثره مع أسلوب قصص الأيام.

ويقدم هذا الكتاب أسطورة يمانية شعبية مجيدة، هدفها كما يبدو أن تعطي صورة رائعة لعرب الجنوب، تجابه التفوق العام لعرب الشمال، وتعكس صورة للتفاخر بين الاثنين. فالكتاب يظهر «حمير في الأرض كالسراج المضيء في الليلة الظلماء»(٥٨). ونسمع بأن عرب الجنوب عرفوا التوحيد قبل الناس(٥٩)، وأن الصعب ذا القرنين كان يدعو في حروبه «إلى السيف أو الإيمان»(٦٠). ونلاحظ تقديس اليمانيين للكعبة، وحج بعض ملوكهم إليها(٦١). وقام ملوكهم بفتوحات عظيمة في أرجاء الأرض(٦٢). وينسب إلى أهل النبي السبق في استعمال الخط العربي(٦٣)، ونظم الشعر بالعربية، وعنهم أخذ عرب الشمال بعدئذٍ(٦٤). ويؤكد معرفتهم الحكمة(٦٥)، ومهارتهم وتفوقهم في الصنعة، وأن الناس تعلموها منهم(٦٦).

ومن هذا يتضح تمجيد الكتاب لليمانيين وإظهارهم بمظهر السُّبّاق في التوحيد

---

(٥٨) ابن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، ص ٦٢.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ١٦، ٣٥، ٤٦، ٧٠، ٨٦ ـ ٧٨. مثلاً يبين أن يعرب خليفة نبي الله هود «وقام بأمر الله بعده». الصعب ذو القرنين يشبه سليمان في أنه «تسخر له البهائم والأنعام والطير والهوام والوحوش». وحتى الريح تطيعه، ويصف (الصعب) بأنه نبي غير مرسل، وكذلك لقمان.

(٦٠) وكان الخضر يرشده في فتوحاته، انظر: المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٦٢) مثلاً عبد شمس بن يشجب، واسمه سبأ، فتح بابل وأرمينية والشام ووصل النيل وبنى مصر. حمير أمعن في المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس وفتح الشام والحبشة ومصر والمغرب إلى المحيط. الصعب ذو القرنين فتح في المغرب ـ السودان والحبشة والأندلس، وفي المشرق أرمينية وسمرقند وباب الأبواب ويأجوج ومأجوج، وبنى السد بينهم وبين الناس، وفتح الهند والصين، وأخيراً وصل ماء الحياء، انظر: المصدر نفسه، ص ٤٧ ـ ٤٨، ٥٢ ـ ٥٣ و٨٦ ـ ١٠٧.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٦٥) وهم أول من رجم في الحد حد الزنى، وأول من قطع يد السارق، انظر: المصدر نفسه، ص ٧٠ و٧٣ ـ ٧٤.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

والفتوحات واللغة والأدب والحكمة والصنعة. ومن الصعب تحديد دور وهب في ما ذكر، ولكنه على كل حال له أثر قوي(٦٧). وعلينا أن نلاحظ أن الكتاب يحوي قصصاً تعود لابن إسحق (عن طريق تلاميذه كالبكائي وأبي عباد الهمداني(٦٨)، وإلى أبي مخنف(٦٩)، وإلى محمد بن السائب الكلبي(٧٠)، وإلى عبيد بن شرية(٧١)، وإلى كعب الأحبار(٧٢) وآخرين غيرهم(٧٣). ويرد قسم كبير من الكتاب دون ذكر مصدر، ولعل بعض هذا أو أكثره يرجع إلى وهب بن منبه.

وقد ألف وهب في المغازي، وأشار إلى ذلك حاجي خليفة(٧٤). ووجد بيكر قطعة من مغازيه كما يبدو على ورق البردي مكتوبة بتاريخ ٢٢٨هـ وهي برواية عبد المنعم بن إدريس، وتبدأ بـ: «حدثني محمد بن بحر أبو طلحة قال: حدثنا عبد المنعم ابن إدريس عن أبيه عن أبي الياس عن وهب بن منبه»(٧٥). وهي تتناول الموضوعات الآتية: بيعة العقبة الكبرى، حديث قريش في دار الندوة، الهجرة ووصول النبي إلى المدينة، وغزوة بني خيثمة. وترجع الأخبار إلى وهب دون سند. وفيها نجد قصائد الوثنيين الذين ساهموا في الحوادث على غرار أسلوب «الأيام». ولا ندري إن كان وهب أهمل الإسناد كلياً، إذ إن صاحب **حلية الأولياء** أورد قطعتين لوهب: الأولى تتعلق بفتح مكة(٧٦)، والأخرى بوفاة الرسول(٧٧)، ذكر فيهما الإسناد مع العلم أن الرواية تأتي عن طريق عبد المنعم بن إدريس. وأسلوب القطعتين هو أسلوب القصص الشعبي عينه مع طابع أسطوري واضح.

والمهم هنا أن مغازي وهب بن منبه لا يشار إليها في كتب السيرة ولم ينظر إليها نظرة جدية. ووجهتها تختلف كلياً عن وجهة مدرسة المدينة. لقد كان وهب بن

---

(٦٧) انظر: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، **لطائف المعارف**، تحرير بيتر دو يونغ (ليدن: مطبعة بريل، [١٨٦٧])، ص ٢٦ حيث يدافع وهب عن اليمانيين بقوة.

(٦٨) ابن هشام، المصدر نفسه، ص ٦٥ ـ ٦٦، ٧٥، ١١٥، ١٢٨ و٢٥١.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ١٢٥، ١٨٠ و١٨٣.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ١٣٢، ٢١٢ ـ ٢١٣ و٢٤٠.

(٧١) المصدر نفسه، ص ٦٦ و٢٠٩.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ١١٠ ـ ١١٢.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ١١١، ١٣٥، ١٦٤ و٢٣٣.

(٧٤) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مج٢، ص ١٧٤٧.

(٧٥) Adolf Grohmann, *Arabic Papyri Hirbet el Mird*, bibliothèque du Muséon; v. 52 (Louvain: Publications universitaires, 1963), and Becker, *Papyri Schott-Reinhardt I*, pp. 1-3.

(٧٦) الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٤، ص ٧٩.

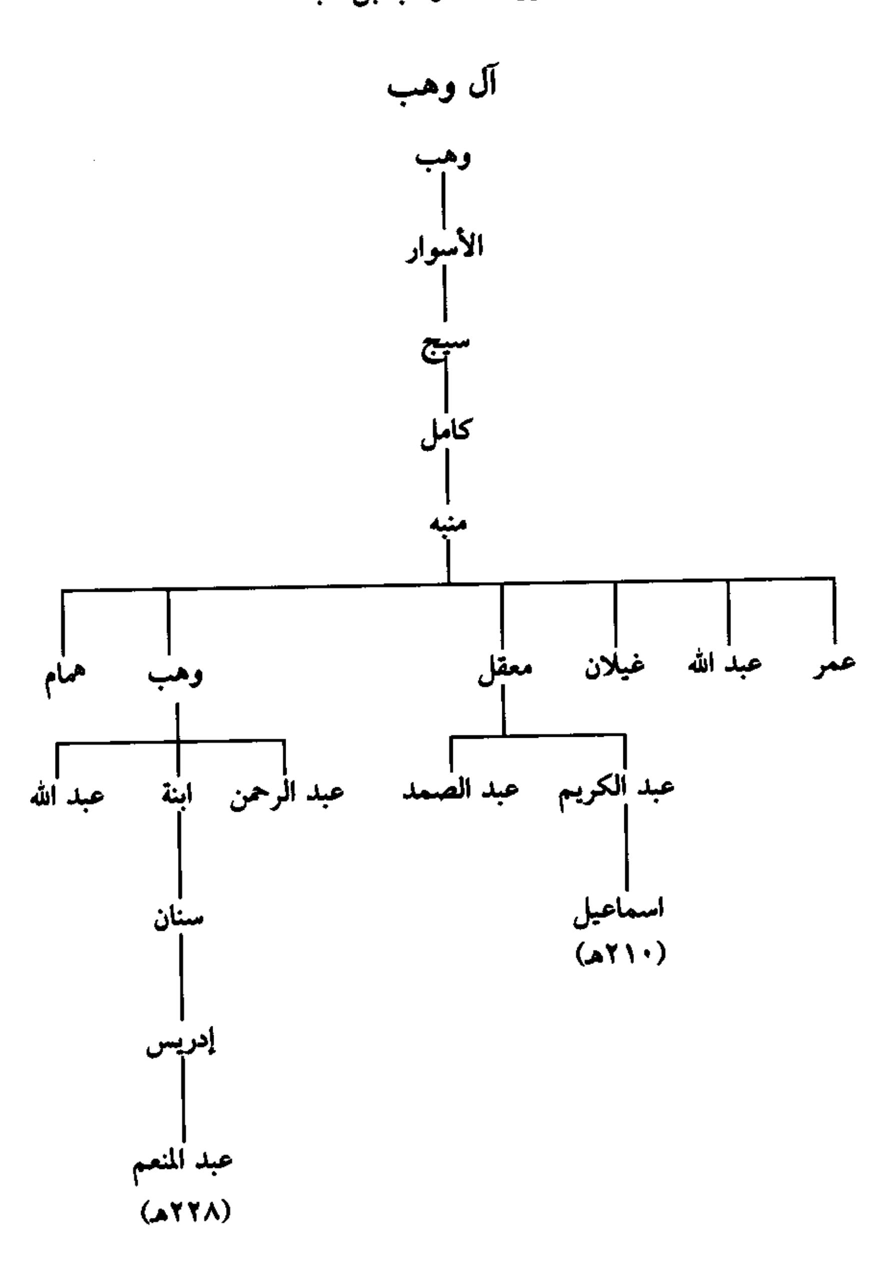
(٧٧) المصدر نفسه، ج٤، ص ٧٣.

منبه، كما لاحظنا، قاصاً قدم في **مبتدأه** وفي أخباره عن اليمن أقاصيص وأساطير أوردها وكأنها تاريخ. وبهذا أدخل عنصر القصة إلى حقل التاريخ كما يتبين من الروايات المأخوذة عنه، لفترة ما قبل الإسلام، في ابن إسحق واليعقوبي وابن قتيبة والطبري والمسعودي. كما أنه أثر في **قصص الأنبياء** كما في كتب الكسائي والثعالبي.

ويبدو أن القُصَّاص، سواء أكانوا شعبيين أم من الوعاظ، أثروا في نبرة الكتابة عن السيرة أحياناً في فترات تالية بإدخالهم شيئاً من الميل للمبالغة وللخيال. ولكنهم على كل حال لم يعدّوا مؤرخين، ولم يوجهوا وجهة تاريخية في كتابة السيرة. ولا يخفى أن القصص الشعبي عن السيرة وعن المسلمين الأولين امتداد للقصص القديم في أسلوبه، وهذا ما لم ترض به مدرسة المدينة للمغازي. ويمكن التأكيد إذاً أن خطوط السيرة وموادَّها لم تأتِ عن طريق القصّاص، بل إن ذلك كان عمل أهل المغازي من المحدّثين ومن سار على طريقتهم في المدينة.

إن دور وهب بن منبه إذاً أنه كان أول من وضع هيكلاً، وإن كان قصصياً، لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام، وقد أخذ عنه أو تأثر به، من ناحية المادة أو الهيكل، بعض المؤرخين التالين.

الملحق رقم (١)
جذور عائلة وَهَب بن مُنبِّه



المصدر: Victor Charles Chauvin, *La Recension égyptienne des mille et une nuits* (Paris; Bruxelles: Société belge de librairie, 1899)

الملحق رقم (٢)

قطعة من مغازي وَهَب بن مُنبِّه نشرها بيكر من أوراق البردي في مجموعة«Reinhardt» «Papyrus Schatt»

بسم الله الرحمن الرحيم ـ حدثني عمر بن بحر أبو طلحة قال حدثنا عبد المنعم ابن إدريس عن أبيه عن أبي إلياس عن وهب بن منبه (ص١).

قال فلما كان في الموسم المقبل حج من الأنصار اثنان وسبعون رجلاً، أصغرهم عقبة بن عمرو، فلقي رسول الله من لقيه منهم، فأخبره بمقدم القوم وعددهم.

فواعدهم الرسول ﷺ أوسط ليالي التشريق بالعقبة، فجاءهم رسول الله ومعه علي بن أبي طالب وأبو بكر وعمر، فلما رأوه قاموا إليه وسلموا عليه وحيوه بتحية النبوة، فقال رسول الله.. ودعا لهم وشكا إليهم ما تلقّا (تلقّى، تلقاه) من جهّال قريش، فتحيوا رسول الله: لك عندنا السعة ولأصحابك المؤاسا (ة).. نصرك ونرى تلك كرامة أكرمنا الله بها قال فبينا هم كذلك على ذلك إذ ضمّ(؟) بهم العباس (؟).. فقال من هذا المتكلم محمد أنت؟ قال نعم، قال فمن هو.. (لعله: هؤلاء) قال أخوالي وأخوالك الأوس والخزرج، قد آمنوا بالله ورسوله وزعموا وهم فاعلون أنهم.. وينصروني ويخرجوني معهم إلى بلادهم. قال فأباح (لعله: أناخ) العباس رحلته (لعله: راحلته)، ثم قال يا معاشر بني قايلة (لعله: قيلة) إن هاذا محمد بن أخي أحب الناس منهم إليّ وأكرمهم علي وأفضلهم وما (؟) أنفعهم (؟) فإن كنتم قد آمنتم به وصدقتموه فإنه (؟).. ابن أخي موثقاً. إليه نفسه ويكون الله بينكم وبينه شهيداً ألا تخذلونه (ه) ولا (...) ولا (...) رون به فإن جيرانكم في بلدكم يهود وهم له أعدى ولم... وهم عليه (ص٢).

قال فا (...) ذلك على النبي؛ لأنه كان متهم لهم عليه فقال أسعد [بن زرارة] يارسول الله ايذن لي أجيبه غير مخشن صدرك ولا متعرض بيننا مما كره إلا لتصديق إيماننا بك فقال النبي(ﷺ) أجيبوه وابسطوا ألسنتكم غير مقصرين ولا متهيبين فقام أسعد بن زرارة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله جعل لكل دعوة سبيلاً إن شدة وإن لين. وإنك دعوتنا يا رسول الله ونحن في دار عز ومنعة لا يستطيع إن يرؤس علينا رجل من غيرنا قد أفرده قومه وأسلمه أعمامه وأجبناك إلى ذلك ودعوتنا إلى ترك ديننا ودين آبائنا فأجبناك إلى ذلك وفي ذلك عداوة العرب والعجم والناس كافة وتلك رؤيته (؟) صعبة لا يقوم بها إلا من عزم الله (أو: ربه)

له على الرشد ودعوتنا إلى معاداة العرب والعجم وأجبناك إلى ذلك ثم أقبل على العباس فقال أيها المتعرض لنا دون رسول الله فقد صدقنا (لعله: صدقناه) وكذبته وآمنا به واتبعناه وأبيت ذلك وأما قولك إنه أحب الناس إليك فنحن له أشد حباً قطعنا فيه القريب والبعيد وكرهت ذلك وأما قولك إنه أكرم الناس عليك وأفضلهم لربك فنحن له أشد حباً وأولى به بذلك وأما قولك إنك لا تصدقه بما يقول فإن الله لا يذله بذلك ولا يعزك به اشترط يحمد لربك ما شئت ولنفسك ما أحببت فقال النبي اشترط لربي أن تعبدونه ولا تشركون به شيئاً ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناكم ونساكم على ذلك تبايعون الله. قال فقال العباس فقال عليكم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهودكم لتشدُّن به أزره ولتجدُّنّ في نصره (انظر الحلبي ج٢، ص ١٧، ص ١٨، ص ١٩ للمقارنة) ص ٣ ولتمنعُنَّه مما تمنعون منه أنفسكم وأبناكم ونساكم على ذلك تبايعون الله ربه وربكم فلذلك أجابوا أنهم على الوفى والصدق له ولرسوله حيوا على دين وماتوا عليه. قال ثم قال أبو الهيثم بن التيهان فأخذ يصا [فح] النبي عليه الصلاة والسلام، وأقبل بوجهه على أصحابه فقال يا معاشر الأوس والخزرج ألستم (؟) تعلمون أن هذا رسول الله إليكم قالوا اللهم نعم قال فإن كنتم تاركيه أو خاذليه لشيء من الأمر ينزل بكم.. فإنه في بلده وعشيرته و... الله.. وأنتم بالصدق لله ورسوله حيوا على دين وماتوا عل[يه] فقال عبد الله بن رواحة إذا أعطيناك يرسول الله هذا.. أعطيناك فما لنا قال الجنة فقال يا أبا الهيثم خلّ بيننا وبين رسول الله حتى نبايعه قال فسبقه أبو الهيثم فبايع رسول الله فقال أبايعك يرسول الله على ما بايع النقباء، من بني إسرائيل موسى بن عمران وقال عبد الله بن رواحة أبايعك يرسول (ص ٤) الله على ما بايع الحواريون عيسى بن مريم وقال أسعد بن زرارة أبايعك يرسول الله على أن أصدق قولي بفعلي في نصرك وأتم عهدي بوفاي ومؤازرتك فقال عبادة بن الصامت أبايعك يرسول الله على أن لا أعصي أمراً ولا أكذب إيماني (؟) وقال سعد بن ربيع أبايعك يرسول الله على أن لا أبالي في الله لومة لائم.



الرسالة الرابعة
أصول مدرسة التاريخ في العراق؛
نشأتها وتطوّرها حتى القرن الثالث الهجري

إن علم التاريخ عند العرب جزء من الثقافة العربية، ولا يمكن فهمه إلا بالإشارة إلى الفعاليات والتطورات الثقافية الأخرى. ولا تؤدي دراسته وحده إلا إلى فهم مرتبك مبتور لأصوله وتطوره.

وقد بدأ علم التاريخ عند العرب بعد ظهور الإسلام. أما الفعاليات الجاهلية ـ كقصص الأيام والأنساب ـ فإنها تشير إلى جانب من اهتمام العرب، وبداية أسلوب في رواية الأخبار، ولكنها لا تنطوي على فكرة تاريخية.

سارت الدراسات التاريخية في بداياتها في اتجاهين عامين متميزين الواحد من الآخر. اتجاه أهل الحديث، والاتجاه القبلي الذي كان إلى حدّ ما استمراراً للفعاليات القبلية السابقة. وهذان الاتجاهان يعكسان تيارين أساسيين في مجتمع صدر الإسلام ـ الاتجاه الإسلامي والاتجاه القبلي ـ أثرا في مختلف جوانب الحياة. وتمثل النشاط في كل من الاتجاهين في مصر من الأمصار، فكانت المدينة، مهد الإسلام، والمركز الأول لاتجاه أهل الحديث، بينما كانت البصرة والكوفة مقرَّي الحاميات القبلية وموطنَي التقاليد القبلية، المركز الأول للاتجاه القبلي. وكانت المدينة والكوفة والبصرة مراكز الحياة الثقافية في صدر الإسلام.

وليس الاتجاه الإسلامي موضوع بحثنا هنا. ويكفي أن نقول إنه بدأ عند المحدّثين الذين وجّهوا اهتماماً خاصاً إلى سيرة الرسول(ﷺ) (ابتداء من عروة بن الزبير) والذين تدرجوا بسرعة إلى دراسة تاريخ صدر الإسلام وكونوا مدرسة من مؤرخي المغازي. وإضافة إلى ذلك رويت قصص وأخبار عن الرسول والفتوحات، ونشرت. ولكن هذا القصص لم يؤدّ إلى اتجاه تاريخي، ولكنه هيأ في ما بعد مادة تسرّبت إلى بعض من المؤرخين ـ ابن اسحق بخاصة. ولكنها بقيت موضع الشك

والحذر لدى المؤرخين الجديين. ويظهر جدّ هذه المدرسة وتدقيقها في تأكيدها على السند في نقد الرواة. وبنهاية القرن الأول الهجري استقرت الخطوط العامة للسيرة، وجمعت الروايات الأساسية عنها. ولكن كثيراً من القصص تسرب في ما بعد، وبان تحوّل في الاتجاه من رواية أخبار بسيطة واقعية إلى روايات فيها التمجيد وبعض المبالغة. وظهرت فكرة كتابة الروايات في فترة مبكرة نسبياً، وما إن انتهى القرن الأول الهجري حتى استقر استعمال الكتابة على يد الزهري، ومن ذلك الوقت صارت الروايات تؤخذ شفاهاً أو من مصادر مكتوبة.

وبدأ الاتجاه القبلي في دراسة التاريخ نتيجة الاهتمام بالفعاليات والشؤون القبلية. وكان استمراراً مباشراً لقصص الأيام (ولروايات الأنساب) في الأسلوب والنظرة موجهاً إلى الأيام الجديدة، أو المعارك والفتوحات في الإسلام.

وكانت الثقافة العربية شفوية في أساسها، تعتمد على الشعر لوثائقها وتجد فيه خير وسيلة لحفظ التراث. أما الإشارات إلى سجلات ووثائق لدى ملوك الحيرة والحميريين في اليمن، وإلى سجلات وأنساب مدوّنة لدى بعض العائلات اليمنية، التي أفاد منها بعض المؤرخين في ما بعد، فهي حالات استثنائية[1].

وكانت الأخبار تروى بالدرجة الأولى في المجالس القبلية. وتعدّ عادة ملكاً مشتركاً للعائلة أو القبيلة. وكان بعض الأفراد مثل رواة الشعر أو مشايخ القبائل الرواة الأساسيين لها. ولم يكن لهذه الأخبار أو الروايات في البدء أسانيد، بل استمرت جزءاً من الثقافة العامة وتهم الجميع. وقد بقي مثل هذه الروايات الشفوية مع كثير من الشعر يتداول في المجتمع الإسلامي الأول كما كان الوضع قبل الإسلام[2]. وصارت الكوفة والبصرة، وهي مراكز قبلية كبرى، وعلى صلة مباشرة ومستمرة بالصحراء، مراكز فعالة لتداول هذه الروايات والأخبار.

---

(١) انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ١٣ج في ٥ (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٣٦هـ/١٩١٧م)، ج٢، ص ١٢٣؛ أبو محمد عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، حققها وضبطها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ٤ج (القاهرة: البابي، ١٩٣٦)، ج١، ص ٣٨١، وأبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، **الإكليل**، حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م)، ج١، ص ٥، ج١٠، ص ٣٠ ـ ٣١ و١١١ ـ ١١٢.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ٢ج (القاهرة: دار أحياء الكتب العربية، [١٩؟])، ج١، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ وج٢، ص ٣٥٥، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، ٢، ٤ج (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠)، ج٣، ص ٣٦٦.

إلا أن ظهور الإسلام واستقرار القبائل في الأمصار جمعا القبائل في منطقة واحدة، وأوجدَ نواحي اهتمام جديدة لدى القبائل، وأدخلا أوليات الكتابة والقراءة. ولدينا أدلة وافية على استعمال الكتابة لإعانة الذاكرة أو لحفظ الروايات قبل نهاية القرن الأول الهجري وخلال النصف الأول للقرن الثاني الهجري[٣]. وهكذا بدأ ظهور روايات مسجّلة إلى جانب الروايات الشفوية.

وفي مطلع القرن الثاني للهجرة نسمع بوجود أشياخ ورواة متضلعين بأنساب قبائلهم ومآثرها، وبوجود كتب تحوي أنساباً وشعراً، وربما أخباراً لبعض القبائل. ومن المحتمل أن هذه الكتب كانت قد جمعت من قبل بعض الرواة ولكنها كانت تعدّ ملكاً مشتركاً للقبيلة. فالشاعر الطرمّاح (ت ١٠٥هـ) يشير إلى كتاب تميم، وحماد الراوية (ت ١٢٦) كانت لديه كتب قريش وثقيف[٤].

وعن هؤلاء الرواة، وفي هذه الكتب توافرت مادة تاريخية للمؤرخين في ما بعد. وحوالى منتصف القرن الثاني للهجرة نجد رواة و«أخباريين» و«نسابين» و«لغويين» علماء خلّفوا مؤلفات تاريخية، أو ثروة من الروايات التاريخية. وكانت تلك الفترة فترة علماء روّاد في مختلف الحقول بدأوا يجمعون الشعر والأخبار والحديث. فقد جمع أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٢م) وحماد الراوية (ت١٥٦هـ/ ٧٧٤م) الشعر والأخبار ومواد عن الأنساب العربية (قبل الإسلام) من رواة القبائل ومن كتبها بالدرجة الأولى، واستعانوا بالكتابة لحفظ بعض إنتاجهم[٥].

وإلى هذه الفترة أيضاً تعود المجموعات الأولى للحديث، وقد عملت في

---

(٣) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن النديم، **الفهرست**، تحرير غوستاف فلوغل واعتنى به بعد موته يوهانس روديغر وأوغست موللر، ٢ج في١ (ليبزيغ: فوغل، [١٨٧١ ـ ١٨٧٢])، ص ٩ ـ ١٠ و١٣٢؛ علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ٢٤ ج (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٧ ـ ١٩٧٤)، ج٤، ص ٢٥٣، وشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ١٢ج (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥هـ/[١٩٠٧م])، ج٢، ص ٢١٦.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٣٧، وج٦، ص ٩٤، ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم**، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥)، ص ٤٣.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٢٢؛ أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، **طبقات الشعراء**، نشره حامد عجان الحديد (القاهرة: مطبعة السعادة، [١٩٢٠])، ص ٤٠؛ السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج٢، ص ٣٠٤؛ أبو عبد الله محمد بن منيع بن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، عني بتصحيحه أوجين منوخ [وآخرون]، ٩ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٤ ـ ١٩١٨)، ج٧، القسم ٢، ص ٤٣، وأبو السعادات هبة الله بن علي بن الشجري، **مختارات ابن الشجري** ([القاهرة]: مطبعة الاعتماد، ١٩٢٥)، ص ١٢٣، ١٢٧ و١٣٦.

أمصار مختلفة، وإليها أيضاً تعود المؤلفات الأولى التي وصلت إلينا عن السيرة. وهذا ما يشير إلى ظاهرة عامة في التطور الثقافي، وهي ظاهرة الجمع، وقد أخذ التاريخ نصيبه فيها. فكان الأخباريون والرواة العلماء مؤرخينا الأولين.

وكما نجد في الكتابات التاريخية عن السيرة أسلافاً لابن إسحق ـ كالزهري ـ اعتمد عليهم إلى حد كبير، نلاحظ أن الأخباريين أخذوا كثيراً من بعض الرواة. فمثلاً بين أكثر من ستين راوية أخذ عنهم سيف بن عمر (كما نراه في الطبري)، نجد هذا يعتمد بصورة خاصة على راويتين: طلحة بن الأعلم ومحمد بن عبد الله، إذ أخذ أكثر من مائة رواية عن كل منهم. ومن الأمثلة الأخرى اعتماد هشام بن الكلبي على ابن أبي صالح في أخبار الأنبياء، واعتماد المدائني على أبي الذُّبال والمفضَّل الضبي في أخبار خراسان. ويلاحظ أن هؤلاء الرواة اهتموا بالحوادث أو الأمور العامة لا بأخبار قبيلة خاصة كما هي الحال في السابق، وبذلك ساروا خطوة مهمة. وفي المنزلة نفسها يمكننا وضع بعض النسابين الذين تجاوزوا حدود قبيلة واحدة في تآليفهم. ومع ذلك فقد استمر وجود رواة للقبائل.

إذاً كان الأخباريون المؤرخين الأولين في الاتجاه القبلي. وهم يختلفون عن الرواة الذين كان يروون روايات عن حوادث معينة في أنهم اتجهوا إلى جمع روايات تتعلق بموضوع أو حادث، ووضعها في كتاب متسلسل. ومن هؤلاء الأخباريين أبو مخنف (ت ١٥٧هـ/ ٧٧٤م)، وعوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ/ ٧٦٤م)، وسيف بن عمر (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، وأخيراً شيخ الأخباريين المدائني (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م).

لقد أبدى هؤلاء الأخباريون عناية بشؤون الأمة إلى جانب اهتمامهم الخاص بشؤون العراق. فنلاحظ لديهم فكرة وحدة تجارب الأمة واتصالها. كما نرى فكرة ترابط التاريخ العربي. فنجد سيف بن عمر يربط الردة بالفتوحات. ويتناول عوانة بن الحكم التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري ـ الخلفاء الراشدون: الردة والفتوحات والفتنة، وتاريخ العراق، وسورية حتى خلافة عبد الملك. ويتناول أبو مخنف تاريخ صدر الإسلام حتى صفّين، ثم يتابع حوادث العراق حتى نهاية العصر الأموي. أما المدائني فيجول في تاريخ العرب كله ـ السياسي، والأدبي، والاجتماعي ـ مبتدئاً من الجاهلية ومستمراً حتى مطلع القرن الثالث الهجري.

وهكذا نجد الأمة، لا القبيلة، محور الاهتمام. كما نلاحظ آراء تاريخية أخرى في مؤلفات الأخباريين. فنلاحظ التصادم بين فكرة الجبر في الشؤون العامة، كما يروجها الأمويون، وفكرة حرية الإرادة والمسؤولية البشرية كما تراها الأحزاب المعارضة. فعوانة بن الحكم يعرض الوجهة الأموية في بعض رواياته ـ فهذا يزيد

ينسب السلطان الأموي إلى مشيئة الله[٦]، وهذا عثمان يتنبأ بأن السلطان سيؤول إلى عبد الملك وولده[٧]. بينما نجد أبا مخنف يعبّر عن الوجهة الأخرى، وبخاصة حين نتمعّن في ما يورده عن حركة الحسين وعن حركة التوابين.

وهناك فكرة الدولة والتأكيد على حقوق الإمام - من الزاوية الأموية - والولاء والطاعة له تجاه وجهة النظر القبلية أو الحزبية التي تضع ولاءات أخرى (إقليمية، قبلية... الخ) فوق الدولة، وهذه تنعكس في التواريخ المذكورة. فالثورات ضد الأمويين لا تعدّ غير مشروعة، إن لم تمدح أو تفسّر تفسيراً ودّياً. وحتى حين ينتقد خروج معاوية على علي - كما هي الحال في كتاب **صفّين** لنصر بن مزاحم - يستند هذا النقد إلى أساس حزبي لا إلى فكرة الدولة[٨]. وعلى ذلك تظهر آثار الأخباريين الباقية لدينا كثيراً من الاعتدال. إذ إن أولئك المؤرخين لم يهبطوا إلى مستوى حزبي في كتاباتهم، ولم يكونوا ممثّلين لوجهة نظر واحدة. ومن المحتمل أن بعض الروايات المتطرفة في مؤلفاتهم قد أهملت خلال عملية الانتقاء التي قام بها المؤرخون التالون (كالطبري والبلاذري) الذين حفظوا لنا آثارهم. ولكن الأرجح أن تفسير ذلك يعود إلى الأهمية التي أعطيت للرواية أو الخبر مقابل الرأي، وإلى روح الضبط التاريخي التي فرضتها نظرة العلماء والمحدّثين إلى الروايات.

وكان للحزبية وللإقليمية وللقبلية أثرها في الكتابات التاريخية. فنرى في أبي مخنف ميولاً علويّة[٩]، وميولاً عراقية[١٠] - حيث يورد الرواية: «أدركت الناس وهم يقولون: إن أول ذل دَخل الكوفة موت الحسين بن علي وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد» - وشيئاً من تمجيد القبائل. ففي أخباره عن صفين نجد تأكيداً واضحاً على المآثر القبلية. أما سيف فيوضح دور القبائل في فتح العراق ويؤكد على دور تميم[١١]. ويُعَدُّ عوانة عثمانياً في ميوله. فهو يعطي بوضوح روايات أموية، وأحياناً روايات داخلية عن الأسرة الأموية[١٢]. ومع ذلك تعكس بعض رواياته وجهة معاكسة للأمويين[١٣].

---

(٦) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج١١، ص ٣٧٨.

(٧) أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر، والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سولومن غويتن، ٢ج في ٤ (القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ - ١٩٤٠)، ج٥، ص ٢٢٠.

(٨) انظر الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣ - ٤ حيث يفضل إمام الضلالة على عدم وجود إمام.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢٧٦ و٢٣٣٧ وج٢، ص ١٨٢ - ١٨٦ و٣٠٧ - ٣٠٨.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢٢١ - ٣٢٢٢ وج٢، ص ١٤٥.

(١١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠٦٨ - ٢٠٦٩ وأهمية القعقاع بن عمرو التميمي.

(١٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣، والبلاذري، المصدر نفسه، ج٤، ص ٣١.

(١٣) المصدران نفسهما، ج١، ص ١٨٣٧، وج٥، ص ٣٦٩ على التوالي.

قام الأخباريون بجهود كبيرة على نطاق واسع لجمع الروايات والأخبار. فنجدهم يستفيدون من الروايات العائلية، والروايات القبلية في العراق، ومن عدد كبير من الروايات عن الأفراد. وكان عليهم أن يكمّلوا هذه الروايات بروايات أمصار أخرى حول الحوادث التي درسوها، وهكذا نجد روايات من الشام والمدينة والجزيرة العربية. وهذا واضح في آثار الأخباريين. فأبو مخنف أورد روايات لأشياخ من قبائل الأزد ونمير ومحارب وتميم، كما أورد روايات عائلية[١٤]، ويورد روايات عن أفراد ساهموا في الحوادث نفسها، إضافة إلى عدد كبير من الروايات الفردية[١٥]. وكانت مصادره عن صفين وعن مجيء مسلم بن عقيل إلى العراق وعن فاجعة كربلاء في جملتها كوفية، ولكنه أضاف إليها روايات شامية وروايات مدنية[١٦]. ويعتمد سيف بن عمر في الفتوحات خاصة، على روايات كوفية، ويكملها ببعض الروايات المدنية والشامية. أما في الردة فيعتمد على روايات من الكوفة والجزيرة العربية والمدينة. ومن رواته المدنيين هشام بن عروة وموسى بن عقبة. ويرجع في كثير من الروايات إلى مساهمين في الحوادث[١٧].

ويعتمد عوانة بن الحكم على روايات عائلية وعلى روايات قبيلته كلب، وعلى روايات قبلية أخرى وعلى عدد كبير من الروايات الفردية، وعلى كثير من الروايات الشامية والأموية[١٨].

وإضافة إلى ما ذكر نجد الأخباريين يستعملون وثائق رسمية، من رسائل ومعاهدات، لعلها من الدواوين الحكومية، أو من أناس لديهم وثائق[١٩].

وكان باستطاعة الأخباري أن يعتمد كثيراً على روايات مصره (كما هي حال أبي مخنف)، أو على روايات قبلية (مثل سيف بن عمر)، ولكنه لم يكن يستطيع ترك روايات مقابلة أو معارضة[٢٠]، ففي هذا الوقت انتشر أسلوب المحدثين في الرواية

---

(١٤) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢٦١، ٣٣٠٢ ـ ٣٣٠٣ و٣٣٠٩.

(١٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢٠٢ ـ ٣٢٠٣.

(١٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧٩، ٣٧٦، ٤١٠ ـ ٤١٤ و٤٧٩.

(١٧) المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٨٦، ١٧٩٧، ١٩٣١ ـ ١٩٣٦ و١٩٤٧ ـ ١٩٤٨.

(١٨) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٨٥ و٧٩١ ـ ٧٩٥، والبلاذري، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٢ ـ ٣٥ و١٤٠.

(١٩) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٨٢٠.

(٢٠) بخصوص أبي مخنف وعوانة، انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٣٣ وج٢، ص ١٨٢، ٢٠٢ و٣٢٣، والبلاذري، المصدر نفسه، ج٤، ص ١ و٣١ وج٥، ص ٣٦٩.

إلى حد ما، وأثر في الأخباريين. ولذا نرى أن الطريقة النقدية للأخباريين تكمن في نقد الرواة وفي تقدير قيمة رواياتهم، فمثلاً يقول سيف: وهذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الآثار[٢١]. ويقول أبو مخنف، إشارة إلى حادث يتصل بفاجعة كربلاء: «أما ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير.. وغيرهما من المحدثين، فهو ما عليه جماعة المحدثين. قالوا...»[٢٢].

ولكن قصص المجالس، وما يتصل به من شعر، وجد طريقاً إلى كتاباتهم. وهذا يصدق بالدرجة الأولى على نصر بن مزاحم الذي يورد كثيراً من الشعر المصنوع، ويقتفي بوضوح - في صفين - أسلوب قصص المجالس، وهذه بدورها استمرار لقصص «الأيام»[٢٣]. ويمكننا ملاحظة شيء من أثر الأسلوب القصصي في أخباريين آخرين مثل سيف بن عمر وأبي مخنف[٢٤] وعوانة.

كتب هؤلاء الأخباريون بأسلوب سهل مباشر، وأعطوا أحياناً صوراً قلمية حية للحوادث. وحين يكتبون عن المعارك نجدهم يوردون الشعر والخطب والحوار خلال أخبارهم. ونجد القصة عادة متسلسلة في كتاباتهم، كما نحس أحياناً بنبرة أسلوب قصص «الأيام» فيها.

وبعد هذا فإن الأخباريين يمثّلون مرحلة انتقال بين فترة سابقة ينعدم فيها الإسناد، وبين أسلوب المحدّثين الدقيق في إسناده، إذ إنهم يبدون كثيراً من الحرية وأحياناً التساهل في استعمالهم للإسناد. فنجد سلاسل إسناد منقطعة، أو حالات لا يذكر فيها إلا الاسم الأول للراوي (مثل: عن عمير بن فلان العبدي)، أو مجرد «قيل»، أو «عن رجل من...»، أو «.. عن أشياخ من ..»، أو «عمن أدرك من أهل العلم». ونلاحظ خلال القرن الثاني للهجرة أن رواية واحدة تعطى عن كل نقطة أو موضوع، وتتابع الروايات واحدة بعد الأخرى لإكمال القصة أو الخبر.

---

(٢١) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠٢٥.

(٢٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٧٨.

(٢٣) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام: وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣هـ** (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣١)، ج١٣، ص ٤٨٢ - ٤٨٣، وأبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، **الفهرست**، صححه وعلق عليه محمد صادق آل بحر العلوم (النجف: المكتبة المرتضوية، ١٩٣٧)، ص ١٧١.

(٢٤) الطبري، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠٥٨، ٢٠٧١ - ٢٠٧٢ و٢١٠١ - ٢١٠٢ وج٢، ص ٣، ٨ و٥٠.

ويستمر هذا الوضع حتى نصل إلى المدائني حيث نجده يعطي أكثر من رواية حول الموضوع، ونحصل لديه على صورة أكثر توازناً وحياداً عن الموضوع. وكانت الأخبار والروايات تؤخذ في الغالب بطريق الرواية الشفوية، ويحتمل أن بعض المصادر مكتوب كما يبدو من بعض التعابير مثل «قال» و«حدثني» حين تشير إلى المصدر نفسه.

ومن المناسب هنا أن نذكر أن اللغويين لعبوا دوراً في تكوين أسلوب للبحث أكثر دقة في النقد، وذلك بدراساتهم للشعر، ومحاولاتهم للتمييز بين الشعر الصحيح والموضوع. كما ساعدوا على جمع الروايات التاريخية وعلى غربلتها. وهكذا أدخل اللغويون أسلوب النقد الداخلي للمواد، ووضعوه إلى جانب النقد الخارجي للمصادر والرواة. أما وجهتهم في الكتابة فكانت مماثلة لوجهة الأخباريين في أنهم كانوا يجمعون المواد المتعلقة بموضوع أو حادث ويؤلفون «الكتب».

وخدم النسابون الدراسات التاريخية بإعطاء الأنساب مع بعض المعلومات عن حياة الشخصيات (عند مصعب الزبيري خاصة). وهنا يتبين أن الحاجات الاجتماعية، والمنازعات القبلية، والانقسامات السياسية بين القبائل، كانت الدافع للاهتمام. وهذه الدراسات هيأت عن أشراف القبائل ما هيأته كتب الطبقات عن المحدّثين، ولكن بدرجة أقل بكثير من ناحية المادة.

وكان المناقشات والصراع الثقافي مع الشعوبية من جهة، وتوسّع تيار الموالي من جهة أخرى، حافزاً للنسابين واللغويين على التوسع في دراستهم، ودافعاً إلى التأكيد على وحدة التاريخ الثقافي للعرب واتصال حلقاته. وكان مرجع النسابين واللغويين بالدرجة الأولى الشعر والروايات القبلية التي تتصل بالشعر، أو التي يرد الشعر خلالها لإثبات صحتها. ولذا اختلطت دراساتهم بحقل الدراسات التاريخية أو اتصلت بها.

لقد بدأت دراسات الأنساب ضمن حدود قبيلة واحدة. ثم ظهر في القرن الثاني للهجرة نسابون جمعوا الروايات والأخبار القبلية من نسابي القبائل المختلفة ومن الشعر، وبخاصة شعر النقائض. ومن أمثلة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (ت١٤٦هـ/ ٧٦٣م)، وأبو اليقظان النسابة (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٤م). وفي الفترة نفسها قام اللغويون والنحاة بجمع الشعر العربي من «الكتب» القبلية ومن الرواة. ومع أن البعض حدد اهتمامه بالنسب والنحو، إلا أن قسماً منهم تناول في دراسته حقل التاريخ العربي على نطاق واسع (انظر كتب هشام بن محمد الكلبي وأبي عبيدة معمر ابن المثنى). وهنا أيضاً نلاحظ أن الحركة اتجهت من ذكر الرواية دون إسناد إلى

محاولة لذكر بعض الرواة وإلى تثبيت الإسناد. وللتمثيل نذكر أن هشام بن محمد بن السائب الكلبي يروي عن أناس من أهل الكتاب، وعن ابن أبي صالح في تاريخ الأنبياء، وعن الترجمات وسجلّات الحيرة، وعن القصص في تاريخ الفرس والعرب، ويعتمد على «مشايخ الكوفة» وعلى أبي مخنف وعوانة في التاريخ الإسلامي. أما أبو عبيدة فيروي عن شيوخه (أبو عمرو بن العلاء، والأخفش، وعيسى بن عمر الثقفي، ويونس بن حبيب)، وعن هشام بن عروة، وعن وكيع، وعن جماعة من الأعراب الفصحاء[٢٥].

وتظهر فكرة تاريخية وراء هذه الدراسات، هي فكرة الاستمرار الثقافي (بمفهوم الوحدة الثقافية) في تاريخ العرب وأهمية ذلك بالنسبة إلى المسائل المعاصرة وبخاصة دعاوى الارستقراطية العربية، والصلة بين قريش والقبائل العربية الأخرى، ونظرة العرب إلى الموالي، ومشكلات تتصل بالإرث اللغوي وبالأدب العربي. وهذه المسائل الكبيرة وسّعت أفق النسابين واللغويين ليتناولوا تاريخ شعوب أخرى قبل الإسلام. فهشام بن الكلبي درس تاريخ الأنبياء وتاريخ الفرس المتصل بتاريخ العرب، في حين أن أبا عبيدة رجع إلى الروايات الفارسية (وبين مؤلفاته كتاب **أخبار الفرس** و**كتاب الموالي**).

وتنعكس المسائل السياسية إلى حد ما في كتاباتهم. فنلاحظ شيئاً من الميل إلى العلويين لدى هشام بن الكلبي، وأبي عبيدة، قدر ما نلاحظ من النقائض، فهو يظهر ميلاً إلى كشف المثالب العربية بشكل لا يمكن تفسيره بكونه من الخوارج، ويشارك في الاتجاه الشعوبي[٢٦].

وفي مطلع القرن الثالث الهجري وصلت الدراسات التاريخية إلى مرحلة أدت إلى ظهور المؤرخين الكبار في ذلك القرن. إذ إن الأخباريين واللغويين والنسابين رسموا في «الكتب» التي ألّفوها، نطاق الدراسة التاريخية، وشملت دراساتهم جوانب حقولها المختلفة.

---

(٢٥) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج١٣، ص ٢٥٢؛ السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج٢، ص ٤٠١ ـ ٤٠٢؛ شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان أنباء وأبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي]**، ٢ج (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨١م)، ج١، ص ٨٢٠؛ معمر بن المثنى أبو عبيدة: **كتاب النقائض: نقائض جرير والفرزدق**، تحرير انطوني اشلي بفان، ٣ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٧ ـ ١٩١٢)، ص ٤٣٠ ـ ٤٨٧، و**مجاز القرآن**، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين (القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٤)، ج١، ص ٤٠٠.

(٢٦) أبو عبيدة، **كتاب النقائض: نقائض جرير والفرزدق**، ص ١٤٦.

وفي هذه الدراسات ظهرت فكرة وحدة التاريخ الإسلامي. ويحتمل أن هذه الفكرة تمثلت في دراسة تاريخية متسلسلة بصورة دقيقة، من ناحية الزمن، في مؤلف الهيثم بن عدي كتاب **التاريخ على السنين**. وفي هذه الدراسات تطور اتجاه دراسة الأنساب إلى اتجاه تاريخي ضمن إطار النسب، كما في **نسب قريش** للزبيري (ت ٢٣٣ ـ ٢٣٦هـ، ٨٤٤ ـ ٨٥٠م)، وبصورة أوضح من ناحية الخطة والمجال في **تاريخ الأشراف الكبير** للهيثم بن عدي. وظهرت فكرة التاريخ العالمي، فتناول هشام بن الكلبي تاريخ الأنبياء وتاريخ العرب الشماليين والجنوبيين قبل الإسلام والتاريخ الإسلامي.

ومن ناحية الأسلوب، زاد الاهتمام بالإسناد، وأخذ البعض يروي الروايات المتباينة حول النقطة نفسها أو الموضوع نفسه، كما هي الحال عند المدائني وأبي عبيدة. ونلاحظ أيضاً الاتجاه نحو الاستفادة من المصادر المكتوبة إلى جانب الروايات الشفوية لدى المدائني وأبي عبيدة وهشام بن الكلبي. وقد أخذ هؤلاء عن مؤلفات طبقة أبي مخنف وعوانة ومحمد بن السائب الكلبي وأبي عمرو بن العلاء.

شهد القرن الثالث الهجري مرحلة جديدة من التطور الثقافي. فقد تجمعت مادة ضخمة من الروايات التاريخية التي رويت أو كتبت في أمصار مختلفة. وكان هذا العصر عصر «الرحلة في طلب العلم»، وهي حركة بدأها أهل الحديث، في سبيل جمع الأحاديث وتصنيفها. وهذه الاتصالات أدت إلى تبادل التأثير من ناحية الأسلوب والنظرة التاريخية. إذ اتسع استعمال الإسناد وتركز أكثر من ذي قبل، وحددت أصوله بصورة أدق. وإضافة إلى ذلك بدأ الرأي يتبلور لدى العلماء والمؤرخين حول قيمة المؤلفات السابقة ودرجة الوثوق بأصحابها. وهذا ما جعل أمر جمع الروايات ونقدها أكثر يسراً وأقرب إلى الدقة.

جاء مؤرخو القرن الثالث الهجري ـ البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) واليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، والدينوري (ت ٢٨٢/ ٨٩٨)، وابن قتيبة (ت٢٧٠هـ/ ٢٨٢م)، والطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، فكتبوا تواريخ متصلة للأمة الإسلامية، تختلف عن «الكتب» السابقة. وسنكتفي ببعض الملاحظات العامة هنا.

كانت الأفكار التاريخية وراء كتاباتهم هي وحدة خبرة الأمة واتصالها والنظرة العالمية للتاريخ. ويمثل البلاذري الفكرة الأولى، بينما يمثل بقية المؤرخين الفكرة الثانية. وقد اختلفت دوافعهم لكتابة التاريخ. فالبلاذري كتب تاريخه **أنساب الأشراف** ونسجه حول الأرستقراطية العربية، وبذلك دل على مركز الثقل في نظره، كما أنه أكد بذلك نظرة اجتماعية عربية. ثم إن **فتوح البلدان** يعبّر عن رسالة الأمة

الأساسية؛ أي الجهاد، ويسدّ بعض الحاجات الفقهية والإدارية. أما اليعقوبي فكتب تاريخاً عاماً لا يخلو من ميول علوية، وأعطى تاريخ قبل الإسلام معنى دينياً وثقافياً. وفكر ابن قتيبة بطبقة الكتّاب وحاجتهم إلى تاريخ موجز شامل تمتزج فيه عدة وجهات، وجهة «الأيام» ووجهة التاريخ العالمي والحاجات الفقهية. بينما أراد الدينوري أن يظهر دور العراق وإيران في تاريخه العامّ؛ إذ وجد في تاريخ العصرين الساساني والعباسي ما يسوّغ هذه الوجهة. أما الطبري فأراد أن يوضح بتاريخه مشيئة الله، وأن يجعل من تاريخه دليلاً على فعاليات الأمة إلى جانب تفسيره العظيم.

ونلاحظ أن أسلوب المحدّثين في النقد صار يطبق بصورة أتم في هذا القرن. فالطبري محدّث يتّبع أسلوب أهل الحديث بدقّة كما يبدو من تأكيده الأسانيد وابتعاده عن نقد المادة. وابن قتيبة ينقد مصادره إلى درجة أنه يعود إلى التوراة ليصحح ما جاء به وهب بن منبّه عن بدء الخليقة والأنبياء، ولا يأخذ من مصادره إلا ما ثبتت صحته. واليعقوبي يتخذ وجهة النقد نحو مصادره وبخاصة تلك التي تتعلق بما قبل الإسلام، وهو يمحّص مصادر الفترة الإسلامية، ويكتفي بالإشارة إليها في مقدمته، لأن أسانيدها معروفة. ويتخذ البلاذري سبيلاً وسطاً، إذ يأخذ من المؤرخين السالفين فيذكرهم في كل حالة، ولا يورد سلاسل أسانيدهم لأنها معروفة إلا في حالات الضرورة.

ثم إن البلاذري والطبري يعطيان الروايات المختلفة حول الموضوع. ويقلّ لديهما ولدى المؤرخين الآخرين التحزب أو الانحياز، كما أن مقارنتهما للمواد التي قدّمها المؤرخون قبلهم ساعدت إلى حد كبير على إعطاء صورة متزنة للأحداث.

وقد قام هؤلاء المؤرخون بدراسات خاصة واسعة في التاريخ والجغرافية والأدب وأضافوا نتاجهم إلى ما خلفه الأخباريون، واستعملوا الكتب (بعد قراءتها على شيخ) إلى جانب الروايات الشفوية، ورجعوا أحياناً إلى الوثائق والسجلات. وقد جمعوا في تواريخهم بين وجهات النسابين والأخباريين واللغويين، واستفادوا كثيراً من مدرسة المدينة.

إن ظهور هؤلاء المؤرخين يعني انتهاء مرحلة الأخباريين؛ إذ وضعوا خطوط علم التاريخ عند العرب، وركزوا الآراء والأفكار التاريخية.



الرسالة الخامسة
دوافع الكتابة التاريخية والآراء التاريخية
التي تنطوي عليها مؤلفات المؤرّخين الأوّلين

إن العوامل التي أدت إلى الكتابة التاريخية عند العرب تتصل بالتطورات الثقافية من جهة، وبالتيارات والاتجاهات العامة في المجتمع العربي من جهة ثانية.

ونلاحظ مبدئياً أن اهتمام العرب قبل الإسلام بالأيام وبالأنساب، وروايتهم لما يتعلق بها من أخبار وشعر، يتصل بالآراء الاجتماعية السائدة لديهم حول الحسب والنسب، ومن المنتظر أن تكون الروايات شفوية كما يناسب الوضع الثقافي السائد. وكانت القصص والأخبار التي تروى ملكاً مشتركاً للعائلة أو القبيلة، تُتداول في الوسط الاجتماعي، ولم تكن من اختصاص الأفراد. وكانت تؤلف جزءاً من الثقافة العامة. وقد استمر هذا الاهتمام بعد ظهور الإسلام.

وجاء الإسلام بفكرة «الأمة»، وقد تركزت هذه الفكرة في المدينة، ثم بدأت تستقر بصورة تدريجية في العراق. ودفع الإسلام بالقبائل إلى الاستقرار في الأمصار، وشجع إلى إدخال أوليات الكتابة على الحياة الثقافية.

وقد بدأت الدراسات التاريخية عند العرب في مدرستين مستقلتين، المدرسة العراقية في الكوفة والبصرة، والمدرسة الحجازية في المدينة. وكانت لكل منهما دوافع أدت إلى نشأتها ونموّها، ولكلٍّ آراؤها التاريخية.

ففي العراق كانت العوامل التالية مسؤولة عن نشأة الدراسات التاريخية. فقد استمر الاهتمام القديم بمآثر القبيلة وبأمجادها الحربية. وظهرت تدريجياً عصبية لدى القبائل للمصر الذي استقرت فيه، وتباينت في ولائها له. وهذه تتصل بصورة وثيقة بمسألة الفتح وتمسّك القبائل بحقها في التمتع بموارد البلاد التي فتحوها، أو بتعبير

أبسط حق القبائل العراقية في العراق، كما تتصل هذه العصبية بشعور أهل العراق الذين كانت لهم رئاسة العالم الإسلامي في زمن الخليفة الرابع، بأنهم أجدر بالصدارة من غيرهم.

وهناك مسألة الإمامة أو الخلافة وظهور الأحزاب السياسية. فنلاحظ أن الكثير من العراقيين يشعرون، لأسباب تاريخية، بأن قضية العراق تتصل بالقضية العلوية. وهناك فكرة الدولة أو مفهوم الدولة بالشكل الذي عرضه الأمويون وبشّروا به، وقد لقي معارضة من الأمصار ومن القبائل.

وهناك التصادم بين مبدإ القدر أو حرية الإرادة، ومسؤولية البشر في الشؤون العامة، وبين مبدإ الجبر أو قبول الأوضاع العامة السائدة بوصفها مقدّرة. فقد تبنّى الأمويون مبدأ الجبر وبشّروا به، في حين أن الأحزاب المعارضة بشرت بمبدإ الحرية ومسؤولية البشر عن الأوضاع.

ومن ناحية ثانية، تكوّن لدى العرب شعور بأهميتهم، وإدراك بأنهم أصحاب رسالة عالمية في الإسلام. وهذا الشعور يتّصل بتكوين الإمبراطورية العربية الإسلامية، وقد أثر في نظرة العرب إلى الموالي.

ثم إن فكرة الأمة ظهر أثرها في جعل الاهتمام بالأخبار والقصص يتعدى القبيلة إلى الجماعة، وبذلك فتحت الباب للدراسة التاريخية. كما أن ميول العراقيين ومصالحهم تجاه السياسة الأموية كانت عاملاً آخر في توجيه الدراسة التاريخية.

كل هذه المسائل تظهر في الدراسة التاريخية، ويظهر دورها في العناية ببعض الحوادث، مثل الردة والفتوحات والشورى والفتنة وما اتصل بها من أحداث كوقعتي الجمل وصفّين.

وقد عبّرت كتب الأخباريين، وهم المؤرخون الأولون في العراق، عن الآراء السائدة في العراق حول المسائل المذكورة. وهكذا نجد سيف بن عمر يتناول «الرِّدة» و«الفتوحات». وأخباره عن الفتوحات تظهر أمجاد القبائل بشكل يغطي إلى حد كبير على دورها في الردة، كما أن الصورة التي يعطيها عن الردة ليست قاتمة كما يُتوقَّع. وتناول أبو مخنف الردة، والفتوحات، والشورى، والفتنة، وصفين، ثم شؤون العراق حتى نهاية العصر الأموي، وينعكس في أخباره الولاء للعراق (أو العصبية للمصر)، كما أنه يظهر صحة قضية الإمام علي، ويضع معاوية وأتباعه في الخطإ. وهو يربط قضية الإمام علي بقضية العراق، ويجعلها قضية واحدة ـ يعمل ذلك دون

أن ينتسب إلى الحزب العلوي[1]. كما أنه يظهر الأمجاد القبلية في أخباره عن الفتوحات وعن صفين.

ويعطي نصر بن مزاحم في كتابه **صفين** وجهة شيعية، ويبدو في أخباره أثر الحزبية بجلاء، كما أنه يعبّر عن المفاخر القبلية بوضوح.

ويحتمل أن عوانة بن الحكم كان عثمانياً في ميوله؛ أي أنه كان أقرب إلى الأمويين، فنراه يقدم روايات أموية، ونجده يبدي بعض التسامح حتى مع يزيد؛ إذ يروي عن سكينة قولها: ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد[2]. ومع أنه يعرض رأي جابر بن عبد الله عن بيعة معاوية بأنها «بيعة ضلالة»، إلا أنه يظهر الصراع خلال الفتنة على أنه نزاع بين شيعة عثمان وشيعة علي. ويفسح عوانة في المجال في أخباره لوجهة النظر الأموية في التأكيد على القضاء والقدَر. يورد عوانة رواية تذكر يزيد بن معاوية يخاطب عليّ بن الحسين إثر فاجعة كربلاء، ويبين له أن والده لم يتذكر الآية **﴿قل اللهمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾**[3].

وعلى كلٍّ يؤكد الأخباريون عامة مسؤولية البشر عن الحوادث، ولا يحبّذون فكرة الجبر في الشؤون العامة. ونجد في أخبار التوّابين مثلاً قوياً لهذا الاتجاه.

ثم إن فكرة الدولة، كما حاول الأمويون تثبيتها، والتأكيد على الطاعة والولاء لرأسها لا تجد التأييد في كتب الأخباريين، بل إننا نجد عطفاً على الثورات والحركات في تآليفهم، أو على الأقل تفسيراً مقبولاً لها.

ونجد الشك في قريش والحسد لمكانتها، ولما تتمتع به من امتيازات ينعكس في هذه التآليف[4].

ونلاحظ احتقار القبائل للموالي جلياً في بعض ما كتب، ونجد مثلاً واضحاً لذلك في أخبار ثورة المختار.

---

(١) فمثلاً يروي: أدركت الناس وهم يقولون إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسين بن علي وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد. انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دو غويه]، ١٥ ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج٢، ص ١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٧٨، و**القرآن الكريم**، «سورة آل عمران،» الآية ٢٦.

(٤) إن قريشاً لا تحتمل هذا ونحوه، وهم أهل حسد... إنهم قوم غدر. انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦.

وما جاءت نهاية القرن الثاني للهجرة حتى نلاحظ تطورات أخرى. فالصراع بين العرب والموالي، والاحتكاك بين المسلمين وأهل الذمة، وادعاءات الارستقراطية العربية والصلة بين قريش وبقية القبائل ـ كل هذه كان لها أثرها في الكتابة التاريخية. وظهرت فكرة الاستمرار الثقافي في تاريخ العرب أيضاً. ثم إن تزايد أهمية الإجماع بمفهومه العام ـ بالمقابلة لإجماع أهل مصر من الأمصار في السابق ـ أعطى مجالاً للتعبير العملي عن فكرة تجارب الأمة (أو خبراتها) ووحدة هذه التجارب.

وفي ضوء ما مرّ، نجد المدائني يجول في حقل التاريخ العربي كله ـ سياسياً واجتماعياً وثقافياً ـ قبل الإسلام وبعده. ورجع هشام بن محمد الكلبي إلى تاريخ الأنبياء، وتناول التاريخ الفارسي، وتاريخ العرب ـ شماليين وجنوبيين ـ قبل الإسلام، ثم التاريخ الإسلامي. وعبّر عن فكرة عامة، هي وحدة التاريخ وتكامله. ورجع أبو عبيدة إلى الروايات الفارسية، فكتب **أخبار الفرس**، **وكتاب الموالي**، وهنا نجد أثر تيار الموالي واضحاً فيه. وكتب الهيثم بن عدي كتاب **التاريخ على السنين**، وبذلك أكد فكرة وحدة تجارب الأمة. أما كتابه **تاريخ الأشراف الكبير** فيعبّر عن نظرة الأرستقراطية العربية إلى مكانتها في المجتمع الإسلامي ويعبّر عن فكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب.

ونلاحظ أن الإسرائيليات والروايات الفارسية لم تكن موجودة لدى الجيل الأول من الأخباريين، وأنها تسربت بعد ذلك عن طريق أصحابها. كما أننا نرى أن المشكلات العملية والتطورات الثقافية أثرت في الأفكار التاريخية ووسّعت أفقها.

وإن عدنا إلى المدينة نرى عاملين أثراً في الدراسات التاريخية: **أولهما** دراسة حديث الرسول(ﷺ) وسنته، **وثانيهما** مبدأ الإجماع الذي كان محلّياً ـ أي إجماع المدينة ـ أول الأمر، ثم توسّع في ما بعد. وهذا أدى إلى دراسة سيرة الرسول وسير أتباعه، وإلى دراسة الراشدين ومشكلات «الشورى» و«جمع القرآن» و«الفتنة»، وربما بعض النواحي المتصلة بصدر الدولة الأموية.

أما موضوع **المبتدإ**، أو تاريخ الخليقة والأنبياء، فإن دراسته تعتمد بالدرجة الأولى على كتب أهل الكتاب وقصصهم، فهو موضوع طارئ على الدراسة التاريخية، وقد وجد طريقه إليها بتأثير وهب بن منبه بالدرجة الأولى في ابن إسحق، وهذا العنصر الدخيل لم يلقَ قبولاً في مدرسة المدينة. وإذا كان ابن إسحق تناول المبتدأ، فإن الواقدي تجاهله وعبّر بتأكيد عن فكرة وحدة تجارب الأمم وتكاملها، وكان الواقدي معاصراً للمدائني ولهشام بن محمد الكلبي.

وشهد القرن الثالث للهجرة تبادل التأثير في الأفكار والوجهات والأساليب التاريخية بين المدارس والأمصار، وبخاصة عن طريق الرحلة في طلب العلم. كما أن المبادئ الإسلامية التي تؤثر في الكتابة التاريخية سادت في الأمصار المختلفة بعد أن كانت مهيمنة في المدينة.

فنجد الآن فكرة تكامل النبوات ووحدة الرسالة قد استقرت لدى المؤرخين. ونحسّ بأثر الحركة العباسية في المؤرخين مع العلم أن الحركة تنطوي على تفوّق التيار الإسلامي على التيار القبلي. ثم إن الحركة الشعوبية أدت إلى التأكيد على الاستمرار الثقافي والوحدة الثقافية في تاريخ العرب. وشعرت الأستقراطية العربية بالحاجة إلى تسويغ وضعها بعد مشاركة الموالي في السلطة. كما أن الفرس زاد وعيهم قوة بعد انتصار العباسيين. ثم إن الإجماع صار إجماعاً عاماً. أما مبدأ حرية الإرادة والاختيار، فقد تراجع في الحقلين السياسي والثقافي. وأخيراً، تحوّل مسرح الدراسات التاريخية من مراكز الأمصار إلى عاصمة الخلافة الكبرى بغداد.

كل هذه العوامل والاتجاهات وجدت التعبير عنها لدى مؤرخي القرن الثالث الهجري. ويكفي في هذه اللمحة أن نعطي فكرة أولية عامة.

فالبلاذري، في كتابه **أنساب الأشراف**، يعبر عن فكرة استمرار التاريخ الإسلامي واتصاله، ناسجاً خيوطه حول الأشراف العرب، وهو بذلك يشير إلى موطن الثقل والأهمية في هذا التاريخ، ويعبّر بقوة عن النظرة الاجتماعية لدى الأرستقراطية العربية.

وكتاب **فتوح البلدان** يعبّر عن رسالة العرب في الإسلام وعن دورهم التاريخي (هذا فضلاً عن أنه يساعد في تقديم حلول لمشكلات فقهية وإدارية).

أما اليعقوبي فكتب تاريخاً عامّاً، تناول القسم الأول منه التاريخ العالمي لفترة قبل الإسلام، وأعطى هذا التاريخ معنى دينياً وثقافياً. وتبدو ميوله الشيعية، كما يظهر أثر مهنته ككاتب في القسم الثاني من كتابه الذي وُضع كما يبدو لفائدة الكتّاب.

ويجمع ابن قتيبة في كتابه **المعارف** بين فكرتين تاريخيتين ـ فكرة التاريخ العالمي، وفكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب، وذلك ليسدّ حاجة طبقة الكتّاب إلى تاريخ شامل، وليجابه الحركة الشعوبية في الحقل الثقافي.

وكتب الدينوري **الأخبار الطوال**، وهو تاريخ عالمي يؤكد دور كل من العرب والفرس في التاريخ، وقدّم تفسيراً تاريخياً لاشتراك العرب والفرس في السلطة في العصر العباسي.

وأخيراً جاء الطبري، فثبّت بصورة نهائية وجهة المحدّثين في كتابة التاريخ، وعبّر عن فكرة تكامل الرسالات في التاريخ، وعن فكرة وحدة تجارب الأمة (أو الإجماع). فالتاريخ تعبير عن المشيئة الإلهية، وقد كتبه الطبري على هذا الأساس.

فتاريخه قرين تفسيره، فكما يوضّح التفسير إرادة الله في كلامه، يوضح التاريخ إرادة الله في الفعاليات البشرية.

عُروة بن الزُّبير

نزول الوحي:

[معمر بن راشد ومحمد بن عبد الله عن الزهري] عن عروة عن عائشة قالت: كان أول ما بدىء به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. قالت: فمكث على ذلك ما شاء الله، وحُبّب إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه منها، وكان يخلو بغار حراء، يتحنّث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء.

(أبو عبد الله محمد بن منيع بن سعد، **الطبقات الكبرى**، ٨ج (بيروت: دار صادر، ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨)، ج٢، ص ١٩٢).

ـ عن عروة أن رسول الله (ﷺ) قال: يا خديجة إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً، لقد خشيت أن أكون كاهناً، فقالت: إن الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد الله، إنك تصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتصل الرحم.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ١٩٥).

[مالك بن أنس عن هشام بن عروة] عن أبيه عن عائشة: إن الحارث بن هشام قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله (ﷺ) أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملَك فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وأن جبينه ليتفصد عرقاً.

(المصدر نفسه، ج٢، ص ١٩٨).

الهجرة إلى الحبشة:

[هشام بن عروة] عن عروة أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أما بعد فإنه، يعني رسول الله (ﷺ)، لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه لم يبعدوا منه أول ما دعاهم وكادوا يسمعون له، حتى ذكر طواغيتهم، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكروا ذلك عليه واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانصفق عنه عامة الناس فتركوه إلا من حفظه الله منهم وهم قليل فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث، ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله من أهل الإسلام فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء، فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله (ﷺ) أن يخرجوا إلى أرض الحبشة، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي، لا يظلم أحد بأرضه وكان يثني عليه مع ذلك صلاح وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتّجرون فيها يجدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمناً ومتجراً حسناً فأمرهم بها رسول الله (ﷺ) فذهب إليها عامّتهم لما قهروا بمكة وخاف عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فمكث بذلك سنوات، يشتدون على من أسلم منهم ثم إنه فشا الإسلام فيها ودخل فيها رجل من أشرافهم.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ١٣ج في ٥ (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٣٦هـ/١٩١٧م)، ج٢، ص ٢٢١).

[هشام بن عروة] عن عروة أنه قال: لما رجع من أرض الحبشة من رجع منها ممن كان هاجر إليها قبل هجرة النبي (ﷺ) إلى المدينة، جعل أهل الإسلام يزدادون ويكثرون، وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير وفشا بالمدينة الإسلام، فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله (ﷺ) بمكة، فلما رأت ذلك قريش تذامرت؟ على أن يفتنوهم ويشتدوا عليهم، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم فأصابهم جهد شديد وكانت الفتنة الآخرة. وكانت فتنتين: فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم بها، وأذن لهم في الخروج إليها، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة. ثم إنه جاء رسول الله(ﷺ) من المدينة سبعون نقيباً رؤوس الذين أسلموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه عهودهم على أنّا منك وأنت مِنّا وعلى أنه من جاء من أصحابك أو جئتنا فإنّا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك، فأمر رسول الله (ﷺ) أصحابه بالخروج إلى المدينة، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله (ﷺ) أصحابه وخرج وهي التي أنزل الله عز وجل فيها

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾[1]

(المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١).

وقعة بدر الكبرى:

إنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أما بعد، فإنك كتبت إليّ في أبي سفيان ومخرجه تسألني كيف كان شأنه. كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكباً من قبائل قريش كلّها كانوا تجاراً بالشام فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارتهم، فذُكروا لرسول الله (ﷺ) وأصحابه، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك فقتلت قتلى وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخلة وأسرت أسارى من قريش فيهم بعض بني المغيرة وفيهم ابن كيسان مولاهم أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بني عدي بن كعب في ناس من أصحاب رسول الله (ﷺ) بعثهم مع عبد الله بن جحش، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله (ﷺ) وبين قريش وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام. ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام فسلكوا طريق الساحل فلما سمع بهم رسول الله (ﷺ) ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الأموال وبقلّة عددهم فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه لا يرونها إلا غنيمة لهم لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم وهي التي أنزل الله عز وجل فيها **﴿وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾**[2]، فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله (ﷺ) معترضون له بعث إلى قريش أن محمداً وأصحابه معترضون لكم فأجيروا تجارتكم فلما أتى قريشاً الخبر وفي عير أبي سفيان من بطون كعب بن لؤي كلها نفر لها أهل مكة، وهي نفرة بني كعب بن لؤي ليس فيها من بني عامر أحد إلا ما كان من بني مالك بن حِسْل، ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله (ﷺ) ولا أصحابه حتى قدم النبي (ﷺ) ـ بدراً، وكان طريق ركبان قريش من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام فحفض أبو سفيان عن بدر، ولزم طريق الساحل، وخاف الرصد على بدر، وسار النبي (ﷺ) حتى عرّس قريباً من بدر، وبعث النبي (ﷺ) الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر، وليسوا يحسبون أن قريشاً خرجت لهم فبينا النبي (ﷺ) قائم يصلي إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود فأخذه النفر الذين بعثهم رسول الله (ﷺ)

(١) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ١٩٣.

(٢) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٧.

مع الزبير إلى الماء وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش فأقبلوا به حتى أتوا به رسول الله (ﷺ) وهو في معرَّسه فسألوه عن أبي سفيان وأصحابه لا يحسبون إلا أنه معهم فطفق العبد يحدّثهم عن قريش ومن خرج منها وعن رؤوسهم ويصدقهم الخبر وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه والنبي (ﷺ) يصلّي يركع ويسجد يرى ويسمع ما يُصنع بالعبد فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ضربوه وكذّبوه وقالوا إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه فجعل العبد إذا أذنفوه بالضرب وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه وليس له بهم علم إنما هو من روايا قريش قال نعم هذا أبو سفيان والركب حينئذ أسفل منهم كما قال الله عز وجل ﴿**إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم... ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً**﴾[٣]، فطفقوا إذا قال لهم العبد هذه قريش قد أتتكم ضربوه وإذا قال لهم هذا أبو سفيان تركوه فلما رأى صنيعهم النبي (ﷺ) انصرف من صلاته وقد سمع الذي أخبرهم فزعموا أن رسول الله (ﷺ) قال: والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذب، قالوا: فإنه يحدثنا أن قريشاً قد جاءت، قال: فإنه قد صدق قد خرجت قريش تجير ركابها، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش وقال لا علم لي بأبي سفيان، فسأله. كم القوم، قال: لا أدري والله هم كثير عددهم، فزعموا أن النبي (ﷺ) قال من أطعمهم أول من أمس، فسمى رجلاً أطعمهم قال كم جزائر نحر لهم، قال تسع جزائر، قال فمن أطعمهم أمس، فسمى رجلاً، قال كم نحر لهم، قال عشر جزائر، فزعموا أن النبي (ﷺ) قال القوم ما بين التسعمائة إلى الألف، فكان نفرة قريش يومئذ خمسين وتسعمائة. فانطلق النبي (ﷺ) فنزل الماء وملأ الحياض وصف عليها أصحابه حتى قدم عليه القوم فلما ورد رسول الله (ﷺ) بدراً قال هذه مصارعهم، فوجدوا النبي (ﷺ) قد سبقهم إليه ونزل عليه، فلما طلعوا عليه، زعموا أن النبي (ﷺ) قال: هذه قريش قد جاءت بجلبتها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني. فلما أقبلوا استقبلهم فحثا في وجوههم التراب فهزمهم الله، وكانوا قبل أن يلقاهم النبي (ﷺ) قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه أن ارجعوا والركب الذين يأمرون قريشاً بالرجعة بالجحفة فقالوا والله لا نرجع حتى ننزل بدراً فنقيم به ثلاث ليالي ويرانا من غشينا من أهل الحجاز فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهم الذين قالوا الله عز وجل ﴿**كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس**﴾[٤]. فالتقوا هم

---

(٣) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٤٢.

(٤) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٤٧.

والنبي (ﷺ) ففتح الله على رسوله وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المسلمين منهم.

(المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٨٤ ـ ١٢٨٨).

فتح مكة:

[هشام بن عروة] عن عروة أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني عن خالد بن الوليد هل أغار يوم الفتح وبأمر من أغار. وإنه كان من شأن خالد يوم الفتح أنه كان مع النبي (ﷺ) فلما ركب النبي بطن مرّ عامداً إلى مكة وقد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يتلقيان رسول الله (ﷺ) وهم حين بعثوهما لا يدرون أين يتوجه النبي (ﷺ) إليهم أو إلى الطائف وذاك أيام الفتح، واستتبع أبو سفيان وحكيم بن حزام بديل بن ورقاء وأحبّا أن يصحبهما ولم يكن غير أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل، وقالوا لهم حين بعثوهم إلى رسول الله (ﷺ) لا نؤتينّ من ورائكم فإنّا لا ندري من يريد محمد إيانا يريد أو هوازن يريد أو ثقيفاً، وكان بين النبي (ﷺ) وبين قريش صلح يوم الحديبية وعهد ومدة فكانت بنو بكر في ذلك الصلح مع قريش، فاقتتلت طائفة من بني كعب وطائفة من بني بكر، وكان بين رسول الله (ﷺ) وبين قريش في ذلك الصلح الذي اصطلحوا عليه لا أغلال ولا أسلاب فأعانت قريش بني بكر بالسلاح فاتهمت بنو كعب قريشاً، فمنها غزا رسول الله (ﷺ) أهل مكة، وفي غزوته تلك لقي أبا سفيان وحكيماً وبديلاً بمر الظهران ولم يشعروا أن رسول الله (ﷺ) نزل مر حتى طلعوا عليه فلما رأوه يمر دخل عليه أبو سفيان وبديل وحكيم بمنزله بمر الظهران فبايعوه فلما بايعوه بعثهم بين يديه إلى قريش يدعوهم إلى الإسلام فأخبرت أنه قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهي بأعلى مكة ومن دخل دار حكيم وهي بأسفل مكة فهو آمن ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن، وأنه لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبي (ﷺ) عامدين إلى مكة بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمّره على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يفرز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال للزبير لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتي حتى آتيك ومن ثم دخل رسول الله (ﷺ) وأمر خالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قضاعة وبني سليم وأناس إنما أسلموا قبيل ذلك أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة. وحدثت أن النبي (ﷺ) قال لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا إلا من قاتلكما، فلما قدم خالد على بني بكر والأحابيش بأسفل مكة قاتلهم فهزمهم الله عزَّ وجل ولم يكن بمكة قتال غير ذلك، غير أن كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وابن الأشعر رجلاً من بني

كعب كانا في خيل الزبير فسلكا كَداء فقتلا ولم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال، ومن ثم قدم النبي (ﷺ) وقام الناس إليه يبايعونه فأسلم أهل مكة وأقام النبي (ﷺ) عندهم نصف شهر لم يزد على ذلك حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ١١٧ ـ ١١٨).

الزُّهري

الرسول وقريش:

[أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني معمر بن راشد] عن الزهري قال: دعا رسول الله (ﷺ) إلى الإسلام سراً وجهراً فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس، حتى كثر من آمن به، وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أن غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فشنفوا لرسول الله (ﷺ) عند ذلك وعادوه.

(أبو عبد الله محمد بن منيع بن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، عني بتصحيحه أوجين منوخ [وآخرون]، ٩ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٤ ـ ١٩١٨)، ج١، القسم١، ص ١٣٣).

[أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا هشام بن سعد] عن الزهري قال: لما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتحدّث به ثار ناس كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم، فعذبوهم وسجنوهم، وأرادو فتنتهم عن دينهم، فقال لهم رسول الله (ﷺ) تفرقوا في الأرض، فقالوا أين نذهب يا رسول الله، قال ها هنا، وأشار إلى الحبشة، وكانت أحب الأرض إليه أن يهاجر قبلها فهاجر ناس ذوو عدد من المسلمين منهم من هاجر معه بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، حتى قدموا أرض الحبشة.

(المصدر نفسه، ج١، القسم ١، ص ١٣٦).

محاولة قريش إرجاع مهاجرة الحبشة:

[قال ابن إسحق] حدثني محمد بن مسلم الزهري (عن أبي بكر بن عبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي (ﷺ) قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنّا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ايتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هدية قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدِّما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلّمهم، قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبقَ من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلّما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم إنه قد ضوى إلى بلاد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم، ثم إنهما قرّبا هدايا إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشايرهم لتردهم إليهم.. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن لا يسمع كلامهم النجاشي، قالت: فقالت بطارقة حوله صدقاً أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأَسلِمْهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم، قالت فغضب النجاشي وقال لا ها الله إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمورهم فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني. قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله (ﷺ) فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا نقول والله علمنا وما أمرنا به نبينا (ﷺ) كايناً في ذلك ما هو كاين. فلما جاؤوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في دين ولا في دين أحد من هذه الملل، قالت فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل

القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبد ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قالت فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبايث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

(أبو محمد عبد الملك بن هشام، **سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق فرديناند وستنفلد، ٢ج (غوتنغن: [د.ن.]، ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠)، ص ٢٢٠ ـ ٢٩٧).

أمر الحديبية:

(قال ابن إسحق) حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير. خرج رسول الله (ﷺ) عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً، وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعماية رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر.. قال الزهري وخرج رسول الله (ﷺ) حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي.. فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم، قال فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين ساير العرب فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة.

(المصدر نفسه، ص ٧٤٠ ـ ٧٤١).

[يستمر ابن إسحق ويذكر نزول الرسول الحديبية، ثم يعود لحديث الزهري]
فقال الزهري في حديثه: فلما اطمأن رسول الله (ﷺ) أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه ما الذي جاء به، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما

جاء زايراً للبيت ومعظِّماً لحرمته، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش، فقالوا يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، إنما جاء زايراً هذا البيت فاتهموهم وجبهوهم، وقالوا وإن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تحدّث بذلك عنا العرب. قال الزهري وكانت خزاعة عيبة رسول الله مسلمها ومشركها لا يخفون عليه شيئاً كان بمكة [ثم يذكر توافد عدة رسل من قريش وإرسال عثمان إلى قريش، ثم يأتي إلى أمر الهدنة]

(المصدر نفسه، ص ٧٤٢ ـ ٧٤٣).

قال ابن إسحق قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر ابن لؤي إلى رسول الله (ﷺ) وقالوا له إيت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدّث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً، فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله (ﷺ) مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله (ﷺ) تكلم فأطال الكلام وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس رسول الله؟ قال: بلى، قال: أَوَلسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أَوَليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر إلزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أَوَليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني، قال فكان عمر يقول ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً، قال ثم دعا رسول الله (ﷺ) عليَّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله: أكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول لم أقاتلك، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك، قال فقال رسول الله (ﷺ) : أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال ولا أغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد

وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها. فبينا رسول الله (ﷺ) يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله (ﷺ) وقد كان أصحاب رسول الله (ﷺ) خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله (ﷺ) فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله (ﷺ) في نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون (ثم يتم بقصة أبي جندل). . فلما فرغ رسول الله (ﷺ) من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز ابن حفص وهو مشرك وعلي بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة.

(المصدر نفسه، ص ٧٤٦ ـ ٧٤٩).

ويذكر الزهري بعض الآيات المتعلقة بهذا الموضوع وينهي ابن إسحق ما نقله عن الزهري بما يأتي: يقول الزهري فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

(المصدر نفسه، ص ٧٤٩ ـ ٧٥٠).

إجلاء أهل خيبر:

قال ابن إسحق: وسألت ابن شهاب: كيف كان إعطاء رسول الله (ﷺ) يهود خيبر نخلهم حين أعطاهم النخل على خرجها، أبتّ ذلك لهم حتى قُبض أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك؟ فأخبرني ابن شهاب أن رسول الله (ﷺ) افتتح خيبر عنوة بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله على رسول الله (ﷺ) خمَّسها رسول الله (ﷺ) وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله (ﷺ) فقال إن شيت دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقرّكم ما أقرّكم الله، فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله (ﷺ) يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في

الخرص، فلما توفى الله نبيَّه (ﷺ) أقرها أبو بكر بعد رسول الله (ﷺ) بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله (ﷺ) حتى توفي ثم أقرهم عمر صدراً من إمارته ثم بلغ عمر أن رسول الله (ﷺ) قال في وجعه الذي قبضه الله فيه لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود فقال: إن الله قد أذن في جلائكم فقد بلغني أن رسول الله (ﷺ) قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان، فمن كان عنده عهد من رسول الله (ﷺ) فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله (ﷺ) من اليهود ليتجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله (ﷺ) منهم.

(المصدر نفسه، ص ٧٧٩).

سيرة عثمان:

[حدثني محمد بن سعد عن الواقدي حدثني محمد بن عبد الله] عن الزهري قال: لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً، فمكث ست سنين لا ينقم الناس عليه، وإنه لأحب إلى قريش من عمر لشدة عمر ولين عثمان لهم ورفقه بهم، ثم توانى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته في الست الأواخر وأهملهم، وكتب لمروان بن الحكم بخُمس أفريقية وأعطى أقاربه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الأموال واستسلف من بيت المال مالاً، وقال إن أبا بكر وعمر تركا من هذا المال ما كان لهما، وإنما آخذه فأصل به ذوي رحمي، فأنكر الناس ذلك عليه.

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم٢، مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سولومن غويتن، ٢ج في٤ (القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠)، ج٥، ص ٢٥).

مسيرة أهل الأمصار إلى عثمان:

حدثنا ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب:

إن المصريين لما قدموا فشكوا عبد الله بن سعد بن أبي سرح سألوا عثمان أن يولّي مكانه محمد بن أبي بكر، فكتب عهده وولاّه ووجّه معهم عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً، فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذ هم بغلام أسود على بعير، وهو يخبط البعير خبطاً كأنه رجل يَطلب أو يُطلب، فقال له أصحاب محمد بن

أبي بكر ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب، فقال لهم مرة أنا غلام أمير المؤمنين وقال مرة أخرى أنا غلام مروان وجّهني إلى عامل مصر برسالة، قالوا: فمعك كتاب، قال: لا ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً، وكانت معه إداوة قد يبست، فيها شيء يتقلقل، فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتَلْ لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء إليّ متظلماً منك إن شاء الله، فلما قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة، وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتم نفر ممن كان معه، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبي (ﷺ) ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبروهم بقصة الغلام، واقرأوهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمّار بن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً، وقام أصحاب النبي (ﷺ) بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتمّ لما في الكتاب.

وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيد الله، وكانت عائشة تقرصه كثيراً، ودخل عليّ وطلحة والزبير وسعد وعمّار في نفر من أصحاب محمد (ﷺ) كلّهم بدريّ على عثمان، ومع عليّ الكتاب والغلام والبعير، فقال له عليّ: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: وأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به، ولا علمت شأنه، فقال له علي: أفالخاتم خاتمك؟ قال: نعم، قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به؟ فحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به، ولا وجّهت هذا الغلام إلى مصر قط، وعرفوا أن الخط خط مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى، وكان مروان عنده في الدار، فخرج أصحاب محمد (ﷺ) من عنده غضاباً وعلموا أنه لا يحلف بباطل إلا أن قوماً قالوا لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه عن الأمر، ونعرف حال الكتاب وكيف يؤمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حق، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان، فلزموا بيوتهم فأبى عثمان أن يُخرج مروان.

فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: ؛ لا، قال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا، فسكت ثم قال: ألا أحد يبلغ علياً فيسقينا ماء، فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه،

وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت، وبلغ علياً أن القوم يريدون قتل عثمان فقال: إنما أردنا مروان أما قتل عثمان فلا، وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه، وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه على كره، وبعث عدة من أصحاب النبي أبناءهم ليمنعوا الناس الدخول على عثمان، ويسألوه إخراج مروان؛ فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر، وقد رمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه، وأصاب مروان سهم وهو في الدار، وخضب محمد بن طلحة وشُج قنبر مولى علي، خشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنة، وأخذ بيد رجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأت الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان، وبطل ما تريدون، ولكن مّروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد، فتسوّر محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان، وما يعلم أحد ممن كان معه؛ لأنهم كانوا فوق البيوت، ولم يكن معه إلا امرأته، فقال محمد بن أبي بكر: أنا أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجّآه حتى تقتلاه، فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان: لو رآك أبوك لساءه مكانك مني، فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فتوجّآه حتى قتلاه..».

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٦٧ ـ ٦٩).

لعل هذه القطعة تمثل أطول حديث للزهري، وتستمر روايته إلى بيعة علي.

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٦٩ ـ ٧٠).

وَهَب بن مُنَبِّه

ابن آدم:

[أخبرنا اسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني، قال حدثني عبد الصمد بن معقل أنه] سمع وهب بن منبه يقول: خلق الله ابن آدم كما شاء ومما شاء، فكان كذلك تبارك الله أحسن الخالقين، خلق من التراب والماء فمنه لحمه ودمه وشعره وعظامه وجسده كله، فهذا بدو الخلق الذي خلق الله منه ابن آدم، ثم جعلت فيه النفس فيها يقوم ويقعد ويسمع ويبصر ويعلم ما تعلم الدواب ويتقي ما تتقي، ثم جعل فيه الروح فيه عرف الحق من الباطل والرشد من الغي وبه حذّر وتقّدم واستتر وتعلّم ودبر الأمور كلها.

(أبو عبد الله محمد بن منيع بن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، عني بتصحيحه أوجين منوخ [وآخرون]، ٩ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٤ ـ ١٩١٨)، ج١، القسم١، ص ٦ ـ ٧).

الخطيئة الأولى:

[حدثنا الحسن بن يحيى قال حدثنا معمر عن عبد الرحمن بن مهران قال:] سمعت وهب بن منبّه يقول: لما أسكن الله (تعالى) آدم وزوجته الجنة، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة يُخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستنزلهما دخل في جوف الحية وكان للحية أربع قوائم، كأنها بُختية من أحسن دابة خلقها الله (تعالى)، فلما دخلت الجنة خرج من جوفها إبليس فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حوّا فقال انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها، فأخذت حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأكل

منها آدم، فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه يا آدم أين أنت؟ قال أنا هذا يا رب، قال ألا تخرج، قال أستحي منك يا رب، قال ملعونة الأرض التي خُلقت منها لعنة حتى تتحول ثمارها شوكاً، قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسدر، ثم قال يا حوّا أنت التي غررت عبدي فإنك لا تحملين حملاً إلا حملته كرهاً، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مراراً، وقال للحية أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غرّ عبدي ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمك في بطنك ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك حيث لقيتِ أحداً منهم أخذت بعقبه، وحيث لقيك شدخ رأسك.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان (دو غويه]، ١٥ ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج١، ص ١٠٥ ـ ١٠٦).

بنو إسرائيل:

[عن ابن إسحاق قال كما ذكر لي] عن وهب بن منبه قال: ثم بُني فيهم [يعني بني إسرائيل) بعده (يعني إلياس) أليسع فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله إليه وخلفت فيهم الخلوف، وعظمت فيهم الخطايا، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدّمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو. والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب به منبه عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل رأس هرة ميتة، فإذا صرخت في التابوت بصراخ هرّ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح. ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاف، وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من إيليا، لا يدخله عليهم عدد ولا يحتاجون معه إلى غيره، فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على الصخرة، ثم ينبذ فيه الحب فيخرج الله له ما يأكل سنة هو وعياله، ويكون لأحدهم الزيتونة فيعتصر منها ما يأكل هو وعياله سنة. فلما عظمت أحداثهم وتركوا عهد الله إليهم نزل بهم عدوّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه، ثم زحفوا به فقوتلوا حتى استلب من أيديهم، فأتى ملكهم إيلاف فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب فمالت عنقه فمات كمداً عليه، فمرج أمرهم بينهم واختلف ووطِئهم عدوّهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم، فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من أحوالهم يتمادون أحياناً في غيّهم وضلالهم، فسلّط الله عليهم من ينتقم به منهم ويراجعون التوبة أحياناً، فيكفيهم الله شر من بغاهم بسوء حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً، ورد عليهم تابوت الميثاق. وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن

نون، التي كان أمر بني إسرائيل في بعضها إلى القضاة منهم والسياسة، وفي بعضها إلى غيرهم ممن يقهرهم فيتملك عليهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة إليهم بشمويل بن بالي، أربعماية سنة وستين سنة.

(المصدر نفسه، ج١، ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥)

تاريخ اليمن (سبأ):

قال وهب: فلما ملك عبد شمس (بن يشجب بن يعرب بن قحطان) قال: يا بني قحطان إنكم إلاّ تقاتلوا الناس قاتلوكم وإلاّ تغزوهم غزوكم، ولم يغز قوم قط في عقر دارهم إلاّ ركبتهم الذلة، فاغزوا الناس قبل أن يغزوكم وقاتلوهم قبل أن يقاتلوكم..

قال وهب: فأجابوه فسار إلى أرض بابل، فافتتحها، وقتل من كان بها من البوار، حتى بلغ أرض أرمينية وافتتح أرض بني يافث ثم أراد (أن) يعبر نهر الأردن يريد الشام، فلم يستطع ذلك، فقيل له أيها الملك ليس لك مجاز غير الرجوع في طريقك فبنى قنطرة.. وجاز عليها إلى الشام، والشام اسم أعجمي من لغة بني حام، وهو طيب تفسيره بالعربي، فأخذ الشام إلى الدرب ولم يكن خلف الدرب أحد، ثم نهض إلى المغرب فبلغ النيل فنزل عليه فدعا أهل مشورته، ثم قال لهم: إني رأيت أن أبني مصراً بين هذين البحرين، ويكون صلة بين المشرق والمغرب فإنه يلجأ إليه أهل المشرق والمغرب، قالوا له: نعم الرأي أيها الملك، فبنى المدينة، وسميت مصر كما قال لهم، وبنو حام بالمغرب سكنوا براري مصر، فوصل إلى قمونية والقوط من ولد يافث بقمونية. قال وهب: وإن عبد شمس كل من قتل من الأمم سبى ذراريهم وعيالاتهم ولذلك سمي سبأ، وإن سبأ ولّى على مصر ابنه بابليون وإليه تنسب مصر لملكه عليها، ثم انصرف سبأ عبد شمس يريد مكة فسار بالعساكر على الشام، وأوصى ابنه بابليون وأنشأ يقول:

الا قل لبابليون والقول حكمة	ملكت زمام الشرق والغرب فأجمل
وخذ لبني حام من الأمر وسطه	فإن صدفوا يوماً عن الحق فاقتل

... الخ

قال وهب ورجع سبأ إلى اليمن، فبنى السد الذي ذكر الله في كتابه، وهو سد فيه سبعون نهراً، ويقبل السيل من مسيرة ثلاثة أشهر في ثلاثة أشهر، وإن سبأ لما أسس قواعد السد لم يتم له بناؤه حتى نزل به الموت، وكان عمره خمسمائة عام وسبعين عاماً، وكان ملكه خمسمائة عام..

لما مات سبأ صار الملك بعده إلى ابنه (حمير)، وقال ابنه حمير يرثي أباه سبأ، وهي أول مرثية في العرب، فأنشأ يقول:

عـجـبـت ليومـك مـاذا فـعـل	وسلـطـان عـزك كـيـف انـتـقـل
فـأسـلـمـت مـلـكـك لا طـائـعـاً	وسـلّـمـت لـلأمـر لما نـزل
فـيـا عـبـد شـمـس بـلـغـت المدى	وشـيـدت مجـداً فـلـم يـمـتـثـل
وشـيـدت ذخـراً لـدار الـبـقـا	فـلـمـا أفـلـتَ إليهـا أفـل
فـلـم يـسـبـق مـن ذاك إلا الـتـقـى	وذاك لـعـمـري أبـقـى الـعـمـل
فـأحـكـمـت مـن هـود المحـكـمـات	وآمـنـت مـن قـبـلـه بـالـرسـل
وأحـرمـت بـالـبـيـت تـوفـي الـنـذور	كـمـا كـان هـود لـديهـا فـعـل

(أبو محمد عبد الملك بن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، نشره ف. كرنكو (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، ص ٤٧ ـ ٥١).

حِمْيَر:

قال وهب وولي حمير بن سبأ الملك فجمع الجيوش وسار يطأ الأمم ويدوس الأرضين، وأمعن في المشرق حتى أبعد يَاجوج ومَاجوج إلى مطلع الشمس، وبقي قبائل من ولد يافث تحت يده وهم الترك والزط والكرد والصد والخزر والقذر (؟) والديلم وفرغان، ثم قفل نحو المغرب كما فعل أبوه سبأ فسار حتى نزل بمكة فأتاه قبائل من اليمن من بني هود يشكون إليه ثمود بن عابر بن إِرَم، وما نزل بهم منه من الخسف والظلم، وأتاه رسول أخيه بابليون من مصر يستدعيه لنصرته على بني حام، وذلك لما بلغ بني حام موت سبأ بن يشجب عتوا على بابليون بمصر، وكان بالشام قبائل من ولد كنعان بن حام وهم بنو ماريع بن كنعان، وكان نزول الحبشة بني كوش بن حام على النيل إلى برية الرمل فتداعوا على مصر يريدون خرابها. فرجع حمير إلى اليمن وأخرج ثموداً من اليمن فأنزلهم أيلة من أرض الحجاز، فعمروها من أيلة ذات الآصاد إلى أطراف جبل نجد، وذات الآصاد نهر من أنهار الحجاز وهو يجري في صفا أملس يردّه الحافر ولا يردّه الخف، تزق فيه، فقطعت فيه ثمود الصخر لطرق الإبل لمراعيها ونحتوا في جباله البيوت سترة من حر الشمس في الحجاز، قال الله (تعالى) ﴿**وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**﴾[1] وقال ﴿**وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين**﴾[2]. وفي ذات الآصاد كان السبق بين قيس بن زهير

(١) القرآن الكريم، «سورة الفجر،» الآية ٩.

(٢) المصدر نفسه، «سورة الشعراء،» الآية ١٤٩.

العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري وفيه حبس فرس ابن زهير داحس فقال في ذلك قيس:

كما لاقيت من حمل بن بدر	وإخوته على ذات الأصاد
هم فخروا عليّ بغير فخر	وردوا دون غايته جوادي
وكنت إذا منيت بخصم سوء	دلفتُ له بداهية نآد

. . . إلخ.

قال وهب ونزل حمير بدمشق فقاتل بني ماريع حتى غلبهم وأجرى عليهم الخراج، ثم مضى إلى الحبشة فلقيهم بالقيس والبهشة فهزمهم على النيل فتبعهم حتى بلغ بهم إلى البحر المحيط من المغرب، فأذعنوا وأجرى عليهم إتاوة يؤدونها في كل عام.. ثم مضى إلى المغرب حتى بلغ إلى البحر المحيط ثم أجرى على القبط الخراج.

قال وهب: ولما توجه حمير إلى المغرب أقام في المغرب مائة عام يبني المدن ويتخذ المصانع..

قال وهب: وإن حمير قفل من أرض المغرب راجعاً، وكان يكتب بالمسند في جميع سلاحه من الحديد وفي الأجبال إذا مر عليها، فأكثر من ذلك فرأى في منامه كأن آتياً أتاه فقال له: الله الله يا حمير، قال له: وما لي؟ قال: تكتب هذا الخط المسند الكريم على الله على الحديد والحجر والعود يدرس وتعلوه النجاسات والله كرمه واصطفاه وادخره للفرقان يأتي به محمد (ﷺ) في آخر الزمان فصنه واحفظه، فإن الله تبارك وتعالى اصطفاه للقرآن أكرم الكتب إلى الله واللسان العربي سيد الألسن... ولكن استخدم هذا الخط أنت وولدك فإن لكم به على الخلق فضيلة إلى مبعث محمد (ﷺ) ومر بنيك بعدك بحفظ هذا الخط...

قال وهب: وإن حمير ملك الأرض وما عليها حتى لم يبق منها مكان كما ملكها أبوه سبأ. وكان عمر حمير أربعمائة عام وخمسة وأربعين عاماً أقام في الملك أربع مائة عام فلما جاوز مائة قال:

ملكت من عدد السنين هنيهة	ذا الملك عمرك زينة الأيام
وأرى الشباب يميل في لهو الصبا	ومع الشباب غواية الأيام

. . . إلخ.

(المصدر نفسه، ص ٥١ ـ ٥٥).

وفاة الرسول:

[حدثنا عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه] عن وهب بن منبه عن جابر ابن عبد الله وابن عباس، قالا: لما نزلت ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾[3] إلى آخر السورة، قال محمد (ﷺ): يا جبريل نفسي قد نعيت، قال جبريل: الآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى. فأمر رسول الله (ﷺ) فصلى بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب وبكت منها العيون، ثم قال: أيها الناس أي نبي كنت لكم؟ قالوا: جزاك الله من نبي خير، فقد كنت لنا كالأب الرحيم وكالأخ الناصح المشفق، أديت رسالات الله وأبلغتنا وحيه ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته، فقال لهم: معاشر المسلمين أنا أنشدكم بالله وبحقي عليكم من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتصَّ مني قبل القصاص في القيامة.

(أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ١٠ج (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣٢ ـ ١٩٣٨)، ج٤، ص ٧٣).

[وبعد أن يذكر خبر عكاشة، يبين أن رسول الله (ﷺ) مرض ذلك اليوم مرضه الأخير].

فلما كان يوم الأحد ثقل في مرضه فأذّن بلال بالأذان ثم وقف بالباب فنادى السلام عليك يا رسول الله الصلاة يرحمك الله. فسمع رسول الله (ﷺ) صوت بلال فقالت له فاطمة: يا بلال إن رسول الله (ﷺ) اليوم مشغول بنفسه، فدخل بلال المسجد فلما أسفر الصبح قال: والله لا أقيمها أو استأذن سيدي رسول الله (ﷺ) فرجع وقام بالباب ونادى السلام عليك يا رسول الله.. فسمع رسول الله صوت بلال فقال: أدخل يا بلال إن رسول الله مشغول بنفسه، مُر أبا بكر يصلّي بالناس، فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول واغوثاه بالله وانقطاع رجائي وانفصام ظهري، ليتني لم تلدني أمي وإذ ولدتني ليتني لم أشهد من رسول الله (ﷺ) هذا اليوم! ثم قال: يا أبا بكر إن رسول الله أمرك أن تصلّي بالناس، فتقدم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ للناس وكان رجلاً رقيقاً، فلما نظر إلى خلوّ المكان من رسول الله (ﷺ) لم يتمالك أن خرّ مغشياً عليه، وصاح المسلمون بالبكاء فسمع رسول الله (ﷺ) ضجيج الناس... فلما كان يوم الاثنين اشتد به الوجع، وأوصى الله تعالى إلى ملك الموت عليه السلام أن اهبط إلى حبيبي وصفيّي محمد (ﷺ) في أحسن صورة، وارفق به في

(٣) المصدر نفسه، «سورة الفتح،» الآية ١.

قبض روحه، فهبط ملك الموت عليه السلام، فوقف بالباب شبه أعرابي ثم قال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أأدخل؟ [وبعد إصراره على الدخول سمع الرسول صوته وعرفه وقال له]. . أدخل يرحمك الله يا ملك الموت. . يا ملك الموت جئتني زائراً أو قابضاً؟ قال: جئتك زائراً وقابضاً، وأمرني الله عز وجل أن لا أدخل عليك إلا بإذنك ولا أقبض روحك إلا بإذنك، فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي. . .

(المصدر نفسه، ج٤، ص ٧٥ وما بعدها).

موسى بن عُقبة

المقاطعة:

قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا، حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله (ﷺ) علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله شعبهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله (ﷺ) وأجمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش، فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلّموا رسول الله (ﷺ) للقتل وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلّموه للقتل. فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (ﷺ)، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله (ﷺ) فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالاً له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله (ﷺ) وأمر رسول الله أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه. فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصيّ ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم، واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق. ويقال كانت معلّقة في سقف البيت، فلم تترك اسماً لله فيها إلا لحسته وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم، وأطلع الله عز وجل رسوله على

الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله (ﷺ) لأبي طالب، قال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبني، فانطلق يمشي بعصابته من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين بجماعتهم أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء، فأتوهم ليعطوهم رسول الله (ﷺ). فتكلم أبو طالب فقال: فقد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فعله أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها، وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم، فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نصف، إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم. فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا، فوالله لا نسلّمه أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم، قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق (ﷺ) قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله (ﷺ) والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه. فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغي تركه أفنحن السحرة أم أنتم؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود، وهشام بن عمرو ـ وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤيّ ـ في رجال من أشرافهم ووجوهم: نحن براء مما في هذه الصحيفة. قال أبو جهل، لعنه الله، هذا أمر قضي بليل، وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرأوا منها، ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي.

(أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، ١٤ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨هـ/ ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩م)، ج٣، ص ٨٤ ـ ٨٥).

الرسول يعرض نفسه في المواسم:

وقال موسى بن عقبة عن الزهري: فكان رسول الله (ﷺ) في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ويكلّم كل شريف قوم، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: لا أكره أحداً منكم على شيء من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ومن كره لم أكرهه، إنما أريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلّغ رسالة ربي وحتى يقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء، فلم يقبله أحد منهم، وما يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال: قوم الرجل أعلم به، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه؟ وكل ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤٠).

بيعة العقبة الأولى:

وروى موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهري وعروة بن الزبير: أن أول اجتماعه عليه السلام بهم [الأنصار] كانوا ثمانية وهم معاذ بن عفراء وأسعد بن زرارة ورافع بن مالك، وذكوان ـ وهو ابن عبد قيس ـ وعبادة بن الصامت وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة. فأسلموا وواعدوه إلى قابل، فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام، وأرسلوا إلى رسول الله (ﷺ) معاذ بن عفراء، ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلاً يفقّهنا. فبعث إليهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة. وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة، والله أعلم.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤٩).

أول دخول الرسول المدينة:

ذكر موسى بن عقبة أن رسول الله (ﷺ) مرّ في طريقه بعبد الله بن أبيّ بن سلول وهو في بيت، فوقف رسول الله (ﷺ) ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ـ وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم ـ فقال عبد الله انظر الذين دعوك فانزل عليهم. فذكر ذلك رسول الله (ﷺ) لنفر من الأنصار، فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه: لقد منّ الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا.

قال موسى بن عقبة: وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله (ﷺ) من بني عمرو بن عوف، فمشوا حول ناقته، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه

زمام الناقة شحاً على كرامة رسول الله (ﷺ) وتعظيماً له، وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل، فيقول (ﷺ): دعوها فإنها مأمورة، فإنما أنزل حيث أنزلني الله، فلما انتهت إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب، فنزل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ١٩٩).

وقال موسى بن عقبة عن الزهري: هذه مغازي رسول الله (ﷺ) التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق ـ وهو يوم الأحزاب وبني قريظة ـ في شوال من سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان، ثم حج أبو بكر سنة تسع، ثم حج رسول الله (ﷺ) حجة الوداع سنة عشر، وغزا اثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال، وكانت أول غزوة غزاها الأبواء.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤٢).

من بدر:

قال موسى بن عقبة: قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار ثمانية، وقتل من المشركين تسعة وأربعون، وأُسِر منهم تسعة وثلاثون. هكذا رواه البيهقي عنه.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٠٠).

بعد أُحد:

قال موسى بن عقبة: ولما دخل رسول الله (ﷺ) أزقة المدينة إذا النوح والبكاء في الدور، قال: ما هذا؟ قالوا: هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم، فقال: لكن حمزة لا بواكي له، واستغفر له، فسمع ذلك سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن رواحة فمشوا إلى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة، فقالوا: والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم النبي (ﷺ) فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة (وزعموا أن الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة). فلما سمع رسول الله (ﷺ) قال: ما هذا؟ فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم فاستغفر لهم،

وقال لهم خيراً، وقال: ما هذا أردت وما أحب البكاء، ونهى عنه.

قال موسى بن عقبة: وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله (ﷺ) وتحزين المسلمين، وظهر غش اليهود، وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل، وقالت اليهود لو كان نبياً ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب، ولكنه طالب مُلك تكون له الدولة وعليه، وقال المنافقون مثل قولهم، وقالوا للمسلمين: لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذي أصابوا منكم، فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين، يعني فيمن قتل منهم، فقال **﴿وإذ غدوت من أهلك تبوّيء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم﴾**[1].

قال موسى بن عقبة، بعد اقتصاص وقعة أُحد وذكره رجوعه ـ عليه السلام ـ إلى المدينة: وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله (ﷺ) فسأله عن أبي سفيان وأصحابه، فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون، ويقول بعضهم لبعض لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكة القوم وحدّهم ثم تركتموهم، ولم تبتروهم فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم. فأمر رسول الله (ﷺ) وبهم أشد القرح، بطلب العدو ليسمعوا بذلك، وقال: لا ينطلقن معي إلا من شهد القتال، فقال عبد الله بن أبيّ: أنا راكب معك، فقال: لا، فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء، فانطلقوا. فقال الله في كتابه **﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾**[2]. قال: وأذن رسول الله (ﷺ) لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته، قال: وطلب رسول الله (ﷺ) العدوّ حتى بلغ حمراء الأسد.

(المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٨ ـ ٤٩).

عكرمة بن أبي جهل:

[ذكر محمد بن عمر أن أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة حدثه] عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال:

لما كان يوم فتح مكة هرب عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن، وخاف أن يقتله رسول الله (ﷺ) وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة لها عقل،

---

(١) **القرآن الكريم**، «سورة آل عمران،» الآية ١٢١.

(٢) المصدر نفسه، «سورة آل عمران،» الآية ١٧٢.

وكانت قد اتبعت رسول الله (ﷺ) فجاءت إلى رسول الله (ﷺ) فقالت: ابن عمي عكرمة قد هرب منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فآمنه، قال: قد آمنته بأمان الله فمن لقيه فلا يعرض له، فخرجت في طلبه فأدركته في ساحل من سواحل تهامة، وقد ركب البحر فجعلت تُليح إليه وتقول: يا ابن عم جئتك من أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك منه فآمنك، فقال: أنت فعلت ذلك؟ قالت: نعم أنا كلمته فآمنك، فرجع معها ولما دنا من مكة قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه: يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت. قال: فقدم عكرمة فانتهى إلى باب رسول الله (ﷺ) وزوجته معه، فسبقته فاستأذنت على رسول الله (ﷺ) فدخلت، فأخبر عمر رسول الله (ﷺ) بقدوم عكرمة فاستبشر ووثب قائماً على رجليه وما على رسول الله (ﷺ) رداء فرحاً بعكرمة وقال: أدخليه، فدخل فقال: يا محمد إن هذه أخبرتني أنك أمنتني، فقال رسول الله (ﷺ): فأنت آمن، قال عكرمة: فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبد الله ورسوله، وقلت: إنك أبر الناس وأصدق الناس وأوفى الناس، أقول ذلك وأني لمطاطئ رأسي استحياء منه، ثم قلت: يا رسول الله استغفر لي كل عداوة عاديتكها أو مركب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك، فقال رسول الله (ﷺ) : اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو مركب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك، قلت: يا رسول الله مرني بخير ما تعلم فأعمله، قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وجاهد في سبيله، ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله عزّ وجل، ثم اجتهد في القتال حتى قتل شهيداً يوم أجنادين في خلافة أبي بكر، وقد كان رسول الله استعمله عام حجّه على هوازن يصدّقها، فتوفي رسول الله (ﷺ) وعكرمة يومئذ بتبالة.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دوغويه]، ١٥ ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج٣، ص ٢٣٠٦ ـ ٢٣٠٧).

عمر بن الخطاب:

عن محمد بن صالح أنه سمع موسى بن عقبة يحدث أن رهطاً أتوا عمر، فقالوا كثر العيال، واشتدت المؤنة، فزدنا في أعطياتنا. قال: فعلتموها، جمعتم بين الضرائر، واتخذتم الخدم في مال الله عز وجل، أما والله لوددت أني وإياكم في سفينتين في لجة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبعوه وإن جنف قتلوه. فقال طلحة: وما عليك لو قلت إن

تعوّج عزلوه، فقال: لا، القتل أنكل لمن بعده، إحذروا فتى قريش وابن كريمها الذي لا ينام إلا على الرضى ويضحك عند الغضب، وهو يتناول من فوقه ومن تحته.

(المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧٥٦).

محمد بن إسحق

ذكر خلق آدم:

قال ابن إسحق: فلما أراد الله أن يخلق آدم بقدرته ليبتليه ويبتلي به لعلمه بما في ملائكته وجميع خلقه، وكان أول بلاء ابتليت به الملائكة مما لها فيه ما تحب وما تكره البلاء والتمحيص بما فيهم مما لو تعلموا أو أحاط به علم الله منهم جميع الملائكة من سكان السماوات والأرض، ثم قال ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**. . إلى قوله ـ **إني أعلم ما لا تعلمون**﴾[1] أي إن فيكم ومنكم، ولم يبدها لهم منه المعصية والفساد وسفك الدماء وقال الله تعالى ﴿**ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون**﴾[2] فلما عزم الله تعالى على خلق آدم قال للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فحفظت الملائكة وعده ووعوا قوله، وأجمعوا لطاعته إلا ما كان من عدوّ الله إبليس فإنه صمت على ما في نفسه من الحسد والبغي والتكبر، وخلق الله آدم من أدمة الأرض من طين لازب من حمإٍ مسنون بيده تكرمة له وتعظيماً لأمره. فيقال والله أعلم: خلقه ثم وضعه ينظر إليه أربعين عاماً قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالاً كالفخار، ولم تمسّه نار، كان خلقه يوم الجمعة في آخر ساعة منها، ذلك قوله تعالى ﴿**هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾[3].

هذا كله قول محمد بن إسحق صاحب المبتدأ والمغازي. .

(**البدء والتاريخ** (المنسوب) لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي *Le Livre de la = création et de l'histoire de Motahhar ben Tahir el Maqdisi*، اعتنت بنشره وترجمته من العربية إلى الفرانسوية كلمان هوار، [ج (باريس: إرنست لورو، ١٨٩٩ ـ ١٩١٩)، ج٢، ص ٨٣ ـ ٨٤).

---

(١) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، «سورة ص،» الآية ٦٩.

(٣) المصدر نفسه، «سورة الإنسان،» الآية ١.

قاين وهابيل:

محمد بن إسحق قال: حدثني بعضِ أهل العلم من أهل الكتاب أن آدم تغشّى حواء قبل أن يُصيب الخطيئة، فحملت بقين بن آدم ويقال قاين وتوأمته قليميا، فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً، ولم تجد بها طلقاً حين ولدتهما، ولم تر معهما دماً لطهر الجنة، فلما ذاقا الشجرة وخطئا هبطا إلى الأرض، فكان مهبطهما فيما يذكر أهل العلم على جبل يقال له واسم من أرض الهند بين قرى الدهنج والمندل. ويرى بعض أهل العلم أن قايناً لما كان نشؤوه في الرحم في إبان معصية آدم لحقته تلك المعصية حتى قتل أخاه. قال: فلما اطمأنت بالأرض تغشّاها فحملت بهابيل وتوأمته لبوذا، ووجدت حين ولدتهما الطلق، ورأت معهما الدم. وكانت حواء لا تحمل إلا توأمين ذكراً وأنثى فحملت حواء لآدم أربعين ولداً لصُلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطناً. فلما بلغ هابيل وقاين شغل آدم قايناً بالحرث والزرع وهابيل برعاية الماشية، ثم أمر آدم ابنه قايناً أن ينكح لبوذا توأمة هابيل، وأمر هابيل أن ينكح قليميا توأمه قاين، وكانت أحسن الناس، فسلم لذلك هابيل ورضي، وقال قاين نحن من ولادة الجنة وهابيل وتوأمته من ولادة الأرض، وأنا أحق بأختي، وإنما نفس بها للجمال وضن بها على أخيه، فقال أبوه: يا بني لا تحل لك، فأبى قاين أن يقبل ذلك فقال له أبوه: أي بني قرب قرباناً ويقرب أخوك هابيل قرباناً فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها. فقرَّب قاين قمحاً وقرب هابيل من أبكار غنمه، ويقال قرب بقرة فبعث الله ناراً بيضاء. فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قاين، وبذلك كان الله يقبل القربان إذا قبله بقول أهل الكتاب، ومن ذلك قولهم للنبي (ﷺ) إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار.. فلما قبل الله قربان هابيل وكان في ذلك القضاء له بأخت قاين، غضب قاين وغلب عليه الكبر، واستحوذ عليه الشيطان فاتبع أخاه هابيل، وهو في ماشيته يرعى، فقتله. قال الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) ﴿**واتل عليهم** - يعني أهل الكتاب - **نبأ ابنِي آدم بالحق إذ قرّبا قرباناً فتُقبّل من أحدهما ولم يُتقبّل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبلَ الله من المتقين. لئن بسطت إلَيّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين. إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي...**﴾[٤]. وذلك أنه خرق بعد قتله، ولم يدرِ كيف يصنع به ولا كيف يواريه،

---

(٤) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآيات ٢٧ - ٣١.

لأنه أول ميت وأول قتيل، فلما انصرف قاين إلى أبيه قال: يا قاين أين أخوك هابيل؟ قال ما أدري ما كنت عليه رقيباً. فقال له: إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض التي فتحت فاها فتلقت دم أخيك من يدك، فإذا أنت عملت بيدك في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها وتكون فزعاً تائهاً.

(أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، **الإكليل**، حققه أوسكار لوفكرن (إبسالا: [د.ن.]، ١٩٥٣)، ج١).

ذكر حفر زمزم:

ثم إن عبد المطلب بينما هو نايم في الحجر إذ أتي فأمر بحفر زمزم وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري.. قال عبد المطلب: إني لنايم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال احفر طيبة، قال قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني، فقال: احفر بَرَّة، قال: فقلت: وما بَرَّة؟ قال ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: أحفر المضنونة، قال: قلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم، قال قلت: وما زمزم؛ قال: لا تنزف أبداً ولا تُذم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل. قال فلما بُيّن له شأنها ودُلّ على موضعها وعرف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحضر، فلما بدا لعبد المطلب الطَّيُّ كبّر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بير أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم، قالوا: له فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد هُذَيم، قال: نعم، وكانت بأشراف الشام. فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال والأرض إذ ذاك مفاوز، قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبايل قريش فأبوا عليهم وقالوا إنا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم

حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته، ثم واروه حتى يكون آخركم واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً، قالوا: نعم ما أمرت به. فقام كل رجل منهم بحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب ولا نبتغي لأنفسنا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبايل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفّها عينٌ من ماء عذب، فكبّر عبد المطلب وكبّر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبايل من قريش فقال هَلُمَّ إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا، فجاؤوا فشربوا واستقوا، ثم قالوا: قد والله قُضي لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلّوا بينه وبينها.

(أبو محمد عبد الملك بن هشام، **سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق فرديناند وستنفلد، ٢ج (غوتنغن: [د.ن.]، ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠)، ص ٩١ ـ ٩٣).

[ثم يورد خبراً آخر يختلف نوعاً ما عن هذه القصة، ذلك أنه بعد أن استيقظ من منامه].

فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذ ولد غيره، فوجد قرية النمل.. بين الوثنين إساف ونائلة، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أُمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه فقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه الحارث: دعني حتى أحفر فوالله لأمضين لما أُمرت به، فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفّوا عنه، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطّيُّ فكبّر وعرف أنه قد صُدق، فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافاً قلعية وأدراعاً، فقالت له قريش: يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق، قال: لا ولكن هلمّ إلى أمر نصفٍ بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح..

(المصدر نفسه، ص ٩٤).

ابتداء النصرانية بنجران:

قال ابن إسحق حدّثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس عن وهب بن منبه اليماني أنه حدثه أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام يقال له فيميون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة وكان سايحاً ينزل القرى لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها وكان لا يأكل إلا من كسب يديه وكان بنّاء يعمل الطين وكان يعظّم الأحد فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً وخرج إلى فلاة من الأرض يصلّي بها حتى يمسي، قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح فأحبه صالح حباً لم يحبه شيئاً كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه لا يحب أن يعلم بمكانه وقام فيميون يصلّي فبينا هو يصلي إذ أقبل نحوه التنّين الحية ذات الرؤوس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخاف عليه فعيَّل عولة، فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى فانصرف وعرف أنه قد عرف وعرف صالح أنه قد رأى مكانه، فقال له: يا فيميون تعلم والله أني ما أحببت شيئاً قط حُبك وقد أردت محبتك والكينونة معك حيث كنت، قال: ما شيت أمري كما ترى فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح، وقد كان أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاء جاءه العبد به الضُر دعا له فشُفي، وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فيميون فقيل له إنه لا يأتي أحداً دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له: يا فيميون، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه فأشارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له: ما تريد أن تعمل من بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي وقال: يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له، فدعا له فيميون فقام الصبي ليس له بأس، وعرف فيميون أنه قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة فناداه رجل فقال: افيميون؟ قال: نعم، قال: ما زلت أنظرك وأقول متى هو جاء حتى سمعت صوتك فعرفت أنك هو لا تبرح حتى تقوم عليّ فإني ميت الآن، قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل

نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحليّ النساء، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوماً، فابتاع فيميون رجلٌ من أشرافهم وابتاع صالحاً آخر، فكان فيميون إذا قام من الليل في بيت له أسكنه إياه سيده يصلي استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إن هذه النخل لا تضر ولا تنفع، ولا دعوت عليها إلهي الذي أعبد لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له، قال: فقال له سيده: فأفعل فإنك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه، قال: فقام فيميون فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها فأرسل الله عز وجل ريحاً فجعفتها من أصلها فألقتها، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هناك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب، قال ابن إسحق فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران.

(المصدر نفسه، ص ٢٠ ـ ٢٢).

بدء الوحي

قال ابن إسحق فذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها حدثته أن أول ما ابتدئ به رسول الله (ﷺ) من النبوة حين أراد كرامته ورحمة العباد به الرؤى الصادقة، لا يرى رسول الله (ﷺ) رؤيا في منامه إلا جاءت كفلق الصبح، قالت وحبّب الله إليه الخلوة، فلم يك شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

(المصدر نفسه، ص ١٥١).

غزوة الخندق:

[زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق المطلبي].

قال: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

فحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظي، والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض، قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلاَّم بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوايلي، وأبو عمار الوايلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل وهم الذي حزّبوا الأحزاب

على رسول الله (ﷺ) وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟، قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم **﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً. أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾**(٥) إلى قوله **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً. فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾**(٦). فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لما دعوهم إليه مَن حرب رسول الله (ﷺ) فاجتمعوا لذلك واستعدوا له ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله (ﷺ) وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه، فخرجت قريش وقايدها أبو سفيان ابن حرب، وخرجت غطفان وقايدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مُرة، ومسعر بن رُخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة.. فيمن تابعه من قومه أشجع.

فلما سمع به رسول الله (ﷺ) وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله (ﷺ) ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه فدأب فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله (ﷺ) وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يُورّون بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النايبة من الحاجة التي لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) ويستأذن في اللحوق بحاجته، فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له. فأنزل الله عز وجل في أولئك من المؤمنين: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾**(٧).

---

(٥) المصدر نفسه، «سورة النساء،» الآيتان ٥١ ـ ٥٢.

(٦) المصدر نفسه، «سورة النساء،» الآيتان ٥٤ ـ ٥٥.

(٧) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآية ٦٢.

فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير والطاعة لله ولرسول الله (ﷺ) يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من النبي (ﷺ) **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم* ألا إنّ لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾**[٨]، قال ابن اسحق من صدق أو كذب **﴿ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾**[٩]. قال ابن إسحق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعيل سماه رسول الله عمرواً فقالوا:

سمّاه من بعد جُعَيل عمرواً وكان للبايس يوماً ظهراً

. . . قال ابن إسحٰق: وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها من الله عبرة في تصديق رسول الله (ﷺ) وتحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون. . [يذكر ابن إسحق بعضها ويقول]: ومنها ما أراه الله تعالى من الفتح. قال وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال: ضربتُ في ناحية من الخندق، فغلظت عليّ ورسول الله (ﷺ) قريب مني، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقةٌ، قال ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى، قال: قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال: قلت نعم، قال: أما الأولى فإن الله فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح عليًّ بها المشرق. . .

قال ابن إسحٰق: ولما فرغ رسول الله (ﷺ) من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقمى إلى جانب أُحد. وخرج رسول الله (ﷺ) والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم. قال ابن إسحق: وأمروا بالذراري والنساء فجعلوا في الأطام.

قال: وخرج عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب النَضَري حتى أتى كعب بن أسد

(٨) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآيتان ٦٣ ـ ٦٤.

(٩) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآية ٦٤.

القُرَظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله (ﷺ) على قومه وعاقده على ذلك، فلما سمع كعب حييَّ بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حُييّ ويحك يا كعب افتح لي، قال: ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً، قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك ان آكل معك منها، فاحفظ الرجل ففتح له، فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، قال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء. فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله (ﷺ).

قال: فلما انتهى إلى رسول الله (ﷺ) الخبر وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ ابن النعمان وهو يؤمئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة بن دليم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بني الخزرج وخوَّات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحقٌ ما بلغنا من هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تفتُّوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله (ﷺ) وقالوا: من رسول الله لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلاً فيه حدّة، فقال له سعد بن عبادة دع عنك ما شتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله (ﷺ) فسلّموا عليه ثم قالوا: عَضلٌ والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، فقال رسول الله (ﷺ) الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين.

قال: وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتّب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغايط. . قال ابن إسحق:

وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدوّ، وذلك عن إملاء من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة. فأقام رسول الله (ﷺ) وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل والحصار.

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله (ﷺ) [كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري] إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي وهما قايدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك، فلما أراد رسول الله (ﷺ) أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا له: يا رسول الله أمراً تحبه فتصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا: قال: بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرف وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا وما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله: فأنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال ليجهدوا علينا.

قال: فأقام رسول الله (ﷺ) والمسلمون وعدوّهم محاصرهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر ابن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب ابن مرداس أخو بني محارب بن فهر تلبَّسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيأوا للقتال يا بني كنانة فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. قال ابن إسحق: ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تُعنق نحوهم. وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أُحد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعلماً ليرى مكانه فلما

وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجادلا فقتله عليّ وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. وقال علي بن أبي طالب في ذلك:

نَصَر الحجارةَ من سفاهة رأيه ... ونصرتُ ربّ محمدٍ بصواب

فصددتُ حين تركتُه متجدلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي

وعففتُ عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطَّر بزني أثوابي

لا تحسبن الله خاذلَ دينِه ... ونبيِّه يا معشر الأحزاب

قال ابن إسحق: وألقى عكرمة بن أبي جهل يومئذ رمحه وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فرّ وألقى لنا رمحَه ... لعلك عكرمَ لم تفعَل

ووليت تعدو كعدو الظليم ... ما إن تجورُ عن المعدل

ولم تلق ظهرك مستأنساً ... كأن قفاك قفا فُرعُل

. . . قال ابن إسحق: وأقام رسول الله (ﷺ) وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة؛ لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شيت. فقال رسول الله(ﷺ): إنما أنت فينا رجل واحد فخذّل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودّي إياكم وبخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتّهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا

منهم رُهُناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه، فقالوا: أشرت بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني فقال نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إليّ ولا أراكم تتّهموني، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتّهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله لرسوله (ﷺ) أنه أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإنا نخشى إن ضرَّستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تتشمّروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم.

قال: فلما انتهى إلى رسول الله (ﷺ) ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. قال ابن إسحق: [فحدثني يزيد بن زياد عن عمر بن كعب القرظي قال] قال رجل من أهل

الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله (ﷺ) وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض وحملناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله (ﷺ) بالخندق وصلى رسول الله (ﷺ) هوياً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، ثم يرجع يشرط له رسول الله الرجعة اسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله (ﷺ) فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني فقال: يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثني شيئاً حتى تأتينا، قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت من أنت؟ قال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكُراع والخُفّ وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا تستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قايم، ولولا عهد رسول الله (ﷺ) إليّ أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم. قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله (ﷺ) وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل، فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح عليّ طرف المِرط، ثم ركع وسجد، وإني لفيه، فلمّا سلّم أخبرته الخبر. وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم. قال ابن إسحق: ولما أصبح رسول الله (ﷺ) انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون وضعوا السلاح.

[ثم يذكر غزوة بني قريظة. ويسمي بعدها شهداء يوم الخندق، ثم ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة].

(المصدر نفسه، ص ٦٦٨ وبعدها).

مقتل عمر وتعيين مجلس الشورى:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن إسحٰق لما طعن عُمَر أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة شغل الناس الغمر (الغم؟) عن/ الصلاة حتى استقروا ثم صلّى بالناس عبد الرحمن بن عوف فقرأ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ و﴿إذا جاء نصر الله﴾ ثم خرج اذن عمر فناد يا أهل المدينة يا أهل الشام يا أهل البصرة/ يا أهل الكوفة ثم أدخلهم وكان أهل الكوفة آخر من دعي فما سأله أحد/ الوصية غيرهم فقالوا له أوص يا أمير المؤمنين فقال إن حدث علي حدث فالأمر إلى/ هؤلاء الستة نفر الذين توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض/ قال ابن إسحق عن أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون الأودي قال: شهدت يوم طعن عمر/ فقال عمر: ادعوا لي علياً وعثمان وطلحة وسعد والزبير وعبد الرحمن فلما دخلوا/ عليه لم يكلم منهم غير علي وعثمان فقال يا علي لعل هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتك/ بالنبي عليه السلام وعلمك وما أتاك الله من الفقه فإن وليت بعدي الأمر فاتق/ الله ثم قال لعثمان: يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك برسول الله وسنك/ وشرفك فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ولا تجعلنّ بني أبي معيط على رقاب الناس/ ثم قال: ادعوا لي صهيباً فقال: يا صهيب صلّ بالناس ثلاثاً وادخلوا هؤلاء النفر بيتاً فإن/ اجتمع رأيهم على رجل منهم فمن خالفهم فاضربوا عنقه وإياكم والهوينا فإنها تقطع/ المتصل وتهري الشفقة. قال ابن إسحق: فلما أمر بالشورى تطاول/ عمرو بن العاص فأنظره عمر فقال: اطمئن كما وضعك الله فوالله لا أجعل/ فيها أحداً حمل السلاح على النبي عليه السلام ولولا ما طمعت بمعاوية ما طمع فيها/ طليق فليعلم الطليق أن هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء ولا لمهاجرة الفتح/ فإن اختلفتم فلا تُطمعوا فيها الطلقاء ولا تظنوا أن عبد الله بن أبي ربيعة عنكم/ غافلاً. قال ابن إسحق: فلما دخل الشورى يشاورون قال لهم عبد الله ابن أبي ربيعة بن/ المغيرة أدخلوني معكم قالوا: لا ولا حباً ولا كرامة قال تسمعوا مني قالوا: فأما شئت/ قال: إن بايعتم علياً سمعنا وعصينا وإن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا/ قال: ابن إسحق: قال لهم المقداد بن الأسود لا تبايعوا لمن لم يشهد بيعة الرضوان/ ولم يشهد يوم الفرقان وفر يوم التقى الجمعان يريد عثمان فقال عثمان أما قوله/ لم يشهد بيعة الرضوان فإن رسول الله (ﷺ) أرسلني إلى أهل مكة/ وكانت البيعة بعدي فبايع لي رسول الله (ﷺ) بشماله وسما/ رسول الله خير يجيبني. وأما قوله لم يشهد يوم الفرقان فإن رسول الله (ﷺ) جعلني على بنته وكانت ساكتة، وضرب لي سهمي وأعطاني أجري/ وأما قوله فر يوم التقا الجمعان فقد عفا الله عني فيما

يوشي/ قال: ابن إسحق وأقبل المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص فجلسا عند باب أصحاب الشورى/ فمر بهم سعد بن أبي وقاص فقال: أتريدان أن يراكما أحد فيظن أنكما من أهل أصحاب/ الشورى قوماً، فأقامهما فمكث أصحاب/ الشورى يومين لا يقضون شيء (هكذا) فقال لهم عبد الرحمن/ ابن عوف ما عليكم أكلّكم يرجو الخلافة، هل لكم تولونيها، وأخرج منها نفسي وابن عمي.

Nabia Abbott, *Studies in Arabic Literary Papyri*, Oriental Institute Publications; v. 75-77, 3 vol. (Chicago, IL: University of Chicago Press, [1957-1972]), vol. 1: *Historical Texts*, pp. 80-81 and 90.

ترى المؤلفة أن ورقة البردي هذه من الثلث الثاني أو الربع الثالث للقرن الثاني للهجرة.

خالد في العراق:

[حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة] عن ابن إسحق عن صالح بن كيسان، أن أبا بكر رحمه الله كتب إلى خالد بن الوليد يأمره أن يسير إلى العراق، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد، يقال لها بانقيا وباروسما وألّيس، فصالحه أهلها وكان الذي صالحه عليها ابن صَلُوبا وذلك في سنة ١٢هـ. فقبل منهم خالد الجزية، وكتب لهم كتاباً فيه: «من خالد بن الوليد لابن صلوبا السواديّ ومنزله بشاطئ الفرات، إنك آمن بأمان الله؛ إذ حقن دمه باعطاء الجزية، وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتيك بانقيا وباروسما ألف درهم فقبلتها منك ورضي من معي من المسلمين بها منك، وله ذمة الله وذمة محمد (ﷺ) وذمة المسلمين على ذلك، وشهد هشام بن الوليد».

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي، وكان أمّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر، فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبيصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية وقعت بالعراق، وهي القريات التي صالح عليها ابن صلوبا.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دو غويه]، ١٥ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج١، ص ٢٠١٦ ـ ٢٠١٨).

خالد يذهب إلى الشام:

وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة ويخرج فيهم ويستخلف على ضعفة الناس رجلاً منهم. . فسار خالد بأهل القوة من الناس ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة مدينة رسول الله (ﷺ) وأمّر عليهم عمير بن سعد الأنصاري واستخلف خالد على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيباني، ثم سار حتى نزل على عين التمر فأغار على أهلها فأصاب منهم ورابط حصناً بها فيه مقاتلة كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزلهم فضرب أعناقهم وسبى من عين التمر ومن أبناء تلك المرابطة سبايا كثيرة فبعث بها إلى أبي بكر، فكان من تلك السبايا أبو عمرة مولى شبَان وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمرة. . ويسار وهو جد محمد بن إسحق مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف. . ثم أراد السير مفوّزاً من قُراقر وهو ماء لكلب إلى سُوى وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال فلم يهتد خالد الطريق فالتمس دليلاً فدل على رافع بن عميرة الطائي، فقال له خالد: انطلق بالناس، فقال له رافع: إنك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال والله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه ولا يسلكها إلا مغرّراً إنها لخمس ليال جياد لا يصاب فيها ماء مع فصلتها، فقال له خالد: ويحك إنه والله لا بد من ذلك إنه قد أتتني من الأمير عزمة بذلك فمر بأمرك، قال: استكثروا من الماء من استطاع منكم أن يصرّ أذن ناقته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع الله أبغني عشرين جزوراً عظاماً سماناً مسانّ. فأتاه بهن خالد فعمد إليهن رافع فظمأهن حتى إذا تملأن عمد إليهن فقطع مشافرهن ثم كعمهن لئلا يجتررن ثم أخلى أدبارهن ثم قال لخالد سر، فسار خالد معه مُغِذّاً بالخيول والأثقال فكلما نزل منزلاً افتظ أربعاً من تلك الشوارف فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء فلما خشي خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أرمد: ويحك يا رافع ما عندك، قال أدركت الري إن شاء الله، فلما دنا من العلمين قال للناس انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل؟ قالوا: ما نراها، قال إنا لله وإنا إليه راجعون هلكتم والله إذاً وهلكت لا أبالكم انظروا فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقية فلما رآها المسلمون كبّروا وكبّر رافع بن عميرة ثم قال: احفروا في أصلها فحفروا فاستخرجوا عيناً فشربوا حتى روي الناس فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل، فقال رافع: والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة وردته مع أبي وأنا غلام. فقال شاعر من المسلمين:

لله عينا رافع أنّى اهتدى ... فوّز من قُراقر إلى سُوى
خمساً إذا ما سارها الجيش بكى ... ما سارها قبلي إنسيٌّ يُرى

فلما انتهى خالد إلى سُوى أغار على أهله وهم بهراء قبيل الصبح وناس منهم يشربون خمراً لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها ومغنيهم يقول:

ألا علّلاني قبلَ جيش أبي بكر   لعل منايانا قريب وما ندري
ألا عللاني بالزجاج وكررا   عليّ كميت اللون صافية تجري

إلخ القصيدة..

ثم سار خالد على وجهه ذلك حتى أغار على غسان بمرج راهط، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فاجتمعوا عليها فرابطوها حتى صالحت بصرى على الجزية وفتحها الله على المسلمين فكانت أول مدينة من مدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين وسمعت الروم بهم فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين، بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين، وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم فاجتمعوا بأجنادين حتى عسكروا عليهم.

(المصدر نفسه، ج١، ص ٢١٢١ ـ ٢١٢٥).

الواقدي

غزوة بدر

فلما أفلت أبو سفيان بالعير ورأى أن قد أحرزها أرسل إلى قريش قيس بن امرئ القيس وكان مع أصحاب العير خرج معهم من مكة، فأرسله أبو سفيان يأمرهم بالرجوع ويقول: قد نجت عيركم فلا تحرزوا أنفسكم أهل يثرب فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم وقد نجاها الله، فإن أبوا عليك فلا يأبوا خصلة واحدة يردون القيان فإن الحرب إذا أكلت انكلّت. فعالج قريشاً وأبت الرجوع وقالوا أما القيان فسنردها، فردوهن من الجحفة ولحق الرسول أبا سفيان بالهدّة (والهدّة على سبعة أميال من عقبة عُسفان على تسعة وثلاثين ميلاً من مكة). فأخبره بمضي قريش فقال: واقوماه، هذا عمل عمرو بن هشام كره أن يرجع؛ لأنه قد ترأس على الناس وبغى والبغي منقصة وشؤم، إن أصاب أصحاب محمد النفير ذللنا إلى أن ندخل مكة... وقال أبو جهل لا والله لا نرجع حتى نرد بدراً، وكان بدر موسماً من مواسم الجاهلية يجتمع بها العرب لها بها سوق، تسمع بنا العرب وبمسيرنا فنقيم ثلاثاً على بدر ننحر الجزر ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبداً..

[حدثنا الواقدي قال: فحدثني عبد الملك بن جعفر عن أم بكر بنت المسوّر عن أبيها قال:] قال الأخنس بن سريق وكان أعرابياً وكان حليفاً لبني زهرة فقال: يا بني زهرة قد نجى الله عيركم وخلّص أموالكم ونجّى صاحبكم مخرمة بن نوفل فإنما خرجتم لتمنعوه وماله وإنما محمد رجل منكم ابن أختكم فإن يك نبيّاً فأنتم أسعد به وأن يكُ كاذباً يلي قتلَه غيُركم خير من أن تلوا قتل ابن أختكم فارجعوا واجعلوا جبنها بي فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير صنعة لا ما يقول هذا الرجل فإنه مهلك قومه سريع في فسادهم، فأطاعوه وكان فيهم مطاعاً وكانوا يتيمنون به، قالوا فكيف نصنع بالرجوع إن نرجع؟ قال الأخنس: نخرج من القوم فإذا أمسيت سقطت عن

بعيري فيقولون نُهِش الأخنس فإذا قالوا امضوا فقولوا لا نفارق صاحبنا حتى نعلم أحيّ هو أم ميّت فندفنه فإذا مضوا رجعنا، ففعلت بنو زهرة فلما أصبحوا بالأبوا راجعين تبين للناس أن بني زهرة رجعوا، فلم يشهدها أحد من بني زهرة، قال: وكانوا مائة أو أقل من المائة وهو أثبت، وقد قال قائل كانوا ثلثمائة. وقال عدي بن أبي الزغباء في منحدره إلى المدينة من بدر وانتشرت الركاب عليه فجعل عدي يقول:

أقم لها صدورها يا بسبس ... إن مطايا القوم لا تُحبّس
وحملها على الطريق أكيس ... قد نصر الله وفرّ الأخنس

.. حدثنا محمد بن عمر الواقدي قال: [فحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال]: خرجت بنو عدي مع النفير حتى كانوا بثنية لفت فلما كان في السحر عدلوا في الساحل منصرفين إلى مكة فصادفهم أبو سفيان فقال: يا بني عدي كيف رجعتم لا في العير ولا في النفير؟ قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع فرجع من رجع ومضى من مضى ولم يشهدها أحد من بني عدي، ويقال إنه لاقاهم بمر الظهران فقال تلك المقالة لهم.

ومضى رسول الله (ﷺ) وكان صبيحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظبية.. ثم سار رسول الله (ﷺ) حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان فصلى عند بئر الروحاء.

.. حدثنا محمد بن عمر الواقدي قال: [فحدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبان بن صالح عن سعيد بن المسيب] أن رسول الله (ﷺ) لما رفع رأسه عن الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة، وقال اللهم لا تفلتنّ أبا جهل فرعون هذه الأمة، اللهم لا تفلتن زمعة ابن الأسود، اللهم وأسخن عين زمعة بزمعة، اللهم واعم بصر أبي زمعة، اللهم لا تفلتن سهيل، اللهم أنجِ سلمة بن هشام، وعيّاش بن أبي ربيعة والمستضعفين [من المؤمنين]..

ومضى رسول الله (ﷺ) حتى إذا كان دوين بدر أتاه الخبر بمسير قريش، فأخبرهم رسول الله (ﷺ) بمسيرهم، واستشار رسول الله (ﷺ) الناس، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قال عمر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قال: يا رسول الله إنها والله قريش وعزّها والله ما ذلّت منذ عزت والله ما آمنت منذ كفرت والله لا تسلّم عزها أبداً ولتقاتلنك فاتّهب لذلك أهبته وأعدّ لذلك عدّته. ثم قام المقداد بن عمر فقال: يا رسول الله امض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها إذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون، ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك

الغُماد لسرنا (وبرك الغُماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمين). فقال له رسول الله (ﷺ) خيراً ودعا له بخير. ثم قال رسول الله (ﷺ) أشيروا عليّ أيها الناس، وإنما يريد رسول الله (ﷺ) الأنصار وكان يظن أن الأنصار لا تنصره إلا في الدار وذلك أنهم شرطوا له أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم. فقال رسول الله (ﷺ) أشيروا عليّ، فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار كأنك يا رسول الله تريدنا، قال: أجل، قال: إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحي إليك في غيره، فإنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن كل ما جئت به حق وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا نبي الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل وصلْ من شئت واقطع من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وما أخذت من أموالنا أحبَ إلينا مما تركت والذي نفسي بيده ما سلكت هذا الطريق قط وما لي بها من علم وما نكره أن يلقانا عدوّنا غداً إنا لصبُرُ عند الحرب صُدُقٌ عند اللقاء لعلّ الله (ﷺ) يريك منا بعض ما يقرّ به عينيك.

.. الواقدي قال: [فحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال] قال سعد: يا رسول الله إنا قد خلّفنا من قومنا قوماً ما نحن بأشدّ حبالك منهم ولا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد ونية ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاقٍ عدواً ما تخلّفوا ولكن ظنوا أنها العير، نبني لك عريشاً فتكون فيه ونعدّ عندك رواحلك ثم نلقى عدوّنا فإن أعدّنا الله وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا وأن تكون الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من ورانا، فقال له النبي (ﷺ) خيراً، وقال: أَوَيقضي الله خيراً من ذلك يا سعد. قالوا: فلما فرغ سعد من المشورة قال رسول الله (ﷺ) : سيروا على بركة الله فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني انظر إلى مصارع القوم، وقال وأرانا رسول الله (ﷺ) مصارعهم يومئذ هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فما عدا كل رجل مصرعه، قال: فعلم القوم أنهم يلاقون القتال وأن العير تفلت ورجوا النصر لقول النبي (ﷺ).

... الواقدي قال: [فحدثني أبو اسماعيل بن عبد الله بن عطية بن عبد الله ابن أنيس عن أبيه قال]: فمن يومئذ عقد رسول الله (ﷺ) الألوية وهي ثلاثة وأظهر السلاح وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود. وخرج رسول الله من الروحاء فسلك المضيق ثم جاء الخبيرتين فصلاً بينهما ثم تيامن فتشام في الوادي حتى مر على خيف المعترضة فسلك في ثنية المعترضة حتى سلك على التيّا وبها لقي سفيان الضمري.. قال رسول الله (ﷺ): أخبرنا عن قريش، قال الضمري: بلغني أنهم خرجوا يوم كذا وكذا من مكة فإن كان الذي أخبرني صادقاً فهم بجانب هذا

الوادي، قال رسول الله (ﷺ) فأخبرنا عن محمد وأصحابه، فقال أخبرت أنهم خرجوا من يثرب كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فهم بجانب هذا الوادي، قال الضمري، فمن أنتم؟ قال النبي (ﷺ) نحن من مآ وأشار بيده نحو العراق فقال الضمري: من مآ العراق، ثم انصرف رسول الله (ﷺ) إلى أصحابه ولا يعلم واحد من الفريقين بمنزل صاحبه بينهم قوز من رمل. . ونزل رسول الله (ﷺ) وأدنى عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص يتحسبون على الماء وأشار لهم رسول الله (ﷺ) إلى ظريب فقال أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القليب الذي يلي الظَّريب والقليب بئر بأصل الظريب والظريب جبل صغير، فاندفعوا تلقاء الظريب فيجدون على تلك القليب التي قال رسول الله (ﷺ) روايا قريش فيها سقاؤهم ولقي بعضهم بعضاً فأفلت عامّتهم. . وأخذ تلك الليلة يسار غلام عبيد بن سعيد بن العاص وأسلم غلام منبه بن الحجاج وأبو رافع غلام أمير بن خلف فأتى بهم النبي (ﷺ) وهو قايم يصلي فقالوا سُقَّاء قريش بعثوا بسقيهم من الماء وكره القوم خبرهم ورجوا أن يكونوا لأبي سفيان وأصحاب العير فضربوهم فلما أذلفوهم بالضرب قالوا نحن لأبي سفيان ونحن في العير وهذه العير بهذا القوز فيمسكون عنهم. فسلّم رسول الله (ﷺ) من صلاته ثم قال: إن صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم، فقال أصحاب رسول الله (ﷺ) يخبرونا يا رسول الله أن قريشاً قد صابرت، قال رسول الله (ﷺ) على السُقاء فقال: أين قريش؟ قالوا: خلف هذا الكثيب الذي ترى، قال: كم هي؟ قالوا كثير، قال: كم عددهم؟ قالوا: لا ندري كم هو، قال: كم ينحرون؟ قالوا: يوماً عشرة ويوماً تسعة، قال القوم ما بين الألف والتسع مائة. ثم قال رسول الله (ﷺ) للسقاء: من خرج من مكة؟ قالوا: لم يبق أحد به طعم إلا خرج، فأقبل رسول الله (ﷺ) على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت أفلاذ كبدها. ثم قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه: أشيروا عليَّ في المنزل، فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: فإن هذا ليس بمنزل، انطلق بنا إلى أدنى ماء القوم، فإني عالم بها وبقُلُبها، بها قليب قد عرفت عذوبة مائه وماء كثير لا ينزح، ثم نبني عليها حوضاً ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونعوّر ما سواها من القلب.

. . . الواقدي قال [فحدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين، عن عكرمة عن ابن عباس، قال]: نزل جبريل على النبي (ﷺ) فقال: الرأي ما أشار ابن الحباب، فقال رسول الله (ﷺ) يا حباب أشرت بالرأي، فنهض رسول الله (ﷺ) ففعل كل ذلك.

. . . الواقدي قال: [فحدثني عبيد بن يحيى عن معاذ بن رفاعة عن أبيه، قال]: بعث الله السما، وكان الوادي دهساً (الدهس الكثير الرمل] فأصابنا ما لبّد الأرض ولم يمنعنا من المسير، وأصاب قريشاً ما لم يقدروا أن يرتحلوا منه، وإنما بينهم قوز من رمل. قالوا: وأصاب المسلمين تلك الليلة النعاس ألقي عليهم، فناموا، وما أصابهم من المطر ما يؤذيهم.

. . . الواقدي قال: [فحدثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد، قال:] لما نزل رسول الله (ﷺ) على القليب بني له عريش من جريد، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشح السيف، فدخل النبي (ﷺ) هو وأبو بكر.

. . . الواقدي قال: [فحدثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال:] صف رسول الله (ﷺ) أصحابه قبل أن تنزل قريش، وطلعت قريش ورسول الله يصفهم، وقد أترعوا حوضاً يفرطون فيه من السحر، وقذف فيه الآنية، ودفع رايته إلى مصعب بن عمير تقدم بها إلى موضعها الذي يريد رسول الله (ﷺ) أن يضعها فيه. ووقف رسول الله (ﷺ) ينظر إلى الصفوف، فاستقبل المغرب، وجعل الشمس خلفه، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس، فنزل رسول الله (ﷺ) بالعُدوة الشامية، ونزلوا بالعدوة اليمانية، فجاءه رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن كان هذا منك عن وحي نزل إليك فامض له، وإلا فإني أرى أن تعلو الوادي، فإني أرى ريحاً قد هاجت من أعلا الوادي، وإني أراها بعثت بنصرك، فقال رسول الله (ﷺ) قد صففت صفوفي ووضعت رايتي فلا أغير ذلك، ثم دعا رسول الله (ﷺ) ربه فنزل عليه جبريل **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدّكم بألف من الملائكة مردفين﴾**[1] بعضهم إثر بعض.

. . الواقدي قال: [فحدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال]: كان على خيل المشركين الحارث بن هشام، وعلى الميمنة هبيرة بن أبي وهب، وعلى الميسرة زمعة بن الأسود، وقال قائل: كان على الميمنة الحارث بن عامر، وعلى ميسرتهم عمرو بن عبد.

. . الواقدي قال: [فحدثني محمد بن صالح عن يزيد بن رومان وابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين قالا:] ما كان على الميمنة ميمنة النبي (ﷺ) يوم بدر ولا على ميسرته أحد يسمى، وكذلك ميمنة المشركين وميسرتهم ما سمعنا فيها بأحد، قال ابن واقد هذا الثبت عندنا.

---

(١) **القرآن الكريم**، «سورة الأنفال،» الآية ٩.

.. الواقدي قال: [حدثني محمد بن قدامة عن عمرو بن حسين قال:] كان لواء رسول الله (ﷺ) يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، ومع قريش ثلاثة ألوية: لواء مع أبي عزيز، ولواء مع النصر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة...

... الواقدي قال: [فحدثني محمد بن عبد الله بن الزهري عن عروة بن الزبير، ومحمد بن صالح عن عاصم بن عمر ويزيد بن رومان قال:] لما رأى رسول الله (ﷺ) قريشاً تصوب من الوادي، وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوأ للقوم منزلاً، فقال رسول الله (ﷺ): اللهم إنك أنزلت عليّ الكتاب وأمرتني بالقتال ووعدتني إحدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم احنهم الغداة..

(أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، **المغازي** (القاهرة: [د.ن.]، ١٩٤٨)، ص ٣٦ ـ ٥٦).

غزوة أُحد:

يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً، واستخلف رسول الله (ﷺ) على المدينة ابن أم مكتوم.

... الواقدي قال: [أخبرنا محمد بن عبد الله بن مسلم، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحرث، وعبد الله بن جعفر وابن أبي سبرة ومحمد بن دينار ومعاذ بن محمد وابن أبي حبيبة ومحمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة وعبد الرحمن بن عبد العزيز ويحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ويونس بن محمد الظفري ومعمر بن راشد وعبد الرحمن بن أبي الزناد وأبو معشر في رجال لم اسمّ، فكل قد حدثني بطايفة ما هذا الحديث وبعض القوم كان أدعى له من بعض وقد جمعت كل الذي حدثوني قالوا:] لما رجع من حضر بدراً من المشركين إلى مكة، والعير التي قدم بها أبو سفيان ابن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة وكذلك كانوا يصنعون فلم يحركها أبو سفيان ولم يفرّقها لغيبة أهل العير، مشت أشراف قريش إلى أبي سفيان بن حرب الأسود بن المطلب بن أسد وجبير بن مطعم وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة وحويطب بن عبد العُزّى وحجير بن أبي هاب، فقالوا: يا أبا سفيان انظر هذه العير التي قدمت بها فاحتسبها فقد عرفت أنها

أموال أهل مكة ولطيمة قريش وهم طيبو أنفس يجهزون بهذه العير جيشاً كثيفاً إلى محمد وقد ترى ما قتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرنا، قال أبو سفيان: وقد طابت أنفس قريش بذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي فأنا والله الموتور الثاير، قد قتل ابني حنظلة ببدر وأشراف قومي. فلم تزل العير موقوفة حتى تجهزوا للخروج إلى أُحُد فباعوها فصارت ذهباً عيناً فوقف عند أبي سفيان. ويقال إنما قالوا يا أبا سفيان بع العير ثم أعزل أرباحها وكانت العير ألف بعير وكان المال خمسين ألف دينار وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً وكان متجرهم من الشام غزة لا يعدونها إلى غيرها، وكان أبو سفيان قد حبس عير زهرة؛ لأنهم رجعوا من طريق بدر وسلم ما كان لمخدمة بن نوفل ولبني أبيه وبني عبد مناف ابن زهرة فأبى مخرمة أن يقبل عيره حتى يسلم إلى بني زهرة جميعاً، وتكلم الأخنس فقال: وما لعير بني زهرة من بين عيرات قريش؟ قال أبو سفيان: لأنهم رجعوا عن قريش، قال الأخنس: أنت أرسلت إلى قريش أن ارجعوا فقد أحرزنا العير لا يخرجوا في غير شيء فرجعنا، فأخذت زهرة عيرها وأخذ أقوام من أهل مكة أهل ضعف لا عشاير لهم ولا منعة كل ما كان لهم في العير، فهذا بين إنما أخرج القوم أرباح العير وفيهم نزلت **﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله..﴾**[٢] فلما أجمعوا على المسير قالوا نسير في العرب فنستنصرهم فإن عبد مناة غير متخلّفين عنا هم أوصل العرب لأرحامنا ومن اتبعنا من الأحابيش، فاجتمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش يشيرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم.. فألّبوا العرب وجمعوها وبلغوا ثقيفاً فأوعبوا، فلما أجمعوا المسير وتألب من كان معهم من العرب وحضروا اختلفت قريش في إخراج الظعن معهم.

.. الواقدي قال: [فحدثني بكر بن مسمار عن زياد مولى سعد عن نسطاس قال:] قال صفوان بن أمية: أخرجوا بالظعن فأنا أول من فعل فإنه أَقْمَنُ أن يحفظنكم ويذكرنكم قتلى بدر فإن العهد حديث ونحن قوم مستميتون لا نريد أن نرجع إلى دارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه، فقال عكرمة بن أبي جهل أنا أول من أجاب إلى ما دعوت إليه، وقال عمرو بن العاص مثل ذلك، فمشى في ذلك نوفل بن معاوية الديلي فقال يا معشر قريش ليس هذا برأي أن تعرّضوا حرمكم عدوّكم، ولا آمن أن تكون الدبرة لهم فتفتضحوا في نسائكم، فقال صفوان بن أمية: لا كان غير هذا أبداً، فجاء نوفل إلى أبي سفيان فقال له تلك المقالة فصاحت هند بنت عتبة: إنك والله سلمت يوم بدر فرجعت إلى نسائك نعم نخرج فنشهد

---

(٢) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٣٦.

القتال فقد ردّت القيان من الجحفة في سفرهم إلى بدر فقتلت الأحبة يومئذ، قال أبو سفيان: لست أخالف قريشاً أنا رجل منها ما فعلت فعلتُ، فخرجوا بالظعن. [ثم يسمي النساء].

.. وكانت الألوية يوم خرجوا من مكة ثلاثة ألوية عقدوها في دار الندوة لواء يحمله سفيان بن عويف ولواء في الأحابيش يحمله رجل منهم ولواء يحمله طلحة بن أبي طلحة، قال ابن واقد وهو الثبت عندنا. وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضموا إليها وكان فيهم من ثقيف مائة رجل وخرجوا بعدة وسلاح كثير وقادوا مائتي فرس وكان فيهم سبع مائة دارع وثلثة آلاف بعير. فلما أجمعوا السير كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً وختمه واستأجر رجلاً من بني غفار وشرط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله (ﷺ) يخبره أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك فما كنت صانعاً إذا حلوا بك فاصنعه وقد وجهوا وهم ثلاثة آلاف وقدر مائتي فرس وفيهم سبع مائة دارع وثلاثة آلاف بعير وأوعبوا من السلاح، فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله (ﷺ) بالمدينة، ووجده بقباء فخرج حتى يجد رسول الله على باب مسجد قباء يركب حماره. فدفع إليه الكتاب فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أُبياً ما فيه فدخل منزل سعد بن ربيع فقال: في البيت أحد، فقال سعد: لا فتكلم بحاجتك، فأخبره بكتاب العباس بن عبد المطلب وجعل سعد يقول: يا رسول الله، والله إني لأرجو أن يكون في ذلك خير. وقد أرجف يهود المدينة والمنافقون وقالوا: ما جاء محمداً شيء يحبه، فانصرف رسول الله (ﷺ) إلى المدينة واستكتم سعداً بالخبر.. وشاع الخبر في الناس بمسير قريش وقدم عمرو بن سالم الخزاعي في نفر من خزاعة ساروا من مكة أربعاً فوافوا قريشاً قد عسكروا بذي طوى فأخبروا رسول الله (ﷺ) الخبر..

.. محمد بن عمر الواقدي قال: [فحدثني عبد الله بن عمرو بن زهير عن عبد الله بن عمرو بن أبي حكيمة الأسلمي قال:] لما أصبح أبو سفيان أحلف بالله أنهم جاؤوا محمداً فخبّروه مسيرنا وحذروه وأخبروه بعددنا فهم الآن يلزمون صياصيهم فما يغيب منهم شيئاً في وجهنا، فقال صفوان: إن لم يصحروا لنا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه فتركناهم ولا أموال لهم فلا يجتبرونها أبداً وإن أصحروا لنا فعددنا أكثر من عددهم وسلاحنا أكثر من سلاحهم ولنا خيل ولا خيل معهم ونحن نقاتل على وتر عندهم ولا وتر لهم عندنا. وكان أبو عامر الفاسق قد خرج في خمسين رجلاً من أوس الله حتى قدم بهم مكة حين قدم النبي (ﷺ) المدينة فأقام مع قريش وكان دعا قومه فقال لهم: إن محمداً ظاهر فأخرجوا بنا إلى قوم نؤازرهم فخرج إلى قريش يحرضها ويعلمها أنها على الحق وما جاء به محمد باطل، فسارت إلى بدر ولم يسر معها، فلما خرجت قريش إلى أُحد سار معها وكان يقول إني لو قدمت

على قومي لم يختلف عليكم منهم رجلان وهؤلاء معي نفر من قومي وهم خمسون رجلاً فصدقوه بما قال وطمعوا بنصره. وخرج النساء معهن الدفوف يحرضن الرجال ويذكّرنهم قتلى بدر في كل منزل، وجعلت قريش ينزلون كل منهل ينحرون ما نحروا من الجزر مما جمعوا من العير ويتقوون به في مسيرهم ويأكلون من أزوادهم مما جمعوا من الأموال. . .

وبعث النبي (ﷺ) عينين له أنساً ومؤنساً ابني فضالة ليلة الخميس فاعترضا لقريش بالعقيق فسارا معهم حتى نزلوا بالوطإ فأتيا رسول الله (ﷺ) فأخبراه، وكان المسلمون قد ازدرعوا العرض و(العرض ما بين الوطإ بأحد إلى الجرف إلى العرصة عرصة البقل اليوم)، وكان أهله بنو سلمة وحارثة وظفر وعبد الأشهل. . فقدم المشركون على زرعهم وخلوا فيه إبلهم وخيولهم، وقد سرب الزرع في الدفيف، وكان لأسيد بن حضير عشرون ناضحاً يسقي شعيراً. وكان المسلمون قد حذروا على جمالهم وعمّالهم وآلة حرثهم. وكان المشركون يرعون يوم الخميس حتى أمسوا، فلما أمسوا جمعوا الإبل وقصلوا عليها القصيل، وقصلوا على خيولهم ليلة الجمعة، فلما أصبحوا يوم الجمعة خلوا وظهرهم في الزرع وخيلهم، حتى تركوا العرض ليس به خضراً، فلما نزلوا واطمأنوا بعث رسول الله (ﷺ) الحباب بن المنذر بن الجموح إلى القوم، فدخل فيهم وحزر وبصر إلى جميع ما يريد، وبعثه سراً، وقال للحباب لا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى قلة فرجع إليه فأخبره خالياً، فقال له رسول الله (ﷺ): ما رأيت؟ قال: رأيت يا رسول الله عدداً حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعاً ظاهرة حزرتها سبع مائة درع، قال: هل رأيت ظعناً؟ قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار (الأكبار: الطبول)، فقال رسول الله (ﷺ): أردن أن يحرّضن القوم ويذكّرنهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم، لا تذكر من شأنهم حرفاً، حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك أحول وبك أصول. . .

وكان مقدمهم يوم الخميس لخمس ليال خلون من شوال، وكانت الوقعة يوم السبت لسبع خلون من شوال. . وباتت وجوه الأوس والخزرج سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير وسعد بن عبادة في عدة ليلة الجمعة عليهم السلاح في المسجد بباب النبي خوفاً من المشركين، وحرست المدينة تلك الليلة حتى أصبحوا. ورأى رسول الله (ﷺ) رؤيا ليلة الجمعة، فلما أصبح رسول الله (ﷺ) واجتمع المسلمون خطب.

. . الواقدي قال: [فحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال:] ظهر النبي (ﷺ) على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها

الناس إني رأيت في منامي رؤيا، رأيت كأني في درع حصينة ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته ورأيت بقراً تذبح ورأيت كأني مردف كبشاً، فقال الناس: يا رسول الله فما أولتها؟ قال: أما الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها. وأما انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي. وأما البقر المذبح فقتلى في أصحابي. وأما مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله..

وقال النبي (ﷺ): أشيروا عليّ، ورأى رسول الله (ﷺ) أن لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا فرسول الله (ﷺ) يحب أن يوافق على مثل ما رأى وعلى مثل ما عبّر عليه الرؤيا، فقام عبد الله بن أبيّ فقال: يا رسول الله كنا نقاتل في الجاهلية فيها ونجعل النساء والذراري في هذه الصياصي ونجعل معهم الحجارة والله لربما مكث الولدان شهراً ينقلون الحجارة إعداداً لعدونا ونشبّك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية وترمي المرأة والصبي مما فوق الصياصي والأطام ونقاتل بأسيافنا في السكك يا رسول الله، إن مدينتنا عذراء ما فُضت علينا قط وما خرجنا إلى عدو قط منها إلا أصاب منا وما دخل علينا قط إلا أصبناه فدعهم يا رسول الله فإنهم إن أقاموا بشر محبس وإن رجعوا خائبين مغلولين لم ينالوا خيراً يا رسول الله أطعني في هذا الأمر واعلم أني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم فهم كانوا أهل الحرب والتجربة، وكان رأي رسول الله مع رأي ابن أبيّ، وكان ذلك رأي الأكابر من أصحاب رسول الله (ﷺ) من المهاجرين والأنصار. فقال رسول الله (ﷺ): امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام، فإن دخل علينا قاتلناهم في الأزقة فنحن أعلم بها منهم وارموا من فوق الصياصي والآطام، وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن. فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً وطلبوا من رسول الله (ﷺ) الخروج إلى عدوّهم ورغبوا في الشهادة وأحبوا لقاء العدو، وقال رجال من أهل السن وأهل النية منهم حمزة بن عبد المطلب وسعد بن عبادة والنعمان ابن ثعلبة في غيرهم من الأوس والخزرج: إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقائهم فيكون هذا أجرة منهم علينا وقد كنت يوم بدر في ثلثمائة رجل فظفرّك الله عليهم ونحن اليوم بشر كثير فقد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا، ورسول الله (ﷺ) لما يرى من إلحاحهم كاره، وقد لبسوا السلاح يخصرون بسيوفهم يتسامون كأنهم الفحول [ثم يذكر أمثلة من أقوال المتحمّسين]..

فقال رسول الله (ﷺ): إني أخاف عليكم الهزيمة. قال: فلما أبوا إلا الخروج صلى رسول الله (ﷺ) الجمعة بالناس ثم وعظ الناس وأمرهم بالجد والجهاد وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ففرح الناس بذلك حيث أعلمهم رسول الله بالشخوص إلى

عدوّهم وكره ذلك المخرج بشر كثير من أصحاب رسول الله (ﷺ) وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ثم صلى الله (ﷺ) العصر بالناس وقد حشد الناس وحضر أهل العوالي ورفعوا النساء في الآطام فحضرت بنو عوف ولفّها والبنيت ولفّها وتلبّسوا السلاح، فدخل رسول الله (ﷺ) بيته ودخل معه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه ولبّساه وصفّ الناس له ما بين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه، فجاءهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا: قلتم لرسول الله ما قلتم واستكرهتموه على الخروج والأمر ينزل عليه من السماء فردوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوا وما رأيتم فيه له هوى أو رأي فأطيعوه. . . فبينما القوم على ذلك من الأمر وبعض القوم يقول القول ما قال سعد وبعضهم قد لبس لأمته على البصيرة على الشخوص وبعضهم للخروج كاره؛ إذ خرج رسول الله (ﷺ) قد لبس لأمته وقد لبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدم، كانت عند آل أبي رافع مولى رسول الله (ﷺ) بعدُ واعتمّ وتقلّد السيف، فلما خرج رسول الله (ﷺ) ندموا جميعاً على ما صنعوا، وقال الذين يلحّون على رسول الله (ﷺ) ما كان لنا أن نلح على رسول الله (ﷺ) في أمر يهوى خلافه وندّمهم أهل الرأي الذين كانوا يشيرون بالمقام، وقالوا: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك، وما كان لنا أن نستكرهك، والأمر إلى الله ثم إليك، فقال رسول الله (ﷺ): قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، ثم قال رسول الله (ﷺ): انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه، امضوا على اسم الله، فلكم النصر ما صبرتم. . .

المصدر نفسه، ص ١٩٧ ـ ٢١٤.

تدوين الدواوين:

حدثنا ابن سعد قال: حدثنا محمد بن عمر (الواقدي) قال: [حدثني عائذ بن يحيى عن جبير بن الحويرث بن فقيد] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدواوين، فقال له علي بن أبي طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال، فلا تمسك منه شيئاً، وقال عثمان بن عفان: أرى مالاً كثيراً يسع الناس، وإن لم يُحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دوّنوا ديواناً وجندوا جنداً، فدوّنْ ديواناً وجنّدْ جنداً، فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من نسُّاب قريش فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا، فبدأوا ببني هاشم ثم اتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال: وددت والله إنه هكذا، ولكن ابدأوا

بقرابة رسول الله (ﷺ) الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله.

.. محمد بن عمر قال: [حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال:] رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عرض عليه الكتاب وبنو تيم على أثر بني هاشم، وبنو عديّ على أثر بني تيم فاسمعه يقول ضعوا عمر موضعه وابدأوا بالأقرب فالأقرب من رسول الله، فجاءت بنو عديّ إلى عمر فقالوا: أنت خليفة رسول الله، قال: أو خليفة أبي بكر وأبو بكر خليفة رسول الله، قالوا: وذاك فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم، قال: بخ بخ بني عدي أردتم الأكل على ظهري وأن أذهب حسناتي لكم لا والله حتى تأتيكم الدعوة وأن أطبق عليكم الدفتر ولو أن تكتبوا في آخر الناس، إن لي صاحبين سلكا طريقاً فإن خالفتهما خولف بي والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ولا نرجو ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلا بمحمد (ﷺ) فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب أن العرب شرفت برسول الله ولعلّ بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة وما بيننا وبين أن نلقاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة مع ذلك، والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة فلا ينظر رجل إلى قرابة وليعمل لما عند الله فإن من قصّر به عمله لم يسرع به نسبه.

.. محمد بن عمر قال: [حدثني حزام بن هشام الكعبي عن أبيه قال:] رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديداً فتأتيه بقديد فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيّب فيعطيهن ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك أيضاً حتى توفي.

محمد بن عمر قال: [حدثني عبد الله بن جعفر الزهري وعبد الملك بن سليمان عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن السائب بن يزيد قال:] سمعت عمر بن الخطاب يقول: والله الذي لا إله إلا هو ثلاثاً ما من أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو مُنِعه وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك وما أنا فيه إلا كأحدهم، ولكنا على منازل من كتاب الله وقِسَمنا من رسول الله (ﷺ) والرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام والرجل وغَناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، والله لئن بقيتُ ليأتينَّ الراعي بجبل صنعاء حظُّه من هذا المال وهو مكانه.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دو غويه]، ١٥ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج١، ص ٢٧٥٠ ـ ٢٧٥٢).

الشورى:

الواقدي [عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه]، أن عمر رضي الله

عنه قال: إن رجالاً يقولون إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها، وإن بيعة عمر كانت من غير مشورة، والأمر بعدي شورى فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان الأربعة وإذا اجتمع رأي ثلاثة فاتبعوا رأي عبد الرحمن فاسمعوا وأطيعوا وإن صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فاتبعوه...

.. الواقدي [عن محمد بن عبيد الله الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس] قال: قال عمر، لا أدري ما أصنع بأمة محمد وذلك قبل أن يطعن، فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصاحبكم، يعني علياً، قلت: نعم هو أهل لها في قرابته برسول الله (ﷺ) وصهره وسابقته وبلائه، فقال عمر: إن فيه بطالة وفكاهة، قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: فأين الزهو والنخوة، قلت: عبد الرحمن بن عوف، قال: هو رجل صالح على ضعف، قلت: فسعد، قال: ذاك صاحب مِقْنب وقتال، لا يقوم بقرية لو حمل أمرها، قلت: فالزبير، قال: لقيس مؤمن الرضا كافر الغضب شحيح، إن هذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف، قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه.

.. الواقدي [عن عبد الله بن جعفر عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه] قال: ذكر عمر من يستخلف فقيل: أين أنت عن عثمان؟، قال: لو فعلت لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، قيل الزبير، قال مؤمن الرضى كافر الغضب، قيل طلحة، قال: أنفه في السماء واسته في الماء، قيل سعد، قال صاحب مقنب قريةٌ له كثير، قيل عبد الرحمن، قال: بحسبه أن يجري أهل بيته...

عن الواقدي في إسناده أن المسوّر بن مخرمة قال: كان عمر بن الخطاب وهو صحيح يسأل أن يستخلف فيأبى ذلك، ثم صعد المنبر فتكلم بكلمات ثم قال: إن متّ فأمركم إلى هؤلاء الستة النفر الذين فارقوا رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض علي بن أبي طالب ونظيره الزبير، وعبد الرحمن بن عوف ونظيره عثمان وطلحة ونظيره سعد بن مالك، إلا وإني أوصيكم بتقوى الله في الحكم والعدل في القسم.

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشرح والفهارس ماكس شلوسينغر، والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سولومن غويتن، ٢ج في ٤ (القدس: مطبعة الجاهة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠)، ج٥، ص ١٥ ـ ١٨).

مقتل عبد الله بن الزبير:

محمد بن عمر قال: [حدثني إسحق بن عبد الله عن المنذر بن جهم الأسدي قال]: رأيت ابن الزبير يوم قتل وقد تفرّق عنه أصحابه وخذله من معه خذلاناً شديداً، وجعلوا يخرجون إلى الحجّاج حتى خرج إليه نحو من عشرة آلاف.

وذكر أنه كان ممن فارقه، وخرج إلى الحجاج ابناه حمزة وخبيب فأخذا منه لأنفسهما أماناً، فدخل على أمه أسماء كما ذكر محمد بن عمر [عن أبي الزناد عن مخرمة بن سليمان الوالبي] قال: دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال: يا أمَّه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامضِ له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكّن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وإن قلت كنت على حق فلّما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا، القتل أحسن، فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال: وهذا والله رأيي والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن يستحلَّ حرمه ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أمّه فإني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلّمي لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عملاً بفاحشة ولم يَجُرْ في حكم الله ولم يغدُر في أمان ولم يتعمّد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي، اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم به ولكني أقوله تعزية لأمي لتسلو عني، فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني وإن تقدمتك ففي نفسي أخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك، قال: جزاك الله يا أمّه خيراً فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد، فقالت: لا أدعه أبداً، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة وبرّه بأبيه وبي، اللهم قد سلّمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.

قال محمد بن عمر: [حدثني موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمر] قال: دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبّلها، فقالت: هذا وداع فلا تبعد، قال ابن الزبير: جئت مودعاً إني لأرى هذا آخر يوم

من الدنيا يمر بي، واعلمي يا أمه أني إن قتلت فإنما أنا لحم لا يضرّني ما صنع بي، قالت: صدقت يا بني أتمم على بصيرتك، ولا تمكّن ابن أبي عقيل، وادن مني أودعك، فدنا منها فقبّلها وعانقها، وقالت حيث مسّت الدرع: ما هذا صنيع من يريد ما تريد قال: ما لبست هذا الدرع إلا لأشدّ منك، قالت العجوز: فإنه لا يشد مني، فنزعها، ثم أدرج كمّيه وشد أسفل قميصه وجبّة خزّ تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة، وأمه تقول البس ثيابك مشمَّرة. ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول:

إني إذا أعــرف يــومــي اصــبــر   إذ بـعـضـهـم يـعـرف ثـم يـنـكـر

فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر والله إن شاء الله، أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب.

.. محمد بن عمر قال: [حدثنا ثور بن يزيد عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام قال: رأيته يوم الثلاثاء وإنا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة من باب لنا ندخله لا يدخله غيرنا فيخرج إلينا وحده في أثرنا، ونحن منهزمون منه فما أنسى أرجوزة له:

إني إذا أعــرف يــومــي أصــبــر   وإنــمــا يــعــرف يــومــيــه الحــر
إذ بـعـضـهـم يـعـرف ثـم يـنـكـر

فأقول أنت والله الحر الشريف، فلقد رأيته في الأبطح ما يدنو منه أحد حتى ظننا أنه لا يقتل.

محمد بن عمر قال: [حدثنا مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال: رأيت الأبواب قد شحنت من أهل الشام يوم الثلاثاء، وأسلم أصحاب ابن الزبير المحارس، وكثرهم القوم فأقاموا على كل باب رجالاً وقائداً وأهل بلد، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بني شيبة، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جمح، ولأهل قنسرين باب بني سهم، وكان الحجّاج وطارق بن عمرو جميعاً في ناحية الأبطح إلى المروة فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية، فلكأنه أسد في أجمة، ما يقدم عليه الرجال فيعدو في أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز:

إني إذا أعــرف يــومــي أصــبــر   وإنــمــا يــعــرف يــومــيــه الحــر

ثم يصيح: يا ابن صفوان ويل أمه فتحاً لو كان له رجال.

لــو كــان قــرني واحــداً كــفــيــتــه

قال ابن صفوان: إي والله وألف.

[ثم يصف مقتل ابن الزبير في حديث اشترك فيه مع آخر]

محمد بن عمر قال: [حدثني عبد الجبار بن عمارة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم قال: بعث الحجاج برأس ابن الزبير، ورأس عبد الملك بن صفوان، ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة، فنصبت بها ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان، ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان.

(الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص ٨٤٤ ـ ٨٥٢).

الأندلس:

قال الواقدي: غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نصير الأندلس وهو أول من غزاها وذلك في سنة ٩٢ فلقيه إليان وهو وال على مجاز الأندلس فآمنه طارق على أن حمله وأصحابه إلى الأندلس في السفن، فلما صار إليها حاربه أهلها ففتحها وذلك في سنة ٩٢ وكان ملكها فيما يزعمون من الأشبان وأصلهم من أصبهان. ثم إن موسى بن نصير كتب إلى طارق كتاباً غليظاً لتغريره بالمسلمين وافتتانه عليه بالرأي في غزوه وأمر أن لا يجاوز قرطبة، وسار موسى إلى قرطبة من الأندلس فترضاه طارق فرضي عنه فافتتح طارق مدينة طليطلة، وهي مدينة مملكة الأندلس وهي مما يلي فرنجة وأصاب بها فائدة عظيمة أهداها موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك بدمشق حين قضى سنة ٩٦ والوليد مريض، فلما ولي سليمان بن عبد الملك أخذ موسى بن نصير بمائة ألف دينار فكلّمه فيه يزيد بن المهلب فأمسك عنه. ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز [رضي الله عنه] ولى المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم فسار أحسن سيرة ودعى البربر إلى الإسلام وكتب إليهم عمر ابن عبد العزيز كتاباً يدعوهم بعدُ إلى ذلك فقرأها إسماعيل عليهم في النواحي فغلب الإسلام على المغرب.

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **كتاب فتوح البلدان**، تحرير م.ج دو غويه (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٦٦)، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١).

ابن سعد

صفة أخلاق رسول الله:

[أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن يونس بن الحسن] قال: سئلت عائشة عن خلق رسول الله (ﷺ) فقالت: كان خلقه القرآن.

[أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا قيس بن سليمان العنبري، حدثني رجل] حدثني مسروق بن الأجدع أنه دخل على عائشة، فقال لها حدثيني بأخلاق رسول الله (ﷺ) فقالت: ألست رجلاً عربياً تقرأ القرآن، قال: بلى، قالت: فإن القرآن خلقه.

[أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة ابن أوفى] عن سعد بن هشام قال: قلت لعائشة أنبئيني عن خُلق رسول الله (ﷺ) قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: قلت: بلى، قالت: فإن خُلق رسول الله (ﷺ) القرآن، قال قتادة: إن القرآن جاء بأحسن أخلاق الناس.

[أخبرنا خداش، حدثنا حماد بن زيد عن المعلى بن زياد عن الحسن] أن رهطاً من أصحاب النبي (ﷺ) اجتمعوا فقالوا: لو أرسلنا إلى أمهات المؤمنين فسألناهن عما نَحَلوا عليه، يعني النبي (ﷺ)، من العمل لعلنا أن نقتدي به، فأرسلوا إلى هذه ثم هذه فجاء الرسول بأمر واحد، إنكم تسألون عن خُلق نبيكم (ﷺ) وخُلقه القرآن ورسول الله (ﷺ) يبيت يصلي وينام ويصوم ويفطر ويأتي أهله.

[أخبرنا عفان بن مسلم، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، حدثنا أبو التياح) عن أنس قال: كان رسول الله (ﷺ) أحسن الناس خُلُقاً.

[أخبرنا يزيد بن هارون وإسحق بن يوسف الأزرق قالا: حدثنا زكريا عن أبي إسحق] عن أبي عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة كيف كان خلق النبي (ﷺ) في بيته؟ قالت: كان أحسن الناس خلقاً، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخّاباً في

الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح.

[أخبرنا عبد الله بن نمير ومحمد بن عبيد الطنافسي قالا: حدثنا الأعمش عن شقيق عن مسروق] قال: قال عبد الله بن عمر: ولم يكن رسول الله (ﷺ) فاحشاً ولا متفحّشاً.

[أخبرنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا الليث بن سعد، حدثني أبو عثمان الوليد بن أبي الوليد أن سليمان بن خارجة بن زيد بن ثابت حدثه] عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا: حدثنا عن أخلاق رسول الله (ﷺ) فقال: ماذا أحدثكم، كنت جاره، فكان إذا نزل عليه الوحي أرسل إلي فكتبته له، وكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، أفكلّ هذا أحدثكم عنه؟

[أخبرنا يعلى بن عبيد الطنافسي وعبد الله بن نمير الهمداني قالا: حدثنا حارثة ابن أبي الرجال] عن عمرة عن عائشة أنها سئلت كيف كان رسول الله (ﷺ) إذا خلا في بيته، قالت: كان ألين الناس وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحّاكاً بسّاماً.

[أخبرنا وهب بن جرير بن حازم وعفان بن مسلم وعمرو بن الهيثم قالوا: حدثنا شعبة عن الحكم عن إبراهيم] عن الأسود قال: قلت لعائشة ما كان رسول الله (ﷺ) يصنع في بيته؟ قالت: كان في مهنة أهله، قال وهب بن جرير في حديثه: وإذا حضرت الصلاة خرج فصلى، وقال عفان في حديثه: واذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة، قال شعبة وفي الصحيفة، خرج إلى الصلاة، وحفظ شعبة قام إلى الصلاة.

[أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن سفيان] عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قيل لعائشة ما كان النبي (ﷺ) يصنع في بيته، قالت: ما يصنع أحدكم، يرقع ثوبه ويخصف نعله.

[أخبرنا عفان بن مسلم، حدثنا مهدي بن ميمون، وأخبرنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام بن يحيى كلاهما] عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قلت لعائشة ما كان رسول الله (ﷺ) يصنع في بيته، قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله، ويعمل ما تعمل الرجال في بيوتهم.

[أخبرنا هشام بن القاسم الكلابي، حدثنا شعبة عن الحكم عن إبراهيم] عن

الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي (ﷺ) يصنع في أهله؟ قالت كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة، وربما قالت: قام، تعني بالمهنة في خدمة أهله.

[أخبرنا أحمد بن الحجاج الخراساني، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا الحجاج ابن الفرافصة عن عقيل] عن ابن شهاب أن عائشة قالت: كان رسول الله (ﷺ) يعمل عمل البيت، وكثيراً ما يعمل الخياطة.

[أخبرنا عبد الله بن نمير الهمداني، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه] عن عائشة قالت: ما خُيِّر رسول الله (ﷺ) بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلا اختار الذي هو الأيسر.

[أخبرنا معن بن عيسى الأشجعي وموسى بن داود قالا: حدثنا مالك ابن أنس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير] عن عائشة قالت: ما خير رسول الله (ﷺ) في أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله (ﷺ) لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله.

[أخبرنا محمد بن مصعب القرقساني، وحدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عروة] عن عائشة قالت: ما خُيّر رسول الله (ﷺ) بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

[أخبرنا عفان بن مسلم وسعيد بن سليمان قالا، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معمر بن راشد ونعمان، قال عفان أو أحدهما عن الزهري عن عروة] عن عائشة قالت: ما لعن رسول الله (ﷺ) مسلماً من لعنة تذكر ولا انتقم لنفسه شيئاً يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله ولا سئل شيئاً قط إلا أن يُسأل مأثماً فإنه كان أبعد الناس منه، ولا خُيّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما.

[أخبرنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه] عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله (ﷺ) خادماً له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله...

(أبو عبد الله محمد بن منيع بن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، عني بتصحيحه أوجين منوخ [وآخرون]، ٩ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٤ ـ ١٩١٨)، ج١، القسم ٢، ص ٨٩ ـ ٩٢).

ذكر دعاء رسول الله (ﷺ) الأوس والخزرج:

[أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني نافع بن كثير عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة، قال: وحدثنا إسحق بن إبراهيم بن أبي منصور عن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن ربيع، قال: وحدثنا داود بن عبد الرحمن العشار عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر، قال: وحدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن نافع أبي محمد، قال: سمعت أبا هريرة، قال: وحدثني عبيد بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه عن جده، قال: وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد، [دخل حديث بعضهم في بعض] قالوا: أقام رسول الله (ﷺ) بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله، ويعرض نفسه عليهم كل سنة بمجنّة وعكاظ ومنى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة فليست قبيلة من العرب تستجيب له ويؤذى ويشتم حتى أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه وإنجاز ما وعده فساقه إلى هذا الحي من الأنصار لما أراد الله بهم من الكرامة فانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ولرسوله فأسرعوا وآمنوا وصدّقوا وآووا ونصروا وواسوا، وكانوا والله أطول الناس ألسنة وأحدّهم سيوفاً، فاختلف علينا في أول من أسلم من الأنصار وأجاب فذكروا الرجل بعينه وذكروا الرجلين وذكروا أنه لم يكن أحد أول من الستة وذكروا أن أول من أسلم من الأنصار أسعد ابن زرارة وذكوان بن عبد قيس خرجا إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة فقال لهما قد شغلنا هذا المصلي عن كل شيء يزعم أنه رسول الله كما قال، وكان أسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان متكلمين بالتوحيد بيثرب، فقال ذكوان بن عبد قيس لأسعد بن زرارة حين سمع كلام عتبة: دونك هذا دينك فقاما إلى رسول الله (ﷺ) فعرض عليهما الإسلام فأسلما ثم رجعا إلى المدينة فلقي أسعد أبا الهيثم بن التيهان فأخبره بإسلامه وذكر له قول رسول الله (ﷺ) وما دعا إليه، فقال أبو الهيثم: فأنا أشهد معك أنه رسول الله وأسلم. ويقال إن رافع بن مالك الزرقي ومعاذ بن عفراء خرجا إلى مكة معتمرين فذكر لهما أمر رسول الله (ﷺ) فأتياه فعرض عليهما الإسلام فأسلما فكانا أول من أسلم وقدما المدينة فأول مسجد قرئ فيه القرآن في المدينة، مسجد بني زريق. ويقال إن رسول الله (ﷺ) خرج من مكة فمر على نفر من أهل يثرب نزول بمنى ثمانية نفر. فعرض عليهم رسول الله (ﷺ) الإسلام فأسلموا. وقال لهم رسول الله (ﷺ) تمنعون لي ظهري حتى أبلّغ رسالة ربي؟ فقالوا: يا رسول الله نحن مجتهدون لله ولرسوله، نحن فاعلم أعداء متباغضون وإنما كانت وقعة بعاث عام الأول يوماً من أيامنا اقتتلنا فيه فإن تقدم ونحن كذا لا يكون لنا

عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وموعدك الموسم العام المقبل. ويقال خرج رسول الله (ﷺ) في الموسم الذي لقي فيه الستة النفر من الأنصار فوقف عليهم، فقال: أحلفاء يهود؟ قالوا: نعم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فأسلموا [ويذكر أسماءهم]..

قال محمد بن عمر عندنا أثبت ما سمعنا فيهم، وهو المجتمع عليه.. [ثم رجع الحديث إلى الأول [قالوا: ثم قدموا إلى المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام فأسلم من أسلم ولم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر من رسول الله (ﷺ) كثيراً.

ذكر العقبة الأولى الاثني عشر:

ليس فيهم عندنا اختلاف.

[أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد، قال: وحدثنا يونس بن محمد الظفري عن أبيه، قال: وحدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه وعن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الرحمن ابن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت] قالوا: لما كان العام المقبل من العام الذي لقي فيه رسول الله (ﷺ) النفر الستة لقيه اثنا عشر رجلاً بعد ذلك بعام، وهي العقبة الأولى، من بني النجار أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ وهما ابنا الحارث، وهما ابنا عفراء، ومن بني زريق ذكوان بن عبد قيس ورافع بن مالك، ومن بني عوف بن الخزرج عبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن، ومن بني عامر بن عوف عباس بن عبادة بن نضلة، ومن بني سلمة عقبة بن عامر بن نابئ، ومن بني سواد قطبة بن عامر بن حديدة، فهؤلاء عشرة من الخزرج، ومن الأوس رجلان أبو الهيثم ابن التيهان من بليّ حليف في بني عبد الأشهل، ومن بني عمر بن عوف عويم بن ساعدة؛ فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، قال: فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن غشي من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه، ولم يفرض يومئذ القتال، ثم انصرفوا إلى المدينة، فأظهر الله الإسلام. وكان أسعد بن زرارة يجتمع بالمدينة بمن أسلم وكتبت الأوس والخزرج إلى رسول الله (ﷺ) ابعث إلينا مقرئاً يقرئنا القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير العبدري فنزل على أسعد بن زرارة فكان يقرئهم القرآن فروى بعضهم أن مصعباً كان يجمّع بهم، ثم خرج مع السبعين حتى وافوا الموسم مع رسول الله (ﷺ).

ذكر العقبة الآخرة:

[أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال حدثني محمد بن سهل عن أبيه عن جده عن أبي بردة بن نيار، قال: وحدثني أسامة بن زيد الليثي عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال وحدثني عبد الله بن يزيد عن أبي البداح بن عاصم عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن أبيه، قال: وحدثني عبيد بن يحيى عن معاذ بن رفاعة، قال وحدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن أبي سفيان، قال: وحدثني ابن أبي سبرة عن الحارث بن الفضل عن سفيان بن أبي العوجاء، قال: وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان [دخل حديث بعضهم في حديث بعض] قالوا: لما حضر الحج مشى أصحاب رسول الله (ﷺ) الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج، وموافاة رسول الله والإسلام يومئذ فاشٍ بالمدينة، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلاً أو رجلين في خمر الأوس والخزرج وهم خمسمائة، حتى قدموا على رسول الله (ﷺ) مكة فسلموا على رسول الله (ﷺ) ثم وعدهم منى وسط أيام التشريق ليلة النفر الأولى، إذا هدأت الرِّجل أن يوافوه في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة حيث المسجد اليوم وأمرهم أن لا ينبّهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً، قال فخرج القوم بعد هدأة يسلّلون الرجل والرجلان وقد سبقهم رسول الله (ﷺ) إلى ذلك الموضع معه العباس ابن عبد المطلب ليس معه أحد غيره، فكان أول من طلع على رسول الله (ﷺ) رافع ابن مالك الزُّرَقي ثم توافى السبعون ومعهم امرأتان: قال أسعد بن زرارة فكان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه ومحمد من أعز الناس في عشيرته يمنعه والله منا من كان على قوله ومن لم يكن منا على قوله يمنعه الحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فارتؤوا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تَفَّرقوا إلا عن ملإٍ منكم واجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه، فقال البراء بن معرور: قد سمعنا ما قلت وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما تنطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله (ﷺ) قال: وتلا رسول الله (ﷺ) عليهم القرآن، ثم دعاهم إلى الله ورغبهم في الإسلام وذكر الذي اجتمعوا له فأجابه البراء بن معرور بالإيمان والتصديق، ثم قال يا رسول الله: بايعنا فنحن أهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر، ويقال إن أبا الهيثم بن التيهان كان أول من تكلّم فأجاب إلى ما دعا إليه رسول الله (ﷺ) وصدّقه، وقالوا نقتله على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، ولغطوا فقال العباس بن عبد المطلب وهو آخذ بيد رسول الله (ﷺ) اخفوا جرسكم فإن علينا

عيوناً وقدموا ذوي أسناتكم فيكونون هم الذين يلون كلامنا منكم فإنا نخاف قومكم عليكم ثم إذا بايعتم فتفرقوا إلى محالّكم، فتكلّم البراء بن معرور فأجاب العباس بن عبد المطلب، ثم قال: أبسط يدك يا رسول الله، فكان أول من ضرب على يد رسول الله (ﷺ) البراء بن معرور ويقال أول من ضرب على يده أبو الهيثم بن التيهان، ويقال أسعد بن زرارة، ثم ضرب السبعون كلهم على يده وبايعوه، فقال رسول الله (ﷺ) إن موسى أخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، فلا يجدن منكم أحد في نفسه أن يؤخذ غيره، فإنما يختار لي جبريل، فلما تخيّرهم قال للنقباء: أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي، قالوا: نعم...

(المصدر نفسه، ج١، القسم ١، ص ١٤٥ ـ ١٥٠).

أبو مِخنَف

صِفّين:

قال أبو مخنف: [وحدثني تميم بن الحارث الأزدي عن جندب بن عبد الله. قال:] إنا لما انتهينا إلى معاوية وجدناه قد عسكر في موضع سهل أفيح قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة في الفرات ليس في ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها في حيّزه، وبعث عليها أبا الأعور يمنعها ويحميها، فارتفعنا على الفرات رجاء أن نجد شريعة غيرها نستغني بها عن شريعتهم، فلم نجدها، فأتينا علياً فأخبرناه بعطش الناس وإنا لا نجد شريعة غير شريعة القوم، قال: فقاتلوهم عليها. فجاء الأشعث ابن قيس الكِندي فقال: أنا أسير إليهم، فقال له علي: فسر إليهم، فسار وسرنا معه حتى إذا دنونا من الماء ثاروا في وجوهنا ينضحوننا بالنبل، ورشقناهم والله بالنبل ساعة، ثم أطّعنّا والله بالرماح طويلاً، ثم صرنا آخر ذلك نحن والقوم إلى السيوف، فاجتلدنا بها ساعة، ثم إن القوم أتاهم يزيد بن أسد البجلي ممداً في الخيل والرجال فأقبلوا نحونا: فقلت في نفسي فأمير المؤمنين لا يبعث إلينا بمن يغني عنا هؤلاء فذهبت فالتفتّ فإذا عدة القوم أو أكثر قد سرحوا إلينا ليغنوا عنا يزيد بن أسد وأصحابه، عليهم شبث بن ربعي الرياحي، فوالله ما ازداد القتال إلا شدة وخرج إلينا عمرو بن العاص من عسكر معاوية في جند كثير فأخذ يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد وخرج الأشتر من قبل علي في جمع عظيم فلما رأى الأشتر عمرو بن العاص يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد أمد الأشعث بن قيس وشبث بن ربعي، فاشتد قتالنا وقتالهم، فما أنسى قول عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي:

خلّوا لنا ماء الفرات الجاري　　أو اثبتوا لجحفل جرّار
لكل قرم مستميت شاري　　مطاعن برمحه كرّار
ضراب هامات العدا مغوار

قال أبو مخنف: وحدثني رجل من آل خارجة بن التميمي أن ظبيان بن عمارة

جعل يومئذ يقاتل وهو يقول:

هـل لـك يـا ظـبـيـان مـن بـقـاء ... فـي سـاكـن الأرض بـغـيـر مـاء
لا وإلــه الأرض والــســمــاء ... فـاضـرب وجـوه الـغُـدُر الأعـداء
بـالـسـيـف عـنـد هـمـس الـوغـاء ... حـتـى يجـيـبـوك إلـى الـسـواء

قال ظبيان فضربناهم والله حتى خلونا وإياه.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائل جان دوغويه]، ١٥ ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج٥، ص ٢٤٠).

قال أبو مخنف: [حدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي] أن علياً قال هذا يوم نصرتم فيه بالحمية. وجاء الناس حتى أتوا عسكرهم، فمكث علي يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً، ولا يرسل إليه معاوية. ثم إن علياً دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي، فقال: ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة، فقال له شبث بن ربعي: يا أمير المؤمنين ألا تطمعه في سلطان توليه إياه ومنزلة يكون له بها أثرة عندك إن هو بايعك؟ فقال علي: ائتوه فالقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه، وهذا في أول ذي الحجة، فأتوه ودخلوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه أبو عمرة بشير بن عمرو وقال: يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله عز وجل محاسبك بعملك وجازيك بما قدمت يداك، وإني أنشدك الله عز وجل أن لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن لا تسفك دماءها بينها، فقطع عليه الكلام وقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال أبو عمرة: إن صاحبي ليس مثلك إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة من الرسول الله (ﷺ) قال: فيقول ماذا؟ قال: يأمرك بتقوى الله عز وجل وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دنياك وخير لك في عاقبة أمرك، قال معاوية: وُنطِلُ دم عثمان [رضي الله عنه)؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً. فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعي فتكلم فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معاوية إني قد فهمت ما رددت على ابن محصن إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك قتل إمامكم مظلوماً فنحن نطلب بدمه فاستجاب له سفهاء طغام وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ورب متمني أمر وطالبه الله عز وجل يحول دونه بقدرته وربما أوتي المتمني أمنيته وفوق أمنيته ووالله ما لك في واحدة منها خير، لئن أخطأت ما ترجو إنك لشرّ العرب حالاً في ذلك ولئن أصبت

ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صُليّ النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله. فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن أول ما عرفت فيه سفهك وخفة حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت، انصرفوا من عندي فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف وغضب، وخرج القوم، وشبث يقول أفعلينا تُهول بالسيف أقسم بالله ليعجلن بها إليك، فأتوا علياً وأخبروه بالذي كان من قوله وذلك في ذي الحجة.

فأخذ علي يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة، فيقتتلان في خيلهما ورجالهما ثم ينصرفان، وأخذوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام لما يتخوفون أن يكون في ذلك من الاستئصال والهلاك، فكان علي يخرج مرة الأشتر ومرة حجر بن عدي الكندي ومرة شبث بن ربعي ومرة خالد بن المعمر ومرة زياد بن النضر الحارثي ومرة زياد بن حفص التميمي ومرة سعيد بن قيس ومرة معقل بن قيس الرياحي ومرة قيس بن سعد وكان أكثر القوم خروجاً إليهم الأشتر، وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد المخزومي وأبا الأعور السليمي ومرة حبيب بن مسلمة الفهري ومرة ابن ذي الكلاع الحميري ومرة عبيد الله بن عمر بن الخطاب ومرة شرحبيل بن السمط الكندي ومرة حمزة بن مالك الهمداني، فاقتتلوا من ذي الحجة كلها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين أوله وآخره.

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

قال أبو مخنف: [حدثني فضيل بن خديج قال]: خرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكندي ثم الطحمي، فتجاولا ساعة، ثم إن عبد الرحمن حمل على الشامي فطعنه في ثغرة نحره فصرعه، ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحه... وخرج رجل من عكّ يسأل المبارزة، فخرج إليه قيس ابن فهدان الكناني ثم البدني، فحمل عليه العكي فضربه واحتمله أصحابه، فقال قيس بن فهدان:

لقد علمت عكّ بصفّين أننا ... إذا التقت الخيلان نطعنها شزرا
ونحملُ رايات الطعانِ بحقها ... فنوردها بيضاً ونصدرها حمرا

قالوا أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج، أن قيس بن فهدان كان يحرّض أصحابه فيقول: شدّوا إذا شددتم جميعاً، وإذا انصرفتم فأقبلوا معاً وغضّوا الأبصار وأقلّوا اللفظ واعتوروا الأقران ولا يؤتينّ من قبلكم العرب. قال: وقتل نهيك بن

عزيز من بني الحارث بن عدي وعمرو بن يزيد هما بني ذهل وسعيد بن عمرو. وخرج قيس بن يزيد، وهو ممن فر إلى معاوية من علي، فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه أخوه أبو العمرّطة بن يزيد فتعارفا فتوافقا وانصرفا إلى الناس، فأخبر كل واحد منهما أنه لقي أخاه.

قال أبو مخنف: [حدثني جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جوير الطائي] أن طيّاً يوم صفين قاتلت قتالاً شديداً، فعبيت لهم جموع كثيرة، فجاءهم حمزة بن مالك الهمداني فقال: ممن أنتم لله انتم، فقال عبد الله بن خليفة البولاني، وكان شيعياً شاعراً خطيباً: نحن طيّئ السهل وطيّئ الرمل وطيّئ الجبل الممنوع ذي النخل، نحن حماة الجبلين إلى ما بين العذيب والعين، نحن طيّئ الرماح وطيّئ النكاح، وفرسان الصباح، فقال حمزة بن مالك بخ إنك لحسن الثناء على قومك، فقال:

إن كنت لم تشعر بنجدة معشر ... فاقدم علينا ويب غيرك تشعُر

ثم اقتتل الناس أشد القتال فأخذ يناديهم، ويقول: يا معشر طيّئ فدى لكم طارفي وتالدي، قاتلوا على الأحساب وأخذ يقول:

أنا الذي كنت إذا الداعي دعا ... مصمِّماً بالسيف ندبا أروعا
فأنزل المستلئم المقنّعا ... وأقتل المبالط السميدعا

وقال بشير بن العسوس الطائي ثم الملقطي:

يا طيئ السهول والأجبال

ألا انهدوا بالبيض والعوالي ... وبالكماة منكم الأبطال
فقارعوا أيمة الجهّال ... السالكين سبل الضلال

ففقئت يومئذ عين أبي العسوس فقال في ذلك:

ألا ليت عيني هذه مثل هذه ... فلم أمش في الآناس إلا بقائد
ويا ليتني لم أبقَ بعد مطرف ... وسعد وبعد المستنير بن خالد
فوارس لم تغذُ الحواضن مثلهم ... إذا الحرب أبدت عن خدام الخرائد
ويا ليت رجلي ثمّ طنّت بنصفها ... ويا ليت كفّي ثَمَّ طاحت بساعدي

(المصدر نفسه، ج٦، ص ١٦ ـ ١٨).

مسير الحسين إلى الكوفة:

قال أبو مخنف: [وحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عتبة بن سمعان] أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا ابن عم إنك قد

أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع، قال: إني قد أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم، وإن كانوا قد دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعمّاله تجبي بلادهم فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكَذّبوك ويخالفوك ويخذلوك وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك. فقال له حسين: وإني أستخير الله وأنظر ما يكون. قال فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدَّثه ساعة، ثم قال: ما أدري ما تركُنا هؤلاء القوم وكفُّنا عنهم نحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم، خبّرني ما تريد أن تصنع، فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف أهلها وأستخير الله. فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها. قال: ثم خشي أن يتهمه فقال: أما أنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ههنا ما خولف عليك إن شاء الله. ثم قام فخرج من عنده، فقال الحسين: ها إن هذا ليس شيئاً يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء، وأن الناس لم يعدلوه بي، فودّ أني خرجت منها لتخلو له.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ١٣ ج في٥ (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م)، ج٧، ص ٢١٦).

قال أبو مخنف: [حدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة بن سمعان قال:] لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: أتعرف أين تذهب؟ فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً، ومضى الحسين [عليه السلام] على وجهه، فنادوه يا حسين ألا تتقي الله، تخرج من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمة، فتأوّل حسين قول الله جل وعز: ﴿**فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**﴾[1]. قال: ثم إن الحسين أقبل حتى مر بالتنعيم، فلقي بها عيراً قد أقبل من اليمن، بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله على اليمن، وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد فأخذها الحسين فانطلق بها ثم قال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم من أحب أن

(١) **القرآن الكريم**، «سورة يونس،» الآية ٤١.

يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنّا صحبته ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض. قال: فمن فارقه منهم حوسب فأوفي حقه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه.

قال أبو مخنف: [عن أبي جناب عن عديّ بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمذري قالا:] أقبلنا حتى انتهينا إلى الصفاح، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر، فوافق حسيناً، فقال له: أعطاك الله سؤلك وأمّلك فيما تحب، فقال له الحسين: بين لنا نبأ الناس خلفك، فقال له الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال له الحسين: صدقت لله الأمر والله يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته. ثم حرك الحسين راحلته فقال: السلام عليك، ثم افترقا.

(المصدر نفسه، ج٧، ص ٢١٧ ـ ٢١٨).

قال أبو مخنف: [حدثني يونس بن أبي اسحق السبيعي قال:] ولما بلغ عبيد الله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شُرَطة حتى نزل القادسية، ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القطقطانة، وإلى لعلع، وقال الناس: هذا الحسين يريد العراق.

قال أبو مخنف: [وحدثني محمد بن قيس]: أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع قلبكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة، يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم، وجدّوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكان مسلم بن عقيل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة: أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، إن جمع الكوفة معك فأقبل حين تقرأ كتابي والسلام عليك. قال: فأقبل الحسين بالصبيان والنساء معه لا يلوي على شيء، وأقبل قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: اصعد القصر فسبّ الكذّاب ابن الكذّاب، فصعد ثم قال:

أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب. قال: فأمر به عبيد الله بن زياد أن يرمى به من فوق القصر فرمي به فتقطّع فمات. ثم أقبل الحسين سيراً إلى الكوفة فانتهى إلى ماء من مياه العرب فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي وهو نازل ههنا، فلما رأى الحسين قام إليه فقال: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أقدمك واحتمله فأنزله فقال له الحسين: كان من موت معاوية ما قد بلغك فكتب إليّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم، فقال له عبد الله بن مطيع: أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك أنشدك الله في حرمة رسول الله (ﷺ) أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً، والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعترض لبني أمية. قال: فأبى إلا أن يمضي...

(المصدر نفسه، ج٧، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤)

قال أبو مخنف: [حدثني أبو جناب الكلبي عن عدي بن حرملة الأسدي عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا:] لما قضينا حجنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين لننظر ما يكون من أمره وشأنه فأقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزرود، فلما دنونا إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، قالا: فوقف الحسين كأنه يريده ثم تركه ومضى. ومضينا نحوه فقال أحدنا لصاحبه: إذهب بنا إلى هذا فلنسأله فإن كان عنده خبر الكوفة علمنا، فمضينا حتى انتهينا إليه... ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك قال: نعم لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة فرأيتهما يجران بأرجلهما في السوق. قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً فجئناه حين نزل فسلّمنا عليه فرد علينا فقلنا له: يرحمك الله إن عندنا خبراً فإن شئت حدثنا علانية وإن شئت سراً، قال فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سّر، فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلنا عشاء أمس؛ قال: نعم، وقد أردت مساءلته، فقلنا قد استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو ابن امرئ من أسد منا ذو رأي وصدق وفضل وعقل وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وحتى رآهما يُجرّان في السوق بأرجلهما، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما فردد ذلك مراراً، فقلنا: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن تكون عليك، قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب.

قال أبو مخنف: [حدثني عمر بن خالد عن زيد بن علي بن حسين وعن داود ابن علي بن عبد الله بن عباس:] أن بني عقيل قالوا لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا.

قال أبو مخنف: [عن أبي جناب الكلبي عن عدي بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا:] فنظر إلينا الحسين فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء، قالا فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير، قالا: فقلنا خار الله لك، قالا: فقال رحمكما الله، قالا: فقال له بعض أصحابه إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع. قال الأسديان، ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا، ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زبالة.

(المصدر نفسه، ج٧، ص ٢٢٥).

[عن هشام] عن أبي مخنف قال: [حدثني أبو جناب عن عدي بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا:] أقبل الحسين [عليه السلام] حتى نزل شراف، فلما كان في السحَر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثم ساروا منها فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار، ثم إن رجلاً قال الله أكبر، فقال الحسين: الله أكبر ما كبرّت؟ قال: رأيت النخل، فقال له الأسديان: إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط، قالا: فقال لنا الحسين: فما تريانه رأى؟ قلنا: نراه رأى هوادي الخيل، فقال: أنا والله أرى ذلك، فقال الحسين: أما لنا ملجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقلنا له: بلى هذا ذو حُسُم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد. قال: فأخذ إليه ذات اليسار. قال: وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبيناها وعدلنا، فلما رأونا قد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأن أسنّتهم اليعاسيب وكأن راياتهم أجنحة الطير، قالا: فاستبقنا إلى ذي حسم فسبقناهم إليه فنزل الحسين فأمر بأبنتيه فضربت وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي اليربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حر الظهيرة والحسين وأصحابه معتمّون متقلدون أسيافهم. فقال الحسين لفتيانه: أسقوا القوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً. فقام فرشفوا الخيل ترشيفاً فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم وأقبلوا يملأون القصاع والأنوار والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عب فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها.

(المصدر نفسه، ج٧، ص ٢٢٢).

قال أبو مخنف: [عن عقبة بن العيزار): إن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن رسول الله (ﷺ) قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (ﷺ) ويعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيّر، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) نفسي من أنفسكم وأهلي مع أهلكم فلكم فيّ أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم والمغرور من اغترّ بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(المصدر نفسه، ج٧، ص ٢٢٩).

قال أبو مخنف: [حدثني جميل بن مرثد من بني معن عن الطرمّاح بن عديّ أنه دنا من الحسين فقال له: والله أني لأنظر فما أرى معك أحداً ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناي في صعيد واحد جمعاً أكثر منه فسألت عنهم فقيل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين، فأنشدك الله إن قدرت على أن لا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت، فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجأ، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر والله إن دخل علينا ذل قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجأ وسلمى من طيّئ فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيّئ رجالاً وركباناً. ثم أقم فينا ما بدا لك فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف، فقال له: جزاك الله وقومك خيراً إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندري على ما تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة.

(المصدر نفسه، ج٧، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١).

ولاية البحرين:

وقال أبو مخنف: كتب عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] إلى العلاء بن الحضرمي وهو عامله على البحرين يأمره بالقدوم عليه، وولّى عثمان بن أبي العاصي الثقفي البحرين وعُمان: فلما قدم العلاء المدينة ولاّه البصرة مكان عتبة بن غزوان فلم يصل إليها حتى مات وذلك في سنة١٤هـ أو في أول سنة ١٥هـ ثم إن عمر ولى قدامة بن مظعون الجمحي جباية البحرين وولى أبا هريرة الأحداث والصلاة، ثم عزل قدامة وحدّه على شرب الخمر، وولى أبا هريرة الصلاة والأحداث ثم عزله وقاسمه أمواله، ثم ولّى عثمان بن أبي العاصي البحرين وعُمان.

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **كتاب فتوح البلدان**، تحرير م.ج. دو غويه (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٦٦)، ص ٨٢).

فتح الري:

[حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه] عن أبي مخنف، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من وقعة نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الري ودستبى في ثمانية آلاف ففعل. وسار عروة إلى ما هناك، فجمعت له الديلم وأمدهم أهل الري فقاتلوه فأظهره الله عليهم فقتلهم واجتاحهم. ثم خلف حنظلة بن زيد أخاه وقدم على عمار فسأله أن يوجهه إلى عمر وذلك أنه كان القادم عليه بخبر الجسر فأحب أن يأتيه بما يسره، فلما رآه عمر قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال عروة: بل احمد الله فقد نصرنا وأظهرنا وحدّثه بحديثه، فقال: هلاّ أقمت وأرسلت؟ قال: قد استخلفت أخي وأحببت أن آتيك بنفسي فسماه المبشر، وقال عروة:

برزت لأهل القادسية معلماً	وما كل من يغشى الكريهة يعلم
ويوماً بأكناف النخيلة قبلها	شهدت فلم أبرح أدمّي وأكلم
وأيقنت يوم الديلميّين أنني	متى ينصرف وجهي إلى القوم يهزموا
محافظة إني أمرؤ ذو حفيظة	إذا لم أجد مستأخراً أتقدم

(المصدر نفسه، ص ٣١٧).

الشورى:

[عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن] أبي مخنف في إسناده: أن عمر بن الخطاب أمر صهيباً، مولى عبد الله بن جدعان، حين طعن أن يجمع إليه وجوه

المهاجرين والأنصار، فلما دخلوا عليه قال لهم: إني قد جعلت أمركم شورى إلى الستة نفر المهاجرين الأولين قبض رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض؛ ليختاروا أحدهم لإمامتكم وسّماهم. ثم قال لأبي طلحة زيد بن سهل الخزرجي: اختر خمسين رجلاً من الأنصار يكونون معك، فإذا توفيت فاستحث هؤلاء النفر حتى يختاروا لأنفسهم وللأمة أحدهم، ولا يتأخر عن أمرهم فوق ثلاث، وأمر صهيباً أن يصلي بالناس إلى أن يتفقوا على إمام. وكان طلحة بن عبيد الله غائباً في ماله بالسراة، فقال عمر: إن قدم طلحة في الثلاثة الأيام وإلا فلا تنتظروه بعدها، وأبرموا الأمر واصرموه وبايعوا من تتفقون عليه، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه. قال: فبعثوا إلى طلحة رسولاً يستحثونه ويستعجلونه بالقدوم، فلم يرد المدينة إلا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان. فجلس في بيته وقال: أعلى مثلي يفتات؟ فأتاه عثمان فقال له طلحة: إن رددتُ الأمر أتردّه؟ قال: نعم، قال: فإني أمضيته فبايعه. وقد قال بعض الرواة إن طلحة كان حاضراً لوفاة عمر والشورى، والأولى أثبت.

وقال أبو مخنف: أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً، فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل واثنان على رجل رجعوا في الشورى، فإن اجتمعوا أربعة على واحد وأباه واحد كانوا مع الأربعة، وإن كانوا ثلاثة [وثلاثة] كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عوف إذ كان الثقة في دينه ورأيه، المأمون على الاختيار للمسلمين.

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سولومن غويتن، ٢ج في ٤ (القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠)، ج٥، ص ٢١ ـ ٢٢).

[عباس بن هشام الكلبي عن أبيه] عن أبي مخنف في إسناد له، قال: لما دفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يومهم فلم يُحدثوا شيئاً، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال. وكان دفن عمر يوم الأحد، وهو الرابع من يوم طعن، وصلى عليه صهيب بن سنان. قال: فلما رأى عبد الرحمن طول تناجي القوم وتناظرهم وأن كل واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: يا هؤلاء أنا أخرج نفسي وسعداً من الأمر على أن اختار يا معشر الأربعة، أحدكم، فقد طال التناجي وتطلّع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم، واحتاج من أقام لانتظار ذلك من أهل البلدان إلى الرجوع إلى أوطانهم. فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلا علياً فإنه قال: أنظر، وأتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما عرض وبإجابة القوم إياه إلا علياً، فأقبل أبو طلحة على عليّ فقال: يا أبا الحسن إن أبا محمد ثقة لك

وللمسلمين فما بالك تخالفه وقد عدل الأمر عن نفسه، فلن يتحمل المأثم لغيره، فأحلف عليٌ عبد الرحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى، وأن يؤثر الحق، وأن يجتهد للأمة، وأن لا يحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسدداً، وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسوّر بن مخرمة.

ثم إن عبد الرحمن أحلف رجلاً منهم بالأيمان المغلّظة وأخذ عليهم المواثيق والعهود أنهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلاً وأن يكونوا معه على من يناويه، فحلفوا على ذلك. ثم أخذ بيد علي فقال له: عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتك أن لا تحمل بني عبد المطلب على رقاب الناس، ولتسيرنّ بسيرة رسول الله (ﷺ) لا تحول عنها ولا تقصّر في شيء منها، فقال علي: لا أحمل عهد الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا يدركه أحد، من ذا يطيق سيرة رسول الله (ﷺ) ولكني أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني، وبما يمكنني وبقدر علمي، فأرسل عبد الرحمن يده. ثم أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والمواثيق، أن لا يحمل بني أمية على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله (ﷺ) وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك فحلف له. فقال علي: قد أعطاك أبو عبد الله الرضاء فشأنك فبايعه. ثم إن عبد الرحمن عاد إلى علي فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين، أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر، فقال علي: عليّ الاجتهاد، وعثمان يقول: ونعم عليّ عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ على أنبيائه أن لا أخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر في شيء، ولا أقصر عنها، فبايعه عبد الرحمن وصافقه وبايعه أصحاب الشورى. وكان علي قائماً فقعد، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك، ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره، فيقال إن علياً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى وقالوا: بايع وإلا جاهدناك فأقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان.

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٢١ ـ ٢٢).

سعيد بن العاص:

[عباس بن هشام عن أبيه] عن أبي مخنف في إسناده، قال: لما عزل عثمان [رضي الله عنه] الوليد بن عقبة عن الكوفة ولاّها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها فكان يُجالس قرّاءها وجوه أهلها ويسامرهم، فيجتمع عنده مالك بن الحارث والأشتر النخعي، وزيد وصعصعة ابنا صوحان العبديان وحرقوص بن زهير السعدي، وجندب بن زهير الأزدي، وشريح بن أوفى. . العبسي وكعب بن عبدة النهدي. . . وعديّ بن حاتم. . . الطائي ويكنى أبا طريف. . . وغيرهم. فإنهم

لعنده وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السواد والجبل ففضلوا السواد، وقالوا هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل، وكان حسّان بن محدوج بن بشر بن حوط بن سعنة الذهلي، الذي ابتدأ الكلام في ذلك، فقال عبد الرحمن بن خنيس الأسدي صاحب شُرَطه: لوددت أنه للأمير وأن لكم أفضل منه، فقال له الأشتر: تمن للأمير أفضل منه، ولا تمن أموالنا، فقال عبد الرحمن: ما يضرّك من تَمنّي، حتى تزوي ما بين عينيك، فوالله لو شاء كان له، فقال الأشتر: والله لو رام ذلك ما قدر عليه. فغضب سعيد وقال: إنما السواد بستان لقريش، فقال الأشتر: أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك؟ والله لو رامه أحد لقُرع قرعاً يتصأصأ منه، ووثب بابن خنيس فأخذته الأيدي. فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إني لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يدعون القراء، وهما السفهاء شيئاً، فكتب إليه أن سيرهم إلى الشام، وكتب إلى الأشتر: إني لأراك تضمر شيئاً لو أظهرته لحل دمك وما أظنك منتهياً حتى يصيبك قارعة لا بُغيا بعدها فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك مَنِ قَبلك وإنك لا تألوهم خبالاً. فسير سعيد الأشتر ومن كان وثب مع الأشتر وهم زيد وصعصعة ابنا صوحان وعائذ بن حملة الطهوي من بني تميم وكميل ابن زياد النخعي وجندب بن زهير الأزدي والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني من بني حوث بن سَبُع بن صعب إخوة السبيع بن سبُع بن صعب ويزيد بن المكفَّف النخعي وثابت بن قيس بن المنقع بن الحارث النخعي وأصعر بن قيس بن الحارث بن وقاص الحارثي من بني المُعقّل.

فكتب جماعة من القرّاء إلى عثمان منهم معقّل بن قيس الرياحي وعبد الله بن الطفيل العامري ومالك بن حبيب التميمي ويزيد بن قيس الأرحبي وحجر بن عدي الكندي. . . وسليمان بن صرد الخزاعي. . . وزيد ابن حصن الطائي. . .، أن سعيداً كثر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في أمرهم على ما لا يحل في دين ولا يحسن في سماع، وإنا نذكرك الله في أمة محمد فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك؛ لأنك قد حملت بني أبيك على رقابهم، واعلم أن لك ناصراً ظالماً وناقماً عليك مظلوماً، فمتى نصَرك الظالم ونقم عليك الناقم تباين الفريقان واختلفت الكلمة، ونحن نشهد عليك الله وكفى به شهيداً، فإنك أميرنا ما أطعت الله واستقمت، ولن تجد دون الله ملتحداً ولا عنه منتقذاً. لم يسمّ أحد منهم نفسه في الكتاب، وبعثوا به مع رجل من عنزة يكنى أبا ربيعة، وكتب كعب بن عبدة كتاباً من نفسه تسمّى فيه ودفعه إلى أبي ربيعة، فلما قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن أسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره فأراد ضربه وحبسه فمنعه علي من ذلك وقال: إنما هو رسول أدى ما حمل. وكتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعب بن

عبدة عشرين سوطاً ويحوّل ديوانه إلى الري ففعل. ثم إن عثمان تحوّب وندم، فكتب في إشخاصه إليه ففعل. فلما ورد عليه قال له: إنه كانت مني طيرة، ثم نزع ثيابه وألقى عليه سوطاً، وقال: اقتصّ، فقال: قد عفوت يا أمير المؤمنين.

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٩ ـ ٤٢).

ابن الزبير:

وقال أبو مخنف في رواية: مكث أهل الشام يقاتلون ابن الزبير حتى إذا مضى من شهر ربيع الأول أربعة عشر يوماً مات يزيد، فمكثوا أربعين يوماً لا يعلمون بموته، وبلغ ابن الزبير موته قبل أن يبلغ الحصين، وقد ضيّقوا على ابن الزبير مكة وحصروه حصراً شديداً، فقال: يا أهل الشام لماذا تقاتلون وقد هلك طاغيتكم؟ فجعلوا لا يصدّقون حتى قدم عليهم ثابت بن المنقع النخعي، واسم المنقع قيس، وهو من أهل الكوفة، وكان صديقاً للحصين، فأخبره بهلاك يزيد.

(المصدر نفسه، ج١، ص ٥١).

عوانة بن الحَكَم

[قال هشام بن الكلبي فحدثني] عوانة قال: أرسل يزيد إلى عبد الله بن الزبير إني قد جعلت علي نذراً أن يؤتى بك في سلسلة، قال: فلا أبر الله قسمه ولا وفق له الوفاء بنذره، فقال له أخوه عروة بن الزبير أو غيره وما عليك أن تبر قسم ابن عمك؟ قال قلبي إذاً مثل قلبك، فقال أبو دعبل الجمحي، وهو وهب بن زمعة بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح:

لا يجعلنك في قيد وسلسلة　　كيما يقول أتانا وهو مغلول
بين الحواريّ والصديق ذو نسب　　صاف وسيف على الأعداء مسلول

وأراد ابن الزبير ابن عباس على البيعة وقد بايعه، فامتنع عليه نحواً من سنة ثم بايعه بعد، ويقال إنه لم يبايعه حتى توفّي. وكان امتناع ابن عباس عن البيعة لابن الزبير قد بلغ يزيداً فظن أن ذلك لتمسّكه ببيعته، فكتب يزيد إليه: أما بعد فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك إلى نفسه وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون له على الباطل ظهيراً، وفي المأثم شريكاً، وأنك امتنعت من طاعته واعتصمت عليه في بيعته وفاء منك لنا وطاعة لله بتثبيت ما عرّفك من حقنا، فجزاك الله من ذي رحم كأفضل جزاء الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم، فما أنس من الأشياء لا أنس برك وحسن مكافأتك وتعجيل صلتك، فانظر من قبلك من الآفاق ممن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله، فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي وتمسلك ببيعتي، فإنهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمُحلّ الهارب الملحد المارق والسلام.

فأجابه عبد الله بن عباس بجواب طويل يقول فيه:

سألتني أن أحث الناس عليك وأثبطهم عن نصرة ابن الزبير وأخذلهم عنه، فلا... ولا كرامة ولا مسرّة... أتحسبني لا أبا لك نسيت قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطلب مصابيح الدجى... ومهما أنسَ من الأشياء فلن أنسى تسليطك عليهم

ابن مرجانة الدعيّ... الذي اكتسب أبوك في ادعائه إياه لنفسه العار والخزي والمذلة...

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سولومن غويتن، ٢ج في٤ (القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠)، ج٤، ص ١٨ ـ ١٩).

ابن الزبير والحصين بن نمير:

وأما عوانة بن الحكم فإنه قال: [فيما ذكر هشام عنه، قال:] لمّا بلغ ابن الزبير موت يزيد وأهل الشام لا يعلمون بذلك، قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه، أخذ يناديهم هو وأهل مكة، علام تقاتلون؟ قد هلك طاغيتكم، وأخذوا لا يصدّقونه، حتى قدم ثابت بن قيس بن المنقع الحنفي من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق فمّر بالحصين بن نمير وكان له صديقاً وكان بينهما صهر وكان يراه عند معاوية فكان يعرف فضله وإسلامه وشرفه، فسأل عن الخبر فأخبره بهلاك يزيد. فبعث الحصين بن نمير إلى عبد الله بن الزبير فقال: موعد ما بيننا وبينك الليلة الأبطحُ، فقال له الحصين: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلمّ فلنبايعك ثم اخرج معي إلى الشام فإن هذا الجند الذي معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة. فكان سعيد بن عمرو يقول ما منعه أن يبايعهم ويخرج إلى الشام إلا تطيّرٌ؛ لأن مكة التي منعه الله بها وكان ذلك من جند مروان، وان عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشام ما اختلف عليه منهم اثنان.

فزعم بعض قريش أنه قال: أنا أهدر تلك الدماء أمَ والله لا أرضى أن اقتل بكل رجل منهم عشرة، وأخذ الحصين يكلّمه سراً وهو يجهر جهراً وأخذ يقول لا والله لا أفعل، فقال له الحصين بن نمير: قبح الله من يعدّك بعد هذه داهياً قط أو أريباً، قد كنت أظن بك رأياً. ألا أراني أكلمك سراً وتكلّمني جهراً، وأدعوك إلى الخلافة وتعدني القتل والهلكة، ثم قام وخرج وصاح في الناس، فأقبل فيهم نحو المدينة. وندم ابن الزبير على الذي صنع فأرسل إليه أما أن أسير إلى الشام فلست فاعلاً وأكره الخروج من مكة ولكن بايعوا لي هنالك فإني مؤمنكم وعادل فيكم، فقال له الحصين أرأيت إن لم تقدم بنفسك ووجدت هنالك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ما أنا صانع! فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة... واجترأ

أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته ثم نكس عنها فكانوا يجتمعون في معسكرهم، فلا يفترقون، وقالت لهم بنو امية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى مات.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دوغويه]، ١٥ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج٢، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٢).

وضع الأمويين بعد يزيد:

[هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم]:

إن يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده، وكان معاوية بن يزيدَ بن معاوية فيما بلغني أمر بعد ولايته فنودي بالشام: «الصلاة جامعة»، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب [رحمه الله] حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم. ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيّب حتى مات. فقال بعض الناس دُسّ إليه فسقي سمّاً، وقال بعضهم طعن...

ثم قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهري، فثار زُفَر ابن عبد الله الكلابي بقنّسرين يبايع لعبد الله بن الزبير، وبايع النعمان بن بشير الأنصاري بحمص لابن الزبير. وكان حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان، ثم ليزيد بن معاوية بعده، وكان يهوى هوى بني أمية وكان سيد أهل فلسطين، فدعا حسان بن مالك روح بن زنباع الجذامي، فقال إني مستخلفك على فلسطين، وادخل هذا الحي من لخم وجذام ولست بدون رجل إذا كنت عينهم، قاتلت بمن معك من قومك. وخرج حسان بن مالك إلى الأردن واستخلف روح بن زنباع على فلسطين فثار ناتل بن قيس بروح بن زنباع فأخرجه فاستولى على فلسطين، وبايع لابن الزبير. وقد كان عبد الله بن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن ينفي بني أمية من المدينة فنفوا بعيالاتهم ونسائهم إلى الشام فقدمت بنو أمية دمشق وفيها مروان بن الحكم.

فكان الناس فريقين، حسان بن مالك بالأردن يهوى هوى بني أمية ويدعو إليهم، والضحاك بن قيس الفهري بدمشق يهوى هوى عبد الله بن الزبير ويدعو

إليه. قال: فقام حسّان بن مالك بالأردن فقال: يا أهل الأردن ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى أهل الحرة؟ قالوا: نشهد أن ابن الزبير منافق وأن قتلى أهل الحرة في النار. قال: فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرة؟ قالوا: نشهد أن يزيد على الحق، وأن قتلانا في الجنة. قال: وأنا أشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقاً يومئذ وشيعته على حق، وإن كان ابن الزبير وشيعته على باطل إنه اليوم على باطل وشيعته. قالوا له: قد صدقت نحن نبايعك على أن نقاتل من خالفك من الناس وأطاع ابن الزبير على أن تجنبنا هذين الغلامين فإنا نكره ذلك يعنون ابني يزيد ابن معاوية عبد الله وخالداً فإنهما حديثة أسنانهما ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي.

وقد كان الضحاك بن قيس بدمشق يهوى هوى ابن الزبير وكان يمنعه عن إظهار ذلك أن بني أمية كانوا بحضرته وكان يعمل إلى ذلك سراً فبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل فكتب إلى الضحاك كتاباً يعظم فيه حق بني أمية ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بني أمية عنده، وصنيعهم إليه ويدعوه إلى طاعتهم ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر أنه منافق قد خلع خليفتين، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ودعا رجلاً من كلب يدعى ناغضة فسرح بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس، وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ودفعه إلى ناغضة وقال: إن قرأ الضحاك كتابي على الناس وإلا فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس، وكتب حسان إلى بني أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه إليه ودفع كتاب بني أمية إليهم. فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام إليه ناغضة فقال: أصلح الله الأمير ادعُ بكتاب حسّان فاقرأه على الناس، فقال له الضحاك: إجلس، ثم قام إليه الثانية فقال له: إجلس، ثم قام إليه الثالثة، فقال له: إجلس، فلما رآه ناغضة لا يفعل أخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس، فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدّق حساناً وكذب ابن الزبير وشتمه وقام يزيد بن أبي النمس الغساني، فصدّق مقالة حسان وكتابه، وشتم ابن الزبير... واضطرب الناس تبعاً لهم.

ثم أمر الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الذين كانوا صدّقوا مقالة حسان وشتموا ابن الزبير فحُبسوا وجال الناس بعضهم في بعض، ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه وحرّقوه بالنار وخرقوا ثيابه وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين من المنبر وهو يومئذ غلام والضحاك بن قيس على المنبر فتكلّم خالد بن يزيد بكلام أوجز فيه لم يسمع مثله وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ثم دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيان بن الأبرد، وجاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس فقال الوليد بن عتبة:

لو كنت من كلب أو غسان أخرجت، قال: فجاء ابنا يزيد بن معاوية خالد وعبد الله معهما أخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن، فكان ذلك اليوم يسميه أهل الشام يوم جيرون الأول.

وأقام الناس بدمشق وخرج الضحاك إلى مسجد دمشق فجلس فيه فذكر يزيد ابن معاوية فوقع فيه فقام إليه شاب من كلب بعصا معه فضربه بها والناس جلوس في الحلق متقلدي السيوف فقام بعضهم إلى بعض في المسجد فاقتتلوا قيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد ويتعصبون ليزيد، ودخل الضحاك دار الإمارة وأصبح الناس فلم يخرج إلى صلاة الفجر، وكان من الأجناد ناس يهوون هوى بني أمية وناس يهوون هوى ابن الزبير. فبعث الضحاك إلى بني أمية فدخلوا عليه من الغد فاعتذر إليهم وذكر حسن بلائهم عند مواليه وعنده وأنه ليس يريد شيئاً يكرهونه، قال فتكتبون إلى حسان ونكتب فيسير من الأردن حتى ينزل الجابية، ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها، فنبايع لرجل منكم، فرضيت بذلك بنو أمية وكتبوا إلى حسان وكتب إليه الضحاك، وخرج الناس وخرجت بنو أمية فاستقبلت الرايات، وتواجهوا يريدون الجابية. فجاء ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس الأسلمي إلى الضحاك فقال: دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير، فبايعناك على ذلك وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد، فقال له الضحاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نُظهر ما كنا نُسرّ، وندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها، فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم، ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط.

.. عوانة بن الحكم الكلبي قال: مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسان بن مالك فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بني أمية وبايعه على ذلك جل أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم. قال: وسارت بنو أمية ومن تبعهم حتى وافوا حساناً بالجابية فصلى بهم حسان أربعين يوماً والناس يتشاورون. وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو على حمص وإلى زفر بن الحارث وهو على قنسرين وإلى ناتل بن قيس وهو على فلسطين يستمدهم وكانوا على طاعة ابن الزبير فأمده النعمان بشرحبيل بن ذي الكلاع وأمده زفر بأهل قنسرين وأمده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعت الأجناد إلى الضحاك بالمرج. وكان الناس بالجابية لهم أهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم، فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير: هلم فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه، وهو ابن اختنا فقد

عرفت منزلتنا كانت من أبيه، فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً، يعني خالد بن يزيد، فقال الحصين: لا لعمر الله لا يأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي، فقال مالك: هذا ولم تردي تهامة ولـمّا يبلغ الحزامُ الطبيين، فقالوا مهلاً يا أبا سليمان، فقال له مالك: والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها أن مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعم عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ولكن عليكم بابن أختكم خالد، فقال حصين: إني رأيت في المنام قنديلاً معلقاً من السماء وإن من يمدّ عنقه إلى الخلافة تناوله فلم ينله وتناوله مروان فناله والله لنستخلفنّه، فقال له مالك: ويحك يا حصين أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل بيت من قيس؟ فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان بن الحكم قام روح بن زنباع الجذامي فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تذكرون عبد الله بن عمر بن الخطاب وصحبته من رسول الله (ﷺ) وقدمه في الإسلام، وهو كما تذكرون ولكن ابن عمر رجل ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الضعيف وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدعون إليه من أمره فهو والله كما يذكرون إنه لابن الزبير حواري رسول الله (ﷺ) وابن أسماء ابنة أبي بكر الصديق ذات النطاقين، وهو بعد كما تذكرون في قدمه وفضله ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية بن يزيد وسفك الدماء وشق عصا المسلمين، وليس صاحب أمر أمة محمد (ﷺ) المنافق، وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبوا الصغير يعني بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية. قال: فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان، ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على أن إمارة دمشق لعمرو بن سعيد بن العاص وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية. قال: فدعا حسان بن مالك بن بحدل خالد بن يزيد فقال: ابنيّ أختي إن الناس قد أبوك لحداثة سنك، وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك وما أبايع لمروان إلا نظراً لكم، فقال له خالد بن يزيد: بل عجزت عنا، قال: لا والله ما عُجِّزت عنك ولكن الرأي لك ما رأيت. ثم دعا حسان بمروان فقال: يا مروان إن الناس والله ما كلهم يرضى بك، فقال له مروان: إن أراد الله أن يعطينيها لا يمنعني إياها أحد من خلقه وإن يُرد أن يمنعنيها لا يعطينيها أحد من خلقه، قال: فقال له حسان صدقت. وصعد حسان المنبر يوم الاثنين فقال: يا أيها الناس إنّا نستخلف يوم الخميس إن شاء الله، فلما كان يوم الخميس بايع لمروان وبايع الناس له، وسار مروان إلى الجابية في الناس حتى نزل

مرج راهط على الضحاك في أهل الأردن من كلب، وأتته السكاسك والسكون وغسان ورجع حسان بن مالك بن بحدل إلى الأردن. قال: وعلى ميمنته أعني مروان عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد، وعلى ميمنة الضحاك زياد ابن عمرو بن معاوية العقيلي، وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه.

وكان يزيد بن أبي النمس الغساني لم يشهد الجابية وكان مختبئاً بدمشق، فلما نزل مروان مرج راهط ثار يزيد بن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها، فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان وأمده بالأموال والرجال والسلاح فكان أول فَتح فُتِح على أمية. قال: وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة ثم هزم أهل المرج وقتلوا وقتل الضحاك وقتل يومئذ من أشراف الناس ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القطيفة، والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين في العطاء، وقتل أهل الشام يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها... قال: وجاء برأس الضحاك رجل من كلب، وذكروا أن مروان حين أُتي برأسه ساءه ذلك، وقال: الآن حين كبرت سني ودق عظمي وصرت في مثل ظمء الحمار، أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض. قال: وذكروا أنه مر يومئذ برجل قتيل فقال:

وما ضرهم غير حَيْن النفو ... س أيُّ أميرَي قريشٍ غلب

وقال مروان حين بويع له ودعا إلى نفسه:

لما رأيت الأمر أمراً نهبا ... يسّرتُ غسّانَ لهم وكلبا
والسكسكين رجالاً غلبا ... وطيّئاً تأباه الأضربا
والقين تمشي في الحديد نكباً ... ومن تنوخَ مشمخرٍ صعبا
لا يأخذون الملك إلا غصباً ... وإن دنت قيس فقل لا قُربا

(المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٦٨ ـ ٤٧٨).

عبد الملك وعمرو بن سعيد الأشدق:

وأما عوانة بن الحكم فإنه قال: [فيما ذكر هشام بن محمد عنه] إن عبد الملك ابن مروان لما رجع من بُطنان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ثم سار يريد قرقيسياء وفيها زفر بن الحارث الكلابي ومعه عمرو بن سعيد حتى إذا كان ببطنان حبيب فتك عمرو بن سعيد فرجع ليلاً ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي، وزهير بن الأبرد الكلبي، حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي قد

استخلفه عبد الملك، فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب وترك عمله ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها.

قال [عوانة]: ولما غلب عمرو على دمشق طلب عبد الرحمن بن أم الحكم فلم يصبه، فأمر بداره فهدمت، واجتمع الناس وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلا زعم أن له جنة وناراً يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه، وإني أخبركم أن الجنة والنار بيد الله وأنه ليس إلي من ذلك شيء، غير أن لكم عليّ حسن المواساة والعطية، ونزل. وأصبح عبد الملك ففقد عمرو بن سعيد فسأل عنه فأخبر خبره، فرجع عبد الملك إلى دمشق فإذا عمرو قد جلّل دمشق المسوح فقاتله بها أياماً وكان عمرو بن سعيد إذا أخرج حمية بن حريث الكلبي على الخيل أخرج إليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي وإذا أخرج عمرو بن سعيد زهيرة بن الأبرد الكلبي أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي.

[قال هشام] حدثني عوانة... فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان بن الأبرد ولابن بحدل الكلبي: علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش، فحلف كل واحد منهما أن لا يرجع صاحبه فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفيان أكبر من حريث فطلبوا إلى حريث فرجع، ثم إن عبد الملك وعمراً اصطلحا وكتبا بينهما كتاباً، وآمنه عبد الملك، وذلك عشية الخميس.

[قال هشام] فحدثني عوانة أن عمرو بن سعيد خرج في الخيل متقلداً قوساً سوداء فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سرادق عبد الملك، فانقطعت الأطناب، وسقط السرادق، ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب فقال لعمرو: يا أبا أمية كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس، قال: لا ولكني أتشبه بمن هو خير منهم العاص بن أمية، ثم قام مغضباً والخيل معه حتى دخل دمشق.

ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فبعث إلى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم، فأرسل إليه عمرو أن هذا ليس لك ببلد فأُشخص عنه. فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن ائتني وهو عند امرأته الكلبية، وقد كان عبد الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصباح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد فقال له في هذا هلكت حمير لا أرى لك ذلك لا ناقتي في ذا ولا جملي.

فلما أتى رسول عبد الملك عَمْراً يدعوه صادف الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو فقال عبد الله لعمرو بن سعيد يا أبا أمية والله لأنت أحب إلي من سمعي وبصري وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتيه وأنا أرى لك أن لا تفعل، فقال له عمرو: ولم؟ قال: لأن تبيع ابن امرأة كعب الأحبار قال إن عظيماً من عظماء ولد إسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يقتل، فقال له عمرو: والله لو كنت نائماً ما تخوّفت أن ينبهني ابن الزرقاء ولا كان ليجترئ على ذلك مني مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه. وكان عبد الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد، فقال عمرو للرسول: أبلغه السلام وقل له أنا رائح إليك العشية إن شاء الله. فلما كان العشي لبس عمرو درعاً حصينة بين قباء قوهيّ وقميص قوهيّ وتقلّد سيفه وعنده امرأته الكلبية وحميد بن حريث بن بحدل الكلبي، فلما نهض متوجهاً عثر بالبساط، فقال له حميد: أما والله لئن أطعتني لم تأته وقالت له امرأته تلك المقالة فلم يلتفت إلى قولهم ومضى في مائة رجل من مواليه. وقد بعث عبد الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده، فلما بلغ عبد الملك أنه بالباب أمر أن يُحبس من كان معه وأذن له فدخل ولم يزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار وما معه إلا وصيف له فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك فإذا حوله بنو مروان وفيهم حسان بن مالك ابن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي فلما رأى جماعتهم أحس بالشر فالتفت إلى وصيفه فقال انطلق ويحك إلى يحيى بن سعيد فقل له يأتيني فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له لبيك، فقال له: أغرب عني في حرق الله وناره، وقال عبد الملك لحسان وقبيصة إذا شئتما فقوما فالتقيا وعمراً في الدار. ثم التفت عمرو إلى وصيفه فقال انطلق إلى يحيى فمره أن يأتيني، فقال له: لبيك! ولم يفهم عنه، فقال عمرو: أغرب عني. فلما خرج حسان وقبيصة أمر بالأبواب فغلّقت ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال ها هنا ياأبا أمية يرحمك الله فأجلسه معه على السرير وجعل يحدثه طويلاً، ثم قال: يا غلام خذ السيف عنه، فقال عمرو: إنا لله يا أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: أوَتطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك؟ فأخذ السيف عنه، ثم تحدثا ما شاء الله، ثم قال له عبد الملك: يا ابا أمية، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: إنك حيث خلعتني آليت بيمين أن أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة، فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: ثم أطلقه وما عسيت أن أصنع بأبي أمية، فقال بنو مروان أبرّ قسم أمير المؤمنين، فقال عمرو: قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين، فأخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه، ثم قال يا غلام: قم فاجمعه فيها، فقام الغلام فجمعه فيها، فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير

المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس، فقال عبد الملك: أمكراً أبا أمية عند الموت لا ها الله إذن، ما كنا لنخرجنك في جامعة على رؤوس الناس، ولما نخرجها منك إلا صُعُداً، ثم اجتبذه اجتباذة. أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك إلى كسر عظم مني أن تركب ما هو أعظم من ذلك، فقال له عبد الملك: والله لو أعلم أنك تبقى علي أن أبقي عليك وتصلح قريش لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان قط في بلدة على مثل ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه [ثم يورد مقتل عمرو بن سعيد].

(المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٨٣ وما بعدها).

عبد الملك وآل الزبير:

قال عوانة: وكان إبراهيم بن الأشتر عاملاً للمختار حين قتل على الموصل ونواحيها، فكتب إليه المصعب يدعوه إلى طاعته والبيعة لعبد الله بن الزبير فسارع إلى ذلك وقدم عليه فولّى المهلب ما كان يليه من الموصل والجزيرة ثم عزله وأعاد إبراهيم ابن الأشتر إلى عمله. فلما صح عنده وصول عبد الملك يريده بعث إلى ابن الأشتر فأقدمه عليه فجعله على مقدمته وسار حتى أتى دِممّا وهي من عمل الأنبار ثم قطع منها حتى نزل بقرب أَوَانا وهناك دجيل ودير الجاثليق وباجميراً، فعسكره وموضع وقعته بين هذه المواضع. وكاتب عبد الملك وجوه أهل الكوفة والبصرة ورغّبهم في الأموال والأعمال وكتب إليه جماعة منهم يستعجلونه على نصرتهم إياه وانحرافهم عن المصعب ولاية أصبهان، فكان يسأل عنها ويقول ما أصبهان هذه أتنبت الذهب والفضة لقد كتب إلي فيها أربعون كتاباً. وكتب عبد الملك إلى إبراهيم بن الأشتر فجعل له ولاية العراقين، فأخذ كتابه فدفعه إلى المصعب وقال له أصلح الله الأمير إن عبد الملك لم يكتب إلي بهذا الكتاب إلا وقد كتب إلى هؤلاء الوجوه بمثله، وقد أفسدهم عليك فأنا أرى أن تأخذ وجوه أهل المصرين فتشدهم بالحديد، فقال له:

يا أبا النعمان أنأخذ الناس بالظنة؟ قال: فأجمعهم في أبيض المدائن لئلا يشهدوا الحرب معك، قال: إذاً أُفسِدُ قلوب عشائرهم، قال: فابعث بهم إلى أخيك بمكة، فقال: ليس هذا برأي، قال: فإن لقيت العدو فلا تمدني بأحد منهم واتهمهم.

(البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

[قال الهيثم عن] عوانة: قال عبد الله بن صفوان الجمحي لأبي العباس الأعمى: أخبرني عن مروان ويوم المرج، فقال لم أسمع بمثله وأنه لكما قال حصين بن الحمام المرّي:

تری الموت لا ينحاش عنه تكرّماً	وصبراً وإن كان القيام على الجمر
حفاظاً على ما أورثتنا جدودنا	وصبراً وما في الناس خير من الصبر
بذلك أوصانا ابن عوف فلم نزل	على الملك نمضي لا نضج من الدهر

فقال: ما أبصرك بأبي عبد الملك وإن قدر الله لابن الزبير شيئاً فهو كائن، وإن أكبر ظني أنه وبنيه سيملكون؛ لأن عثمان ضم عبد الملك إلى صدره، وقال: رأيتني وقد أخذت برنسي فوضعته على رأسه، وقد ولده أبو العاص مرتين.

(المصدر نفسه، ج٤، ص ١٤٠).

وقال عوانة بن الحكم: دخل عبد الملك بن مروان الكوفة حين قتل مصعباً، فأقام بها أياماً. ثم وجّه جيشاً إلى ابن الزبير وهو بمكة، واستعمل عليه الحجاج بن يوسف الثقفي، فأقبل عليه الهيثم بن الأسود النخعي فقال له: يا أمير المؤمنين أوص هذا الغلام الثقفي بالكعبة، ومُره أن لا ينفّر أطيارها ولا يهتك أستارها ولا يرمي أحجارها وأن يأخذ على ابن الزبير بشعابها وفجاجها وأنفاقها حتى يموت فيها جوعاً أو يخرج عنها مخلوعاً. فقال عبد الملك للحجاج إفعل ذلك واجتنب الحرم وانزل الطائف، فسار الحجاج حتى نزل الطائف. ثم إنه كتب إلى عبد الملك أنك متى تدع ابن الزبير وتكفّ عنه ولا تأمر بزحمه ومصادمته يكثر عدده وعُدده وسلاحه فأذن لي في قتاله ومناجزته، فكتب إليه إفعل ما ترى، فأمر أصحابه أن يتجهزوا للحج ثم أقبل من الطائف وقدم مقدّمته فنصبوا المنجنيق على أبي قبيس، فلما هبطوا إلى منى رأى من في عسكر الحجاج المنجنيق منصوبة، فقال الأقيبل بن شهاب الكلبي، وهو ينسب في القين بن جسر فيقال القيني:

لعمرُ أبي الحجاج لو خفتُ ما أرى	من الأمر ما ألفيت تعذلني نفسي
فلم أر جيشاً عزّ بالحج قبلنا	ولم أر جيشاً مثلنا غير ما خُرسِ

يقول لا يتكلم ولا ينكر:

خرجنا لبيت الله نرمي ستوَره	وأحجاره زفنَ الولائد في العرس
ذلفنا له يوم الثلاثاء من منىً	بجيش كصدر الفيل ليس بذي رأس
فالاً ترحنا من ثقيف وملكها	نصلّ لأيام السباسب والنحس

فبلغ الحجاج الشعر، فطلبه ليقتله، فهرب حتى لحق بدمشق..

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

وقال عوانة: رميت الكعبة حتى ارتجّت ووهت، فارتفعت سحابة ذات برق ورعد، فسقطت صاعقة على المنجنيق فأحرقتها وقتلت من أصحابها اثني عشر رجلاً، فذعر أهل الشام من ذلك، وكفّوا عن القتال. فقال الحجاج: أنا ابن تهامة، وهي بلاد كثيرة الصواعق، فلا يروعنّكم ما ترونه، فإن من قبلكم كانوا إذا قربوا قرباناً بعثت نار فأكلته فيكون ذلك علامة تقبّل ذلك القربان، فأتى بمنجنيق وعاود الرمي.

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٦٣).

لما قتل الحجاج ابن الزبير وصلبه بعث إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين لتأتيه، فأبت أن تفعل. فبعث إليها لتقبلنّ أو لأبعثن إليك من يجرّك بقرونك، فقالت لرسوله: قل لابن أبي رغال لست أفعل أو تبعث إلي من يجرّني بقروني. فلبس سبته وجعل يتوذّف في مشيته حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيت ما صنعت بطاغيتك؟ قالت من عنيت؟ قال عبد الله، قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، وإن أعجب مما فعلت تعييرك إياي بالنطاقين، فليت شعري بأي نطاقيّ عيّرتني، أبالذي كنت أحمل به الطعام إلى رسول الله (ﷺ) وهو في الغار أم بنطاقي الذي تتنطق الحرة بمثله في بيتها؟ أَمَا إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول يكون في ثقيف مبير وكذّاب، فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت هو فانصرف وهو يقول مبير المنافقين مبير المنافقين، قالت بل عمودهم.

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠).

[عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن] عوانة عن رجل من أهل مكة قال: لما أتى عبد الله بن الزبير مقتل مصعب أضرب عن ذكره أياماً، ثم تحدّث به الإماء بمكة في الطرق، ثم صعد المنبر، فجلس عليه ملياً لا يتكلم، وإذا الكآبة بادية في وجهه وجبينه يرشح عرقاً، قال: فقلت لصاحب لي ألا تراه؟ أتراه يهاب المنطق، والله إنه لخطيب جريء، فما تظنّه تهيّب؟ قال أراه يريد ذكر مصعب سيد العرب، فهو يفظع ذكره. ثم قام فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير. الا وأنه لم يُذِلّ امرءاً كان معه الحق وإن كان فرداً ولم يعزّ أحداً من أولياء الباطل ولو كان الناس معه طراً. إنه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا وساءنا وسرّنا، أتانا قتل مصعب بن الزبير رحمه الله فأما الذي أحزننا فما ذلك فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمة عند المصيبة ثم يرعوي بعد ذو الرأي والدين والحجى والنُّهى إلى جميل الصبر وكريم العزاء، وأما الذي سرّنا من ذلك فإنّا قد

علمنا أن قتله شهادة وأن الله جاعل ذلك لنا وله خيرة. إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل ثمن وأخسّه فقُتل، وإن قُتِل فَمَه قد قتل أبوه وعمه، وهما من الخيار الصالحين، إنا والله ما نموت جحباً ما نموت إلا قتلاً قعصاً بأطراف الأسنة وظباة السيوف، ليس كما يموت بنو مروان في حجالهم، فوالله ما قتل منهم رجل قط في جاهلية ولا إسلام، ولئن ابتليت بالمصيبة لقد ابتليت قبله بالمصيبة بإمامي عثمان بن عفان ألا وإنما الدنيا عارية من الملك الجبّار الذي لا يزول ملكه ولا يبيد سلطانه، فإن تقبل علي لا آخذها أخذ الأشر البَطِر، وإن تُدبِرْ عني لا أبكِ عليها بكاء الخرف المهتر، ثم نزل وهو يقول:

خذيني فجريني ضباع وأبشري ... بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨).

[عمر بن بكير عن أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي عن] عوانة قال: كان خالد بن يزيد بن معاوية قد حج في السنة التي قتل فيها الحجاج عبد الله بن الزبير، فخطب رملة بنت الزبير، فبلغ ذلك الحجاج فأرسل إليه حاجبه، وقال: قل له ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، ولا كنت أراك تخطب إليهم وليسوا لك بأكفاء، وقد قاتلوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيح. فلما بلغه الرسالة، نظر إليه خالد طويلاً ثم قال: لو كانت الرسل تعاقب لقطعتك آراباً، ثم ألقيتك على باب صاحبك، قل له ما كنت أظن أن الأمر بلغ بك إلى أن تؤهل نفسك لأن أشاورك في مناكحة قريش، قلت ليس القوم لك بأكفاء فقاتلك الله يا ابن أم الحجاج، تزوج رسول الله (ﷺ) خديجة بنت خويلد وتزوج العوامّ صفية بنت عبد المطلب، ولا تراهم أكفاء لآل أبي سفيان وبني أمية! وأما قولك قاتلوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيح، فهي قريش تقارع بعضها بعضاً، حتى إذا أقر الله الأمر مقره عادت إلى أحلامها وفضلها. فرجع إليه رسوله فأدى إليه قوله.

(المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٦ ـ ٦٧).

سيف بن عمر

الرِّدة:

سيف [عن هشام بن عروة عن أبيه] قال: لما مات رسول الله (ﷺ) وفصل أسامة ارتدت العرب عوامّ أو خواصّ وتَوحّى مسيلمة وطليحة فاستغلظ أمرهما، واجتمع على طليحة عوامّ طيّىء وأسد، وارتدت غطفان إلى ما كان من أشجع وخواصّ من الأفناء فبايعوه، وقدمت هوازن رجلاً وأخرت رجلاً، أمسكوا الصدقة إلا ما كان من ثقيف ولفها فإنهم اقتدى بهم عوامّ جديلة والأعجاز، وارتدّت خواصّ من بني سليم وكذلك سائر الناس بكل مكان. قال: وقدمت رسل النبي (ﷺ) من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد ووفود من كان كاتبه النبي (ﷺ) وأمر أمره في الأسود ومسيلمة وطليحة بالأخبار والكتب فدفعوا كتبهم إلى أبي بكر وأخبروه الخبر، فقال لهم أبو بكر: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم وأمرّ وانتقاض الأمور، فلم يلبثوا أن قدمت كتب أمراء النبي (ﷺ) من كل مكان بانتقاض عامّة أو خاصّة وتبسطهم بأنواع المثل على المسلمين، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله (ﷺ) حاربهم بالرسل فرد رسلهم بأمره، وأتبع الرسل رسلاً وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة، وكان أول من صادم عبس وذبيان عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ١٣ ج في ٥ (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٣٦هـ/١٩١٧م)، ج٣، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢).

رِدَّة طليحة:

[عبيد الله بن سعيد ـ قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرني سيف، وحدثني السري ـ قال: حدثنا شعيب] عن سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن حبيب بن ربيعة الأسدي، عن عمارة بن فلان الأسدي قال:

ارتد طليحة في حياة رسول الله (ﷺ) فادّعى النبوة، فوجّه النبي (ﷺ) ضرار ابن الأزور إلى عمّاله على بني أسد في ذلك، وأمرهم بالقيام في ذلك على كل من ارتد، فأشجّوا طليحة وأخافوه، ونزل المسلمون بواردات ونزل المشركون بسميراء فما زال المسلمون في نماء والمشركون في نقصان حتى همّ ضرار بالمسير إلى طليحة، فلم يبقَ إلا أخذه سلماً إلا ضربة كان ضربها بالجُراز، فنبا عنه فشاعت في الناس، فأتى المسلمون وهم على ذلك بخبر موت نبيهم (ﷺ) وقال ناس من الناس لتلك الضربة إن السلاح لا يحيك في طليحة فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان وارفضّ الناس إلى طليحة واستطار أمره. وأقبل ذو الخمارين عوف الجذمي حتى نزل بإزائنا وأرسل إليه ثمامة بن أوس بن لام الطائي أن معي خمسمائة، فإن دهمكم أمر فنحن بالقردودة والأنْسُر دوين الرمل، وأرسل إليه مهلهل بن زيد أن معي حدّ الغوث، فإن دهمكم أمر فنحن بالأكناف بحيال فيد، وإنما تحدبت طيّىء على ذي الخمارين عوف أنه كان بين أسد وغطفان وطيء حلف في الجاهلية... فلما مات رسول الله (ﷺ) قام عيينة بن حصن في غطفان فقال: ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد، وإني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم، ومتابع طليحة، والله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش، وقد مات محمد وبقي طليحة، فطابقوه على رأيه ففعل وفعلوا.

فلما اجتمعت غطفان على المطابقة لطليحة هرب ضرار وقضاعي وسِنان، ومن كان قام بشيء من أمر النبي (ﷺ) في بني أسد إلى أبي بكر وارفضّ من كان معهم فأخبروا أبا بكر الخبر وأمروه بالحذر، فقال ضرار بن الأزور: فما رأيت أحداً... أملأ بحرب شعواء من أبي بكر فجعلنا نخبره ولكأنما نخبره بما له ولا عليه، وقدمت عليه وفود بني أسد وغطفان وهوازن وطيىء، وتلقّت وفود قضاعة أسامة ابن زيد فحوّزها إلى أبي بكر فاجتمعوا بالمدينة فنزلوا على وجوه المسلمين لعاشرة من متوفّى رسول الله (ﷺ) فعرضوا الصلاة على أن يُعفوا من الزكاة، واجتمع ملأ من أنزلهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما يريدون، فلم يبق من وجوه المسلمين أحد إلا أنزل منهم نازلاً إلا العباس. ثم أتوا أبا بكر فأخبروه خبرهم وما أجمع عليه ملأهم إلا ما كان من أبي بكر فإنه أبى إلا ما كان رسول الله (ﷺ) يأخذ، وأبوا فردّهم وأجّلهم يوماً وليلة فتطايروا إلى عشائرهم.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٢٩ ـ ٢٣١).

خبر مسيلمة الكذاب:

.. فلما قدم خالد على أبي بكر من البطاح... وجّهة إلى مسلمة وأوعب معه

الناس، وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن فلان وعلى المهاجرين أبو حنيفة وزيد، وعلى القبائل على كل قبيلة رجل. وتعّجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطاح، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة، فلما قدم عليه نهض حتى أتى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير.

.. عن سيف [عن أبي عمرو بن العلاء عن رجال قالوا:] كان عدد بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل في قراها وحجرها، فسار خالد حتى إذا أظل عليهم أسند خيولاً لعقّة والهذيل وزياد وقد كانوا أقاموا على خرج أخرجه لهم مسيلمة ليلحقوا به سجاح وكتب إلى القبائل من تميم فيهم فنفّروهم حتى أخرجوهم من جزيرة العرب. وعجل شرحبيل بن حسنة وفعل فِعل عكرمة وبادر خالداً بقتال مسيلمة قبل قدوم خالد عليه فنكب فحاجز فلما قدم عليه خالد لامه وإنما أسند خالد لتلك الخيول مخافة أن يأتوه من خلفه وكانوا بأفنية اليمامة...

... سيف، [عن طلحة بن الأعلم عن عبيد بن عمير عن أثال الحنفي وكان مع ثمامة بن أثال، قال:] وكان مسيلمة يصانع كل واحد ويتألّفه ولا يبالي أن يطلّع الناس منه على قبيح. وكان معه نهار الرّجّال بن عنفوة وكان قد هاجر إلى النبي (ﷺ) وقرأ القرآن وفقه في الدين فبعثه معلّماً لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة وليشدد من أمر المسلمين، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة، شهد له أنه سمع محمداً (ﷺ) يقول إنه قد أشرك معه فصدّقوه واستجابوا له وأمروه بمكاتبة النبي (ﷺ) ووعده إن هو لم يقبل أن يعينوه عليه، فكان نهار الرجّال بن عنفوة لا يقول شيئاً إلا تابعه عليه وكان ينتهي إلى أمره، وكان يؤذِّن للنبي (ﷺ) ويشهد في الأذان أن محمداً رسول الله، وكان الذي يؤذِّن له عبد الله بن النوّاحة، وكان الذي يقيم له حجير بن عمير ويشهد له، وكان مسيلمة إذا دنا حجير من الشهادة قال: صرّح حجير فيزيد في صوته، ويبالغ لتصديق نفسه وتصديق نهار وتضليل من كان قد أسلم، فعظم وقاره في أنفسهم.

قال: وضرب حرماً باليمامة فنهى عنه وأخذ الناس به، فكان محرّماً فوقع في ذلك الحرم قرى الأحاليف أفخاذ من بني أُسَيد كانت دارهم باليمامة، فصار مكان دارهم في الحرم، والأحاليف سيحان ونمارة ونمر والحارث بنو جروة، فإن أخصبوا أغاروا على ثمار أهل اليمامة واتخذوا الحرم وغلاً فإن نذروا بهم فدخلوه أحجموا عنهم، وإن لم ينذروا بهم فذلك ما يريدون، فكثر ذلك منهم حتى استعدوا عليهم فقال: انتظر الذي يأتي من السماء فيكم وفيهم، ثم قال لهم: والليل الأطهم والذئب الأدلم والجذع الأزلم ما انتهكت أسيّد من محرم. فقالوا: أما محرم استحلال الحرم وفساد الأموال، ثم عادوا للغارة وعادوا للعدوى. فقال انتظر الذي يأتيني.

فقال: والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس. فقالوا: أما النخيل مرطبة فقد جدّوها وأما الجدران يابسة فقد هدموها. فقال: إذهبوا وارجعوا فلا حق لكم. وكان فيما يقرأ لهم فيهم: إن بني تميم قوم طهر لقاح لا مكروه عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ما حيينا بإحسان، نمنعهم من كل إنسان، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن. وكان يقول: والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء، واللبن الأبيض إنه لعجب محض وقد حُرّم المَذقُ فما لكم لا تَمجَّعون. وكان يقول: ضفدع ابنة ضفدع نِقّي ما تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشاربَ تمنعين ولا الماءَ تكدّرين. وكان يقول: والمبذّرات زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، إهالة وسمنا، لقد فُضّلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعترّ فآووه، والباغي فناوئوه».

(المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤).

المعركة الحاسمة مع مسيلمة:

عن سيف، [عن طلحة بن الأعلم عن عبيد بن عمير] أن المهاجرين والأنصار جبّنوا أهل البوادي وجبّنهم أهل البوادي، فقال بعضهم لبعض امتازوا كي نستحيا من الفرار اليوم ونعرف اليوم من أين نؤتى ففعلوا، وقال أهل القرى: نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معشر أهل البادية إن أهل القرى لا يحسنون القتال ولا يدرون ما الحرب فسترون إذا امتزتم من أين يجيء الخلل، فامتازوا فما رئي يوم كان أحدّ ولا أعظم نكاية مما رئي يومئذ ولم يدرِ أي الفريقين كان أشد فيهم نكاية، إلا أن المصيبة كانت في المهاجرين والأنصار أكثر منها في أهل البادية. . .

عن سيف، [عن الضحاك بن يربوع عن أبيه عن رجل من بني سحيم شهدها مع خالد قال:] لما اشتد القتال، وكانت يومئذ سجالاً، إنما تكون مرة على المسلمين ومرة على الكافرين. فقال خالد: أيها الناس امتازوا لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى، فامتاز أهل القرى والبوادي وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضرة فوقف بنو كل أب على رايتهم فقاتلوا جميعاً، فقال أهل البوادي يومئذ: الآن يستمر القتال في الأجذع الأضعف فاستمر القتل في أهل القرى وثبت مسيلمة ودارت رحاهم عليه، فعرف خالد أنها لا تركد إلا بقتل مسيلمة ولم تحفل بنو حنيفة بقتل من قتل منهم. ثم برز خالد حتى إذا كان أمام الصف دعا إلى البراز وانتمى وقال: أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد، ونادى بشعارهم يومئذ وكان شعارهم

يومئذ يا محمداه فجعل لا يبرز له أحد إلا قتله وهو يرتجز:

أنا ابن أشياخ وسيفي السَّخت   أعظم شيء حين يأتيك النَّفت

ولا يبرز له شيء إلا أكله ودارت رحى المسلمين وطحنت ثم نادى خالد حين دنا من مسيلمة، وكان رسول الله (ﷺ) قال: إن مع مسيلمة شيطاناً لا يعصيه، فإذا اعتراه أزبد كانّ شدقيه زبيبتان لا يهمّ بخير أبداً إلا صرفه عنه فإذا رأيتم منه عورة فلا تقيلوا العثرة، فلما دنا خالد طلب تلك وراءه ثابتاً ورحاهم تدور عليه وعرف أنها لا تزول إلا بزواله، فدعا مسيلمة طلباً لعورته فأجابه فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة، وقال إن قبلنا النصف فأي الأنصاف تعطينا فكان إذا هم بجوابه أعرض بوجهه مستشيراً فينهاه شيطانه أن يقبل، فأعرض بوجهه مرة من ذلك وركبه خالد فأرهقه فأدبر، وزالوا فذمر خالد الناس وقال: دونكم لا تقيلوهم، وركبوهم فكانت هزيمتهم. فقال مسيلمة حين قام وقد تطاير الناس عنه، وقال قائلون: فأين ما كنت تَعِدُنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم، قال ونادى المحكّم: يا بني حنيفة الحديقة الحديقة. ويأتي وحشيّ على مسيلمة وهو مزبد متساند من الغيظ فخرط عليه حربته فقتله واقتحم الناس عليهم حديقة الموت من حيطانها وأبوابها فقتل في المعركة وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل.

(المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٤٦ ـ ١٩٤٨).

القادسية:

يوم أرمات:

عن سيف، [عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا:] وأرسل سعد الذين انتهى إليهم رأي الناس، والذين انتهت إليهم بخدمتهم وأصناف الفضل منهم إلى الناس فكان منهم من ذوي الرأي... المغيرة وحذيفة... ومن أهل الخبرة طلحة وقيس الأسدي وغالب وعمرو بن معدي كرب وأمثالهم، ومن الشعراء الشماخ والحطيئة... ومن سائر الأصناف أمثالهم، وقال قبل أن يرسلهم: انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم فسيروا في الناس، فذكّروهم وحرّضوهم على القتال، فساروا فيهم فقال قيس بن هبيرة الأسدي: أيها الناس احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يزدكم، واذكروا آلاء الله وارغبوا إليه في عاداته فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر والظراب الخُشن والفلوات التي لا يقطعها الأدلّة، وقال

غالب: أيها الناس احمدوا الله على ما أبلاكم وسلوه يزدكم وادعوه يجبكم يا معشر معدّ ما علّتكم اليوم وأنتم في حصونكم، يعني الخيل، ومعكم من لا يعصيكم، يعني السيوف، أذكروا حديث الناس في غد فإنه بكم غداً يبدأ عنده وبمن بعدكم يثنّى... وقال عاصم بن عمرو: يا معشر العرب إنكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان العجم وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا فلا يكوُننَّ على دنياهم، أحوط منكم على آخرتكم، لا تحدثوا اليوم أمراً تكونون به شيئاً على العرب غداً... وقام كلهم بنحو من هذا الكلام وتواثق الناس وتعاهدوا واهتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم.

(المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٩١ ـ ٢٢٩٤).

عن سيف [الإسناد نفسه] قالوا: قال سعد: إلزموا مواقفكم لا تحركوا شيئاً حتى تصلّوا الظهر، فإذا صلّيتم الظهر فإني مكبّر تكبيرة فكبّروا واستعدّوا... ثم إذا سمعتم الثانية فكبّروا ولتستتمّ عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينّشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا، فإذا كبّرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوّكم، وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله...

عن سيف [الإسناد نفسه قالوا:] لما فرغ القّراء كبّر سعد، فكبّر الذين يلونه تكبيرة، وكبر بعض الناس بتكبير بعض فتحشحش الناس ثم ثنّى فاستتمّ الناس، ثم ثلّث فبرز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج من أهل فارس أمثالهم، فاعتوروا الطعن والضرب، وخرج غالب بن عبد الله الأسدي وهو يقول:

قد علمت واردة المسائح ... ذات اللَّبان والبنان الواضح
إني سمام البطل المشايح ... وفارج الأمر المهمّ الفادح

فخرج إليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوّجاً فأسره غالَب أسراً فجاء به سعداً، فأدخل وانصرف غالب إلى المطاردة، وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول:

قد علمت بيضاءُ صفراء اللبب ... مثل اللُّجين إذ تغشّاه الذهب
إني امرؤ لا من يُعينه السبب ... مثلي على مثلك يغريه العتب

فطرد رجلاً من أهل فارس فهرب منه واتبعه حتى إذا خالط صفّهم التقى بفارس معه بغلة فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه فحموه واستاق عاصم البغل والرجل حتى أفضى به إلى الصف، فإذا هو خبّاز الملك، وإذا الذي معه لطف الملك الأخبصة والعسل المعقود.

(المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٩٤ ـ ٢٢٩٦).

نَصر بن مُزاحم

طلب التحكيم:

نصر، [حدثنا عمرو بن شمّر قال: حدثني أبو ضرار قال: حدثني عمّار بن ربيعة] قال: غلس عليّ بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وقيل عاشر شهر صفر. ثم زحف إلى أهل الشام، بعسكر العراق والناس على راياتهم وزحف إليهم أهل الشام، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنها في أهل الشام أشدّ نكاية وأعظم وقعاً فقد ملّوا الحرب وكرهوا القتال وتضعضعت أركانهم. قال: فخرج رجل من أهل العراق، على فرس كميت ذنوب، عليه السلاح لا يرى منه إلا عيناه وبيده الرمح، فجعل يضرب رؤوس أصحاب عليّ بالقناة ويقول: سوُّوا صفوفكم رحمكم الله، حتى إذا عدل الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه وولّى أهل الشام ظهره، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمدلله الذي جعل فينا ابن عم نبيه، أقدمهم هجرة وأولهم إسلاماً سيف من سيوف الله صبّه على أعدائه، فانظروا إذا حمي الوطيس وثار القتام وتكسر المُرّان وجالت الخيل بالأبطال فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة فاتبعوني وكونوا في أثري قال: ثم حمل على أهل الشام وكسر فيهم رمحه فإذا هو الأشتر. قال: وخرج من أهل الشام ينادي بين الصَفّين، يا أبا الحسن، يا عليّ، أبرز إلي. قال: فخرج إليه عليّ حتى إذا اختلف أعناق دابتيهما بين الصفين قال: يا عليّ إن لك قدماً في الإسلام وهجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك، يكون فيه حقن هذه الدماء، وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك؟ فقال له عليّ: وما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك، فنخلّي بينك وبين العراق ونرجع إلى شآمنا فتخلّي بيننا وبين شامنا. فقال له علي: لقد عرفت، إنما عرضت هذا نصيحة وشفقة، ولقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني وضربت أنفه وعينيه، فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد (ﷺ) إن الله تبارك وتعالى لم يرضَ من أوليائه أن يُعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بالمعروف

ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون علي من معالجة الأغلال في جهنم، فرجع الشامي وهو يسترجع.

قال: وزحف الناس بعضهم إلى بعض، فارتموا بالنُبُل حتى فنيت، ثم تطاحنوا بالرماح حتى تكسّرت واندقّت، ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيف وعُمُد الحديد، فلم يسمع السامع إلا وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشد هولاً في صدور الرجال من الصِواعق ومن جبال تهامة يدكّ بعضها بعضاً. قال: وانكشفت الشمس بالنقع وثار القتام وضلّت الألوية والرايات. قال: وأخذ الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القرّاء بالإقدام على التي تليها. قال: فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل، لم يصلوا لله صلاة، فلم يزل يفعل ذلك الأشتر بالناس حتى أصبح والمعركة خلف ظهره، وافترقوا عن سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم، وتلك الليلة هي «ليلة الهرير»...

قال: وإن علياً قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد بلغ الأمر بكم وبعدّوكم ما قد رأيتم ولم يبقَ منهم إلا آخر نفس، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا، وأنا غادٍ عليهم أحاكمهم إلى الله [عز وجل].

فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنما هي الليلة حتى يغدو عليّ علينا بالفصل فما ترى؟ قال: إن رجالك لا يقومون لرجاله ولست مثله، هو يقاتلك على أمر واحد وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء، وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون إن ظفرت بهم. ولكن ألقِ إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا، أدعهم إلى كتاب الله حكَماً بينكم وبينهم فإنك بالغ به حاجتك في القوم، فإني لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه. فعرف ذلك معاوية فقال: صدقت.

نصر [عن عمرو بن شمّر عن جابر بن عمير الأنصاري] قال: والله لكأني أسمع علياً يوم الهرير حين سار أهل الشام، وذلك بعدما طحنت رحى مذحج فيما بينها وبين عكّ ولخم وجذام والأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي، من حين استقلت الشمس حتى قام قائم الظهيرة. ثم إن علياً قال: حتى متى نخلّي بين هذين الحيين؛ قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون إليهم، أما تخافون مقت الله. ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله ثم نادى: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا واحد، يا أحد، يا صمد، يا الله، يا إله محمد، اللهم إليك نُقلت الأقدام وأفضت القلوب ورفعت الأيدي وامتدت الأعناق وشخصت الأبصار وطلبت الحوائج اللهم إنا نشكو إليك

غيبة نبينا (ﷺ) وكثرة عدّونا وتشتّت أهوائنا، ﴿ربنا إفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾، سيروا على بركة الله. ثم نادى: لا إله إلا الله والله أكبر، كلمة التقوى. ثم قال [الراوي]: لا والله الذي بعث محمداً (ﷺ) بالحق نبيّاً، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب، إنه قتل فيما ذكر العادُّون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنياً فيقول: معذرة إلى الله [عز وجل] وإليكم من هذا، لقد هممت أن أصقله ولكن حجزني عنه أني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول كثيراً: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»، وأنا أقاتل به دونه. قال: فكنا نأخذه فنقِّومه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف. فلا والله ما ليث بأشدَّ نكايةً في عدّو منه. رحمة الله عليه رحمة واسعة.

نصر [عن عمرو بن شمّر عن جابر] قال: سمعت تميم بن جذيم يقول: لما أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية، فلما أسفرنا فإذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدوا ثلاثة أرماح جميعاً، وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط. وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا علياً بمائة مصحف ووضعوا في كل مجنبةٍ مائتي مصحف، وكان جميعها خمسمائة مصحف. ثم قام الطفيل بن أدهم حيال علي، وقام أبو شريح الجذامي حيال الميمنة. ثم قام ورقاء بن المعمر حيال الميسرة، ثم نادوا: يا معشر العرب الله الله في نسائكم وبناتكم، فمن للروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم. الله الله في دينكم. هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فقال علي: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكيم الحق المبين. فاختلف أصحاب علي في الرأي، فطائفة قالت القتال، وطائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب. فعند ذلك بطلت الحروب، ووضعت أوزارها. فقال محمد بن علي: فعند ذلك حُكِّم الحكمان.

قال نصر: [وفي حديث عمرو بن شمّر بإسناده قال:] فلما كان اليوم الأعظم قال أصحاب معاوية: والله ما نحن لنبرحِ اليوم العرصة حتى يفتح الله لنا أو نموت. فبادروا القتال غدوة في يوم من أيام الشِّعرَى طويل شديد الحر، فتراموا حتى فنيت النبل، ثم تطاعنوا حتى تقصّفت رماحهم ثم نزل القوم عن خيولهم فمشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى كسرت جفونها، وقامت الفرسان في الركب، ثم اضطربوا بالسيوف وبِعُمُد الحديد فلم يسمع السامع إلا تغمغم القوم وصليل الحديد في الهام وتكادم الأفواه، وكسفت الشمس وثار القَتام، وضلت الألوية والرايات ومرت

مواقيت أربع صلوات لم يسجد لله فيهم إلا تكبيراً.

ونادت المشيخة في تلك الغمرات: يا معشر العرب، الله الله في الحرمات من النساء والبنات. قال جابر: فبكى جعفر وهو يحدّثنا بهذا الحديث، قال: وأقبل الأشتر في فرس كميت محذوف قد وضع مغفره على قربوس السرج وهو يقول: اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمي الوطيس. ورجعت الشمس من الكسوف واشتد القتال وأخذت السباع بعضها بعضاً، فهم كما قال الشاعر:

مضت واستأخر القُرَعاء عنها وخُلِّيَ بينهم إلا الوريع

قال: يقول واحد [لصاحبه] في تلك الحال: أي رجل هذا لو كانت له نية. فيقول له صاحبه: وأي نية أعظم من هذه ثكلتك أمك وهبلتك، إن رجلاً فيما قد ترى قد سبح في الدماء، وما أضجرته الحرب، وقد غلت هام الكماة من الحر، وبلغت القلوب الحناجر، وهو كما تراه جَذَعاً يقول هذه المقالة! اللهم لا تبقنا بعد هذا.

نصر [عن عمر بن شمّر، عن جابر، عن الشعبي، عن صعصعة] قال: قام الأشعث بن قيس الكندي ليلة الهرير في أصحابه من كندة فقال: الحمد الله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه واستنصره، واستغفره واستخيره واستهديه [وأستشيره وأستشهد به)، فإن من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هاديَ له... ثم قال: لقد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قطّ. ألا فليبلغ الشاهد الغائب أنا إن نحن توافقنا غداً إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات. أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحتف، ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غداً إذا فنينا. اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آلُ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والرأي يخطئ ويصيب، وإذا قضى الله أمراً أمضاه على ما أحب العباد أو كرهوا، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم.

قال صعصعة: فانطلق عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث، وقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غداً لتميلنّ الروم على ذرارينا ونسائنا ولتميلنَّ أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى، اربطوا المصاحف على أطراف القنا. قال صعصعة: فثار أهل الشام فنادوا في سواد الليل: يا أهل العراق، من لذرارينا إن قتلتمونا، ومن لذراريكم إن قتلناكم؟ الله الله في البقية. فأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلدوها

الخيل، والناس على الرايات قد اشتهوا ما دعوا إليه، ورفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح، ونادوا: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم. وأقبل أبو الأعور السلمي على برذون أبيض، وقد وضع المصحف على رأسه ينادي: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم. وأقبل عدي بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق فإنه لم يصب عصبة منا إلا وقد أصيب مثلها منهم، وكل مقروح، ولكنّا أمثلُ بقيةً منهم، وقد جزع القوم وليس بعد إلا ما تحب فناجز القوم. فقام الأشتر النخعي فقال: يا أمير المؤمنين، إن معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثلُ رجالك لم يكن له مثلُ صبرك، ولا تصبّرك، فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله الحميد.

ثم قام عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين، إنا والله ما أجبناك ولا نصرناك عصبية على الباطل ولا أجبنا إلا الله عز وجل، ولا طلبنا إلا الحق، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لاستشرى فيه اللجاج، وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحق مقطعه، وليس لنا معك رأي.

وقام الأشعث بن قيس مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، وليس أمرنا كأوله وما من القوم أحدٌ أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام مني. فأجب القوم إلى كتاب الله فإنك أحق به منهم، وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال. فقال علي [عليه السلام]: إن هذا أمر ينظر فيه.

وذكروا أن أهل الشام جزعوا فقالوا: يا معاوية، ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه فأعدها جَذَعة، فإنك قد غمرت بدعائك القوم وأطمعتهم فيك. فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص وأمره أن يكلّم أهل العراق، فأقبل حتى إذا كان بين الصفين نادى: يا أهل العراق، أنا عبد الله بن عمرو بن العاص، إنما قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا، فإن تكن للدين فقد والله أعذرنا وأعذرتم، وإن تكن للدنيا فقد والله أسرفنا وأسرفتم، وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم، فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذلك من الله، فاغتنموا هذه الفرجة لعله أن يعيش فيها المحترف، وينسى فيها القتيل، فإن بقاء المُهلك بعد الهالك قليل. فخرج سعيد بن قيس فقال: يا أهل الشام إنه قد كان بيننا وبينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا سميتموها غدراً وسَرفاً، وقد دعوتمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمس، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم ولا أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله، فالأمر في أيدينا دونكم وإلا فنحن نحن وأنتم أنتم.

وقام الناس إلى علي وقالوا: أجب القوم إلى ما دعوك إليه، فإنا قد فنينا. ونادى إنسان من أهل الشام في سواد الليل بشعر سمعه الناس وهو:

رؤوسَ العراق أجيبوا الدعاءَ ... فقد بُلغت غاية الشدّة
وقد أودت الحرب بالعالمين ... وأهل الحفائظ والنجدة
فلسنا ولستم من المشركين ... ولا المجمعين على الردّة

* * *

فإن تقبلوها ففيها البقاء ... وأمن الفريقين والبلدة
وإن تدفعوها ففيها الفناء ... وكل بلاء إلى مدة

* * *

ثلاثة رهط هم أهلها ... وأن يسكتوا تخمد الوقدة
سعيد بن قيس وكبش العراق ... وذاك المسوّد من كِندة

نصر: هؤلاء النفر المسمَّوْن في الصلح. قال: فأما المسود من كندة فهو الأشعث، فإنه لم يرضَ بالسكوت، بل كان من أعظم الناس قولاً في إطفاء الحرب والركون إلى الموادعة، وأما كبش العراق وهو الأشتر فلم يكن يرى إلا الحرب، ولكنه سكت على مضض، وأما سعيد بن قيس فتارة هكذا وتارة هكذا.

قال: ذكروا أن الناس ماجوا، وقالوا: أكلتنا الحرب، وقتلت الرجال، وقال قوم: نقاتل القوم على ما قاتلناهم عليه أمس، ولم يقل هذا إلا قليل من الناس، ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة. وثارت الجماعة بالموادعة، فقام علي أمير المؤمنين فقال: إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب إلى إن أخذت منكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وأخذت من عدوّكم فلم تترك وإنها فيهم أنكى وأنهك، إلا أني كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهياً، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون، ثم قعد. ثم تكلم رؤساء القبائل فأما من ربيعة، وهي الجبهة العظمى، فقام كردوس بن هانئ البكري فقال: أيها الناس إنا والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من علي منذ توليناه، وإن قتلانا لشهداء وإن أحياءنا لأبرار، وإن علياً لعلى بيّنة من ربه ما أحدث إلا الإنصاف، كل محقّ منصف، فمن سلّم له نجا ومن خالفه هلك.

ثم قام شفيق بن ثور البكري فقال: أيها الناس إنّا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله فردّوه علينا، فقاتلناهم عليه، وإنهم دعونا إلى كتاب الله فإن رددناه عليهم حلّ لهم منا ما حلّ لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله، وإن علياً ليس

بالراجع الناكص ولا الشاكّ الواقف، وهو اليوم على ما كان عليه أمس، وقد أكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء إلا في الموادعة.

ثم قام حريث بن جابر البكري فقال: أيها الناس، إن علياً لو كان خلْفاً من هذا الأمر لكان المفزع إليه فكيف وهو قائده وسائقه، وإنه والله ما قبل من القوم اليوم إلا ما دعاهم إليه أمس، ولو رده عليهم كنتم له أعنت، ولا يلحد في هذا الأمر إلا راجع على عقبيه أو مستدرج بغرور، فما بيننا وبين من طغى علينا إلا السيف.

ثم قام خالد بن المعمر فقال: يا أمير المؤمنين، أنا والله ما اخترنا هذا المقام أن يكون أحد هو أولى به منا، غير إنا جعلناه ذخراً وقلنا: أحب الأمور إلينا ما كُفينا مؤونته، فأما إذا سبقنا المقام فإنا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك إليه القوم إن رأيت ذلك، فإن لم تره فرأيك أفضل.

ثم إن الحضين الرَّبعي، وهو أصغر القوم سناً، قام فقال: أيها الناس، إنما بني هذا الدين على التسليم فلا توفّروه بالقياس ولا تهدموه بالشفقة، فإنا والله لولا أنا لا نقبل إلا ما نعرف لأصبح الحق في أيدينا قليلاً، وتركنا ما نهوى لكان الباطل في أيدينا كثيراً، وإن لنا داعياً قد حمدنا ورده وصدَرَه، وهو المصدَّق على ما قال، المأمون على ما فعل، فإن قال لا قلنا لا، وإن قال نعم قلنا نعم.

فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى مصقلة بن هبيرة فقال: يا مصقلة ما لقيت من أحد ما لقيت من ربيعة. قال: ما هم منك بأبعد من غيرهم، وأنا باعث إليهم فيما صنعوا. فبعث مصقلة إلى الربعيين فقال:

من يُهلك القوم إن تبدى نصيحتهم ... إلا شقيق أخو ذهل وكردوس
وابن المعمر لا تنفكّ خطبته ... فيها البيان وأمر القوم ملبوس

* * *

كل القبائل قد أدى نصيحته ... إلا ربيعة رغم القوم محبوس

وقال النجاشي:

إن الأراقم لا يغشاهمُ بوس ... ما دافع الله عن حوباء كردوس
نمته من تغلب الغلبا فوارسها ... تلك الرؤوس وأبناء المرائيس
ما بال كل أمير يستراب به ... دين صحيح ورأس غير ملبوس
وَالَى علياً بغدر بَذّ منه إذا ... ما صرّح الغدر عن ردِّ الضغابيس

. . . (إلى آخر الأبيات). .

وقال فيما قال خالد بن المعمر:

وَفَت لعليّ من ربيعة عصبةٌ ... بصم العوالي والصفيح المذكّرِ
شقيق وكردوس ابن سيد تغلب ... وقد قام فيها خالد بن المعمّر
وقارع بالشورى حريثُ بن جابر ... وفاز بها لولا حَضين بن منذر
. . . (إلى آخر الأبيات)

وقال الصلْتان:

شقيقُ بن ثورٍ قام فينا بخطبة ... يحدِّثها الركبان أهل المشاعر
بما لم يقف فينا خطيب بمثلها ... جزى الله خيراً من خطيب وناصر
وقد قام فينا خالد بن معمّر ... وكردوس الحامي ذمارَ العشاير
بمثل الذي جادا به حذو فعله ... وقد بيّن الشورى حريث بن جابر
. . . (إلى آخر الأبيات)

وقال حريث بن جابر:

أتى نبأ من الأنباء يمني ... وقد يُشفى من الخبر الخبير

قال: فلما ظهر قول حَضين رمته بكر بن وائل بالعداوة، ثم إن علياً أصلح بينهم. وقال رفاعة بن شداد البجليّ: أيها الناس، إنه لا يفوتنا شيء من حقنا، وقد دعونا في آخر أمرنا إلى ما دعونا إليه في أوله، وقد قبلوه من حيث لا يعقلون، فإن يتمّ الأمر على ما نريد فبعد بلاء وقتل وإلا أثرناها جَذَعة، وقد رجع إليها جدُّنا. وقال في ذلك:

تطاول ليلي للهموم الحواضر ... وقَتْلَى أصيبت من رؤوس المعاشر
بِصِفّين امست والحوادث جَمّةٌ ... يهيل عليها التُربَ ذيلُ الأعاصر
فإنّهم في ملتقى الخيلِ بُكرةً ... وقد جالت الأبطال دون المساعر
فإن يكُ أهلُ الشام نالوا سراتنا ... فقد نيلَ منهم مثلُ جزرة جازر
أثرنا التي كانت بصفين بكرة ... ولم نك في تسعيرها بعواثر
فإن حكما بالحق كانت سلامة ... ورأي وقانا منه من شؤم ثائر

وفي حديث عمر بن سعد قال: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال عليّ [رضي الله عنه]: عباد الله إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي مُعيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، إنها كلمة حق يراد بها باطل، أنهم

والله ما رفعوها إنهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنّعين في الحديد شاكّي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودّت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين، وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوا باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا عليّ، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم. فقال لهم: ويحكم، أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه، وليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني أن أُدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون. قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك. وقد كان الأشتر صبيحة ليل الهرير قد أشرف على معسكر معاوية ليدخله.

نصر [فحدثني فضيل بن خديج، عن رجل من النَخع قال: رأيت إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب الزبير فسأله عن الحال كيف كانت، فقال: كنت عند علي حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، وقد كان [الأشتر] أشرف على معسكر معاوية ليدخله، فأرسل [إليه] علي يزيد بن هانيء فأتاه فبلغه، فقال الأشتر: ائته فقل له ليس هذه الساعة [التي] ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إني قد رجوت الله أن يفتح لي فلا تعجلني. فرجع يزيد بن هانيء إلى علي فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام، فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته بقتال القوم.

قال: أرأيتموني ساررت رسولي؟ أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا فوالله اعتزلناك. قال: ويحك يا يزيد، قل له أقبل إلي فإن الفتنة. فأتاه فأخبره، فقال له الأشتر: ألرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما والله لقد ظننت بها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة، إنها من مشورة ابن النابغة ـ يعني عمرو بن العاص ـ قال: ثم قال ليزيد: [ويحك] ألا ترى إلى الفتح، ألا ترى إلى ما يَلقون، ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا، أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه؟ فقال له يزيد: أتحب أنك ظفرت ههنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلّم إلى عدوه؟ قال: سبحان الله، لا، والله ما أحب ذلك، قال: فإنهم قالوا لترسلن إلى الأشتر، فليأتينك أو لنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلّمنك إلى عدوك. قال: فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح، وقال: يا أهل

الذل والوهن، أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم قاهرون، ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟ وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم، أمهلوني فواتاً فإني قد أحسست بالفتح. قالوا لا، قال: فأمهلوني عدوة الفرس، فإني قد طمعت بالنصر. قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك.

قال: فحدثوني عنكم ـ وقد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم ـ متى كنتم محقين، أحين كنتم تقتلون [تقاتلون] أهل الشام، فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون، أم [أنتم] الآن [في إمساككم عن القتال] محقون؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم في النار. قالوا: دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا. قال: خُدعتم والله فانخدعتم، وُدعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم.

يا أصحاب الجباه السود، كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت، ألا فقبحاً يا أصحاب النيب الجلاّلة، ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً. . . فسبّوه وسبّهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابّهم، فصاح بهم علي فكفوا. وقال الأشتر: يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف يُصرع القوم فتصايحوا: إن علياً أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن، ولا يسعه إلا ذلك. قال الأشتر: إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي بحكم القرآن فقد رضيت بما رضي أمير المؤمنين. فأقبل الناس يقولون: قد رضي أمير المؤمنين، قد قبل أمير المؤمنين، وهو ساكت لا يبُضّ بكلمة، مطرق إلى الأرض.

قال: ولما صدر علي من صفين أنشأ يقول:

وكم قد تركنا في دمشق وأرضها	من أشمط موتور وشمطاء ثاكل
وغانية صاد الرِمَاحُ حليلَها	فأضحت تُعَدّ اليوم إحدى الأرامل
تبكّي على بعل لها راح غادياً	فليس إلى يوم الحساب بقافل
وإنّا أناسٌ ما تصيب رماحنا	إذا ما طعنّا القوم غير المقاتل

قال: وقال الناس: قد قبلنا أن تجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً. وبعث معاوية أبا الأعور السلمي على برذون أبيض فسار بين الصفين صف أهل العراق وصف أهل الشام والمصحف على رأسه وهو يقول: كتاب الله بيننا وبينكم. فأرسل معاوية إلى علي: «إن هذا الأمر قد طال بيننا وبينك وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه ولن يعطي واحد منا الطاعة للآخر، وقد قتل فيما بيننا بشر كثير وأنا أتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى وإنا سوف نُسأل عن ذلك الموطن، ولا

يحاسب به غيري وغيرك، فهل لك في أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة وصلاح للأمة وحقن للدماء وألفة للدين وذهاب للضغائن والفتن، أن يحكم بيننا وبينك حكَمان رضِيّان أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك فيحكمان بما في كتاب الله بيننا، فإنه خير لي ولك وأقطعُ لهذه الفتن. فاتق الله فيما دعيت له وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام».

فكتب إليه علي بن أبي طالب: «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. أما بعد فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما يحسن به فعله، ويستوجب ويسلم من عيبه، وإن البغي والزور يزريان بالمرء في دينه ودنياه ويبديان من خلله عند من يغنيه ما استرعاه الله ما لا يغني عنه تدبيره. فاحذر الدنيا فإنه لا فرح في شيء وصلت إليه منها، ولقد علمت أنك غير مدرك ما قضي فواته، وقد رام قوم أمراً بغير الحق فتأولوا على الله فأكذبهم ومتّعهم قليلاً، ثم اضطرهم إلى عذاب غليظ. فاحذر يوماً يغتبط فيه مَن أَحمَدَ عاقبةَ عمله، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحادّه فغرته الدنيا واطمأن إليها. ثم إنك قد دعوتني إلى حكم القرآن، ولقد علمت أنك لست من أهل القرآن، ولست حكمه تريد، والله المستعان، ولقد أجبنا القرآن إلى حكمه، ولسنا إياك أجبنا، ومن لم يرضَ بحكم القرآن، فقد ضل ضلالاً بعيداً».

(نصر بن مزاحم المنقري، **كتاب صفين**، [تحقيق] عبد السلام هارون (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، ص ٥٤٦ ـ ٥٦٦).

المدائني

فتوح السِّند:

علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف [المدائني] قال: لما ولّى عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] عثمانَ بن أبي العاص الثقفي البحرين وعُمان سنة ١٥هـ، فوجّه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عُمان، فأقطع جيشاً إلى تانه، فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك. فكتب إليه عمر: يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم. ووجّه الحكم أيضاً إلى بَرْوَص، ووجّه أخاه المغيرة بن أبي العاصي إلى خور الدَّيبُل فلقي العدّو فظفر. فلما ولّى عثمان بن عفان [رضي الله عنه] وولّى عبد الله بن عامر بن كريز العراق كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه حكم بن جبلة العبدي فلما رجع أوفده إلى عثمان فسأله عن حال البلاد، فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحَّرتها، قال: فصفها لي، قال: ماؤها وشل وثمرها دقل، ولصّها بطل، إن قلّ الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا، فقال له عثمان: أخابرة أم ساجع؟ قال: بل خابر، فلم يُغزِها أحداً.

فلما كان آخر سنة ٣٨ وأول سنة ٣٩ في خلافة علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] توجه إلى الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعاً بإذن علي، فظفر وأصاب مغنماً وسبياً، وقسم في يوم واحد ألف رأس، ثم إنه قتل ومن معه بأرض القيقان إلا قليلاً، كان مقتله في سنة ٤٢. والقيقان من بلاد السند مما يلي خراسان. ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة في أيام معاوية سنة ٤٤هـ، فأتى بنّة والأهوار، وهما بين المَلَتان وكابل، فلقيه العدو فقاتله ومن معه، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة، فقتلوا جميعاً، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منا؟ فحذف الخيل فكان أول من حذفها من المسلمين. وفي بنّة يقول الأزدي:

ألم تــرَ أن الأزد ليلــةَ بــيّتــوا ببنّة كانوا غير جيش المهلّب

ثم ولّى عبد الله بن عامر في زمن معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن سوّار العبدي، ويقال ولاّه معاوية من قبله ثغر الهند، فغزا القيقان فأصاب مغنماً، ثم وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلاً قيقانية، وأقام عنده ثم رجع إلى القيقان فاستجاشوا الترك فقتلوه، وفيه يقول الشاعر:

وابــن ســوّارٍ عــلى عِــدّاتــه مـوقـد الـنـار وقـتّـال الـسـغـب

وكان سخياً لم يوقد أحد ناراً غيره في عسكر، فرأى ذات ليلة ناراً فقال ما هذه؟ فقالوا: امرأة نفساء يعمل لها خبيص، فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثاً.

وولّى يزيد بن أبي سفيان في أيام معاوية سنان بن مسلمة بن المحبَّق الهذلي، وكان فاضلاً متألّهاً، وهو أول من أحلف الجند بالطلاق، فأتى الثغر ففتح مكران عنوة ومقرها وأقام بها وضبط البلاد، وفيه يقول الشاعر:

رأيت هذيلاً أحدثت في يمينها طلاق نساء ما يسوق لها مهراً
لهان على حِلفةُ ابن محبق إذا رفعت أعناقها حُلَّقاً صُفْراً

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **كتاب فتوح البلدان**، تحرير م. ج دو غويه (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٦٦)، ص ٤٣١ ـ ٤٣٣).

فتوح خراسان:

ذكر علي بن محمد [المدائني] [أن مسلمة بن محارب أخبره عن السكن بن قتادة العريني قال:] فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة واستعمل على اصطخر شريك ابن الأعور الحارثي فبنى شريك مسجد اصطخر فدخل على ابن عامر رجل من تميم، قال كنا نقول إنه الأحنف ويقال أوس بن جابر الجشمي جشم تميم فقال له: إن عدّوك منك هارب، وهو لك هائب والبلاد واسعة فَسِرْ، فإن الله ناصرك ومعزّ دينه. فتجهّز ابن عامر وأمر الناس بالجهاز للمسير، واستخلف على البصرة زياداً وسار إلى كرمان، ثم أخذ إلى خراسان، فقوم يقولون: أخذ طريق أصبهان ثم سار إلى خراسان.

قال عليّ: [حدثنا المفضل الكرماني عن أبيه قال:] كان أشياخ كرمان يذكرون أن ابن عامر نزل العسكر بالسيرَجان، ثم سار إلى خراسان واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمي، وأخذ ابن عامر على مفازة رابر [لعله: راور]، وهي ثمانون فرسخاً، ثم سار إلى الطبَسَيْن يريد أَبرشَهْر وهي مدينة نيسابور وعلى مقدمته الأحنف بن قيس فأخذ إلى قُهستان، وخرج إلى أبرشهر، فلقيه الهياطلة، وهم أهل

هراة، فقاتلهم الأحنف فهزمهم، ثم أتى ابن عامر نيسابور.

قال علي: [وأخبرنا أبو مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي قال:] أخذ ابن عامر على مفازة خبيص، ثم على خواست، ويقال على يزد ثم على قهستان، فقدم الأحنف فلقيه الهياطلة فقاتلهم فهزمهم ثم أتى أبرشهر فنزلها ابن عامر، وكان سعيد ابن العاص في جند أهل الكوفة، فأتى جرجان وهو يريد خراسان، فلما بلغه نزول ابن عامر أبرشهر رجع إلى الكوفة.

قال علي: [حدثنا علي بن مجاهد قال:] نزل ابن عامر على أبرشهر فغلب على نصفها عنوة وكان النصف الآخر في يد كناري ونصف نسا وطوس فلم يقدر ابن عامر أن يجوز إلى مرو فصالح كناري فأعطاه ابنه أبا الصلت بن كناري، وابن أخيه سليماً رهناً، ووجه عبد الله بن حازم إلى هراة وحاتم بن النعمان إلى مرو، فأخذ ابن عامر ابني كناري، فصارا إلى النعمان بن الأفقم النصري فأعتقهما.

قال علي: [وأخبرنا أبو حفص الأزدي عن أدريس بن حنظلة العمّي، قال:] فتح ابن عامر مدينة أبرشهر عنوة وفتح ما حولها طوس وبيورد ونسا وحمران، وذلك سنة ٣١هـ.

قال علي: [حدثنا أبو السري المروزي عن أبيه قال:] سمعت موسى بن عبد الله بن عامر من أبرشهر، وصالح ابن عامر أهل أبرشهر صلحاً فأعطوه جاريتين من آل كسرى بابونج وطميهج أو طمهيج، فأقبل بهما معه وبعث أمية بن أحمر اليشكري ففتح ما حول أبرشهر وطوس وبيورد ونسا وحمران حتى انتهى إلى سرخس.

قال علي: [وأخبرنا أبو الذيّال زهير بن هنيد العبيدي العدوي عن أشياخ من أهل خراسان] أن ابن عامر سرّح الأسود بن كلثوم العدوي عدويّ الرباب إلى بيهق، وهي من أبرشهر بينها وبين مدينة أبرشهر ستة عشر فرسخاً، وقتل الأسود بن الكلثوم. قال: وكان فاضلاً في دينه كان من أصحاب عامر بن عبد الله العنبري، وكان عامر يقول بعد ما أخرج ما البصرة ما آسى من العراق على شيء إلا على ظِماء الهواجر، وتجارب المؤذنين وإخوان مثل الأسود بن كلثوم.

قال علي: وأخبرنا زهير بن هنيد عن بعض عمومته، قال غلب ابن عامر على نيسابور، وخرج إلى سرخس فأرسل أهل عمرو يطلبون الصلح، فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي، فصالح إبراز مرزبان مرو على ألفي ومائتي ألف.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دو غويه]، ١٥ ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)، ج١، ص ٢٨٨٤.

قتيبة بن مسلم الباهلي:

ذكر علي بن محمد: [أن كليب بن خلف أخبره عن طفيل بن مرداس العمّي والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير العمي قال أخبرني عمي قال:] رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ٨٦هـ فقدم والمفضل يعرض الجند وهو يريد أن يغزو آخرون وشومان، فخطب الناس قتيبة وحثهم على الجهاد وقال: إن الله أحلّكم هذا المحلّ ليعزّ دينه ويذبّ بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استفاضة والعدّو وَقْمَاً ووعد نبيه (ﷺ) النصر بحديث صادق وكتاب ناطق، فقال: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾[1]، ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال: ﴿**ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله**﴾[2]، إلى قوله: ﴿**أحسن ما كانوا يعملون**﴾[3] ثم أخبر عمّن قتل في سبيله أنه حي مرزوق فقال: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[4]، فتنجزوا موعود ربكم، ووطّنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم وإياي والهوينا.

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكراع، وسار واستخلف بمرو على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو، وعلى الخراج عثمان بن السعدي، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ، وبعض عظمائهم فساروا معه، فلما قطع النهر تلقّاه بيش الأعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب، فدعاه إلى بلاده فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ودعاه إلى بلاده، فمضى مع بيش إلى الصغانيان فسلّم إليه بلاده وكان ملك آخرون وشومان قد أساء جوار بيش وغزاه وضيّق عليه فسار قتيبة إلى آخرون وشومان وهما من طخارستان، فجاءه غيسلشتان فصالحه على فدية أراها إليه فقبلها قتيبة ورضي. ثم انصرف إلى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم وتقدم جنده فسبقهم إلى مرو، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة باسار الحصن [؟]، وكان معه نصر بن سيّار فأبلى يومئذ فوهب له قرية تدعى تنجانة، ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ.

(المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٧٨ ـ ١١٨٠).

---

(١) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ١٢١.

(٤) المصدر نفسه، «سورة آل عمران،» الآية ١٦٩.

ذكر علي بن محمد [أن أبا الحسن الجشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان وجبلة بن فرّوخ عن محمد بن المثنى] أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين. وكتب إليه قتيبة حين صالح ملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم، ويهدده في كتابه، فخاف نيزك فأطلق الأسرى، وبعث بهم إلى قتيبة. فوجه إليه قتيبة سليماً الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكرة يدعوه إلى الصلح وإلى أن يؤمنه وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونّه ثم ليطلبنّه حيث كان لا يقلع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك، فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة، وكان يستنصحه، فقال له يا سليم ما أظن عند صاحبك خيراً كتب إلي كتاباً لا يكتب إلى مثلي، قال له سليم يا أبا الهياج إن هذا الرجل شديد في سلطانه سهل إذا سوهل، صعب إذا عوسر، فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك، فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر. فقدم نيزك مع سليم على قتيبة فصالحه أهل باذَغيس في سنة ٨٧هـ على أن لا يدخل باذَغيس.

(المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٨٤ ـ ١١٨٥).

ذكر علي بن محمد: [أن أبا الذيّال أخبره عن المهلب بن إياس عن أبيه عن حسين بن مجاهد الرازي وهارون بن عيسى عن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم] أن قتيبة لما صالح نيزك، وأقام إلى وقت الغزو ثم غزا في تلك السنة سنة ٨٧ بيكند فسار من مرو وأتى مرو روذ ثم أتى آمل ثم مضى إلى زمّ فقطع النهر وسار إلى بيكند وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر، يقال لها مدينة التجار على رأس المفازة من بخارى. فلما نزل بعقوتهم استنصروا الصغد واستمدّوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وأخذوا بالطريق فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل إليه رسول ولم يجر له خبر شهرين، وأبطأ خبره على الحجاج، فأشفق الحجاج على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار، وهم يقتتلون في كل يوم. قال: وكان لقتيبة عين يقال له تنذرِ من العجم، فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالاً على أن يفثأ عنهم قتيبة، فأتاه فقال أخلِني فنهض الناس واحتبس قتيبة ضرار بن حصين الضبي فقال تنذر: هذا عامل يقدم عليك وقد عزل الحجاج، فلو انصرفت بالناس إلى مرو فدعا قتيبة سياه مولاه فقال إضرب عنق تنذر فقتله، ثم قال لضرار: لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك وإني أعطي الله عهداً إن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لألحقنك به فاملك لسانك فإن انتشار هذا الحديث يفتّ في أعضاد الناس، ثم أذّن للناس. قال: فدخلوا فراعهم قتل تنذر فوجموا وأطرقوا، فقال قتيبة ما يروعكم من قتل عبد أهانه الله؟ قالوا: إنا كنا نظنه ناصحاً للمسلمين، قال: بل كان غاشاً، فأهانه الله بذنبه فقد مضى لسبيله، فاغدوا على قتال عدوّكم والقوهم

بغير ما كنتم تلقونهم به. فغدا الناس متأهبين وأخذوا مصافّهم، ومشى قتيبة فحض أهل الرايات، فكانت بين الناس مشاولة، ثم تزاحفوا والتقوا، وأخذت السيوف مأخذها، وأنزل الله على المسلمين الصبر، فقاتلوهم حتى زالت الشمس. ثم منح الله المسلمين أكتافهم فانهزموا يريدون المدينة واتبعهم المسلمون فشغلوهم عن الدخول فتفرقوا، وركبهم المسلمون قتلاً وأسراً كيف شاؤوا، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة وهم قليل، فوضع قتيبة الفعَلة في أصلها ليهدمها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم رجلاً من بني قتيبة، وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار مرحلة أو اثنتين، وكان منهم على خمس فراسخ، نقضوا وكفروا فقتلوا العامل وأصحابه وجدعوا أُنُفهم وآذانهم، وبلغ قتيبة فرجع إليهم وقد تحصنوا فقاتلهم شهراً ثم وضع الفَعَلة في أصل المدينة فعلّقوها بالخشب وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهدم، فسقط الحائط وهم يعلّقونه فقتل أربعين من الفعلة، فطلبوا الصلح فأبى وقاتلهم فظفر بها عنوةً فقتل من كان فيها من المقاتلة. وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة: أنا أفدي نفسي، فقال له سليم الناصح: ما تبذل؟ قال خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف، فقال قتيبة: ما ترون؟ قالوا: نرى أن فداه زيادة في غنائم المسلمين، وما عسى أن يبلغ من كيد هذا، قال: لا والله لا تروع بك مسلمة أبداً وأمر به فقتل.

قال علي: [قال أبو الذيّال عن المهلب بن إياس عن أبيه والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس] أن قتيبة لما فتح بيكند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى فولّى الغنائم والقَسْم عبد الله بن وألان العدوي أحد بني ملكان، وكان قتيبة يسميه الأمين بن الأمين وإياس بن بيهيس الباهلي فأذابا الآنية والأصنام فرفعاه إلى قتيبة، ورفعا إليه خبث ما أذابا، فوهبه لهما، فأعطيا به أربعين ألفاً فأعلماه فرجع فيه وأمرهما أن يذيباه، فأذاباه فخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال أو خمسون ألف مثقال. وأصابوا في بيكند شيئاً كثيراً وصار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان ورجع قتيبة إلى مرو وقوي المسلمون فاشتروا السلاح والخيل، وجلبت إليهم الدواب، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين وقال الكميت:

ويوم بيكند لا تحصى عجائبه ... وما بُخاراء مما أخطأ العدد

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة، فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح إلى الجند فأذن له فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر فقسمه في الناس فاستعدّوا. فلما كان أيام الربيع ندب الناس

وقال: إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد وانتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الأدفإ. فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح، فأتى آمل ثم عبر من زم إلى بخارى فأتى نوُمَشكث، وهي من بخارى فصالحوه.

(المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٨٥ ـ ١١٨٩).

الوليد بن عبد الملك:

حدثني علي [بن محمد المدائني] قال: كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم، بنى المساجد، مسجد دمشق ومسجد المدينة، ووضع النار، وأعطى الناس وأعطى المجذَّمين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً، وفُتح في ولايته فتوح عظام، فتح موسى بن نصير الأندلس، وفتح قتيبة كاشغر، وفتح محمد بن القاسم الهند. قال: وكان الوليد يمر بالبقال، فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول بكم هذه؟ فيقول بفلس، فيقول زد فيها. قال: وأتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه، فقال نعم إن كنت مستحقاً لذلك، قال يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي، قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادن مني، فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان في يده وقرعه قرعات بالقضيب وقال لرجل ضُمَّ إليك هذا، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن. فقام إليه عثمان بن يزيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد فقال: يا أمير المؤمنين إن عليّ ديناً، قال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات من الأنفال، وعشر آيات من براءة فقرأ، فقال: نعم نقضي عنكم ونصل أرحامكم على هذا.

قال: ومرض الوليد فرهقته غشية فمكث عآمة يومه عندهم ميتاً فبكى عليه وخرجت البُرُد بموته، فقدم رسول على الحجاج فاسترجع ثم أمر بحبل فشد في يده ثم أوثق إلى اسطوانة وقال: اللهم لا تسلط عليّ من لا رحمة له فقد طال ما سألتك أن تجعل منيتي قبل منيته وجعل يدعو، فإنه لكذلك إذ قدم عليه بريد بإفاقته. قال علي: ولما أفاق الوليد قال: ما أحد أسرَّ بعافية أمير المؤمنين من الحجاج، فقال عمر ابن عبد العزيز: ما أعظم نعمة الله علينا بعافيتك، وكأني بكتاب الحجاج قد أتاك يذكر فيه أنه لما بلغه برؤك خرّ لله ساجداً وأعتق كل مملوك له وبعث بقوارير من أَنبجَ الهند، فما لبث إلا أياماً حتى جاء الكتاب بما قال. قال ثم لم يمت الحجاج حتى ثقل على الوليد، فقال خادم للوليد: إني لأوضّىء الوليد يوماً للغداء، فمد يده، فجعلت أصب عليه الماء وهو ساه، والماء يسيل ولا استطيع أن أتكلم ثم نفخ الماء في وجهي، وقال أناعسٌ أنت، ورفع رأسه إليّ وقال: ما تدري ما جاء الليلة، قلت

لا، يقال: ويحك مات الحجاج، فاسترجعت، قال: أسكت ما يسر مولاك أن في يده تفاحة يشمّها.

قال علي: وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع، وكان الناس يلتقون في زمانه، فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع، فولي سليمان، فكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجواري، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ما وردك الليلة، وكم تحفظ من القرآن، ومتى تختم ومتى ختمت وما تصوم من الشهر. ورثى جرير الوليد فقال:

يا عينُ جودي بدمع هاجه الذكر ... فما لدمعك بعد اليوم مدّخر
إن الخليفة قد وارت شمائله ... غبراء ملحدة في جولها زور
أضحى بنوه وقد جَلّت مصيبتهم ... مثل النجوم هوى من بينها القمر
كانوا جميعاً فلم يدفع منيَّته ... عبد العزيز ولا رَوْحٌ ولا عُمَرُ

حدثنا علي [بن محمد المدائني] قال: كان الوليد وسليمان وليي عهد عبد الملك، فلما أفضى الأمر إلى الوليد أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز، ويخلع سليمان، فأبى سليمان، فأراده علي أن يجعله له من بعده فأبى، فعرض عليه أموالاً كثيرة فأبى، فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز ودعا الناس إلى ذلك، فلم يجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس. فقال عباد بن زياد: إن الناس لا يجيبونك إلى هذا ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابنك فاكتب إلى سليمان فليقدم عليك فإن لك عليه طاعة فأرده على البيعة لعبد العزيز من بعده فإنه لا يقدر على الامتناع وهو عندك فإن أبى كان الناس عليه. فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم فأبطأ. فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلعه، فأمر الناس بالتأهب وأمر بحُجره فأخرجت فمرض ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك...

قال علي: [وأخبرنا أبو عاصم الزيادي عن الهلواث الكلبي قال: كنّا بالهند مع محمد بن القاسم، فقتل الله داهراً، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان، فلما ولّي سليمان جاءنا كتاب سليمان أن ازرعوا واحرثوا فلا شأم لكم، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأقفلنا.

قال علي: أراد الوليد أن يبني مسجد دمشق، وكانت فيه كنيسة، فقال الوليد لأصحابه: أقسمت عليكم لما أتاني كل رجل منكم بلبنةٍ، فجعل كل رجل يأتيه بلبنة، ورجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين، فقال له: ممن أنت، قال: من أهل العراق، قال: يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة. وهدموا

الكنيسة وبناها مسجداً. فلما ولّي عمر بن عبد العزيز شكوا ذلك إليه، فقيل إن كل ما كان خارجاً من المدينة افتتح عنوة، فقال لهم عمر: نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما، فإنها فتحت عنوة ونبنيها مسجداً، فلما قال لهم ذلك، قالوا: بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ودعوا لنا كنيسة توما، ففعل عمر ذلك.

(المصدر نفسه، ج٢، ص ١٢٧١ ـ ١٢٧٥)

وقعة الزاب ومصرع مروان:

ذكر علي بن محمد: [إن أبا السري وجبلة بن فرّوخ والحسن بن رشيد وأبا صالح المروزي وغيرهم أخبروه] أن أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي وجهّه قحطبة إلى شهرزور من نهاوند فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل. وبلغ مروان أن عثمان قد قتل فأقبلِ من حران فنزل منزلاً في طريقه، فقال ما اسم هذا المنزل؟ قالوا: بلوى، قال بلِ علْوى وُبشرى، ثم أتى رأس العين ثم أتى الموصل، فنزل على دجلة، وحفر خندقاً، فسار إليه أبو عون فنزل الزاب فوجه أبو سلمة إلى أبي عون عيينة بن موسى والمنهال بن فتان وإسحاق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف. فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة، وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين، ومرداس بن فضلة في خمسمائة إلى أبي عون، ثم قال: من يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبد الله بن علي: أنا، فقال سر على بركة الله، فسار عبد الله بن علي فقدم على أبي عون فتحوّل له أبو عون عن سرادقه، وخلاّه وما فيه. وصيّر عبد الله بن علي على شرطته حياش بن حبيب الطائي وعلى حرسه نصير بن المحتضر، ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبد الله بن علي. فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ سأل عبد الله بن علي عن مخاضة فدل عليها بالزاب، فأمر عيينة بن موسى فعبر في خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر مروان، فقاتلهم حتى أمسوا ورفعت لهم النيران، فتحاجزوا ورجع عيينة فعبر المخاضة إلى عسكر عبد الله بن علي، فأصبح مروان فعقد الجسر وسرح ابنه عبد الله يحفر خندقاً أسفل من عسكر عبد الله بن علي. فبعث عبد الله بن علي المخارق بن غفار في أربعة آلاف، فأقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبد الله بن علي، فسرح عبد الله بن مروان إليه الوليد بن معاوية فلقي المخارق فانهزم أصحابه وأسروا وقتل منهم يومئذ عدة فبعث بهم إلى عبد الله، وبعث بهم عبد الله إلى مروان مع الرؤوس، فقال مروان: أَدخلوا عليَّ رجلاً من الأسارى، فأتوه بالمخارق، وكان نحيفاً فقال: أنت المخارق، فقال: لا أنا عبد من عبيد أهل العسكر. قال: فتعرف المخارق؟ قال: نعم، قال: فانظر في هذه الرؤوس هل تراه؟

فنظر إلى رأس منها فقال: هو هذا، فخلّى سبيله. فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه، لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم.

... وبلغ عبد الله بن علي انهزام المخارق، فقال له موسى بن كعب: أخرج إلى مروان قبل أن يصل الفَلّ إلى العسكر، فيظهر ما لقي المخارق، فدعا عبد الله بن علي محمد بن سول فاستخلفه على العسكر وسار على ميمنته أبو عون. وعلى ميسرة مروان الوليد بن معاوية ومع مروان ثلاثة آلاف من المحمّرة ومعه الدوكانية والصحصحية والراشدية. فقال مروان لما التقى العسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم وإن قاتلونا قبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله الموادعة، فقال عبد الله: كذب ابن زريق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله. فقال مروان لأهل الشام: قفوا لا تبدأوهم بقتال فجعل ينظر إلى الشمس، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته فغضب وشتمه، وقاتل ابن معاوية أهل الميمنة فانحاز أبو عون إلى عبد الله بن علي، فقال موسى بن كعب لعبد الله: مر الناس فلينزلوا فنودي الأرضَ فنزل الناس فأشرعوا الرماح وجثوا على الركب فقاتلوهم، فجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يدفعون ومشى عبد الله قدماً وهو يقول: يا رب حتى متى نقتل فيك، ونادى: يا أهل خراسان يا لثارات إبراهيم يا محمد يا منصور، واشتد بينهم القتال وقال مروان لقضاعة انزلوا، فقالوا: قل لبني سليم فلينزلوا فأرسل إلى السكاسك أن احملوا، فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا، فأرسل إلى السكون أن احملوا، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا، فقال لصاحب شرطه إنزل، قال لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً، قال: أما والله لأسوءنك، قال: وددت والله أنك قدرت على ذلك ثم انهزم أهل الشام وانهزم مروان وقطع الجسر فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل... وأمر عبد الله بن علي فعقد الجسر على الزاب واستخرجوا الغرقى فكان فيمن أخرجوا إبراهيم ابن الوليد بن عبد الملك، فقال عبد الله بن علي: **﴿وإذ فرقنا بكم البحر فنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾**. وأقام عبدالله بن علي في عسكره سبعة أيام، فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعيّر مروان:

لجَّ الفرار بمروانَ فقلت له	عاد الظَّلومُ ظَليماً همّه الهرب
أين الفرار وترك الملك إذ ذهبت	عنك الهوينا فلا دين ولا حسب
فراشةُ الحلم فرعونُ العقاب وإن	تطلب نداه فكلبٌ دونه كلب

وكتب عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح، وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه، فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً ولم يجدوا فيه امرأة إلا

جارية كانت لعبد الله بن مروان. فلما أتى أبا العباس كتاب عبد الله بن علي صلى ركعتين، ثم قال: **﴿فلما فَصَل طالوتُ بالجنود قال إن الله مبتليكم بنَهَرٍ﴾** إلى قوله: **﴿وعلَّمهُ مّما يشاء﴾**. وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة خمسمائة ورفع أرزاقهم إلى ثمانين.

علي بن محمد قال: [قال عبد الرحمن بن أمية] كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبر شيئاً إلا كان فيه الخلل والفساد. قال: بلغني أنه كان يوم انهزم واقفاً بالناس يقتتلون إذ أمر بأموال فأخرجت، فقال للناس اصبروا وقاتلوا فهذه الأموال لكم، فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك المال، فأرسلوا إليه أن الناس قد مالوا على هذا المال ولا نأمنهم أن يذهبوا به فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سر في أصحابك إلى مؤخر عسكرك فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم، فمال عبد الله برايته وأصحابه فقال الناس الهزيمة فانهزموا.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٨ ـ ٤٢).

فانهزم مروان حتى أتى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة الأسدي، وقطعوا الجسر فناداهم أهل الشام هذا مروان، قالوا: كذبتم أمير المؤمنين لا يفرّ، فسار إلى بلد فعبر دجلة فأتى حرّان ثم أتى دمشق، وخلّف بها الوليد بن معاوية، وقال قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام.

ومضى مروان حتى أتى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي، فأرسل مروان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع فأجازه، وكان بيت المال في يد الحكم. وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علي يأمره باتّباع مروان فسار عبد الله إلى الموصل، فتلقاه هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة وقد سوَّدا في أهل الموصل ففتحوا له المدينة. ثم سار إلى حران وولّى الموصل محمد بن صول فهدم الدار التي حبس فيها إبراهيم بن محمد. ثم سار من حران إلى منبج وقد سوّدوا فنزل منبج وولاّها أبا حميد المروروذي وبعث إليه أهل قنّسرين ببيعتهم إياه بما أتاه به عنهم أبو أمية التغلبي، وقدم عليه عبد الصمد بن علي في أربعة آلاف فأقام يومين بعد قدوم عبد الصمد. ثم سار إلى قنّسرين فأتاها وقد سوّد أهلها فأقام يومين ثم سار حتى نزل حمص فأقام بها أياماً وبايع أهلها. ثم سار إلى بعلبك وأقام يومين، ثم ارتحل فنزل مَزَّة، قرية من قرى دمشق، فأقامه وقدم عليه صالح بن علي مدداً فنزل مرج عذراء في ثمانية آلاف معه بسام بن إبراهيم وخفاف وشعبة والهيثم بن بسام. ثم سار عبد الله بن علي فنزل على باب شرقي ونزل صالح

ابن علي على باب الجابية وأبو عون على باب كيسان، وبسام على باب الصغير وحميد ابن قحطبة على باب توما وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس وفي دمشق الوليد بن معاوية فحصروا أهل دمشق والبلقاء وتعصّب الناس بالمدينة فقتل بعضهم بعضاً وقتلوا الوليد ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة ١٣٢هـ فكان أول من صعد سور المدينة من باب الشرقي عبد الله الطائي ومن قبل باب الصغير بسام بن إبراهيم فقتل بها علي ثلاث ساعات وأقام عبد الله بن علي بدمشق خمسة عشر يوماً، ثم سار يريد فلسطين، فنزل نهر الكسوة فوجّه منها يحيى بن جعفر الهاشمي إلى المدينة ثم ارتحل إلى الأردن فأتوه وقد سوّدوا، ثم نزل بيسان، ثم سار إلى مرج الروم، ثم أتى نهر أبي فطرس، وقد هرب مروان فأقام بفلسطين وجاءه كتاب أبي العباس أن وجّه صالح بن علي في طلب مروان، فسار صالح بن علي من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة ١٣٢هـ ومعه ابن فتّان وعامر ابن إسماعيل، فقدّم صالح بن علي أبا عون على مقدمته وعامر ابن إسماعيل الحارثي وسار فنزل الرملة، ثم سار فنزلوا ساحل البحر وجمع صالح بن علي السفن وتجهز يريد مروان وهو بالفرماء فسار على الساحل والسفن حذاءه في البحر حتى نزل العريش، ويلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب ومضى صالح ابن علي فنزل النيل، ثم سار حتى نزل الصعيد، وبلغه أن خيلاً لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف فوجه إليهم قواداً فأخذوا رجالاً فقدموا بهم على صالح وهو بالفسطاط. فعبر مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله ومضى صالح يتبعه فالتقى هو وخيل لمروان على النيل فاقتتلوا فهزمهم صالح، ثم مضى إلى خليج فصادف عليه خيلاً لمروان فأصاب منهم طرفاً وهزمهم. ثم سار إلى خليج آخر فعبروا ورأوا رهجاً فظنوه مروان فبعث طليعة عليهم الفضل بن دينار ومال بن قادم فلم يلقوا أحداً ينكرونه فرجعوا إلى صالح فارتحل فنزل موضعاً يقال له ذات الساحل ونزل فقدّم أبا عون عامر بن إسماعيل الحارثي ومعه شعبة بن كثير المازني فلقوا خيلاً لمروان، فهزموهم وأسروا منهم رجالاً فقتلوا بعضهم واستحيوا بعضاً، فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بوصير فوافوهم في آخر الليل فهرب الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير فأحاطوا به فقتلوه. قال علي [وأخبرني إسماعيل بن الحسن] عن عامر بن إسماعيل قال: لقينا مروان ببوصير ونحن في جماعة يسيرة فشدوا علينا فانضوينا إلى نخل ولو يعلموا بقلّتنا لأهلكونا، فقلت لمن معي من أصحابي: فإن أصبحنا فرأوا قلّتنا وعددنا لم ينج منا أحد، وذكرت قول بكير بن ماهان: «أنت والله تقتل مروان كأني اسمعك تقول دهيد يا جوانكان» فكسرت جفن سيفي وكسر أصحابي جفون سيوفهم وقلت: دهيد

يا جوانكان، فكأنها نار صبت عليهم فانهزموا وحمل رجل على مروان فضربه بسيفه فقتله.

وركب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن علي فكتب صالح بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس: إنا اتبعنا عدّو الله الجعدي حتى ألجأناه إلى أرض عدّو الله شبيهه فرعون فقتلته بأرضه. قال علي: [حدثنا أبو طالب الأنصاري قال:] طعن مروان رجل من أهل البصرة يقال له المعوّد وهو لا يعرفه فصرعه فصاح صائح صرع أمير المؤمنين وابتدروه فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه، فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عون فبعث بها أبو عون إلى صالح بن عليّ وبعث صالح بن علي برأسه مع يزيد بن هانئ وكان على شرطه إلى أبي العباس يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ ورجع صالح إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشام فدفع الغنائم إلى أبي عون والسلاح والأموال والرقيق إلى الفضل بن دينار وخلّف أبا عون على مصر.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٤ ـ ٥٠).

أبو مسلم الخراساني:

.. علي بن محمد قال: [حدّثنا مسلمة بن محارب ومسلم بن المغيرة وسعيد بن أوس وأبو حفص الأزدي والنعمان أبو السري ومحرز بن إبراهيم وغيرهم] أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج وذلك في سنة ١٣٦هـ وإنما أراد أن يصلّي بالناس فأذن له، وكتب أبو العباس إلى أبي جعفر وهو على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان أن أبا مسلم كتب إليّ يستأذن في الحج وقد أذنت له، وقد ظننت أنه إذا قدم يريد أن يسألني أن أوليه إقامة الحج للناس فاكتب إليّ تستأذنني في الحج فإنك إذا كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك. فكتب أبو جعفر إلى أبي العباس يستأذنه في الحج فأذن له فوافى الأنبار، فقال أبو مسلم أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا، واضطغنها عليه..

لما صدر الناس عن الموسم نفر أبو مسلم مثل أبي جعفر فتقدمه فأتاه كتاب بموت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر فكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يعزيه بأمير المؤمنين ولم يهنئه بالخلافة ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع، فغضب أبو جعفر فقال لأبي أيوب أكتب إليه كتاباً غليظاً، فلما أتاه كتاب أبي جعفر كتب إليه بالخلافة. فقال يزيد بن أسيد السلمي لأبي جعفر: إني أكره أن تجامعه في الطريق والناس جنده وهم له أطوع وله أهيب وليس معك أحد، فأخذ برأيه فكان يتأخر ويتقدم أبو مسلم، وأمر

أبو جعفر أصحابه فقدموا فاجتمعوا جميعاً وجمع سلاحهم فما كان في عسكره إلا ستة أدرع فمضى أبو مسلم إلى الأنبار ودعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له فأتى عيسى فقدم أبو جعفر فنزل الكوفة وأتاه أن عبد الله بن علي قد خلع فرجع إلى الأنبار فدعا أبا مسلم فعقد له وقال سر إلى ابن علي. . .

قال علي: قال مسلم بن المغيرة. كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينية فلما وجه أبو مسلم إلى الشام كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيه ويسير معه، فقدمنا على أبي مسلم وهو بالموصل فأقام أياماً فلما أراد أن يسير قلت للحسن: أنتم تسيرون إلى القتال وليس بك إليّ حاجة فلو أذنت لي فأتيت العراق فأقمت حتى تقدموا إن شاء الله، قال: نعم لكن أعلمني إذا أردت الخروج، قلت: نعم فلما فرغت وتهيأت أعلمته وقلت: أتيتك لأودعك. قال: قف لي بالباب حتى أخرج إليك، فخرجت فوقفت وخرج فقال: إني أريد أن ألقي إليك شيئاً لتبلغه أبا أيوب ولولا ثقتي بك لم أخبرك ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرك فأبلغْ أبا أيوب أني قد ارتبت بأبي مسلم منذ قدمت عليه أنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلوي شدقه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر فيقرأه ويضحكان استهزاء، قلت: نعم قد فهمت، فلقيت أبا أيوب وأنا أرى أن قد أتيته بشيء فضحك وقال: نحن لأبي مسلم أشد تهمة بنا لعبد الله بن علي إلا أنّا نرجو واحدة نعلم أن أهل خراسان لا يحبون عبد الله بن علي وقد قتل منهم من قتل، وكان عبد الله بن علي حين خلع خاف أهل خراسان فقتل منهم سبعة عشر ألفاً أمر صاحب شرطه حياش بن حبيب فقتلهم.

قال علي: فذكر أبو حفص الأزدي أن أبا مسلم قاتل عبد الله بن علي فهزمه وجمع ما كان في عسكره من الأموال فصيّره في حظيرة وأصاب عيناً ومتاعاً وجواهر كثيراً فكان منثوراً في تلك الحظيرة ووكّل بها وبحفظها قائداً من قواده. . .

ولما انهزم عبد الله بن علي بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبي مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال، فافترى أبو مسلم على أبي الخصيب وهمّ بقتله فكلّم فيه وقيل إنما هو رسول فخلّ سبيله، فرجع إلى أبي جعفر. وجاء القواد إلى أبي مسلم فقالوا: نحن وُلّينا أمر هذا الرجل وغنمنا عسكره فلم يسأل عما في أيدينا إنما لأمير المؤمنين من هذا الخمس. فلما قدم أبو الخصيب على أبي جعفر أخبره أن أبا مسلم همّ بقتله فخاف أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان فكتب إليه كتاباً مع يقطين أن قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فإن أحب لقاءك أتيته من قريب. فلما أتاه الكتاب غضب

وقال: هو يولّيني الشام ومصر وخراسان لي، واعتزم بالمضي إلى خراسان، فكتب يقطين إلى أبي جعفر بذلك...

وخرج أبو مسلم يريد خراسان مُراغَماً مشاقّاً، فلما دخل أرض العراق ارتحل المنصور من الأنبار فأقبل حتى نزل المدائن، وأخذ أبو مسلم طريق حلوان، فقال رب أمر لله دون حلوان. وقال أبو جعفر لعيسى بن علي وعيسى بن موسى ومن حضره من بني هاشم: اكتبوا إلى أبي مسلم فكتبوا له يعظّمون أمره ويشكرون ما كان منه ويسألونه أن يُتم على ما كان منه وعليه من الطاعة ويحذّرونه عاقبة الغدر ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين وأن يلتمس رضاه، وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبي حميد المروروذي وقال له: كلّم أبا مسلم بألين ما تكلّم به أحداً ومنّه وأعلمه أني رافعه وصانع به ما لم يصنعه به أحد إن هو صلح وراجع ما أحب، فإن أبى أن يرجع فقل له يقول له أمير المؤمنين لست للعباس وأنا بريء من محمد إن مضيت مشاقاً، ولم تأتني إن وكلت أمرك إلى أحد سواي وإن لم ألِ طلبك وقتالك بنفسي ولو خضت البحر لخضته ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك، ولا تقولنّ له هذا الكلام حتى تيأس من رجوعه، ولا تطمع منه في خير.

فسار أبو حميد في ناس من أصحابه ممن يثق بهم حتى قدموا على أبي مسلم بحلوان فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما فدفع إليه الكتاب وقال له: إن الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله وخلاف ما عليه رأيه فيك حسداً وبغياً يريدون إزالة النعمة وتغييرها فلا تُفسد ما كان منك، وكلّمه وقال: يا أبا مسلم إنك لم تزل أمين آل محمد يعرفك بذلك الناس وما ذخر الله لك من الأجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينّك الشيطان. فقال له أبو مسلم: متى كنت تكلمني بهذا الكلام؟ قال: إنك دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبي (ﷺ) بني العباس وأمرتنا بقتال من خالف ذلك فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم وألّف بين قلوبنا بمحبتهم أعزنا بنصرنا لهم ولم نلق منهم رجلاً إلا بما قذف الله في قلوبنا حتى أتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تفسد أمرنا وتفرّق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وإن خالفتكم فاقتلوني. فأقبل على أبي نصر فقال: يا مالك أما تسمع ما يقول لي هذا ما هذا بكلامه يا مالك، قال: لا تسمع كلامه ولا يهولنّك هذا منه فلعمري لقد صدقت ما هذا كلامه ولما بعد هذا أشد منه فامض لأمرك ولا ترجع فوالله لئن أتيتَه ليقتلنك، ولقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبداً. فقال: قوموا فنهضوا، فأرسل أبو مسلمى إلى نيزك وقال: يا نيزك إني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك فما ترى فقد جاءت هذه الكتب وقد قال القوم ما قالوا،

قال: لا أرى أن تأتيه وأرى أن تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين خراسان والري لك وهم جندك ما يخالفك أحد فإن استقام لك استقمت له وإن أبى كنت في جندك وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك. فدعا أبا حميد فقال إرجع إلى صاحبك فليس من رأيي أن آتيه، قال: قد عزمت على خلافه؟ قال: نعم، قال: لا تفعل، قال: ما أريد أن ألقاه. فلما آيسه من الرجوع قال له ما أمره به أبو جعفر فوجم طويلاً ثم قال: قم فكسره ذلك القول ورعبه.

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود وهو خليفة أبي مسلم بخراسان حين اتهم أبا مسلم: إن لك إمرة خراسان، ما بقيت. فكتب أبو داود إلى أبي مسلم: إنّا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه (ﷺ) فلا تخالفنّ إمامك ولا ترجعنّ إلا بإذنه. فوافاه كتابه على تلك الحال فزاده رعباً وهمّاً، فأرسل إلى أبي حميد وأبي مالك فقال لهما: إني قد كنت معتزماً على المضيّ إلى خراسان ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتيني برأيه فإنه ممن أثق به فوجّهه. فلما قدم تلقّاه بنو هاشم بكل ما يحب، وقال له أبو جعفر إصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان وأجازه، فرجع أبو إسحق إلى أبي مسلم فقال له: أنكرت شيئاً، رأيتهم معظّمين لحقّك يرون لك ما يرون لأنفسهم، وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين، فيعتذر إليه مما كان منه، فأجمع على ذلك فقال له نيزك: قد أجمعت إلى الرجوع، قال: نعم وتمثل:

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الأقوام

فقال: إذا عزمت على هذا فخارَ الله لك، إحفظ عني واحدة، إذا دخلت عليه فاقتله، ثم بايع لمن شئت، فإن الناس لا يخالفونك، وكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره أنه منصرف إليه. . .

قال علي عن أبي حفص الأزدي قال: كنت مع أبي مسلم فقدم عليه أبو اسحق من عند أبي جعفر بكتب من بني هاشم، وقال: رأيت القوم على غير ما ترى، كل القوم يرون لك ما يرون للخليفة، ويعرفون ما أبلاهم الله بك. فسار إلى المدائن وخلف أبا نصر في ثقله وقال: أقم حتى يأتيك كتابي، قال: فاجعل بيني وبينك آية أعرف بها كتابك، قال: إن أتاك كتابي مختوماً بنصف خاتم فأنا كتبته، وإن أتاك بالخاتم كله فلم أكتبه ولم أختمه. فلما دنا من المدائن تلقّاه رجل من قوّاده فسلم عليه فقال له: أطعني وارجع فإنه إن عاينك قتلك، قال قد قربت من القوم فأكره أن أرجع. فقدم المدائن في ثلاثة آلاف، وخلف الناس بحلوان. فدخل على أبي جعفر فأمره بالانصراف في يومه، وأصبح يريده فتلقاه أبو الخصيب فقال: أمير المؤمنين مشغول فاصبر ساعة حتى تدخل خالياً، فأتى منزل عيسى بن موسى وكان يحب

عيسى فدعا له بالغداء، وقال أمير المؤمنين للربيع، وهو يومئذ وصيف يخدم أبا الخصيب: انطلق إلى أبي مسلم ولا يعلم أحد، فقل له ما قال لك مرزوق إن أردت أمير المؤمنين خالياً فالعجل. فقام فركب وقال له عيسى لا تعجل بالدخول حتى أحضر أدخل معك، فأبطأ عيسى بالضوء، ومضى أبو مسلم فدخل، فقتل قبل أن يجيء عيسى، وجاء عيسى وهو مدرج في عباءة فقال: أين أبو مسلم قال: مدرج في الكساء، قال: إنا لله، قال: أسكت فما تم سلطانك وأمرك إلا اليوم، ثم رمي به في دجلة.

قال علي: قال أبو حفص: دعا أمير المؤمنين عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس، فقال لهم: إذا ضربت بيدي إحداهما على الأخرى، فاضربوا عدوّ الله.

فدخل عليه أبو مسلم فقال له: أخبرني عن نصلين أصبتهما في متاع عبد الله ابن علي، قال: هذا أحدهما الذي عليَّ، قال: أرنيه، فانتضاه، فناوله، فهزه أبو جعفر، ثم وضعه تحت فراشه. وأقبل عليه يعاتبه فقال: أخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات أردتَ أن تعلّمنا الدين، قال: ظننت أخذه لا يحلّ فكتب إليّ، فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم، قال: فأخبرني عن تقدمك إياي في الطريق، قال: كرهت اجتماعنا على الماء فيضرّ ذلك بالناس، فتقدمتك التماس المرفق، قال: فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إليّ تقدّم فنرى من رأينا ومضيت فلا أنت أقمت حتى نلحقك ولا أنت رجعت إليّ، قال: منعني من ذلك ما أخبرتك من طلب المرفق بالناس وقلت نقدم الكوفة فليس عليه مني خلاف، قال: فجارية عبد الله بن علي أردت أن تتخذها؟ قال: لا! ولكني خفت أن تضيع فحملتها في قبة، ووكّلت بها من يحفظها، قال: فمراوغتك وخروجك إلى خراسان؟ قال: خفت أن يكون قد دخلك مني شيء، فقلت: آتي خراسان فاكتب إليك بعذري وإلى ذاك ما قد ذهب ما في نفسك عليّ، قال: تالله ما رأيت كاليوم قط والله ما زدتني إلا غضباً، وضرب بيده فخرجوا عليه فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه.

قال علي: قال يزيد بن أسيد، قال أمير المؤمنين: عاتبت عبد الرحمن فقلت: المال الذي جمعته بحرّان، قال: أنفقته وأعطيته الجند تقوية لهم واستصلاحاً، قلت: فرجوعك إلى خراسان مراغماً، قال: دع هذا فما أصبحت أخاف أحداً إلا الله، فغضبت فشتمته فخرجوا فقتلوه.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ٩٩ ـ ١٠٨ و١١١ ـ ١١٤).

ابن الكلبي
(هشام بن محمد)

عبد مناف:

أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: لما هلك قصي بن كلاب قام عبد مناف بن قصي على أمر قصي بعده، وأمر قريش إليه، واختط بمكة رباعاً بعد الذي كان قصي قطع لقومه، وعلى عبد مناف اقتصر رسول الله (ﷺ) حين أنزل الله تبارك وتعالى عليه ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[1].

أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: ولد عبد مناف بن قصي ستة نفر وست نسوة، المطلب بن عبد مناف، وكان أكبرهم وهو الذي عقد الحلف لقريش من النجاشي في متجرها إلى أرضه، وهاشم بن عبد مناف واسمه عمرو، وهو الذي عقد الحلف لقريش من هرقل لأن تختلف إلى الشام آمنة، وعبد شمس بن عبد مناف، وأمهم عاتكة الكبرى بنت مرة بن هلال بن فالج بن ثعلبة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر، ونوفل بن عبد مناف وهو الذي عقد الحلف لقريش من كسرى إلى العراق، وأبا عمرو بن عبد مناف وأبا عبيد درج وأمهم واقدة بنت أبي عدي، وهو عامر بن عبد نهم بن زيد بن مازن بن صعصعة، وريطة بنت عبد مناف ولدت بني هلال بن معيط من بني كنانة بن خزيمة وأمها الثقفية.

أبو عبد الله محمد بن منيع بن سعد، **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**، عني بتصحيحه أوجين منوخ [وآخرون]، ٩ ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٤ ـ ١٩١٨)، ج١، القسم ١، ص ٤٢ ـ ٤٣).

---

(١) **القرآن الكريم**، «سورة الشعراء،» الآية ٢١٤.

نسب النبي :

أخبرنا هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي قال: علّمني أبي وأنا غلام نسب النبي محمد - ﷺ - الطيب المبارك بن عبد الله بن عبد المطلب، واسمه شيبة الحمد بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قصي، واسمه زيد ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وإلى فهر جماع قريش، وما كان فوق فهر فليس يقال له قريشي، يقال له كناني وهو فهر بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعّد بن عدنان.

قال هشام [وأخبرني مخبر عن أبي ولم أسمعه منه] أنه كان ينسب معدّ بن عدنان ابن أود بن الهَمَيسع بن سلامان بن عوص بن يوز بن قموال بن أُبَيّ بن العوّام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن تدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخي بن عيفي بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربي بن نخزن بن يلحن بن ارعوى بن عيفي بن ديشان بن عيصر بن إقناد بن إبهام بن مُقصى بن ناحث بن زارح بن مشمّى بن مَزّي بن عوص بن عرّام بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم (ﷺ).

أخبرنا هشام بن محمد قال: وكان رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب من مسلمة بني إسرائيل قد قرأ من كتبهم، وعلم علمهم فذكر أن بورخ بن ناريّا كاتب إرميا أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده ووضعه في كتبه وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب وعلمائهم، مثبت في أسفارهم وهو مقارب لهذه الأسماء، ولعل خلافاً مما بينهم من قبل اللغة؛ لأن هذه الأسماء ترجمت من العبرانية.

(المصدر نفسه، ج١، القسم ١، ص ٢٨ ـ ٢٩).

وثائق :

وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال: «إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها».

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ١٣ ج في٥ (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٣٦هـ/١٩١٧م)، ج٢، ص ٣٧).

الحيرة والأنبار وما حوالى ذلك:

فحدثت عن هشام بن محمد قال: لما مات بختنصر انضم الذين كان أسكنهم الحيرة من العرب حين أمر بقتالهم إلى أهل الأنبار، وبقيت الحيرة خراباً فغبروا بذلك زماناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب، ولا يقدم عليهم قادم، وبالأنبار أهلها ومن انضم إليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب من بني إسماعيل وبني معدّ ابن عدنان، فلما كثر أولاد معدّ ابن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم فرّقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم فخرجوا يطلبون المتّسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين وبها جماعة من الأزد كانوا نزلوها. . . فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب فتحالفوا على التُّنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التوازر والتناصر فصاروا يداً واحدة على الناس وضمّهم اسم تنوخ، فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر. قال: وتنخ عليهم بطون من نمارة بن لخم، قال: ودعا مالك بن زهير جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي إلى التنوخ معه، وزوّجه أخته لميس ابنة زهير فتنخ جذيمة بن مالك وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزد فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزد حلفاء دون سائر تنوخ وكلمة تنوخ كلها واحدة. وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر وفرّق البلدان بينهم عند قتله دارا بن دارا مالك فارس إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف وقهرهم ودان له الناس وضبط له الملك. قال: وإنما سموا ملوك الطوائف، لأن كل ملك منهم كان ملكه قليلاً من الأرض إنما هي قصور وأبيات وحولها خندق وعدوّه قريب منه له من الأرض مثل ذلك ونحوه يغير أحدهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة.

قال: فتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف فأجمع رؤساؤهم بالمسير إلى العراق ووطّن جماعة ممن كان معهم على ذلك، فكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلاط من الناس فوجدوا الإرمانيين الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل يقاتلون الإردوانيين، وهم ملوك الطوائف وهم فيها بين [نفر] وهي قرية من سواد العراق إلى الأُبلّة وأطراف البادية فلم تدن لهم فدفعوهم عن بلادهم. قال: وكان يقال لعاد إِرَم فلما هلكت قيل لثمود إِرَم ثم سمّوا الإرمانيين، وهم بقايا إِرَم وهم نبط السواد ويقال لدمشق إرم. قال: فارتفعوا عن سواد العراق فصاروا أشلاء بعد

في عرب الأنبار وعرب الحيرة منهم أشلاء قنص بن مَعَدّ وإليهم ينسب عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة وعمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عُمَم بن نمارة بن لخم، وهذا قول مضر وحماد الراوية وهو باطل ولم يأت في قنص بن معدّ شيء أثبت من قول جبير بن مطعم أن النعمان كان من ولده.

قال: وإنما سميت الأنبار أنبارَ لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام وكانت تسمىَ الأهراء لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها...

ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة وما بين الحيرة إلى طفّ الفرات وغربيّه إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظالّ والأخبية لا يسكنون بيوت المدر ولا يجامعون أهلها فيها واتصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة وكانوا يسمون عرب الضاحية. فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فهم وكان منزله مما يلي الأنبار، ثم مات مالك فملك من بعده أخوه عمرو بن فهم، ثم هلك عمرو بن فهم فملك من بعده جذيمة بن الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي.

قال ابن الكلبي: دوس بن عدنان بن عبد الله.. [ويوصل نسبه إلى سبأ]. قال ابن الكلبي: ويقال إن جذيمة الأبرش من العاربة الأولى من بني وبار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح. قال: وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم نكاية وأظهرهم حزماً وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وضم إليه العرب وغزا بالجيوش، وكان به برص فكنَّت العرب عنه وهابت العرب أن تسميه به وتنسبه إليه إعظاماً له فقيل: جذيمة الوضّاح وجذيمة الأبرش، وكانت منازله فيما بين الحيرة والأنبار وبقّة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر إلى الغمير والقُطقُطانة وخفيّة وما والاها وتجبى إليه الأموال وتفد إليه الوفود وكان غزا طسماً وجديساً في منازلهم... وكانت طسم وجديس يتكلمون بالعربية فأصاب حسّان بن تبّع أسعد أبي كرب قد أغار على طسم وجديس باليمامة فانكفأ جذيمة راجعاً بمن معه، وأتت خيول تبع على سرية لجذيمة فاجتاحتها، وبلغ جذيمة خبرهم فقال جذيمة:

ربما أوفيتُ في عَلَمٍ ... ترفَعَنْ بُردي شمالاتُ

في فُتُوّ أنا كالِئُهم ... في بلايا غزوة باتوا

ثم أُبنا غانِمي نَعَمٍ ... وأُناسٍ بعدنا ماتوا

نحن كنَّا في مَمَرّهِم ... إذ مَمَرّ القوم خُوَّاتُ

ليت شعري ما أماتهم ... نحن أولجنا وهم باتوا

ولنا كانوا ونحنُ إذا ... قال منا قائل صاتوا

ولـنـا الـبـيـدُ الـبـعـاد الـتـي أهـلُـهـا الـسـودان أشـتـاتُ
ثـبـوةُ الأخـيـار شـاهـدةٌ ذاكُـمُ قـومـي وأولاتُ
قـد شـربـت الخـمـر وسـطـهـم نـاعـمـاً فـي غـيـر أصـوات
فـعـلى مـن كـان مـن كـرم فـسـتـبـكـنـي بُـنَـيّـاتُ
أنـا ربّ الـنـاس كـلـهّـمُ غـيـر ربي الـكـافِـتِ الـفـاتُ

يعني بالكافت الذي يكفت أرواحهن، والفات الذي يفتّهم أنفسهم، يعني الله عز وجل. قال ابن الكلبي ثلاثة أبيات منها حق، والبقية باطل. قال وفي مغازيه وغاراته على الأمم الخالية من العاربة الأولى يقول الشاعر في الجاهلية:

أضحى جذيمة في يَبْرين منزله قد حاز ما جمعت في دهرها عادُ

فكان جذيمة قد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان، قال ومكان الضيزنين بالحيرة معروف، وكان يستسقي بهما، ويستنصر بهما على العدو، وكانت إياد بعين أباغ، وأباغ رجل من العماليق بتلك العين، فكان يغازيهم، فذكر لجذيمة غلام من لخم في أخواله من إياد يقال له عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم، له جمال وظرف فغزاهم جذيمة، فبعث إياد قوماً فسقوا سدنة الصنمين الخمر وسرقوا الصنمين فأصبحا في إياد فبعث إلى جذيمة أن صنميك أصبحا فينا زهداً فيك ورغبة فينا، فإن أوثقت لنا أن لا تغزونا رددناهما إليك، قال: وعديّ بن نصر تدفعونه إلي، فدفعوه إليه مع الصنمين فانصرف عنهم وضمّ عدياً إلى نفسه وولاه شرابه فأبصرته رقاش ابنة مالك أخت جذيمة فعشقته وراسلته وقالت: يا عديّ اخطبني إلى الملك فإن لك حسباً وموضعاً، فقال: لا اجترئ على كلامه في ذلك ولا أطمع في أن يزوجنيك، قالت: إذا جلس على شرابه وحضر ندماؤه فاسقه صرفاً واسق القوم مزاجاً فإذا أخذت الخمرة فيه فاخطبني إليه فإنه لن يردك ولن يمتنع منك فإذا زوّجك فأشهد القوم، ففعل الفتى ما أمرته به فلما أخذت الخمرة مأخذها خطبها إليه فأملكه إياها فانصرف إليها فأعرس بها من ليلته وأصبح مضرّجاً بالخلوق، فقال له جذيمة ـ وأنكر ما رأى به ـ: ما هذه الآثار يا عدّي؟ قال: آثار العرس، قال: أيّ عرس؟ قال: عرس رقاش، قال: من زوجكها ويحك؟ قال: زوجنيها الملك، فضرب جذيمة بيده على جبهته وأكب على الأرض ندامة وتلهفاً وخرج عدّي على وجهه هارباً فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر، وأرسل إليها جذيمة فقال:

حـدثـيني وأنـت لا تـكـذبـيـنـي أبـحـرٍ زنـبـتِ أم بـهـجـين
أم بـعـبـدٍ فـأنـت أهـلٌ لـعـبْـدٍ أم بـدونٍ فـأنـتِ أهـل لـدونِ

فقالت: لا بل أنت زوجتني امرأً عربياً معروفاً حسيباً، ولم تستأمرني في

نفسي، ولم أكن مالكة لأمري، فكفّ عنها وعرف عذرها.

ورجع عديّ بن نصر إلى إياد فكان فيهم، فخرج ذات يوم مع فتية متصيّدين فرمى به فتى منهم من لهب فيما بين جبلين فتنكس فمات واشتملت رقاش على حبل فولدت غلاماً فسمته عمراً، ووشمته حتى إذا ترعرع عطرته وألبسته وحلته وأزارته خاله جذيمة فلما رآه أعجب به وألقيت عليه منه مقة ومحبة فكان يختلف مع ولده ويكون معهم، فخرج جذيمة مبتدياً بأهله وولده في سنة خصبة مكلئة، فضربت له أبنية في روضة ذات زهرة وغُدُر وخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة، فكانوا إذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها وإذا أصابها عمرو خبأها في حخرته فانصرفوا إلى جذيمة يتعادون وعمرو يقول:

هـذا جَـنَـاي وخـيـارُهُ فـيـه　　　إذ كـلُّ جـانٍ يـدهُ إلى فـيـه

فضمّه جذيمة إليه والتزمه، وسُرَّ بقوله وفعله، وأمر فجعل له حلى من فضة وطوق، فكان أول عربي ألبس طوقاً، فكان يسمى عمرو ذا الطوق.

(المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧ ـ ٣٠).

أصنام قريش في الكعبة وحولها:

وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وكان أعظمها عندهم هُبَل. وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان، مكسور اليد اليمنى، أدركته قريشٌ كذلك فجعلوا له يداً من ذهب، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر، وكان يقال له هُبَل خزيمة.

وكان في جوف الكعبة قدامه سبعة أقدح مكتوب في أولها «صريح» والآخر «ملصق»، فإذا شكّوا في مولود أهدوا له هدية، ثم ضربوا بالقداح، فإن خرج «صريح» ألحقوه، وإن خرج «ملصق» دفعوه، وقدحٌ على الميت وقدح على النكاح، وثلاثة لم تفسر لي على ما كانت. فإذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه، وعنده ضرب عبد المطلب على ابنه عبد الله [والد النبي (ﷺ)]، وهو الذي يقول له أبو سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد: أُعْلُ هبل، أي علا دينك، فقال رسول الله (ﷺ): الله أعلى وأجلّ.

وكان لهم إساف ونائلة، ولما مسخا حجرين وضعا عند الكعبة، ليتعظ الناس بهما، فلما طال مكثهما، وعبدت الأصنام عُبِدا معها، وكان أحدهما بلصق الكعبة،

والآخر في موضع زمزم، فنقلت قريش الذي كان بلصق الكعبة إلى الآخر. فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما.

فلهما يقول أبو طالب [وهو يحلف بهما، حين تحالفت قريش على بني هاشم في أمر النبي عليه الصلاة والسلام]:

أحضرتُ عند البيتَ رهطي ومَعْشري وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل
وحيثُ ينيخ الأشعرون ركابهم بمُفضي السيول من إِسافٍ ونائل

[قال: والوصائل البرود].

ولإساف يقول بشر بن أبي خازم [الأسدي]:

عليه الطير ما يَدْنون منه مقامات العوارك من إسافِ

وقد كانت العرب تسمّى بأسماء يعبدونها، لا أدري أعبدوها للأصنام أم لا، منها: «عبدُ يا ليل» و«عبد غنم» و«عبد كُلال» و«عبد رُضَى». وذكر بعض الرواة أن رضى كان بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة، فهدمه المستوغر [وهو عمر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة] وإنما سمي المستوغر لأنه قال:

ينُشّ الماء في الرَّبَلاتِ منها نشيش الرَّضف في اللبن الوغير

قال: الوغير الحارّ.

وقال: المستوغر في كسره رَضى في الإسلام، فقال:

ولقد شددتُ على رُضَاء شَدّة فتركتها تَلاً تنازع أسحما
ودعوتُ عبد الله في مكروهها ولمثلُ عبد الله يغشى المُحْرَمَا

وقال ابن أدهم [رجل من بني عامر بن عوف من كلب]:

ولقد لقيتُ فوارساً من قومنا غنظوك غنظ جرادة العَيَّارِ
ولقد رأيتُ مكانَهم فكرهتهم ككراهة الخنزير للإيغارِ

(قال: الإيغار الماء الحار، والعيّار رجل من كلب وقع في غداةٍ قَرَّةً على جراد وكان أثرم فجعل يأكل الجراد، فخرجت واحدة من ثرمته، فقال: هذه والله حية! [يعني لم تمت] وغنظوك = دفعوك دفعَ الجرادةِ العيارَ].

فلما ظهر رسول الله (ﷺ) يوم فتح مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة، فجعل يطعنِ بسَيِة قوسه في عيونها ووجوهها ويقول: ﴿**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**﴾، ثم أمر بها فكفئت على وجوهها، ثم أخرجت من المسجد فَحُرّقت.

فقال في ذلك راشد بن عبد الله السلمي:

قالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلْتِ: لا ... يـأبـى الإلـهُ عـليكِ والإسـلامُ
أو مـا رأيـت محـمـداً وقـبـيـلـه ... بـالـفـتـح حـين تُـكَـسَّـرُ الأصـنـامُ
لـرأيـت نـور الله أضـحـى سـاطـعـاً ... والـشـركُ يـغـشـى وجـهَـه الإظـلامُ

قال: وكان لهم أيضاً «مناف»، فبهِ كانت تسمى قريش «عبد مناف»، ولا أدري أين كان ولا من نصبه، ولم تكن الحُيَّض من النساء تدنو من أصنامهم، ولا تمسّح بها، إنما كانت تقف ناحية منها.

ففي ذلك يقول بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر، وهو الشدّاخ الليثي، وكان أبرص، [قال هشام بن محمد أبو المنذر: وحدثني خالد بن سعيد بن العاص عن أبيه قال: قيل له: ما هذا يا بلعاء! قال: هذا سيف الله جلاه]:

[تـركـت ابـن الحـريـز عـلى ذمـام ... وصـحـبَـتُـه تـلـوذُ بـه الـعـوافـي
ولم يـصـرف صـدور الخـيـل إلاً ... صـوايـح مـن أيـاتـيم ضـعـافِ]
وقِـرْنٍ قـد تـركـتُ الـطـيـرَ مـنـه ... كـمُـعـتَـنِـزِ الـعـوارِكِ مـن مَـنـافِ
(قال: المعتنز المُتَنَحّي في ناحية].

قال: وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً.

فلما بعث الله نبيه وأتاهم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عُجَاب»، يعنون الأصنام.

واشتهر العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنماً، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب. فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان، وسموا طوافهم الدَّوَار. فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعل ثلاث أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك. فكانوا ينحرون ويذَبحون عند كلّها ويتقربون إليها، وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها يحجّونها ويعتمرون إليها.

(أبو المنذر هشام بن محمد بن الكلبي، **كتاب الأصنام**، بتحقيق أحمد زكي؛ مع مقدمة وترجمة وشروح لروزا كلنكه ـ روزنبرغر (ليبزيغ: هراسوفيتش، [١٩٤١])، ص ١٧ ـ ٢١).

يزيد والعبادلة:

قال هشام بن محمد [عن أبي مخنف]: ولي يزيد في هلال رجب سنة ٦٠ وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري وأمير البصرة عبيد الله بن زياد وأمير مكة عمر بن سعيد بن العاص ولم يكن ليزيد همة حين ولي إلّا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته، وإنه ولي عهده بعده والفراغ من أمرهم فكتب إلى الوليد: «بسم الله الرحمن الرحيم، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له فعاش بقدر ومات بأجل فرحمه الله فقد عاش محموداً ومات براً تقياً والسلام». وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة: «أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام». فلما أتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه، وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارهاً فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فجلس عنه مروان وصرمه فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد. فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه فلما قرأ عليه كتاب يزيد استرجع وترحّم عليه واستشاره الوليد في الأمر وقال: كيف ترى أن نصنع؟ قال: فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب وأظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه لا أدري، أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال ولا يحب أنه يولّى على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفواً. فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو إذ ذاك غلام حدث إليهما يدعوهما فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتونه في مثلها، فقال: أجيبا الأمير يدعوكما، فقالا له: انصرف الآن نأتيه. ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال عبد الله بن الزبير للحسين: ظُنَّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها. فقال حسين: قد ظننت أرى طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أنْ يفشوا في الناس الخبر، قال: وأنا ما أظن غيره، قال: فما يريد أن تصنع؟ قال: أجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه ثم دخلت عليه، قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت، قال: لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر. فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد

علا فاقتحموا عليّ بأجمعكم وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم، فدخل فسّلم عليه بالإمرة ومروان جالس عنده. فقال حسين كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة أصلح الله ذات بينكما، فلم يجيباه في هذا بشيء وجاء حتى جلس فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة. فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية وعظّم لك الأجر، أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية، قال: أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، إحبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين فقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت وأثمت، ثم خرج فمرّ بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله. فقال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكّنك من مثلها من نفسه أبداً، قال الوليد: وبّخ غيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً، سبحان الله أقتل حسيناً إن قال لا أبايع والله إني لأظن امرأ يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة، فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه. وأما ابن الزبير فقال: الآن آتيكم ثم أتى داره فكمن فيها، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرزاً فألح عليه بكثرة الرسل والرجال في أثر الرجال. أما حسين فقال: كُفَّ حتى تنظر وننظر وترى ونرى، وأما ابن الزبير فقال: لا تعجلوني فاني آتيكم أمهلوني، فألحّوا عليهما عشيّتهما تلك وأول ليلهما وكانوا على حسين أشد إبقاء.

وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالي له فشتموه وصاحوا به: يا ابن الكاهلية والله لتأتينّ الأمير أو ليقتلنك، فلبث بذلك نهاره كله وأول ليله يقول: الآن أجيء، فإذا استحثّوه قال: والله لقد استربت بكثرة الإرسال وتتابع هذه الرجال فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وأمره، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال: رحمك الله كفّ عن عبد الله فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك وهو آتيك غداً إن شاء الله فمر رسلك فلينصرفوا عنا، فبعث إليهم فانصرفوا وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب وتوجه نحو مكة، فلما أصبح بعث إليه فوجده قد خرج، فقال مروان: والله إن أخطأ مكة فسرّح في أثره الرجال، فبعث راكباً من موالي بني أمية في ثمانين راكباً فطلبوه فلم يقدروا عليه فرجعوا فتشاغلوا عن حسين بطلب عبد الله يومهم

ذلك حتى أمسوا. ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفّوا عنه تلك الليلة ولم يلحّوا عليه، فخرج حسين من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة٦٠هـ، وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة خرج ليلة السبت فأخذ طريق الفرع، فبينا عبد الله بن الزبير يساير أخاه جعفراً إذ تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي:

وكل بني أمّ سيمسون ليلة ولم يبق من أعقابهم غير واحد

فقال عبد الله: سبحان الله ما أردتَ إلى ما أسمع يا أخي؟ قال: والله يا أخي ما أردتُ به شيئاً مما تكره، فقال: فذاك والله أكره إليّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمد، قال وكأنه تطيّر منه. أما الحسين فإنه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له: يا أخي أنت أحب الناس إليّ وأعزهم عليّ ولست أذخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنحّ بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يُذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك وطائفة عليك فيقتتلون وتكون لأول الأسنة فإذا خيرُ هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً، قال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرحال وشعف الجبال وخرجت من بلد إلى بلد، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما يكون رأياً وأحزمه عملاً حتى تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً، قال: يا أخي قد نصحت فأشفقت فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً.

(الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢١٦ ـ ٢٢١).

زيد بن علي:

أما هشام بن محمد الكلبي، فإنه ذكر [أن أبا مخنف حدّثه] أن أول أمر زيد بن علي كان أن يزيد بن خالد القسري ادّعى مالاً قِبَل زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن العباس... فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك، وزيد بن علي يومئذ بالرصانة يخاصم بني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في صدقة رسول الله (ﷺ) ومحمد بن عمر بن علي

يومئذ مع زيد بن علي، فلما قدمت كتب يوسف بن عمر على هشام بن عبد الملك بعث إليهم فذكر لهم ما كتب به يوسف بن عمر إليه مما ادعى قبلهم يزيد بن خالد فأنكروا، فقال لهم هشام: فإنّا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينهم، فقال له زيد: أنشدك الله والرحم أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر، قال: وما الذي تخاف من يوسف بن عمر، قال: أخاف أن يعتدي ابن علي، قال هشام: ليس ذلك له ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف عمر: أما بعد فإذا قدم عليك فلان وفلان فاجمع بينهم وبين يزيد بن خالد القسري فإن هم أقروا بما ادعى عليهم فسرّح به إليّ وإن هم أنكروا فسله بيّنة فإن هو لم يقم البيّنة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم يزيد بن خالد القَسري وديعة ولا له قبلهم شيء ثم خلِّ سبيلهم.

فقالوا لهشام: إنا نخاف أن يتعدّى كتابك ويطول علينا، قال: كلا أنا باعث معكم رجلاً من الحرس يأخذه بذلك حتى يعجّل الفراغ، فقالوا: جزاك الله والرحم خيراً لقد حكمت بالعدل. فسرّح بهم إلى يوسف واحتبس أيوب بن مسلمة لأن أم هشام بن عبد الملك ابنة هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وهو في أخواله، فلم يؤخذ بشيء من ذلك القرف.

فلما قدموا على يوسف فأدخلوا عليه فأجلس زيد بن علي قريباً منه وألطفه في المسألة ثم سألهم عن المال فأنكروا جميعاً وقالوا: لم يستودعنا مالاً ولا له قِبَلنا حق، فأخرج يوسف يزيد بن خالد إليهم فجمع بينه وبينهم وقال له: هذا زيد بن علي وهذا محمد بن عمر بن علي وهذا فلان وفلان الذين كنت ادّعيت عليهم ما ادّعيت، فقال: مالي قِبَلهم قليل ولا كثير، فقال يوسف: أفبي تهزأ أم بأمير المؤمنين؟ فعذبه يومئذ عذاباً ظن أنه قد قتله، ثم أخرجهم إلى المسجد بعد صلاة العصر فاستحلفهم فحلفوا له وأمر بالقوم فبسط عليهم ما عدا زيد بن علي فإنه كفّ عنه فلم يقتدر عند القوم على شيء فكتب إلى هشام يعلمه الحال فكتب إليه هشام أن استحلفهم وخلِّ سبيلهم، فخلى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بن علي بالكوفة...

قال هشام بن محمد الكلبي [عن أبي مخنف]: فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد ابن علي وتأمره بالخروج ويقولون: إنا لنرجو أن تكون المنصور وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية. فأقام بالكوفة فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو ها هنا فيبعث إليه أن اشخص فيقول: نعم ويعتلّ له بالوجع، فمكث ما شاء الله ثم سأل أيضاً عنه فقيل له: هو مقيم بالكوفة بعد لم يبرح، فبعث إليه فاستحثه بالشخوص فاعتلّ عليه بأشياء يبتاعها وأخبره أنه في جهازه ورأى جد يوسف في أمره فتهيأ ثم شخص حتى أتى القادسية، وقال بعض الناس: أرسل معه رسولاً

حتى بلّغه العُذيب فلحقته الشيعة فقالوا له: أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسيافهم غداً وليس قبلك من أهل الشام إلا عدة قليلة لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكلفتكهم بإذن الله تعالى، فننشدك الله لما رجعت، فلم يزالوا به حتى ردوه إلى الكوفة...

قال: فرجع زيد إلى الكوفة فاستخفى. قال: فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، حيث أراد الرجوع إلى الكوفة: أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه فإنهم لا يفون لك، فلم يقبل منه ذلك ورجع.

قال هشام: [قال أبو مخنف:] فأقبلت الشيعة لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه ويبايعون له حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً إلا أنه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين، ثم أقبل إلى الكوفة فأقام بها وأرسل إلى أهل السواد وأهل الموصل رجالاً يدعون إليه. قال: وتزوج حيث قدم الكوفة ابنة يعقوب بن عبد الله السلمي أحد بني فرقد وتزوج ابنة عبد الله بن أبي العنبس الأزدي...

قال: وكان زيد بن علي ينزل بالكوفة منازل شتى في دار امرأته في الأزد مرة، ومرة في أصهاره السلميين ومرة عند نصر بن خزيمة في بني عبس، ومرة في بني غُبَر، ثم إنه تحول من بني غُبَر إلى دار معاوية بن إسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري في أقصى جبانة سالم السَّلولي وفي بني نهد وبني تغلب عند مسجد بني هلال بن عامر. فأقام يبايع أصحابه، وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم وإقفال المجَمّر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا، أتبايعون على ذلك؟ فإذا قالوا نعم وضع يده على أيديهم، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفينّ ببيعتي ولتقاتلن عدوّي ولتنصحنّ لي في السر والعلانية، فإذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم اشهد. فمكث بذلك بضعة عشر شهراً فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ فجعل من يريد أن يفي ويخرج معه يستعد ويتهيأ فشاع أمره في الناس...

ذكر هشام [عن أبي مخنف]: أن زيد بن علي لما أمر أصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد أخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك فانطلق

سليمان بن سراقة البارقي إلى يوسف بن عمر فأخبره خبره وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر وإلى رجل من تميم يقال له طعمة ابن أخت البارق وهو نازل فيهم، فبعث يوسف يطلب زيد بن علي في منزلهما فلم يوجد عندها وأخذ الرجلان، فأتي بهما فلما كلّمهما استبان له أمر زيد وأصحابه، وتخوّف زيد بن علي أن يؤخذ فتعجّل قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة... قال: فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد وأنه يدس إليه ويستبحث عن أمره، اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم، فقالوا: رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت إلا أن وثباً على سلطانكم فنزعاه من أيديكم؟ فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله (ﷺ) من الناس أجمعين وإن القوم استأثروا علينا ودفعوه عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟ فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تُطفأ فإن أنتم أجبتمونا سعدتم وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل: ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا: سبق الإمام وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زين بن علي هو الإمام وكان قد هلك يومئذ، وكان ابنه جعفر بن محمد حياً فقالوا: جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالأمر بعد أبيه ولا نتبع زيد بن علي فليس بإمام، فسماهم زيد الرافضة، فهم اليوم يزعمون أن الذي سماهم الرافضة المغيرة حيث رافقوه وكانت طائفة منهم قبل خروج زيد مروا إلى جعفر بن محمد بن علي فقالوا له: إن زيد بن علي فينا يبايع، أفترى لنا أن نبايعه؟ فقال لهم: نعم بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا، فجاؤوا فكتموا ما أمرهم به.

قال: واستتبّ لزيد بن علي خروجه فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢هـ وبلغ يوسف بن عمر أن زيداً قد أزمع على الخروج فبعث إلى الحكم بن الصلت فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلهم المسجد ثم نادى مناديه ألا إن الأمير يقول من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمة، أدخلوا المسجد الأعظم، فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري فخرج ليلاً وذلك ليلة الأربعاء في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن إسحق، فرفعوا الهراوي فيها النيران ونادوا: يا

منصور أَمِتْ أَمِتْ يا منصور، فكلما أكلت النار هروياً رفعوا آخر فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر، فلما أصبحوا بعث زيد بن علي القاسم التنعي ثم الحضرمي ورجلاً آخر من أصحابه يناديان بشعارهما فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي فشدوا عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذي كان مع القاسم التنعي وارتُثّ القاسم فأُتي به الحكم فكلّمه فلم يرّد عليه شيئاً فأمر به فضربت عنقه على باب القصر، فكان أول من قتل من أصحاب زيد بن علي هو وصاحبه. وأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلّقت وغلّقت أبواب المسجد على أهل الكوفة، وعلى أرباع الكوفة يومئذ على ربع أهل المدينة إبراهيم بن عبد الله بن جرير البجلي وعلى مذحج وأسد عمرو بن أبي بَذْل العبدي وعلى كندة وربيعة المنذر بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي وعلى تميم وهمدان محمد بن مالك الهمداني ثم الخيوانيّ. قال: وبعث الحكم بن الصلت إلى يوسف بن عمر فأخبره الخبر فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشام: من يأتي الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتيني بخبرهم؟ فقال جعفر بن العباس الكندي: أنا، فركب في خمسين فارساً ثم أقبل حتى انتهى إلى جبّانة سالم السلولي فاستخبرهم ثم رجع إلى يوسف بن عمر فأخبره، فلما أصبح خرج إلى تل قريب من الحيرة فنزل عليه ومعه قريش وأشراف الناس، وعلى شرطته يومئذ العباس بن سعيد المزني فبعث الريان بن مسلمة الأراشيّ في ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجالاً معهم النشّاب، وأصبح زيد بن علي فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلاً، فقال زيد: سبحان الله أين الناس؟ فقيل له هم في المسجد الأعظم محصورون، فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر.

... وأقبل زيد بن علي من جّبانة سالم حتى انتهى إلى جبّانة العائديين وبها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد بن علي فيمن معه فهزمهم...

قال: وانتهى زيد بن علي إلى باب دار رجل من الأزد يقال له أنس بن عمرو وكان فيمن بايعه فنودي وهو في الدار، فجعل لا يجيب فناداه زيد: يا أنس أخرج إليّ رحمك الله فقد **﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾**، فلم يخرج إليه، فقال زيد ما أخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم.

... قال: وأقبل زيد بن علي وقد رأى خذلان الناس إياه فقال يا نصر بن خزيمة أخاف أن يكونوا قد جعلوها حسينية، فقال له: جعلني الله لك الفداء أما أنا فوالله لأضربن معك بسيفي هذا حتى أموت فكان قتاله يومئذ بالكوفة. ثم إن نصر ابن خزيمة قال لزيد بن علي: جعلني الله لك الفداء إن الناس في المسجد الأعظم محصورون فامض بنا نحوهم فخرج بهم زيد نحو المسجد فمر على دار خالد بن

عرفطة، وبلغ عبيد الله بن العباس الكندي إقباله فخرج في أهل الشام وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص فكعَّ صاحب لواء عبيد الله وكان لواؤه مع سلمان مولاه فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كع عنه قال إحمل يا ابن الخبيثة، فحمل عليهم فلم ينصرف حتى خضب لواءه بالدم، ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحنّاط فاضطربا بسيفهما فقال للأحول خذها مني وأنا الغلام الحناط وقال الآخر قطع الله يدي إن كِلتَ بقفيز أبداً ثم ضربه فلم يصنع شيئاً وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا إلى دار عمرو بن حريث، وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون: يا أهل المسجد أخرجوا من الذل إلى العز أخرجوا إلى الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولا دنيا، فأشرف عليكم أهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها وقيل في جبّانة سالم وانصرف الريان بن سلمة إلى الحيرة عند المساء وانصرف زيد بن علي فيمن معه، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة فنزل في دار الرزق...

(ثم يتابع المناوشات إلى استشهاد زيد، انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص ١٦٦٨ ـ ١٦٧٠، ١٦٧٦ ـ ١٦٧٧، ١٦٨٥، ١٦٩٨ و١٧٠٦ ـ ١٧١١).

مُصعب الزُّبيري

ولد مَعدّ بن عدنان:

قال: فولد معد بن عدنان: نزاراً وقضاعة، وأمهما: معانة بنت جَوْشَم بن جُلْهُمة بن عامر بن عوف بن عديّ بن دُبّ بن جُرهُم، وقد انتسبت قضاعة إلى حِمير، فقالوا قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ، وأمه: عَكْبَرة امرأةٌ من سبأ، خَلَف عليها معدّ، فولدت قضاعة على فراش معدّ، وزوّروا في ذلك شعراً فقالوا:

يا أيها الداعي ادعُنا وأَبشِرِ   وكُن قضاعياً ولا تَنَزّرِ
قُضاعَةُ بنُ مالِكِ بن حِمْيَرِ   النسبُ المعروف غيرُ المنكرِ

قال: وأشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدل على أن نسبهم في معد.

قال جميل: وهو من بني الحارث بن سعد، أخوة عذرة، وهم من قضاعة:

وأَيُّ مَعَدّ كان فيءُ رِمَاحِهم   كما قد أفأنا والمفاخِرُ منْصِفُ

وقال زيادة بن زيد، وهو منهم:

وإذا مَعَدُّ أوقدت نيرانها   للمجدِ أَغْضت عامرٌ وتقنّعوا

وعامر هؤلاء رهط هدبة بن خشرم، وهم إخوة عذرة من بني الحارث بن سعد بن قضاعة. قال: كان الوليد في سفر، فرجز به ابن العذري، والوليد على نجيب، فقال:

يا بكرُ هل تعلمُ من عَلاكا   خليفةُ الله على ذُراكا

فقال الوليد لجميل: إنزل، فأرجز. فنزل، فقال:

أنا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ   في الذروة العلياء والركنِ الأشَدّ

فقال له: إركب لا حملك الله، ولم يمدح جميل أحداً قط، والشعر في هذا كثير، والله أعلم.

فولد نزار: مضر وإياداً، وأمهما: خبية بنت علكّ بن عدنان، وربيعة وأنمار ابني نزار، وأمهما: حدالة بنت وعلان بن جَوْشَم بن جُلْهُمَة بن عامر بن عوف بن عدي بن دُب بن جُرْهُم، وكان يقال: ربيعة وعمر الصريحان من ولد إسماعيل. فدخل من كان منهم بالعراق في النَّخَع، وكان منهم بالشام على نسبهم في نزار، وقد قال امرؤ القيس بن حجر:

ولقد رَحَلتُ العيس ثُمَّ زَجَرْتُها وَهْناً وقلتُ: عَلَيكِ خيرَ مَعَدّ
فعليك سعدَ بن الضباب فاسرعي سيراً إلى سعدٍ عليك بسَعْدِ
قومٌ تفرّع من إياد بيتُها بين النَّبيت الأكرمينَ وبُردِ
سعدٌ يجير الخائفين وكفُّه تَنْدى نوالاً من طريف وتلْدِ

وأما أنمار بن نزار فمنهم: بجيلة، انتسبوا إلى اليمن إلا من كان منهم بالشام والمغرب، فإنهم على نسبهم إلى أنمار بن نزار. وقال جرير بن عبد الله حين نافر الفرافصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس:

يا أقرعَ بن حابِسٍ يا أقرعُ إن يُصرع اليوم أخوك تُصرَع

وقال أيضاً:

يا ابني نزار انصُرا أخاكما إنّ أبي وجَدْتهُ أباكما
لن يُخذَل اليوم أخٌ والاكُما

فنفره الأقرع على الفرافصة بن الأحوص.

ومنهم: خزيمة، وهم يَشْكُر، وقد انتسبوا في الأزد ومنهم: خَثْعَم، وهو أقيل بن أنمار بن نزار، وإنما خثعم جبل تحالفوا عنده فنسبوا إليه، وهم بالسراة على نسبهم إلى أنمار بن نزار. وإذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبين مضر حرب كانت خَثْعَم مع اليمن على مُضر.

قال أبو عبد الله الزبيري: فولد مضر بن نزار: إلياس، والناس، وهو عيلان، وأمهما: الحنفاء ابنة إياد بن مَعَدّ. فولد إلياس بن مُضَر: مدركة واسمه عامر، وطابخة واسمه عمرو، وَقَمَعَة واسمه عُمَيْر، وأمهم: خِنْدِف، واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة، ويقال لهم خِندف بَاسم أمهم، وينتسبون إليها، وأما قَمَعَة وهو عمير فيزعمون أنه أبو خزاعة، يقولون: كعب بن لُحَيّ بن قمعة بن خندف. ويروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: أول من سيَّب السائبة وبَحَر البَحيرة وحَمى الحامي عمرو بن لُحيّ بن قمعة [أبو بني كعب هؤلاء]، رأيته في النار يجرّ قُصْبَة، وأشبهُ وَلَدِهِ بن أكثم بن أبي الجَوْن. فقال أكثم: أيضرني ذلك يا رسول الله؟ قال: أنت مؤمن وهو كافر.

وخزاعة تقول: كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن غسان، ويأبون هذا النسب والله أعلم. إن كان رسول الله (ﷺ) قال ما روي، فرسول الله (ﷺ) أعلم وما قال فهو الحق.

وأما طابخة، وهو أبو تميم وضبة وعُكيل وتميم بنو أُدّ بن طابخة أخي مُزَيْنة ومُرّ.

فولد مُدرِكة، وهو عامر بن إلياس: خزيمة وهذيلاً، أمّهما سلمى بنت أسد ابن ربيعة بن نزار.

فولد خزيمة بن مدركة: كنانة، وأمه: عوانة بنت قيس بن عيلان، وأسداً وأَسَدة والهوُن بني خزيمة، وأمهم: بَرّة بنت مُرّ بن أد بن طابخة بن إلياس ابن مضر بن نزار، وهي أخت تميم بن مر، وقال جرير بن الخطفي:

فما الأمُّ التي ولدتْ قريشاً ... بُمقرفة النَّجار ولا عَقِيم
فما وَلَدٌ بأكرمَ من أبيكم ... ولا خالٌ بأكرَمَ مِن تميم

فأما أسدة فيزعمون أنه جُذام ولخم وعاملة، واسم جذام عامر، وقد انتسب بنو أسدة في اليمن، فقالوا: جذام بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَدَ بن زيد بن كهلان، وقد قال أبو سمّال الأسدي، واسمه سمعان بن هبيرة بن مساحق بن بجير ابن عُمَير بن أسامة بن نصر بن قُعَيْن، وهو يذكر نسب جذام ولخم وعاملة:

أَبلغْ جُذاماً ولَخْماً إنْ عَرَضتَ بهم ... والقومُ ينفعهُم علماً إذا عَلموا
والقومُ عاملةُ الأثرين قُلْ لَهُمُ ... قولاً ستبلُغهُ الوسّاجَة الرُسُمُ
لأنتمُ في صميم الحق إخوُتنا ... إذ يخلق الماءُ في الأرحام والنَّسَمُ
لم أَرَ مثل الذي يأتون جاء به ... قومٌ يَذُرّ على مختومِهم خُمَمُ

وقال بعض من يعلم: لما قدم خالد بن عبد الله القسري أميراً على العراق، ومعه قوم من جند الشام، فيهم من لخم وجذام، فأهدت لهم بنو أسد بن خزيمة، فقالوا: أنتم قومنا، وأحدثوا هذا الشعر إلا بيتاً منه «لم أرَ مثلَ الذي يأتون جاء به»، فإنه قديم لا يدري لمن هو ولا من عني به.

(أبو عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري، **أنساب قريش**، عني بنشره إ. ليفي بروفنسال، ذخائر العرب؛ ١١ (القاهرة: دار المعارف، [١٩٥٣])، ص ٥ ـ ٦).

ولد عبد الله بن عبد المطلب:

فولد عبد الله بن عبد المطلب: رسول الله (ﷺ)، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد

مناف بن زهرة بن كلاب، وأمها بَرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصيّ، وأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، وأمها برة بنت عدي بن عُوَيج بن عديّ بن كعب، وأمها أميمة بنت مالك بن غَنَم بن حنش بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل، وأمها قلابة بنت الحارث، وهو أبو قلابة الشاعر، وهو أقدم من قال الشعر في هذيل، وهو الذي يقول:

إن الرشادَ وإن الغيَّ في قَرَن ... بكل ذلك يأتيكَ الجديدان

لا تأمَنَنْ وإن أصبحتَ في حَرَم ... إن المنايا بجنبَيْ كل إنسان

واسم أبي قلابة الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل، وأمه ريّة بنت الحارث بن تميم، وأمها لُبنى بنت الحارث بن النمر بن جروة بن أسيّد ابن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

فَولدَ رسول الله (ﷺ) القاسم، وهو أكبر ولده، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقيّة. هم هكذا، الأول فالأول. ثم مات عبد الله ثم ولدت مارية بنت شمعون إبراهيم، وهي القبطية التي أهداها إلى رسول الله المقوقس صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين وخصياً يقال له مأبور، فوهب رسول الله (ﷺ) سيرين لحسان بن ثابت الشاعر فولدت له عبد الرحمن بن حسان، وقد انقرض ولدُ حسان بن ثابت.

وأمُّ بني رسول الله (ﷺ) غير إبراهيم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزىّ بن قَصيّ بن كلاب، وأمها فاطمة بنت زائدة بن جُندب وهو الأصمّ بن هرم ابن رواحة بن حُجر بن عَبْد بن معيص، وأمّها هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص، وأمّها العَرِقة، واسمها قلابة بنت سُعَيد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر، وحِبّان بن عبد مناف، أخو هالة لأبيها وأمها، هو الذي رمى سعد بن معاذ يوم الخندق، فقال: خذها وأنا ابن العرِقة، فقال رسول الله (ﷺ) : عرَّقَ الله وجهه في النار، فأصاب أكحَل سعد، فمات منها شهيداً.

وكان مولد إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، مات بالمدينة وهو ابن ثمانية عشر شهراً، وإخوة ولد رسول الله (ﷺ) لأمهم: هند بنت عتيق بن عائذ ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهند بنت أبي هالة نَبَّاش بن زارة، وهالة بنت أبي هالة، وأبو هالة من بني أُسَيّد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار بن قَصّي.

وكانت زينب بنت رسول الله (ﷺ) عند أبي العاصي بن الربيع بن وائل، فولدت له علياً، انقرض، وكان غلاماً، زعموا أن رسول الله (ﷺ) أردفه خلفه يوم

فتح مكة وهو رديف رسول الله (ﷺ)؛ وأمامة بنت أبي العاصي أوصى بها أبو العاصي إلى الزبير بن العوام، فتزوجها علي بن أبي طالب فقتل عنها، فتزوجها المغيرة ابن نوفل، فهلكت عنده، ولم تلد، فليس لزينب عقب.

وكانت رقية عند عتبة بن أبي لهب، وكانت أم كلثوم عند عتيبة بن أبي لهب. فلما نزلت ﴿**تبّت يدا أبي لهب**﴾ أمرهما أبوهما وأمهما ففارقاهما. فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، فولدت له عبد الله، به كان يكنى، وقدمت المدينة معه، وتخلف عن بدر عليها بأمر رسول الله (ﷺ) ثم تزوج أم كلثوم، فهلكت عنده.

وكانت فاطمة عند علي بن أبي طالب، فولدت له الحسن بن علي في النصف في شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، أخذْتُهُ عن محمد بن سعد كاتب الواقدي، يعني مولد الحسن، وسماه رسول الله (ﷺ) حسناً وكان يشبّه بالنبي (ﷺ) مر به أبو بكر الصديق ومعه علي يمشي إلى جانبه، والحسن يلعب مع الصبيان، وذلك بعد وفاة النبي(ﷺ) فاحتمله على رقبته وهو يقول:

[وابـأبي] شـبـه الـنـبـيّ　　　ليس شـبـيـهـاً بـعَـلـيّ

وذُكر لي عن عبد الله البهيّ مولى آل الزبير قال: تذاكرنا من أشبه الناس بالنبي (ﷺ)، فدخل علينا عبد الله بن الزبير، فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم إليه الحسن بن علي، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال ظهره، فما ينزل حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيتُه وهو راكع فيفرج بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر وقال فيه رسول الله (ﷺ): إنه ريحانيتي من الدنيا، وإن ابني هذا السيّد، وعسى أن يصلح الله به فئتين من المسلمين وقال: اللهم إني أحبه وأحب من يحبه، وسئل الحسن: ماذا سمعت من رسول الله (ﷺ)؟ قال: سمعته يقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشر ريبة وإن الخير طمأنينة، وعقلت منه أني بينما أنا أمشي معه إلى جنب جرين الصدقة تناولت تمرة فألقيتها في فمي فأدخل أصبعه فاستخرجها في لعابها فألقاها وقال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وعقلت منه الصلوات الخمس، وعلمني كلمات أقوالهن عند انقضائهن: اللهم أهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنّا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذلّ من واليت، تباركت ربنا وتعاليت...

قال: وروى ابن عون عن عُمَير بن إسحاق قال: ما تكلّم أحد عندي كان أحب إليّ إذا تكلم ألاّ يسكت من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بين حسين بن علي وعمرو بن عثمان خصومة في أرض فعرض

حُسين ولم يرضَه عمرو، فقال الحسن: ليس عندنا إلا ما يرغم أنفه. فهذه أشر كلمة فحش سمعتها منه قط.

وذُكر عن علي بن زيد بن جدعان التميمي قال: خرج الحسن بن علي خمس عشرة مرة ماشياً، وخرج من ماله لله مرتين، وقاسم الله ثلاث مرات، حتى ان كان ليعطي نعلاً ويمسكُ نعلاً، ويعطي خفّاً ويمسك خفّاً.

والحسين بن علي، يكنّى أبا عبد الله، ولد لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة. ذكر أن أم الفضل، امرأة العباس، قالت: يا رسول الله! رأيت فيما يرى النائم كأن عضواً من أعضائك في بيتي. قال خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبان ابنك قُثَم فولدت حسيناً فكفلته أم الفضل...

وأمّ كلثوم بنت علي، خطبها عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب، وقال: زوّجني يا أبا الحسن، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: كل سبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا سببي وصهري. فزوّجه إياها، فولدت لعمر زيداً ورقية، ثم قتل عنها عمر، فتزوجها محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها، فتزوجها عون بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها، فتزوجها عبد الله بن جعفر فمات عنها.

وزينب بنت علي زوّجها عليّ من عبد الله بن جعفر، فولدت له علي بن عبد الله، وأم كلثوم.

(المصدر نفسه، ص ٢٠ ـ ٢٥).

الهيثم بن عَديّ

اختيار موقع الكوفة:

... حدثني الهيثم بن عدي الطائي قال: أقام المسلمون بالمدائن واختطّوها وبنوا المساجد فيها ثم إن المسلمين استوخموها واستوبؤوها فكتب بذلك سعد بن أبي وقّاص إلى عمر فكتب إليه عمر أن تنزلهم منزلاً غربياً، فارتاد كويفة بن عمر فنظروا فإذا الماء محيط بها فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطوها.

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، كتاب **فتوح البلدان**، تحرير م.ج. دوغويه (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٦٦)، ص ٢٧٧).

عبد الملك وعمرو بن سعيد:

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي، [عن ابن عياش الهمداني وأبي خبّاب قالا:] قال قبيصة بن ذؤيب الخزاعي: كنت عند عبد الملك بن مروان أنا وحسّان بن بحدل الكلبي وولده وإخوته وأبو الزعيزعة مولاه فجاء الآذِن فاستأذن لعمرو بن سعيد، فأذن له وجعل يقول:

إحذر عدوك أن يكون صديقاً ... وإذا هممت بقتله فتمكَّن

أدنيته مني ليسكن روعه ... فأصول صولة حازم مستمكن

غضباً ومحمية لديني (إنه) ... ليس المسيء سبيله كالمحسن

ثم التفت إليّ وإلى حسّان فقال: إن شئتما فقوما، فلما نهضنا وقد أقبل عمرو، قال عبد الملك، وهو يتضاحك: يا حسان أنت أطول من قبيصة ثم خرجنا. فقال حسان: هو والله قاتله، إن عبد الملك ليس في منطقه فضل وإنما مازحنا ليؤنسه ثم يثب به. قال: وسلّم عمرو ثم جلس مع عبد الملك على سريره فحادثه

ساعة، ثم أقبل أبو الزعيزعة فأخذ السيف عن عاتقه، فقال: يا أمير المؤمنين أيؤخذ سيفي؟ فضحك عبد الملك ثم قال: أَوَتطمع لا أبا لغيرك أن تقعد معي بسيف بعد الذي كان منك؟ فأطرق عمرو ثم قال له عبد الملك: يا أبا إمية إني كنت أعطيت الله عهداً إن ملأت عيني منك مستمكناً أن أجمع يديك إلى عنقك، ثم أثقلك حديداً، فقال عبد العزيز بن مروان: ثم تصنع ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أطلقه وما عسيت أن أصنع بأبي أمية، قم يا أبا الزعيزعة فأت بجامعة وقيد فأتى بهما وكانا قد أُعدَّا له فصيرّهما في عنقه ورجليه فقال عمرو: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيهما على رؤوس الناس، فقال: أو مكراً يا أبا أمية! لعمري ما أخرجك فيهما ولا أخرجهما منك إلا صُعُداً. ثم جذبه أبو الزعيزعة جذبة سقط منها على وجهه، فأصابت قائمة السرير ثنيته فانكسرت. فقال: يا عبد الملك نشدتك الله أن يدعوك كسر عظم مني إلى أن تركبني بأشد منه، فقال: يا أبا أمية لو علمت أن العرب والعجم يبقون هملاً ويصلح أمر قريش فقط لفديتك بدم النواظر، ولكنه والله ما اجتمع فحلان في هجمة قط إلا قتل أحدهما صاحبه، قم يا عبد العزيز فاضرب عنقه وخرج عبد الملك لصلاة العصر، فإذا يحيى بن سعيد قد وافى في ألف من مواليه من أهل حمص، فلما أحس به عبد الملك أمسك أنفه بيده كالرعيف وقدّم ابن أم الحكم الثقفي وكان خلفه، فصلىّ ابن أمّ الحكم بالناس، ودخل عبد الملك القصر فقال لعبد العزيز: ما صنعت؟ قال: يا أمير المؤمنين ناشدني الله والرحم فكرهت قتله، فقال: . . . إَدْنِهِ يا غلام فاضَّجع له ثم ذبحه بيده بالسيف وهو يقول:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصَتي   أضربك حتى تقول الهامة إسقوني

قال: وانقضت الصلاة وخرج يحيى بن سعيد إلى الباب في مواليه وأصحابه فكثر ضجيجهم وجعلوا يقولون: أسمعنا صوتك يا أبا أمية فخرج إليهم الوليد بن عبد الملك بن موالي عبد الملك وغيرهم فناوشوهم فأصابته ضربة على إليته وذلك الصحيح، ويقال على رأسه، فأخذه ابن أرقم فأدخله بيتاً وأجاف عليه الباب ودخل عبد الرحمن بن أم الحكم من باب المسجد فقال لعبد الملك: أيها الرجل ما صنعت فقد حلّ الخطب، قال: قتلته، قال: أصاب الله بك الخير والرشد. فأخذ ابن أم الحكم الرأس فرمى به إلى أصحاب الأشدق فانكسروا حين يئسوا منه، وأمر عبد الملك ببيت المال ففتح ونادى في الناس أن احضروا أعطياتكم فأقبل الناس وتركوا ما كانوا فيه ووضع لعبد الملك سرير فخرج فجلس عليه وهو يقول أين الوليد والله لئن كانوا أصابوه لقد أدركوا ثأرهم فأخبر بمكانه وأنه لم يصَب فأمسك وأمر عبد الملك فنودي من أتى بيحيى بن سعيد أو بأحد من ولد سعيد فله ألف دينار، فأخذوا جميعاً من ساعتهم فأمر بإشخاصهم إلى الكوفة، فصار يحيى مع مصعب بن الزبير.

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر، والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سولومن غويتن، ٢ج في ٤ (القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠)، ج٤، ص ١٤١ ـ ١٤٤).

عبد الملك وابن الأشتر:

وقال الهيثم بن عدي: كتب عبد الملك إلى إبراهيم بن الأشتر وهو مع مصعب كتاباً فأتى به المصعب قبل أن يقرأه فلما قرأه قال له: يا أبا النعمان أتدري ما فيه؟ قال: لا، قال: يعرض عليك ما سقت دجلة أو ما سقى الفرات فإن أبيت جمعهما لك وإن هذا لما يرغب فيه، فقال إبراهيم: ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة، وما عبد الملك من أحد بأيأس منه مني، وما ترك أحداً ممن معك إلا وقد كتب إليه فابعث إليهم واضرب أعناقهم وإلا فأوقرهم حديداً ثم أَلقهم في أبيض كسرى ووكّلْ بهم حفظة فإن ظفرت عفوت عنهم أو عاقبت، فقال: يا أبا النعمان إني أخاف في هذه القالة ووالله لو لم أجد إلا النمل لقتلت به أهل الشام.

قال: فلما اصطفّ الناس مال عتّاب بن ورقاء فذهب وكان على خيل أهل الكوفة وجعل إبراهيم يقول لرجل رجل تقدّم فيلتوي عليه فيتقدم هو فيقاتل فلم يزل يفعل ذلك حتى قُتِل. ثم تقدّم مصعب فخذله الناس، فقال لحجّار بن أبجر: تقدم يا أبا أسيد [قال]: إلى هؤلاء الأنتان؟ قال: ما تتأخر إليه أنتن. ثم قال للغضبان بن القبعثري: تقدم يا أبا السمط، فقال: ما أرى ذاك، فالتفت إلى قطن بن عبد الله الحارثي وهو على مذجح وأسد فقال: تقدم، فقال: أسفك دماء مذجح في غير شيء، فقال: أفٍّ لكم. ثم أقبل في عدة فلما برز قال زياد بن عمر العتكي لعبد الملك: يا أمير المؤمنين إن أبا البختري إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله كان لي صديقاً وقد خفت أن يقتل فآمنه، قال: هو آمن. ودنا محمد بن مروان فأعطى مصعباً الأمان فأباه ورُمِيَ مصعب من كل جانب فأُثخن، وقاتل ابنه عيسى حتى قتل، وقتل ابن ظبيان مصعباً، ويقال ضربه غلام له على جبينه، واعتوره الناس، فقتل ووقف ابن ظبيان فاحتزّ رأسه وأتي به عبد الملك.

(المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٤١).

خالد القسري:

قال الهيثم بن عدي: [أخبرني الحسن بن عمارة عن العريان بن الهيثم قال:] كنت كثيراً ما أقول لأصحابي إني أحسب هذا الرجل قد تخلّى منه أن قريشاً لا تحتمل هذا ونحوه وهم أهل حسد وهذا يظهر ما يُظهر، فقلت له يوماً: أيها الأمير إن

الناس قد رموك بأبصارهم وهي قريش وليس بينك وبينها إلٌ وهم يجدون منك بداً وأنت لا تجد منهم بُدّاً فأنشدك الله إلا ما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك وتعرض عليه منها ما أحب فما أقدرك على أن تتخذ مثلها وهو لا يستفسدك وإن كان حريصاً على ذلك فلعمري لأن يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ولا آمن أن يأتيه باغ أو حاسد فيقبل منه فلأن تعطيه طائعاً خير من أن تعطيه كارهاً، فقال: ما أنت بمتّهم ولا يكون ذلك أبداً. قال: فقلت أطعني واجعلني رسولك فوالله لا يحلّ عقدة إلا شددتُها ولا يشدُ عقدة إلا حلَلتها، قال: إنا والله لا نعطي على الذل، قال قلت: هل كانت لك هذه الضياع إلا في سلطانه وهل تستطيع الامتناع منه إن أخذها؟ قال: لا، قلت: فبادره فإنه يحفظها لك ويشكرك عليها ولو لم تكن له عندك يد إلا ما ابتدأك به كنت جديراً أن تحفظه، قال: لا والله لا يكون ذلك أبداً. قال قلت: فما كنت صانعاً إذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه فإن إخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا لك وأكثروا عليه فيك ولك صنائع تعود عليهم بما بدا لك ثم استدرك استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام، قال: قد أبصرت ما تقول وليس إلى ذلك سبيل وكان العريان يقول كأنكم به قد عُزل وأُخذ ماله وتُجني عليه ثم لا ينتفع بشيء. قال فكان كذلك.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دو غويه]، ١٥ ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩١)، ج٢، ص ١٦٥٥ ـ ١٦٥٧).

اختيار موقع بغداد:

ذكر عن الهيثم بن عدي [عن ابن عياش قال:] لما أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث رُواداً يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً رافقاً بالعامة والجند فنعت له موضعاً قريباً من بارمّا وذكر له عنده غذاء طيب فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه وبات فيه وكرر نظره فيه فرآه موضعاً طيباً، فقال لجماعة من أصحابه منهم سليمان ابن مجالد وأبو أيوب الخوزي وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: ما رأينا مثله هو طيب صالح موافق، قال: صدقتم هو هكذا ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات وإنما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ولا تغلو عليهم فيه الأسعار ولا تشتد فيه المؤنة فإني إن أقمت في موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شيء غلت الأسعار وقلّت المادة واشتدت المؤونة وشقّ ذلك على الناس وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال فأنا نازل فيه وبائت به فإن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس أبتنيه.

قال الهيثم بن عديّ: فخبرت أنه أتى ناحية الجسر فعبر في موضع قصر السلام ثم صلّى العصر وكان في صيف وكان في موضع القصر بيعة قسّ ثم بات ليلته حتى أصبح فبات أطيب مبيت في الأرض وأرفقه وأقام يومه فلم ير إلا ما يحبّ، فقال: هذا موضع أبني فيه فإنه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار ولا يحمل الجند والعامة إلا مثله. فخطّها وقدّر بناءها ووضع أول لبنة بيده وقال: بسم الله والحمد لله **﴿الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾**[1] **ثم قال: ابنوا على بركة الله.**

(المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤).

وفاة المنصور:

وذكر الهيثم بن عدي، عن الربيع، أن المنصور رأى في حَجته التي مات فيها وهو بالعُذيب أو غيره من منازل طريق مكة رؤيا، وكان الربيع عديله وفزع منها وقال: يا ربيع ما أحسبني إلا ميتاً في وجهي هذا وإنك تؤكد البيعة لأبي عبد الله المهدي، قال الربيع: فقلت له: يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويبلغ أبو عبد الله محبتك في حياتك إن شاء الله. قال: وثقل عند ذلك وهو يقول: بادر بي إلى حَرَم ربي وأمنه هارباً من ذنوبي وإسرافي على نفسي، فلم يزل كذلك حتى بلغ بئر ميمون، فقلت له: هذه بئر ميمون وقد دخلت الحرم، فقال: الحمدلله وقضى من يومه.

قال الربيع: فأمرت بالخيم فضربت وبالفساطيط فهيئت وعمدت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويل والدراعة وسنّدته وألقيت في وجهه كِلّة رقيقة يرى منها شخصه ولا يفهم أمره وأدنيت أهله من الكِلة حيث لا يعلم بخبره ويرى شخصه ثم دخلت فوقفت بالموضع الذي أوهمهم أنه يخاطبني، ثم خرجت فقلت: أمير المؤمنين مفيق بمنّ الله وهو يقرأ عليكم السلام، ويقول: إني أحب أن يؤكد الله أمركم ويكبت عدوكم ويسرّ وليكم وقد أحببت أن تجددوا بيعة أبي عبد الله المهدي، لئلا يطمع فيكم عدوّ ولا باغ، فقال القوم كلهم: وفق الله أمير المؤمنين نحن إلى ذلك أسرع. قال: فدخل فوقف ورجع إليهم فقال: هلمّوا للبيعة فبايع القوم كلهم فلم يبق أحد من خاصته والأولياء ورؤساء من حضره إلا بايع المهدي. ثم دخل وخرج باكياً مشقوق الجيب لاطماً رأسه، فقال بعض من حضر: ويْلي عليك يا بن شاة، يريد الربيع، وكانت أمه ماتت وهي ترضعه، فأرضعته شاة.

---

(١) القرآن الكريم، «سورة الأعراف،» الآية ١٢٨.

قال: وحفر للمنصور مائة قبر ودفن في غيرها للخوف عليه. قال: وهكذا قبور خلفاء ولد العباس، لا يعرف لأحد منهم قبر. قال: فبلغ المهدي، فلما قدم عليه الربيع قال: يا عبد ألم تمنعك جلالة أمير المؤمنين أن فعلت ما فعلت به؟ وقال قوم إنه ضربه، ولم يصحّ ذلك.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧)

أبو عُبيدة
(مَعْمَر بن المُثنّى)

حديث يوم الكُلاب:

قال أبو عبيدة: وكان من حديث يوم الكُلاب الأول فيما حدّث خراش وابن الكلبي هشام بن محمد، أن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرّار الكندي كان فرق بنيه في قبائل العرب، قال فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم الرباب، قال: وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنّمِير بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم. قال: وكانت طوائف من بني دارم بن مالك بن حنظلة من ولد أُسيدة بنت عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن قتيبة بن النمر بن وَبَرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قُضاعة مع إخوتهم التغلبيين لأمهم في بني تغلب... ومع سلمة الصنائع، وهم الذين يقال لهم بنو رُقَية رجال كانوا يكونون مع الملوك من شذّاذ الناس؛ أي ممن شذّ منهم أي طرداء الأحياء. قال: فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو تشتت أمرهم وتفرقت كلمتهم، قال: ومشت الرجال بينهم فكانت المغادرة بين الأحياء التي معهم يغير بعضهم على بعض وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف بعضهم إلى بعض بالجيوش. قال: فسارت بكر بن وائل ومن معهم من قبائل حنظلة وبني أسيد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب فنزلت الكُلاب، وهو ماء بين البصرة والكوفة، وذلك على بضع عشرة ليلة من اليمامة [على سبع ليال أو نحوها]، وأقبل سلمة في بني تغلب والنمر وأحلافها، وفي بني سعد بن زيد مناة بن تميم ومن كان معهم من قبائل حنظلة وفي الصنائع [قال وهم أتباع الملوك] يريدون الكلاب. قال: وكان نصحاء شرحبيل وسلمة قد نهوهما عن التفاسد والتحاسد، وحذّروهما الحرب وعثراتها وسوء مغبتها. قال: فلم يقبلا ذلك وأبيا إلا التتايع واللجاجة، فقال سلمة في ذلك:

أنّى عليّ استتبّ لومكما ولم تلوما عَمْراً ولا عُصَما
كلاّ يمين الإله يجمعنا شيء وأخوالَنا بني جُشَما
حتى تزور الضبّاعُ ملحمةً كأنها من ثمودَ أو إِرَمَا

قال: وكان أول من ورد الكلاب من جموع سلمة بن الحارث الملك سفيان بن مجاشع جدّ الفرزدق.. قال: وكان نازلاً في بني تغلب مع إخوته لأمّه، قال: فقتلت بكر بن وائل ستة بنين له فيهم مرّة بن سفيان [قتله سالم بن كعب بن عمر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان] وقرط بن سفيان وبيبة بن قرط بن سفيان، فقال سفيان حين قتل ابنه مرّة:

الشيخُ شيخٌ ثكلان والجوف جوف حَرّان
والوِردُ وردُ عجلان ألفي إليك مُرّة بن سفيان

قال: وفي ذلك اليوم قال الفرزدق:

فوارسُ منهم عدس بن زيد وسفيان الذي ورد الكلابا

ويروي شيوخ. قال: وأول من ورد الماء من تغلب رجلان رجل من بني عبيد ابن جشم على فرس له يقال له الخرّوب وبه كان يعرف وهو نعمان بن قريع بن حارثة بن معاوية بن عبيد بن جشم. قال: ثم ورد سلمة ببني تغلب وسعد وجماعة الناس، قال: وعلى بني تغلب السفّاح، وهو سلمة بن خالد بن زهير بن كعب بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب، وهو يقول:

إن الكُلاب ماؤنا فخلّوه وساجراً والله لن تحلُّوه

قال فاقتتل القوم قتالاً شديداً وثبت بعضهم لبعض، قال: حتى إذا كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل، قال: وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب وصبر ابنا وائل وتغلب ليس معهم غيرهم حتى غشيهم الليل ونادى مناد شرحبيل: من أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل، ونادى منادي سلمة: من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل. قال: وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم والرباب ففروا عنه، قال: وعرف أبو حنش وهو عُصُم بن النعمان بن مالك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر مكان شرحبيل فقصد نحوه، قال: فلما نظر إليه رآه جالساً وطوائف من الناس يقتتلون حوله فطعنه بالرمح ثم نزل إليه فاحتز رأسه وأتى به سلمة والناس حوله فطرح الرأس بين يديه، فانحازت بكر بن وائل لما قتل صاحبهم من غير هزيمة تذكر.

قال: وقال أناس آخرون إن بني حنظلة وعمرو بن تميم والرباب لما انهزمت

خرج معهم شرحبيل ولحقه ذو السنينة، وذلك أنه كانت له سن زائدة، واسمه حبيب بن بعيج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم. . .، قال: فالتفت إليه فضرب ذا السنينة على ركبته فأطنّ رجله، [وكان ذو السنينة أخا أبي حنش لأمه أمها سلمى بنت عدي بن ربيعة أخي كليب ومهلهل] فقال ذو السنينة: يا أبا حنش قتلني الرجل، فقال أبو حنش: قتلني الله إن لم اقتله، قال: ومات ذو السنينة فحمل أبو حنش على شرحبيل فأدركه فالتفت إليه شرحبيل فقال: يا أبا حنش اللبن اللبن، قال: قد هرقت لنا لبناً كثيراً، فقال: يا أبا حنش أمَلِكٌ بسوقة؟ قال: إنه كان ملكي، يعني أخاه، قال: فطعنه أبو حنش فأصاب رادفة سرجه فورّعت عنه ثم أهوى له فألقاه عن الفرس ثم نزل إليه فاحتز رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له يقال له أبو أجأ بن كعب بن مالك بن عتّاب فأتى به سلمة فطرحه بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقيته إلقاء رفيقاً، قال: ما صنع به وهو حي شر من هذا، قال: وعرف القوم الندامة في وجهه والجزع على أخيه، وهرب أبو حنش فتنحّى عنه. فقال معدي كرب أخو شرحبيل، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن حربهما، ويقال إن الشعر لسلمة لا لمعدي كرب:

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً ... فما لك لا تجيء إلى الثواب
تعلّم أنّ خير الناس طرّاً ... قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشمُ بن بكر ... وأسلمه جعاسيس الرباب
قتيلٌ ما قتيلك يا ابن سلمى ... تضُرّ به صديقك أو تحابي

فأجابه أبو حنش فقال:

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو ... حباء أبيك يوم صُنيبعات
وكانت غدرةً شنعاء سارت ... تَقَلّدها أبوك إلى الممات
تتابع سبعةٌ كانوا لأمّ ... كأجرام النعام الحائرات

. . . قال: وكان أخذ درع شرحبيل منه فطلبها منه أبو حنش ورهطه فأبى أن يدفعها إليهم، فأغار رهط أبي حنش، فأخذوا إبلاً لرجل من بني تيم بن أسامة بن مالك رهط معدي كرب، فقال الذي أُخذت إبله:

ألا أبلغ بني تيم رسولاً ... فإني قد كبرت وطال عمري
وأنّ الدُّهم قد علمت مَعَدّ ... محبّسة لدى عُصُم بن عمرو
وطار بها بنو حسان عني ... بأفراس لهم حُوّ وشقر
وأرماحٍ لهم سُمر طوال ... كأن كعوبهن حبابُ قَطر

قال: وبلغ الخبرُ غلفاءَ معدي كرب أخا شرحبيل فقال يرثي أخاه ويذكر مصابه:

إنّ جنبي عن الفراش لنابِ ... كتجافي الأشر فوق الظِّرابِ

قوله الأشر من الشرر وهو داء يأخذ البعير في كركرته فتسيل ماء، فإذا برك في موضع غليظ تجافى لشدة الوجع:

من حديث نَمَى إليّ فما تَرْ ... قأ عيني وما أسيغُ شرابي
مرَّةٍ كالذّعاف اكتمها الناس ... على حَرّمِلّةٍ كالشهاب
من شرحبيلَ إذ تعاوره ... الأرماح من بعد لذّة وشباب
يا ابن أمّي ولو شهدتك إذ تد ... عو تميماً وأنت غير مجاب
لتشددتُ من ورائك حتى ... تبلغ الرُّحبَ أو تُبزّ ثيابي
أحسنت وائل وعاداتها الإحسـ ... ـان بالحِنْوِ يوم ضرب الرقاب
يوم فرّت بنو تميم وولّت ... خيلهم يتّقين بالأذناب
ويحكم يا بني أُسيّد إني ... ويحكم ربكم وربُّ الربّاب
أين معطيكم الجزيل وحابيـ ... ـكم على الفقر بالمائين الكُباب
والثمانين قد تخيّرها الراعي ... ككرم الزبيب ذي الأعناب
فارس يضرب الكتيبة بالسيف ... على نحره كنضح الملاب

قوله [أجزرونا] أبا سلمى يقول: صيرونا جزراً للأعداء، و[أبو سلمى] من بني رياح أحد بني هرميّ بن رياح، و[سفيان] بن حارثة بن سليط بن يربوع، وفي نسخة ابن سعدان [جارية بن سليط]. وقال السفاح في ذلك أيضاً:

وردنا الكُلاب على قومنا ... بأحسن وِرْدٍ لهيجا شِعارا
وقد جمعوا جمعهم كُلّه ... وجمع الرَّباب لنا مستعارا

وقال أبو اللحام التغلبي واسمه سريع بن عمرو، وعمرو هو اللحام بن الحارث بن مالك بن ثعلبة بن بكر بن حبيب:

ربعنا بالكُلابِ وما ربعتم ... وأنهبنا الهجائن بالصعيد
سقينا الإبل غِبّاً بعد عِشر ... وغبّاً بالمزاد من الجلود
وجُردٍ كالقداح مسوَّماتٍ ... شوازب مُحْلَساتٍ باللبود
بكل فتىً أطار الغزو عنه ... بشاشَةَ كلّ سربالٍ جديد

وقال جابر بن حُنَي في ذلك أيضاً:

ويوم الكلاب قد أزالت رماحنا ... شرحبيل إذ آلى أَليَّة مُقْسِمِ

ليستلبن أدراعنا فأزاله أبو حنش عن ظهر شقّاء صِلْدِمِ
تناوله بالرمح ثم ثنى له فخرَّ صريعاً لليدين وللفمِ
وكان معادينا تهرُّ كلابه مخافة جمع ذي زُهاءٍ عرمرمِ

قال: فلما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زيد مناة دون أهله وعياله فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم، قال: وولي ذلك عوير بن شِجنة بن الحارث بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة، قال: فحشد له في ذلك رهطه. ونهضوا معه فيه فأثنى عليه امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بذلك في أشعاره وامتدحهم وذكر ما كان من كريم وفائهم وفعالهم ووصف ما كان من صبر قبائل بكر بن وائل وما كان من محاماتهم وخصّ بني قَرّان وهو عبد الله بن عبد العُزى بن سُحيم بن مُرة بن الدُّؤل بن حنيفة ومحرّق بن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وبني مرثد بن سعد بن مالك، قال: وهجا بني حنظلة، وذكر ما كان من خذلانهم وفرارهم وإسلامهم شرحبيل وانهزامهم وفصّل قبائل حنظلة قبيلة قبيلة فعم البراجم وغيرهم من بني دارم بن مالك بن حنظلة وخصّ قبائل نهشل وقطن بن نهشل وأمهما مادية المنقرية [امرأة من الأراقم من بني تغلب] الذي قال امرؤ القيس:

بلّغ ولا تترك بني ابنه مِنْقر وفقّرهم أني أفقّر جابرا

قوله [فقّرهم] يقول: فصّلهم فقرة فقرة؛ أي قبيلة قبيلة، يعني بني عوف رهط عوير بن شجنة، وهو عوف بن كعب بن سعد، وقال امرؤ القيس:

إنَّ بني عوف ابتنوا حسباً ضيّعه الدُّخللونَ إذ غدروا
أدّوا إلى جارهم ذمامهم ولم يُضيعوا بالغيب من نصروا

ويروى خُفارَتَه، ويروى، ولم يضع بالمغيب.

لم يفعلوا فعل حنظلٍ بهم بئس لعمري بالغيب ما ائتمروا...

وقال امرؤ القيس أيضاً:

أحنظلُ لو حاميتم وكرمتم لأثنيتُ خيراً صالحاً ولأرضاني

وقال أيضاً:

ألا قبّح الله البراجم كُلّها وقبح يربوعاً وجدّع دارما

قال أبو عبيدة: وكان الكلاب يوماً من أيام العرب المشهورة المذكورة فقال فيه شعراء الإسلام وافتخروا بفضلهم فيه، وعيرّ بعضهم بعضاً فقال الأخطل في ذلك، مما يدل على تصديقه:

أبـنـي كـليب إنّ عـمّـيّ الـلّـذا قـتـلا الملـوك وفـكّـكـا الأغـلالا
وأخـوهمـا الـسـفـاح ظـمّـأ خـيـلـه حـتـى وَرِدْن جِبـى الـكُـلاب نهـالا

(معمر بن المثنى أبو عبيدة، **النقائض**: **نقائض جرير والفرزدق**، تحرير انطوني اشلي بفان، ٣ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٧ ـ ١٩١٢)، ص ٤٥٢ ـ ٤٦١).

ذو قار:

قال أبو عثمان: حدثنا أبو عبيدة [قال: حدثنا أبو المختار فراس بن خندق القيسي قيس بن ثعلبة وعدّة من علماء العرب قد سماهم فراس بن خندق، وأثبت الحديث الأصمعي فيما أثبته وعرفه] أن الذي جرى يوم ذي قار قتل النعمان بن المنذر اللخمي عديّ بن زيد العبادي، قال: وكان عديّ من تراجمة برواز كسرى بن هرمز، قال: فلما قتل النعمان عدياً كان أخو عديّ وابنه زيد عند كسرى وحرّفا كتاب اعتذاره إليه بشيء غضب منه كسرى فأمر بقتله، وكان النعمان لما خاف كسرى استودع هانئ بن مسعود بن هانئ بن عامر الخصيب [قال: والخصيب لقبه وهو الخصيب بن عمرو المزدلف، والمزدلف لقبه، وهو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة] حلقته ونعمه وسلاحاً غير ذلك، قال: وذلك أن النعمان بنّاه بنتين له. قال أبو عبيدة: قال بعضهم: لم يدرك هانئ بن مسعود هذا الأمر، قال: وهو أثبت عند أبي عبيدة... قال: فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة، وما كان عليه [النعمان].

قال أبو عبيدة: قال عمر: وكان كسرى لما هرب من بهرام جوبين يوم هزمه بالهزدان مر كسرى بإياس فأهدى له فرساً وجزوراً فشكر ذلك له كسرى، قال: فبعث كسرى إلى إياس أين تركة النعمان، قال: قد خزنها [يريد قد أحرزها] في بكر ابن وائل، قال: فأمر كسرى أن يضم ما كان للنعمان ويبعث به إليه، قال: فبعث إياس إلى هانئ أن أرسل إليّ بما استودعك النعمان من الدروع وغيرها فالمقلل يقول كانت أربعمائة درع والمكثر يقول ثمانمائة درع فأبى هانئ أن يسلم خفارته، قال: فلما منعها هانئ غضب كسرى فأظهر أنه مستأصل بكر بن وائل وعنده النعمان بن زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر، فقال لكسرى: يا خير الملوك أدلك على عدو يطلبهم وعلى غِرَّة بكر، قال: نعم، قال: أمهلنا حتى نقيظ فإنهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار تساقط الفراش في النار فأخذتهم كيف شئت وأنا عندك إلى أن أكفيكهم ومع ذلك فإن مطالبيهم في ذلك الوقت كثير وذلك مما يوهن كيدهم ويكون أيسر على الملك مطالبتهم لمن يشغلهم ممن يطلبهم بالذحل،

فترجموا له قوله [تساقط الفراش في النار] فأقرهم حتى إذا قاظوا جاءت بكر بن وائل فنزلت بالحنو حنو ذي قار وهو من ذي قار على مسيرة ليلة. قال: فأرسل كسرى إليهم النعمان بن زرعة أن اختاروا من ثلاث خصال واحدة إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء وإما أن تُعَرُّوا الديار وإما أن تأذنوا بالحرب، قال: فنزل النعمان على هانئ فقال: أنا رسول الملك إليكم أخيركم إحدى ثلاث خصال إما كذا وإما كذا وإمّا كذا على ما مضى. قال: فتوامروا بينهم ثم إنهم اختاروا الحرب فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي وكانوا يتيمنون به في حروبهم وما ينوبهم فقال لهم: إني لا أرى إلا القتال فلأن يموت الرجل كريماً خير له من أن يحيى مذموماً لأنكم إن اعطيتم بأيديكم قتلتم وسبيت ذراريكم وإن هربتم قتلكم العطش وتلقاكم تميم فتهلككم فآذنوا الملك بحرب، قال: فبعث كسرى إلى إياس وإلى الهامَرز التُّستَري وكان مسلمة بالقُطقُطانة وإلى خُنابزينَ وكان مسلمة أيضاً ببارق. قيل: وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدّين وكان كسرى استعمله على طفّ سَفَوان أن يوافوا إياساً فإذا اجتمعوا فإياس على الناس.

قال: وجاءت الفرس ومعها الجنود والفيول عليه الأساورة [وقد بُعِث النبي (ﷺ) قال: وقد رقّ أمر الفرس وأدبر مُلكهم فقال النبي (ﷺ) في ذلك: اليوم انتصف العرب من العجم بي. قال: فحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الوقعة]. قال: فلما دنت جنود الفرس من بكر بمن معها انسلّ قيس بن مسعود ليلاً فأتى هانئاً فقال: أعط قومك سلاح النعمان فَيَقوا به أنفسهم فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم وكنت قد أخذت بالحزم وإن ظهروا ردّوه عليك، ففعل وقسم الدروع والسلاح في ذي القوة والجلد من قومه. فلما دنا الجمع من بكر بن وائل قال لهم هانئ: يا معشر بكر إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب فاركبوا الفلاة، قال فتسارع الناس إلى ذلك فوثب حنظلة بن سيّار فقال له: إنما أردت نجاتنا فلم تزد على أن ألقيتنا في التهلكة فرد عليه الناس فقطع وُضُن الهوادج، قال: وإنما فعل ذلك لئلا تستطيع بكر أن تسوق بالنساء إن هربوا فسمّي مقطّع الوُضُن. قال: ويقال مقطّع البُطُن [والبُطُن حُزُمُ الأقتاب، والوُضُن حُزُم الرّحال، قال أبو عثمان: وسمعت أم صبيح الكلابية ويقال لها الذلفاء وكانت من أفصح الناس وسألتها عن النُّسوع فقالت: إنا لنَضِنها معشر النساء]. وضرب حنظلة قبة على نفسه ببطحاء ذي قار وآلى أن لا يفر حتى تفر القبة فمضى من مضى من الناس ورجع أكثرهم، قال: فاستقوا ماء لنصف شهر، قال: فأتتهم العجم فقاتلتهم بالحنو حِنو قُراقر فجزعت العجم من العطش فهربت ولم تقم لمحاصرتهم فهربت إلى الجُبابات، قال: فتبعتهم بكر وعِجل أوائلُ فتقدمت عجلٌ وأبلت يومئذ بلاء حسناً، قال واضطمّت عليهم

جنود العجم فقال الناس: هلكت عِجل، ثم حملت بكر فوجدت عجلاً ثابتة تقاتل وامرأة منهم تقول:

أن يظفروا يحرّزوا فينا الغُرُل إيه فدىً أبي لكم بني عجل

وتقول أيضاً تحرض الناس:

إن تهزموا نعانق ونفرش النمارق
أو تُهزموا نفارق فراقَ غير وامق

قال: فقاتلوهم بالجُبابات يوماً ثم عطشت الأعاجم.فمالوا إلى بطحاء ذي قار، قال: وأرسلت إياد إلى بكر سراً وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة؛ أي الأمرين أعجب إليكم أن نطير تحت ليلتنا فنذهب أو نقيم حتى نفرّ حتى تلاقوا القوم، قالوا: بل تقيمون فإذا التقى الناس انهزمتم بهم. فصبّحتهم بكر بن وائل والظعن واقفة يذْمُرن الرجال على القتال ويحضضنهم على لقائهم والصبر على ذلك، وقال يزيد بن حمار السكوني وكان حليفاً لبني شيبان: أطيعوني واكمنوا لهم كميناً ففعلوا وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكمنوا في مكان من ذي قار يسمى إلى اليوم الخبيء قال: فاجتلدوا وعلى ميمنة هانئ بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيباني وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون، فقال حنظلة بن ثعلبة:

قد جدّ استياعُكم فجُدُّوا ما علّتي وأنا مؤدٍ جَلْدُ

[قال: مؤدٍ أي ذو أدواة من السلاح تامةٍ يقول فلا عذر لي]:

والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ مثل ذراع البكر أو أشدّ
قد جَعَلتْ أخبار قومي تبدو إنَّ المنايا ليس منها بُدّ
هذا عبيدٌ تحته ألدُّ يقدمه ليس له مَرَدّ
حتى يعود كالكميتِ الوَرْدُ خلُّوا بني شيبان فاستبدّوا
نفسي فدتكم وأبي والجدّ

وقال حنظلة أيضاً:

يا قوم طيبوا بالقتال نفساً أجدرُ يوم أن تفلّوا الفرسا

وقال يزيد بن المكسّر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار:

من فَرَّ منكم فَرَّ عن حريمه وجاره وفرّ عن نديمه
أنا ابن سيار على شكيمه إنّ الشّراك قُدَّ من أديمه
وكلّهم يجري على قديمه من قارح الهجنة أو صميمه

قال فراس: ثم صيروا الأمر بعد هانئ إلى حنظلة بن ثعلبة بن سيار فمال إلى مارية ابنته وهي أم عشرة نفر أحدهم جابر بن أبجر فقطّع وضينها فوقعت إلى الأرض وقطّع وُضُن النساء فوقعن إلى الأرض، ونادت بنت القرين الشيبانية، حين وقعت النساء إلى الأرض:

ويها بني شيبان صفاً بعدَ صَفْ أن تُهزَموا يصبِّغوا فينا القُلُف

فقطع سبعمائة من بني شيبان أقبيتهم من قبل مناكبهم وذلك لأن تخفَّ أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم ونادى الهامَرز مَرْد ومَرْد [يريد رجل ورجل] فقال برد ابن حارثة اليشكري: ما يقول؟ قال: يدعو إلى البراز رجل ورجل، قال: وأبيكم لقد أنصف. قال: فحمل عليه برد بن حارثة اليشكري فقتله، ويقال يزيد بن حارثة. فقال سويد بن أبي كاهل في ذلك:

منّا يزيد إذا تحدّى جموعكم فلم تُقربوه المرزبان المسوّدا

ويروى المسوّرا. قال: ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار: يا قوم لا تقفوا لهم فيستغرقكم النشابِ، فحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش وقد قتل يزيد رئيسهم الهامرْز وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الجيش وعليهم خُنابُزين. قال: وخرج عليهم الكمين من خبيء ذي قار من ورائهم وعليهم يزيد بن حمار فشدوا على قلب الجيش قال: وفيهم إياس بن قبيصة وولّت إياد منهم وانهزمت الفرس.

قال سليط: فحدثنا أُسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ قالوا: فلما التقى الناس وولت الفرس منهزمة قلنا: يريدون الماء فلما قطعوا الوادي وصاروا من ورائه وجازوا قلنا هي الهزيمة، قال: وذاك في حدّ الظهيرة في يوم قائظ شديد حره، قال: فأقبلت كتيبة عِجل كأنهم طُنّ قصب لا يفوت بعضهم بعضاً يطرفون لا يمعنون هرباً ولا يخالطون القوم ثم تذامروا [يقول لام بعضهم بعضاً] فرجعوا فرموا بجباههم فلم يكن إلا إياها فأمالوا بأيديهم فولوا فقتلوا الفرس ومن معهم بين بطحاء ذي قار حتى بلغوا الراخصة.

قال فراس: فحُدّثتُ أنهم تَبِعهم تسعون فارساً لم ينظروا إلى سلب ولا إلى شيء حتى تعارفوا بأُدم وهو قريب من ذي قار فوجد منهم ثلاثون فارساً من بني عجل وستون فارساً من سائر بكر وقتلوا خُنابزُين قتله حنظلة بن ثعلبة بن سيار، وقال ميمون أعشى بني قيس ثعلبة يمدح بني شيبان خاصة في قوله:

فدىً لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبُها يومَ اللقاء وقلَّتِ
همُ ضربوا بالحِنْوِ حِنْوِ قُراقر مقدمه الهامَرْز حتى تولَّتِ

وأفلتنا قيسٌ وقلتُ لعلّه ... يثيبُ وإن كانت به النعلُ زلّتِ

قال: فهذا يدل على أن قيساً شهد ذا قار. وقال بكير، أصمُّ بني الحارث بن عباد، يمدح شيبان:

إن كنتِ ساقيةَ المدامة أهلها ... فاسقي على كرَم بني همّام
وأبا ربيعةَ كُلها ومُحلّماً ... سبقاً بغايةِ أمجدِ الأيّام
ضربوا بني الأمرار يوم لقوهمُ ... بالمشرفيّ على مقيل الهام
عرباً ثلاثة آلُفٍ وكتيبة ... ألفينِ أعْجَم من بني الفَدَّام
شدَّ ابنُ قيسٍ شَدَّةً ذهبت لها ... ذِكرى له في مُعرِقٍ وشآم
عمرو وما عمرو بقَحْم دالِفٍ ... فيها ولا غُمرٍ ولا بغُلام

فلما مدح الأعشى والأصمّ بني شيبان خاصة غضبت اللهازم فقال أبو كلبة أحد بني قيس بن ثعلبة يؤنبهما بذلك:

جُدّعتما شاعري قوم ذوي حسب ... حُزّت انوفكما حَزًّا بمنشار
أعني الأصَمّ وأعشانا إذا اجتمعا ... فلو استعانا على سمع وإبصار
لولا فوارسُ لا ميلٌ ولا عُزُلٌ ... من اللهازم ما قاظوا بذي قار
نحن أتيناهم من عند أشملهم ... كما تَلَبَّس ورّادٌ بصُدّار

قال أبو عمرو بن العلاء: فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة قال: صدق..

وقال أعشى أبي ربيعة:

ونحن غداة ذي قار أقمنا ... وقد شهد القبائل مُحلبينا
وقد جاؤوا بها جَأواء فِلْقاً ... ململمةً كتائبها طحونا
ليوم كريهة حتى تجلّت ... ظلالُ دُجاهُ عنا مُصلتينا
فوَلّونا الدوابر واتَّقَوْنا ... بنُعمان بن زرعة اكتعَينا
وذدنا عارض الأحرارِ ورداً ... كما ورد القطا الثَّمَدَ المَعينا

وقال أبو النجم العجلي في الإسلام يفخر بيوم ذي قار:

نحن أبحنا الريف للمُمتار ... يوم استلبنا رايةَ الجبَّار
بأسفل البطحاءِ من ذي قار

وقال العذيل بن الفرخ العجلي:

ما أوقد الناسُ من نارٍ لمكرمة ... إلا اصطلينا وكنّا موقدي النار
وما يعدُّون من يوم سمعتُ به ... للناس أفضل من يوم بذي قار
جئنا بأسلابهم والخيلُ عابسةٌ ... يوم استلبنا لكسرى كُلَّ أسوار

وقال الأخطل، يفخر على جرير أنهم شهدوا يوم ذي قار:

هلاّ كفيتم مَعَدّاً يومَ معضلة ... كما كفينا مَعَدّاً يوم ذي قار
جاءت كتائب كسرى وهي مغضبةٌ ... فاستأصلوها وأرَدوْا كلَّ جبَّار

قال أبو عبيدة وقال عامر ومسمع قد أدرك الحوفزان بن شريك يوم ذي قار وقاتل، وقال في الشعر:

لما رأيت الخيل شَكَّ نحورها ... حرابٌ ونُشَّابٌ صبرتُ جناحا

[جناح اسم فرسه]

على الموت حتى أنزل الله نصره ... ووَدَّ جناحٌ لو قضى فاستراحا

وقال عائذ الله: ويقال بل قالها رجل من بني شيبان آخر ولم يدرك الحوفزان ذا قار وقالها بشر أخو الحوفزان. قال: وأما من شهد يوم ذي قار من تميم فإن أبا عبيدة حدثنا قال: أخبرني سليط قال: لما كان يوم ذي قار وكان في بكر أسراء من تميم أكثرها من بني يربوع قالوا لهم: خلّونا نقاتل معكم فإنّا طلقاء خير لكم من أُسراء، قالوا: إنا نخاف أن تهربوا فتواثقوا بأن لا تفعلوا فواثقوهم أن يرجع من لم يقتل منهم حتى يضع يده في أيديهم، قال: فخلوهم فقاتلوا معهم. قال أبو عبيدة فحدثني بتصديق هذا مسحل بن زيداء بنت جرير قال: أخبرنا جرير قال: لما كان يوم ذي قار وكان في بكر أسراء من تميم قريب مائتي أسير وفيهم جزءُ بن سعد الرياحي أحد بني رياح بن يربوع أسيراً فقال: خلونا نقاتل معكم، فإنّا نذبّ عن أنفسنا، قال: فواثقوهم ليرجعن إليهم إن سلموا وقالوا لهم: نخاف أن لا تناصحوا، فقالوا لهم: دعونا فلنُعلم حتى تروا مكاننا ويُرى غناؤنا قال: فاعلموا فذلك قول جرير:

منَّا فوارس ذي بهدا وذي نَجَب ... والُمعلمون صباحاً يوم ذي قار
مُسترعفاتٍ بجزءٍ في أوائلها ... وقعنب وحماةٍ غيرِ أغمار

... قال: وأما عامر بن عبد الملك فزعم أن فارساً لما غزتهم تسامعت بذلك العرب فجاء ثمانون من أهل بيت من بني يربوع وناس من بني ضبة فقالوا نكون قريباً فإذا انهزمت بكر أغرنا فيمن يغير فبلغ ذلك بكراً فقالوا: نبدأ بهؤلاء فوجهوا إليهم المكسر الأضجم الضراري وأسروا بقية القوم فلم يزالوا عندهم حتى التقوا وفارس فحلوهم من وثاقهم فقاتلوا معهم. قال عامر بن عبد الملك المسمعي: فلم تفخر تميم بهذا. قال ضرار بن سلامة العجلي في ذلك:

كسونا الأضجم الضبّيّ لما ... أتانا حدَّ مصقولٍ رقيق
وفرَّت ضُبَّةُ الجعراء لَمّا ... أجَدَّ بهن إثْعابُ الوسيق

أسرنا منهم تسعين كهلاً نقودهم إلى وَضَح الطريق
وجالوا كالنَّعام وأسلمونا إلى خيل مسوَّمةٍ ونوق

(المصدر نفسه، ص ٦٣٨ ـ ٦٤٨).

[أخبار] عبيد الله بن زياد:

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى في روايته: عاد ابن زياد عبد الله بن نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ثم خرج من عنده فلقيه حمران مولاه وكان قد وجّهه إلى يزيد فأسّر إليه موت يزيد واختلاف أهل الشام، فأمر عبيد الله فنودي الصلاة جامعة ثم خطب فنعى يزيد وحضّ الناس على الطاعة وقال: اختاروا لأنفسكم فماسحوه ثم بدا لهم في بيعته وجعلوا يمسحون أيديهم منها بالحيطان. وكان في سجنه نافع بن الأزرق الحنفي ونجدة بن عامر الحنفي وعبد الله ابن أباض وعبيدة بن هلال العنزي وعمرو القنا بن عميرة من بني ملادس بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكانوا غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره ولكنهم احتسبوا في جهاد أهل الشام ثم إنهم قدموا البصرة فالتقطهم ابن زياد وحبسهم، فيقال إنه كان في سجنه من الخوارج مائة وأربعون.

قال أبو عبيدة في بعض روايته: لما كان موت يزيد بن معاوية وإظهار ابن زياد إياه بالبصرة خرج سلمة بن ذؤيب الرياحي الفقية وهو على فرس له شهباء وقد لبس سلاحه ومعه لواء فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير وطاعته وقال: عليكم بالعائذ بالبيت وابن حواريّ رسول الله (ﷺ) فبايعه جماعة يسيرة، وبلغ ابن زياد ذلك فخطب الناس فاختص أول أمره وأمر أبيه بالبصرة وعدّد بلاءه عند أهلها ثم قال: بايعتموني ثم مسحتم أيديكم بالَحيطانَ وقلتم ما قلتم ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعوكم إلى الخلاف إرادة أن يفرق جماعتكم؛ ليضرب بعضكم جباه بعض، وكان الذي أخبر ابن زياد بأمر سلمة بن ذؤيب عبد الرحمن بن بكرة، ويكنى أبا الحُرّ، فقال الأحنف بن قيس والناس: نحن نجيئك بسلمة، فأتوا سلمة فإذا معه جمع كثيف قد سافر إليه وإذا الفتق قد اتسع فامتنع عليهم فلمّا رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه، فقال: والله لقد لبسنا الخز حتى أَجمَته جلودنا فما بنا إلى أن نُعقبها الحديد أياماً والله لو اجتمعتم على قرن عنز لتكسروه ما كسرتموه ودعا البخارية ومن كان من أصحاب السلطان إلى المحاربة معه فلم يجيبوه واعتلّوا عليه فانغمس في الأزد في بيت مسعود.

قال: وكان في بيت مال ابن زياد نحو ثمانية آلاف ألف درهم فقال للناس

حين خطب: هذا فيئكم فخذوا أرزاقكم وأرزاق عيالاتكم وذريتكم وأمر الكتّاب بتحصيل الناس وتقرير مالهم فلما رأى قعود الناس عنه وظهر سلمة كفّ عن ذلك وأمر بنقل المال حين هرب فهو يتردّد في آل زياد. وقال له إخوته: والله ما من خليفة نقاتل عنه ولا تأمن أن يدال عليك فتعطب وتهلك ويذهب أموالنا، وقال له عبد الله أخوه وهو ابن مرجانة: والله لئن قاتلت القوم لأقتلن نفسي بسيفي هذا، فلما رأى عبيد الله ذلك أرسل إلى الحارث بن قيس بن صهبان الجهضمي فسأله أن يسأل مسعوداً أن يجيره فسأله ذلك فأباه فقال له الحارث: يا معشر الأزد إنكم أجرتم زياداً فبقي لكم شرف ذلك وذكره وفخره، فقال مسعود: أترى أن نعادي أهل مصرنا في عبيد الله وقد أبليناه فلم يكافينا ولم يشكر ما كنت أحب أن يكون هذا رأيك، فقال: قد بايعته فيمن بايع ولن يعاديك أحد على الوفاء له فلما أبى مسعود على الحارث إجارة ابن زياد أنس إلى أم بسطام امرأة مسعود وهي ابنة حمه فقال لها: إني دعوت مسعوداً إلى مكرمة فأباها وأنا أدعوك إلى أن تسودي نساء قومك أبداً وكلّمها في إجارةِ ابن زياد فأجارته، ويقال إنه أعطاها مائة ألف درهم كانت مع ابن زياد فأدخلته حجلتها وألبستة ثوباً لزوجها فلما جاء مسعود أعلمته ذلك فغضب وأخذ برأسها حتى خرج عبيد الله والحارث فحجزا بينهما وقال له عبيد الله أجارتني عليك وألبستني ثوبك وأكلت من طعامك وقد التف علي منزلك وتلطف الحارث له حتى رضي، فلم يزل في منزل مسعود حتى قتل مسعود ثم شخص إلى الشام. وقال أبو عبيدة: وآل زياد ينكرون أن يكون ابن زياد شَخَص قبل قتل مسعود وأن يكون مسعود بعث معه من يردفه.

وقال يزيد بن ربيعة بن مفرغ شعراً ذكر فيه فرار ابن زياد من دار الإمارة إلى الأزد ثم إلى الشام بعد مقتل مسعود وخذلانه وذكر هربه عن أمه وامرأته هند الفزارية:

أقــرَّ لــعــيني أنــه عــقَّ أمّــه ... دعتـه فـولاهـا اَستـه وهـو يهرب
وقـال عـليكِ الـبـأسُ كـوني سـبيّة ... كما كنتِ أو موتي فلَلموت أقرب
وقـد هـتـفت هـندٌ بـه مـا أمرتـني ... أبِـنْ لي وخـبّـرني إلى أيـن أذهـب
فـقـال أريـدُ الأزدَ في عـقـرِ دارهـم ... وبـكـراً فـمـا لي عـنـهـم مـتـجـنّـب
بـمـا قـدّمـت كـفّـاك مـا لـك مـهـرب ... من الـقـوم يـومـاً والـدّمـاء تـصـبّب
ولو كنتَ صلبَ العود أو ذا حفيظة ... كـررتَ عـلى هـنـدِ وهـنـدٌ تـشـجـب
وغـادرتَ مـسـعـوداً رهـينة حـتـفـه ... يـمجّ نـجيعَ الخوف وهـو مُـلحَّب
ولـو لم يَفُت ركضاً حثيثاً لحلَّقت ... بـأشـلائه فـي الجـو عـنـقـاءُ مُـغـرِبُ

وقال أيضاً:

قـدَّمـت مـسـعـوداً ليصـلى حـرّهـا ... وفَـأَلـتَ لَمّا أن نـعـاهُ الـنـاعـي
أَفَـلا مَـررتَ وراءه مـتـشـرّبـاً ... لما أُصـيـب دعـا بـحـتـفِـك داع
وتـركـتَ أُمّـك والـرمـاحُ شـوارع ... يـا ليتـنـي لـكِ ليلـةَ الأفـزاع
ليس الـكـريـم بـمـن يـفـارقُ أُمّـه ... وبـنـايـة بـالمنـزلِ الجَـعْـجَـاع
وخـذلـتَ مـسـعـوداً وطـرتَ مـولّياً ... مـثـلَ الـظـليم أَثَـرتُـه بـالـقـاع

قال أبو عبيدة: فهذا دليل على أنه إنما هرب إلى الشام بعد مسعود وأنه حين قتل مسعود كان بالمصر لم يبرح.

قال أبو عبيدة: ولما هرب ابن زياد بقي الناس بغير أمير فلما لم يكن لهم أمير ارتضوا بنعمان بن صهبان الراسبي وقيس بن الهيثم يختاران لهم فكان رأي قيس في عبد الله بن الأسود الزهري ورأي النعمان بن صهبان في بَبَّة وقال النعمان:

هو هاشمي وابن أخت القوم الذين الملك فيهم لأن أم ببة هند بنت أبي سفيان، وكان النعمان شيعياً شهد مع علي صفين وأقبلوا ببة فنزل دار الإمارة. قال أبو عبيدة: وكان ذلك برضا جميع الناس الأزد وغيرهم، وقوم يقولون إن ذلك لم يكن برضا الأزد فقولهم باطل. قال الفرزدق:

وبـايعـتُ أقـواماً وَفَـيْـتُ بعـهـدهـم ... وبَـبَّـةُ قـد بـايـعـتُـه غـيـرَ نـادم

وقوم يروونه: وهو نائم.

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر، والجزء ٥ مع الشروح والفارس سولومن غويتن، ٢ج في٤ (القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠)، ج٤، ص ١٠١ ـ ١٠٥)

البَلاذُري

الفتنة:

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده، قالوا: التقى أهل الأمصار الثلاثة الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عبدة النهدي ورئيس أهل البصرة المثنى بن مخربة العبدي ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر بن عتّاب بن عوف السكوني ثم التجيبي، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه وعاهد الله عليه وقالوا لا يسعنا الرضى بهذا فاجتمع رأيهم على أن يرجع كل واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصر. فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على مثل رأيهم من أهل بلده وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستعتبوه فإن أعتب وإلا رأوا رأيهم فيه، فعلوا ذلك. فلما حضر الوقت خرج الأشتر إلى المدينة في مائتين وخرج حكم بن جبلة العبدي في مائة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين وجاء أهل مصر وهم أربع مائة، ويقال خمس مائة ويقال سبع مائة ويقال ست مائة، عليهم أمراء أربعة أبو عمرو بن بديل بن ورقاء بن عبد العزى الخزاعي على ربع وعبد الرحمن بن عديس البلوي على ربع وكنانة بن بشر التجيبي على ربع وعروة بن شييم بن البياع الكناني ثم الليثي على ربع، فلما أتوا المدينة أتوا دار عثمان ووثب معهم رجال من أهل المدينة منهم عمار بن ياسر العنسي ورفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدرياً والحجاج بن غزوية وكانت له صحبة وعامر ابن بكير أحد بني كنانة فحصروا عثمان الحصار الأول.

وقال الواقدي في إسناده: لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله (ﷺ) إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله وما الناس فيه من عمّاله ويكثرون عليه ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) يدفع عن عثمان ولا ينكر ما يقال فيه إلا

زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك بن أبي كعب من بني سلمة من الأنصار وحسان بن ثابت الأنصاري، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى علي فسألوه أن يكلم عثمان ويعظه فأتاه فقال له: إن الناس ورائي قد كلموني في أمرك ووالله لا أدري ما أقول لك ما أعرّفك شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه وإنك لتعلم ما تعلم وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، لقد صحبت رسول الله (ﷺ) وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا وما ابن أبي قحافة وابن الخطاب بأولى بالحق منك ولأنت أقرب إلى رسول الله (ﷺ) رحماً ولقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فإنك لا تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، فقال له عثمان: والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عتبت عليك أن وصلت رحماً وسددت خلة وآويت ضائعاً ووليت من كان عمر يوليه، نشدتك الله ألم يول عمر المغيرة بن شعبة وليس هناك! قال نعم، قال: أولم يولِّ معاوية؟ فقال علي: إن معاوية كان أشد خوفاً وطاعة لعمر من أن يرفأ وهو الآن يبتز الأمور دونك ويقطعها بغير علمك ويقول للناس هذا أمر عثمان ويبلغك فلا تغير. ثم خرج وخرج عثمان بعده فصعد المنبر فقال: أما بعد فإن لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون لكم ما تكرهون مثل النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردهم إليهم البعيد، والله لقد نقمتم علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وخبطكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم وألنت لكم كنفي وكففت عنكم لساني ويدي فاجترأتم علي، فأراد مروان الكلام فقال له عثمان: أسكت ودعني وأصحابي.

وقال الواقدي في رواية: وكان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة لا يفتران من التحريض على عثمان بمصر فخرج ابن عديس البلوي وسودان بن حمران المرادي وعمرو بن الحمق الخزاعي وعروة بن شييم الليثي في خمس مائة وأظهروا أنهم يريدون العمرة وكان خروجهم في رجب، ووجه عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان بخبرهم رسولاً سار إحدى وعشرين ليلة وساروا المنازل حتى نزلوا بذي خشب، فقال عثمان: هؤلاء يظهرون أنهم يريدون العمرة ووالله ما يريدون إلا الفتنة لقد طال على الناس عمري ولئن فارقتهم ليتمنون يوماً من أيامي. فأتى عثمان علياً في منزله فقال له يا ابن عم إن قرابتي قريبة وحقي عظيم والقوم فيما بلغني على أن يصبحوني ليقتلوني وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً وأنهم يسمعون منك فأحب أن تركب إليهم فتردهم على أن أصير إلى ما تشير به وتراه ولا أخرج عن أمرك ولا أخالفك، فركب علي ومعه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أبو الأعور وأبو الجهم ابن حذيفة العدوي وجبر بن مطعم وحكيم بن حزام وسعيد بن العاص وعبد الرحمن

ابن عتاب بن أسيد ومن الأنصار أبو حميد الساعدي وأبو أسيد الساعدي وزيد بن ثابت وكعب بن مالك ومحمد بن مسلمة، وقال بعضهم: إن عمار بن ياسر كان معهم، فكلمهم علي ومحمد بن مسلمة حتى انصرفوا راجعين إلى مصر ثم لم ينشبوا أن رجعوا وادعوا أموراً فأقسم عثمان أنه لم يفعلها.

وحدثني بكر بن الهيثم: حدثني إسماعيل بن عبد الكريم من آل منبه اليماني حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، أن الناس كانوا يأتون علياً لسابقته وقرابته وفضله لا أنه أراد ذلك منهم. وكان مروان يأتي عثمان فيخبره أنه يؤلب الناس عليه ويَغْصِب كل شيء يكون من أهل مصر وغيرهم به وأبلغه عنه أن قوماً قدموا من مصر فاستقل عدتهم فقال لهم: إرجعوا فتأهبوا فإني باعث إلى العراق من يأتيني من أهله بجيش يبطل الله به هذه السيرة الجائرة ويريح من مروان وذويه، فقال عثمان: اللهم إن علياً أبى إلا حب الإمارة فلا تبارك له فيها.

محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جريج وداود بن عبد الرحمن العطار عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله، أن المصريين لما نزلوا بذي خشب بعث عثمان إليهم محمد بن مسلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم فلم يزل بهم حتى رجعوا فرأوا بعيراً عليه ميسم الصدقة وعليه غلام لعثمان فوجدوا معه كتاباً أن اقتل فلاناً وفلاناً فرجعوا فحصروه.

وروى أبو مخنف أن المصريين وردوا المدينة فأحاطوا وغيرهم بدار عثمان في المرة الأولى، فأشرف عليهم عثمان فقال: أيها الناس ما الذي نقمتم عليّ فإني معتبكم ونازل عند محبتكم؟ فقالوا: زدت في الحمى لإبل الصدقة على ما حمى عمر، فقال: إنها زادت في ولايتي، قالوا: أحرقت كتاب الله، قال: اختلف الناس في القراءة فقال: هذا قرآني خير من قرآنك وقال: هذا قرآني خير من قرآنك، وكان حذيفة أول من أنكر ذلك وأنهاه إليّ، فجمعت الناس على القراءة التي كتبت بين يدي رسول الله (ﷺ) قالوا: فلم أحرقت المصاحف أما كان فيها ما يوافق هذه القراءة التي جمعت الناس عليها فهلا تركت المصاحف بحالها؟ قال: أردت أن لا يبقى شيء إلا ما كتب بين يدي رسول الله (ﷺ) وثبت في الصحف التي كانت عند حفصة زوج رسول الله (ﷺ) وأنا استغفر الله، قالوا: فإنك لم تشهد بدراً، قال: خلفني رسول الله (ﷺ) على ابنته، قالوا: لم تشهد بيعة الرضوان، قال: بعثني رسول الله (ﷺ) إلى مكة فصفق عني بيده وشمال رسول الله (ﷺ) خير من يميني، قالوا: فررت من الزحف، قال: فإن الله قد عفا عن ذلك، قالوا: سيرت خيارنا وضربت إيسارنا ووليت علينا سفهاء أهل بيتك، قال: إنما سيرت من سيرت مخافة

الفتنة، فمن مات منهم فارضوا بالله حكماً بيني وبينه ومن بقي منهم فردوه واقتصوا مني لمن ضربت وأما عمالي فمن شئتم عزله فاعزلوه ومن رأيتم إقراره فأقروه، قالوا: فمال الله الذي أعطيت قرابتك، قال: اكتبوا به عليّ للمسلمين صكاً لأعجّل منه ما قدرت على تعجيله وأسعى في باقيه، إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث زنى بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو أن يقتل رجل رجلاً فيقتل به ووالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ولا قتلت نفساً بغير حقها ولا ابتغيت بديني بدلاً مذ هداني الله للإسلام ولا ولله ما وضعت يدي على عورتي مذ بايعت رسول الله (ﷺ) إكراماً ليده.

فلما قال هذه المقالة كسر حلماءهم عنه ونصب له كنانة بن بشر التجيبي وعروة بن شييم فأقبلا لا يقلعان ولا يكفان عنه، وأتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له دعني آت القوم فأنظر ما يريدون، فمضى نحوهم فلما دنا منهم صاحوا به: يا أعور وراءك، يا فاجر وراءك، يا فاسق وراءك، فرجع. ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال له: ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبى مما ساءهم، فلما دنا منهم سلم فقالوا: لا سلّم الله عليك، إرجع يا عدو الله، إرجع يا ابن النابغة فلست عندنا بأمين ولا مأمون، فقال له ابن عمر وغيره ليس لهم إلا علي بن أبي طالب، فلما أتاه قال: يا أبا الحسن ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، قال: نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنك تفي لهم بكل ما أضمنه عنك، قال: نعم، فأخذ علي عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ، وخرج إلى القوم فقالوا وراءك، قال لا بل أمامي تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم، فعرض عليهم ما بذل عثمان، فقالوا: أتضمن ذلك عنه، قال: نعم، قالوا: رضينا وأقبل وجوههم وأشرافهم مع علي حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه فأعتبهم من كل شيء، فقالوا: أكتب بهذا كتاباً فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين، أن لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه يعطى المحروم ويؤمن الخائف ويرد المنفي ولا تجمر البعوث ويوفر الفيء، وعلي بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب، شهد الزبير ابن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن مالك بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وزيد بن ثابت وسهل بن حُنيف وأبو أيوب خالد بن زيد، وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا.

وقال علي بن أبي طالب لعثمان: أخرج فتكلم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه

عنك وأشهد الله على ما في قلبك فإن البلاد قد تمخضت عليك ولا تأمن أن يأتي ركب آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول يا علي إركب إليهم فإن لم أفعل قلت قطع رحمي واستخف بحقي. فخرج عثمان فخطب الناس فأقر بما فعل واستغفر الله منه وقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من زل فليُنب فأنا أول من اتعظ فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليردوني برأيهم فوالله لو ردني إلى الحق عبد لاتبعته وما عن الله مذهب إلا إليه، فسر الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه، فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال شاهت وجوهكم ما اجتماعكم أمير المؤمنين مشغول عنكم فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه فانصرفوا. وبلغ علياً الخبر فأتى عثمان وهو مغضب فقال أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بإفساد دينك وخديعتك عن عقلك وإني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، وقالت له امرأته نائلة بنت الفرافصة: قد سمعت قول علي بن أبي طالب في مروان وقد أخبرك أنه غير عائد إليك. وقد أطعت مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة. فبعث إلى علي فلم يأته.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال: سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ذكر مروان فقال: قبحه الله خرج عثمان على الناس فأعطاهم الرضى وبكى على المنبر حتى استهلت دموعه فلم يزل مروان يفتله في الذروة والغارب حتى لفته عن رأيه، قال وجئت إلى علي فأجده بين القبر والمنبر ومعه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان صنع مروان بالناس، قلت نعم.

قال أبو مخنف: لما شخص المصريون بعد الكتاب الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلة أو بمنزل قبلها رأوا راكباً خلفهم يريد مصر، فقالوا له: من أنت؟ قال رسول أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد وأنا غلام أمير المؤمنين وكان أسود، فقال بعضهم لبعض: لو أنزلناه ففتشناه ألا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً: فقال بعضهم لبعض: خلوا سبيله فقال كنانة بن بشر أما والله دون أن أنظر في إداوته فلا، فقالوا سبحان الله أيكون كتاب في ماء، فقال: إن للناس حيلاً ثم حل الإداوة فإذا فيها قارورة مختومة، أو قال مضمومة، في جوف القارورة كتاب في أنبوب من رصاص فأخرجه فقرئ فإذا فيه: أما بعد فإذا قدم عليك عمرو ابن بديل فاضرب عنقه وأقطع يدي ابن عديس وكنانة وعروة ثم دعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا ثم أوثقهم على جذوع النخل، فيقال: إن مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان. فلما عرفوا ما في الكتاب قالوا عثمان مُحلّ ثم رجعوا عودهم على بدئهم حتى دخلوا المدينة فلقوا علياً بالكتاب وكان خاتمه من رصاص

فدخل به عليّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه وقال: أما الخط فخط كاتبي وأما الخاتم فعلى خاتمي، قال علي: ومن تتهم؟ قال أتهمك وأتهم كاتبي، فخرج علي مغضباً وهو يقول: بل هو أمرك. قال أبو مخنف: وكان خاتم عثمان بدءاً عند حمران بن أبان ثم أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه.

وجاء المصريون إلى دار عثمان فأحدقوا بها وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم: يا عثمان أهذا كتابك؟ فجمد وحلف، فقالوا: هذا شر، يكتب عنك بما لا تعلمه، ما مثلك يلي أمور المسلمين فاختلع من الخلافة، فقال: ما كنت لأنزع قميصاً قمصنيه الله أو قال سربلنيه الله.

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر، والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سلومن غويتن، ٢ج في٤ (القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠)، ج٥، ص ٥٩ ـ ٦٦).

معاوية بن يزيد:

وأما معاوية بن يزيد فولاه أبوه يزيد عهده في صحته، ويقال: بايع له حين احتضر فلما مات يزيد بايع الناس معاوية وأتته بيعة الآفاق إلا ما كان من ابن الزبير، فولي ثلاثة أشهر ويقال أربعين يوماً ويقال عشرين يوماً، ولم يزل في أيامه مريضاً. وكان الضحاك بن قيس يصلي بالناس فلما ثقل قيل له: لو عهدت عهداً، فقال: والله ما نفعتني حياً أفأتحملها ميتاً والله لا يذهب بنو أمية بحلاوتها القليلة وأتحمل مرارتها الطويلة، وإذا مت فليصلّ عليّ الوليد بن عتبة وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختاروا لأنفسهم رجلاً مريضاً عندهم. فلما مات صلى عليه الوليد، وقام مروان بن الحكم على قبره فقال: أتدرون من دفنتم؟ قالوا: نعم معاوية ابن يزيد، قال: بل دفنتم أبا ليلى، يستضعفه، وكانوا يكنون كل ضعيف أبا ليلى. فقال بعض بني فزارة:

لا تخدعن فإن الأمر مختلفٌ والملكُ بعد أبي ليلى لمن غلبا

وقام الضحاك بأمر الناس بدمشق، ولم يعزل معاوية بن يزيد أحداً من عمال أبيه، ولا حرك شيئاً ولا أمر ولا نهى، وكان موته سنة أربع وستين وهو ابن تسع عشرة سنة ويقال ابن عشرين ويقال ابن ثماني عشرة سنة ويقال ابن إحدى وعشرين سنة، ودفن بدمشق.

وحدثت عن ابن الكلبي أنه قال: ولي أبو ليلى معاوية بن يزيد أربعين يوماً

وتوفي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً.

حدثني هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد حدثني زيد بن واقد قال: مرض يزيد بن معاوية بعد ولايته الأمر بسنتين من كبده فلما برئ واستقل قال لحسان بن مالك بن بحدل إني أريد البيعة لمعاوية بن يزيد، قال: فافعل فدعاه يزيد فعانقه بولاية العهد وبايع له حسان بن مالك والناس. وكان معاوية ركيكاً ليناً فكني أبا ليلى، وهي كنية كل ضعيف. قال هاشم بن عمار: وسمعت الوليد بن مسلم يقول: كانت أم معاوية بن يزيد، وهي أم هاشم بنت أبي هشام بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس امرأة برزة عاقلة فدعا يزيد يوماً بمعاوية بن يزيد وأمه حاضرة فأمره بأمر فلما ولى قالت له: لا وليت معاوية عهدك، فقال: افعل وناظر حسان بن مالك بن بحدل الكلبي في أمره فشجعه على البيعة له، فأحضر الناس وأعلمهم أنه قد ولاه الخلافة بعده، فبايع له ابن بحدل والناس، فلما مات يزيد بحوّارين بويع لمعاوية بالخلافة وهو كاره. وكان سبب موت يزيد أنه ركّض فرساً فسقط عنه وأنه أصابه قطع، ويقال إن عنقه اندقت. وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي [حدثني وهب بن جرير حدثنا أبي]: أن يزيد بن معاوية كان استخلف معاوية بن يزيد فولي شهرين أو أربعين ليلة ثم مات، فلما حضرته الوفاة قيل له: لو استخلفت فقال: كفيتها حياتي وأتضمنها بعد موتي، فأبى وقال: وكان فتى لا بأس به ومات وله تسع عشرة سنة.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه، قال: كان معاوية كارهاً للخلافة، وكان يكني أبا عبد الرحمن بكنية جده، ومات ابن ثلاث وعشرين ودفن في مقبرة باب الصغير بدمشق.

حدثني محمد بن يزيد الرفاعي، حدثني عمي كثير بن محمد عن ابن عياش الهمداني عن أبي أسماء السكسكي قال: كان معاوية بن يزيد يظهر التأله وكان ضعيفاً في أمر دنياه فكني أبا ليلى، فلما أفضى الأمر إليه قام خطيباً فقال: أيها الناس إن يكن هذا الأمر خيراً فقد استكثر منه آل أبي سفيان وإن يكن شراً فما أولاهم بتركه، والله ما أحب أن أذهب إلى الآخرة وأدع لهم الدنيا، ألا فليصل بكم حسان بن مالك وتشاوروا في أمركم، عزم الله لكم على الرشد والخيرة في قضائه، ثم نزل فأغلق بابه وتمارض فلم ينظر في شيء حتى مات، وصلى حسان بالناس وهم منكرون لأمرهم حتى ولى ابن الزبير الضحاك بن قيس فبايعوه له، وإن حسان ولي حد الأردن فأقام هناك.

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال: دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له: أعطيت من نفسك ما يعطي الذليل الهين، ثم رفع صوته

فقال: من أراد أن ينظر في خلافة آل حرب بن أمية فلينظر إلى هذا، فقال له معاوية: يا ابن الزرقاء أخرج عني لا قبل الله لك عذراً يوم تلقاه.

وحدثني محمد بن مصفّى الحمصي قال: سمعت مشايخ من مشايخنا يقولون إن معاوية بن يزيد بن معاوية قبل البيعة وهو لها كاره، فلما مات أبوه أنفذت كتب بيعته إلى الآفاق فلم يرجع الجواب حتى مات. وكان فتى صالحاً كثير الفكر في أمر معاده.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: ولّى يزيد بن معاوية معاوية بن يزيد ابنه الخلافة بعده وكان كارهاً لها، فلما مات أبوه خطب الناس فقال: إن كانت الخلافة خيراً فقد استكثر آل أبي سفيان منه وإن كان شراً فلا حاجة لنا فيه، فاختاروا لأنفسكم إماماً تبايعوه هو أحرص على هذا الأمر مني واخلعوني فأنتم في حل من بيعتي، فقالت له أمه أم هشام: لوددت يا بني أنك كنت نسياً منسياً وأنك لم تضعف هذا الضعف، فقال: وددت والله أني كنت نسياً منسياً ولم أسمع بذكر جهنم، فلما احتضر قيل له: لو بايعت لأخيك خالد بن يزيد فإنه أخوك لأبيك وأمك فقال: يا سبحان الله كفيتها حياتي وأتقلدها بعد موتي، يا حسان بن مالك أضبط ما قبلك وصلّ بالناس إلى أن ترضى المسلمون بإمام يجتمعون عليه.

وحدثني هشام بن عمار حدثني اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن مولى لمعاوية بنحوه، وزاد فيه: فلما مات معاوية مال أكثر الناس إلى ابن الزبير وقالوا: هو رجل كامل السن وقد نصر أمير المؤمنين عثمان وهو ابن حواري رسول الله (ﷺ) وأمه بنت أبي بكر بن أبي قحافة وله فضل في نفسه ليس لغيره، فما هو إلا أن ورد كتاب ابن الزبير بتولية الضحاك بن قيس دمشق حتى سارعوا إلى طاعة ابن الزبير وبيعته فأخذها الضحاك عليهم وانخذل ابن بحدل إلى فلسطين فأقام بها ينتظر ما يكون وهو في ذلك يدعو إلى خالد بن يزيد ويذكره، وكانت فلسطين والأردن في يده من قبل يزيد بن معاوية ثم بقي عليهما وعماله فيهما. قال المدائني: كان اسم أم معاوية وخالد ابني يزيد فاختة، وكنيت أم هاشم ثم كناها يزيد أم خالد بخالد ابنها ولقبت حبة.

(المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٢ ـ ٦٥).

فتح مدينة دمشق وأراضيها:

قالوا: لما فرغ المسلمون من قتال من اجتمع لهم بالمرج أقاموا خمس عشرة ليلة

ثم رجعوا إلى مدينة دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ١٤هـ، فأخذوا الغوطة وكنائسها عنوة وتحصن أهل المدينة وأغلقوا بابها فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي في زهاء خمسة آلاف ضمهم إليه أبو عبيدة، وقوم يقولون إن خالداً كان أميراً وإنما أتاه عزله وهم محاصرون دمشق، سمي الدير الذي نزل عنده خالد دير خالد، ونزل عمرو بن العاص على باب توما، ونزل شرحبيل على باب الفراديس، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية، ونزل يزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير إلى الباب الذي يعرف بكيسان. وجعل أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي على مسلحة ببرزة. وكان الأسقف الذي أقام لخالد النزل في بدأته ربما وقف على السور فدعا له خالداً فإذا أتى سلم عليه وحادثه، فقال له ذات يوم: يا أبا سليمان إن أمركم مقبل ولي عليك عدة فصالحني عن هذه المدينة. فدعا خالد بدواة وقرطاس فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله (ﷺ) والخلفاء والمؤمنين لا يعرف لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية.

ثم إن بعض أصحاب الأسقف أتى خالداً في ليلة من الليالي فأعلمه أنها ليلة عيد لأهل المدينة وأنهم في شغل وأن الباب الشرقي قد ردم بالحجارة وترك، وأشار عليه أن يلتمس سلماً، فأتاه قوم من أهل الدير الذي عنده عسكره بسلّمين فرقى جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلى السور ونزلوا إلى الباب وليس عليه إلا رجل أو رجلان فتعاونوا عليه وفتحوه وذلك عند طلوع الشمس. وقد كان أبو عبيدة عانى فتح باب الجابية وأصعد جماعة من المسلمين على حائطه، فانصب مقاتلة الروم إلى ناحيته فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ثم إنهم ولوا مدبرين، وفتح أبو عبيدة والمسلمون معه باب الجابية عنوة ودخلوا منه فالتقى أبو عبيدة وخالد بن الوليد بالمسلاط وهو موضع النحاسين بدمشق، وهو البريص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول:

يسقون من وَرَدِ البريص عليهم [بردى يصفّق بالرحيق السلسل]

وقد روي أن الروم أخرجوا ميتاً لهم من باب الجابية ليلاً وقد أحاط بجنازته خلق من شجعانهم وكماتهم وانصب سائرهم إلى الباب فوقفوا عليه ليمنعوا المسلمين من فتحه ودخوله إلى رجوع أصحابهم من دفن الميت وطمعوا في غفلة المسلمين عنهم وأن المسلمين نذروا بهم فقاتلوهم على الباب أشد قتال وأبرحه حتى فتحوه في

وقت طلوع الشمس. فلما رأى الأسقف أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة بادر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي فدخل والأسقف معه ناشراً كتابه الذي كتبه له، فقال بعض المسلمين والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه، فقال أبو عبيدة: إنه يجوز على المسلمين أدناهم. وأجاز صلحه وأمضاه ولم يلتفت إلى ما فتح عنوة فصارت دمشق صلحاً كلها. وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر وأنفذه، وفتحت أبواب المدينة فالتقى القوم جميعاً. وفي رواية أبي مخنف وغيره أن خالداً دخل دمشق بقتال وأن أبا عبيدة دخلها بصلح فالتقيا بالزياتين، والخبر الأول أثبت.

وزعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم. وقال محمد بن سعد قال أبو عبد الله الواقدي: قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس، وقد روي ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بأنطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون. وقد روى قوم أن أبا عبيدة كان بالباب الشرقي وأن خالداً كان بباب الجابية، وهذا غلط.. قال الواقدي: وكان فتح مدينة دمشق في رجب سنة ١٤ وتاريخ كتاب خالد بصلحها في شهر ربيع الآخر سنة ١٥، وذلك أن خالداً كتب الكتاب بغير تاريخ فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمع لهم باليرموك أتى الأسقف خالداً فسأله أن يجدد له كتاباً ويشهد عليه أبا عبيدة والمسلمين ففعل وأثبت في الكتاب شهادة أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وغيرهم فأرخه بالوقت الذي جدده.

وحدثني القاسم بن سلام قال حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي قال: دخل يزيد مدينة دمشق من الباب الشرقي صلحاً فالتقيا بالفسطاط فأمضيت كلها على الصلح. وحدثني القاسم قال حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبي المهلب الصنعاني عن أبي الأشعث الصنعاني أو أبي عثمان الصنعاني: أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر.

حدثني أبو عبيدة قال حدثنا نعيم بن حماد عن ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبي سلمة قال: خاصم حسان بن مالك عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان رجل من الأمراء أقطعه إياها، فقال عمر: إن كانت من الخمس العشرة الكنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك عليها. قال ضمرة عن علي بن أبي حرملة: خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان فلان قطعها لبني نصر بدمشق فأخرجنا عمر عنها وردها إلى النصارى، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ردها إلى بني نصر.

حدثني أبو عبيد قال حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي أنه قال: كانت الجزية بالشام في بدء الأمر جريباً وديناراً على كل جمجمة، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً وجعلهم طبقات لغنى الغني وإقلال المقل وتوسط المتوسط.

قال هشام: وسمعت مشايخنا يذكرون أن اليهود كانوا كالذمة للنصارى يؤدون إليه الخراج فدخلوا معهم في الصلح. وقد ذكر بعض الرواة أن خالد بن الوليد صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كل رجل من الجزية ديناراً وجريب حنطة وخلاً وزيتاً لقوت المسلمين. [حدثنا عمرو الناقد قال حدثنا عبد الله بن وهب المصري عن عمرو بن محمد عن نافع عن أسلم مولى عمر بن الخطاب]: أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى وأن يجعلوها على أهل الورق على كل رجل أربعين درهماً وعلى أهل الذهب أربعة دنانير وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدا حنطة وثلاثة أقساط زيتاً كل شهر لكل إنسان بالشام والجزيرة، وجعل عليهم ودكاً وعسلاً لا أدري كم هو، وجعل لكل إنسان بمصر في كل شهر أردباً وكسوة وضيافة ثلاثة أيام.

وحدثنا عمرو بن حماد بن أبي حنيفة، قال حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن أسلم: أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام. وحدثني مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله.

قالوا: ولما ولي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبد الملك بن مروان في أيامه للزيادة في المسجد وبذل لهم مالاً فأبوا أن يسلموها إليه. ثم إن الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيامه وبذل لهم مالاً عظيماً على أن يعطوه إياها فأبوا فقال: لئن لم تفعلوا لأهدمنها، فقال بعضهم يا أمير المؤمنين إن من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة فأحفظه قوله ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده وعليه قباء خز أصفر ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدموها وأدخلها المسجد، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكى النصارى إليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم، فكره أهل دمشق ذلك وقالوا نهدم مسجدنا بعد أن أذّنا فيه وصلينا ويردّ بيعه، وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء. وأقبلوا على النصارى فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت في أيدي المسلمين على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة

بها فرضوا بذلك وأعجبهم، فكتب به إلى عمر فسره وأمضاه. وبمسجد دمشق في الرواق مما يلي المئذنة كتاب في رخامة بقرب السقف: مما أمر بنيانه أمير المؤمنين الوليد سنة ٨٦هـ. وسمعت هشام بن عمار يقول: لم يزل سور مدينة دمشق قائماً حتى هدمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بعد انقضاء أمر مروان وبني أمية.

وحدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن مؤذن مسجد دمشق وغيره قالوا: لما اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بصرى ففتحوها صلحاً وانبثوا في أرض حوران جميعاً فغلبوا عليها، وأتاهم صاحب أذرعات فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بصرى على أن جميع أرض البثنية أرض خراج فأجابوهم إلى ذلك ومضى يزيد بن أبي سفيان حتى دخلها وعقد لأهلها.

وكان المسلمون يتصرفون بكور حوران والبثنية ثم مضوا إلى فلسطين والأردن وغزوا ما لم يكن فتح، وسار يزيد إلى عمّان ففتحها فتحاً يسيراً بصلح على مثل صلح بصرى، وغلب على أرض البلقاء، وولى أبو عبيدة وقد فتح هذا كله، فكان أمير الناس حين فتحت دمشق، إلا أن الصلح كان لخالد وأجاز صلحه. وتوجه يزيد بن أبي سفيان في ولاية أبي عبيدة ففتح عرندل صلحاً وغلب على أرض الشراة وجبالها. قال: وقال سعيد بن عبد العزيز أخبرني الوضين أن يزيداً أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وهي سواحل وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها، وتولى فتح عرقة معاوية نفسه في ولاية يزيد. ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفان فقصد لهم معاوية حتى فتحها ثم رمّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع.

قالوا فلما استخلف عثمان وولي معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلى اطرابُلُس وهي ثلاث مدن مجتمعة فبنى في مرج على أميال منها حصناً سمي حصن سفيان وقطع المارة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث إليهم مراكب يهربون منها إلى ما قبله فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا، فلما أصبح سفيان وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ثم يغدو على العدو، وجد الحصن الذي كانوا فيه خالياً فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود، وهو الذي فيه المينا اليوم. ثم إن عبد الملك بناه بعد وحصنه...

وقال علي بن محمد المدائني: قال عتاب بن إبراهيم: فتح اطرابلس سفيان بن مجيب ثم نقض أهلها أيام عبد الملك ففتحها الوليد في زمانه، وحدثني أبو حفص

الشامي عن سعيد عن الوضين قال: كان يزيد بن أبي سفيان وجه معاوية إلى سواحل دمشق سوى اطرابلس فإنه لم يكن يطمع فيها فكان يقيم على الحصن اليومين والأيام اليسيرة فربما قوتل قتالاً غير شديد وربما رمى ففتحها. قال: وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر ما يحتاج لها إليه من المسلمين فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا إليها الأمداد، فلما استخلف عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها وإقطاع من ينزله إياها القطائع، ففعل.

وحدثني أبو حفص سعيد بن عبد العزيز قال: أدركت الناس وهم يتحدثون أن معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل، فكتب إليه في مرمّة حصونها وترتيب المقاتلة فيها وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها ولم يأذن له في الغزو بحراً وأمره أن يعد في السواحل إذا غزا أو أغزا جيوشاً سوى من فيها من الرتب وأن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ويبني المساجد ويكبّر ما كان ابتنى منها قبل خلافته. قال الوضين: ثم إن الناس بعد انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية. . .

(أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **كتاب فتوح البلدان**، تحرير م. ج. دوغويه (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٦٦)، ص ٢٠ ـ ٢٨).

ذكر تمصير الكوفة:

حدثني محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر الواقدي عبد الحميد بن جعفر وغيره: إن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيرواناً وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً، فأتى الأنبار وأراد أن يتخذها منزلاً فكثر على الناس الذباب فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح فتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل وأنزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها وذلك في سنة ١٧هـ.

وحدثني علي بن المغيرة الأثرم قال حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أشياخه قال وأخبرني هشام بن الكلبي عن أبيه ومشايخ الكوفيين قالوا لما فرغ سعد ابن أبي وقاص من وقعة القادسية وجّه إلى المدائن فصالح أهل الرومية وبهرسير ثم افتتح المدائن وأخذ أسبانبر وكرد بندار عنوة فأنزلها جندها فاحتووها، فكتب إلى سعد أن حوّلهم فحوّلهم إلى سوق حكمة وبعضهم يقول حوّلهم إلى كويفة دون الكوفة. قال الأثرم وقد قيل التكوف الاجتماع، وقيل أيضاً أن المواضع المستديرة من

الرمل تسمى كوفاين، وبعضهم يسمي الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة. قالوا: فأصابهم البعوض، فكتب سعد إلى عمر يعلمه أن الناس قد بعضوا وتأذوا بذلك، فكتب إلى عمر: إن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل فارتد لهم موضعاً عدناً ولا تجعل بيني وبينهم بحراً. وولى الاختطاط للناس أبا الهياج الأسدي عمرو بن مالك بن جنادة. ثم إن عبد المسيح بن بقيلة لقي سعداً وقال له أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المباق، فدله على موضع الكوفة اليوم وكان يقال له سورستان. فلما انتهى إلى موضع مسجدها أمر رجلاً فعلا بسهم قبل مهب القبلة فأعلم على موقعه، ثم علا بسهم آخر مهب الشمال وأعلم على موقعه، ثم علا بسهم قبل مهب الجنوب وأعلم على موقعه، ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فأعلم على موقعه، ثم وضع مسجدها ودار إمارتها في مقام العالي وما حوله وأسهم لنزار وأهل اليمن بسهمين على أنه من خرج بسهمه أولاً فله الجانب الأيسر وهو خيرهما فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات، وترك ما دونها فناء للمسجد ودار الإمارة. ثم إن المغيرة بن شعبة وسعه وبناه زياد فأحكمه وبنى دار الإمارة، وكان زياد يقول أنفقت على كل أسطوانة من أساطين مسجد الكوفة ثماني عشرة مائة. وبنى فيها عمرو بن حريث المخزومي بناء وكان زياد يستخلفه على الكوفة إذا شخص إلى البصرة، ثم بنى العمال فيها فضيقوا رحابها وأفنيتها...

[وحدثني وهب بن بقية الواسطي قال: حدثنا يزيد بن هارون عن داود بن أبي هند] عن الشعبي قال: كنا [يعني أهل اليمن] اثني عشر ألفاً وكانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة، وخرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هي.

وحدثني علي بن محمد المدائني، عن مسلمة بن محارب وغيره قالوا: زار المغيرة في مسجد الكوفة وبناه ثم زاد فيه زياد. وكان سبب إلقاء الحصى فيه وفي مسجد البصرة أن الناس كانوا يصلون فيه فإذا رفعوا أيديهم وقد تربت نفضوها، فقال زياد ما أخوفني أن يظن الناس على غابر الأيام أن نفض الأيدي سنة في الصلاة، فزاد في المسجد ووسعه وأمر بالحصى فجمع وألقي في صحن المسجد، وكان الموكلون بجمعه يتعنتون الناس ويقولون لمن وظفوه عليه إيتونا به على ما نريكم وانتقوا منه ضروباً اختاروها فكانوا يطلبون ما أشبهها فأصابوا مالاً فقيل حبذا الإمارة ولو على الحجارة. وقال أبو عبيدة: وكان تكويف الكوفة في سنة ١٨هـ قال: وكان زياد اتخذ في مسجد الكوفة مقصورة ثم جددها خالد بن عبد الله القسري.

[وحدثني حفص بن عمر العمري قال حدثني] الهيثم بن عدي الطائي قال: أقام المسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها، ثم إن المسلمين استوخموها واستوبؤوها فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر فكتب إليه عمر أن تنزلهم منزلاً غربياً فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فإذا الماء محيط بها فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر، وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزام والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق، فاختطوها. وحدثني شيخ من الكوفيين أن ما بين الكوفة والحيرة كان يسمّى الملطاط.

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف عن محمد بن إسحق قال: اتخذ سعد بن أبي وقاص باباً مبوّباً من خشب وخصّ على قصره خُصاً من قصب فبعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة الأنصاري حتى أحرق الباب والخص وأقام سعداً في مساجد الكوفة فلم يقل فيه إلا خيراً. وحدثني العباس بن الوليد النرسي وإبراهيم العلاّف البصري قالوا: حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة: أن أهل الكوفة سعوا بسعد بن أبي وقاص إلى عمر وقالوا: إنه لا يحسن الصلاة، فقال سعد: أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله (ﷺ) لا أخرم عنها، أركد في الأولتين وأحذف في الآخرتين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا أسحق، فأرسل عمر رجالاً يسألون عنه بالكوفة فجعلوا لا يأتون مسجداً من مساجدها إلا قالوا خيراً وأَثْنَوا معروفاً حتى أتوا مسجداً من مساجد بني عبس فقال رجل منهم يقال له أبو سعدة: أما إذا سألتمونا عنه فإنه كان لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية، قال فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدم فقره واعم بصره وعرضه للفتن، قال عبد الملك فإذا رأيته بعد يتعرّض للأماء في السلك، فإذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة قال: كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قال العباس النرسي في غير هذا الحديث إن سعداً قال لأهل الكوفة: اللهم لا تُرضِ عنهم أميراً ولا تُرضِهم بأمير. وحدثني العباس النرسي قال: بلغني أن المختار بن أبي عبيد أو غيره قال: حبّ أهل الكوفة شرف، وبغضُهم تلف.

قال [الشعبي]: وعزل عمر سعداً وولّى عمار بن ياسر فشكوه، وقالوا: ضعيف لا علم له بالسياسة فعزله وكانت ولايته الكوفة سنة وتسعة أشهر. فقال عمر: من عذيري من أهل الكوفة، إن استعملت عليهم القوي فجّروه وإن وليت عليهم الضعيف حقّروه، ثم دعا المغيرة بن شعبة فقال: إن وليتك الكوفة أتعود إلى شيء مما قرفت به؟ قال: لا، وكان المغيرة حين فتحت القادسية صار إلى المدينة، فولاه عمر الكوفة فلم يزد عليها حتى توفّي عمر، ثم إن عثمان بن عفان ولاّها سعداً ثم عزل وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، فلما قدم

عليه قال له سعد: إما أن تكون كست بعدي أو أكون حمقت بعدك. ثم عزل الوليد وولى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية.

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن بعض الكوفيين قال: سمعت مسعر بن كدام تحدث قال: كان مع رستم يوم القادسية أربعة آلاف يسمون جند شهانشاه فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبّوا ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم في العطاء فأعطوا الذي سألوه وحالفوا زهرة بن حويّة السعدي من بني تميم وأنزلهم سعد بحيث اختاروا وفرض لهم في ألف ألف وكان لهم نقيب منهم يقال له ديلم فقيل حمراء ديلم. ثم إن زياداً سيّر بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية فهم بها يدعون الفرس وسيّر منهم قوماً إلى البصرة فدخلوا في الأساورة الذين بها. قال أبو مسعود والعرب تسمى العجم الحمراء ويقولون جئت من حمراء ديلم كقولهم جئت من جهينة وأشباه ذلك. قال أبو مسعود: وسمعت من يذكر أن هؤلاء الأساورة كانوا مقيمين بإزاء الديلم فلما غشيهم المسلمون بقزوين أسلموا على مثل ما أسلم أساورة البصرة وأتوا الكوفة فأقاموا بها. وحدثني المدائني قال: كان أبرويز وجّه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف وكانوا خدمه وخاصته ثم كانوا على تلك المنزلة بعده وشهدوا القادسية مع رستم فلما قتل وانهزم المجوس اعتزلوا وقالوا: ما نحن كهؤلاء ولا لنا ملجأ وأثرنا عندهم غير جميل والرأي لنا أن ندخل معهم في دينهم فنعزّ بهم فاعتزلوا، فقال سعد: ما لهؤلاء؟ فأتاهم المغيرة بن شعبة، فسألهم عن أمرهم فأخبروه بخبرهم وقالوا ندخل في دينكم فرجع إلى سعد فأخبره فأمنهم فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد وشهدوا فتح جلولاء ثم تحولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين.

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: جبّانة السَّبيع نسبت إلى ولد السَّبيع ابن سَبُع بن صَعب الهمداني وصحراء أثير نسبت إلى رجل من بني أسد يقال له أثير، ودكّان عبد الحميد نسب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل عمر بن عبد العزيز على الكوفة... قال: وكانت دار الروميين مزبلة لأهل الكوفة تطرح فيها القمامات والكساحات حتى استقطعها عنبسة بن سعيد بن العاص من يزيد بن عبد الملك فأقطعه إياها فنقل ترابها بمائة وخمسين ألف درهم. وقال أبو مسعود سوق يوسف بالحيرة نسب إلى يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل، وهو عامل هشام على العراق. وأخبرني أبو الحسن علي بن محمد وأبو مسعود قالا: حمّام أَعْيَن نسب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص، وأعين هذا هو الذي أرسله الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن الجارود العبدي من رستقاباذ حين خالف وتابعه الناس على إخراج الحجاج من العراق ومسألة عبد الملك تولية غيره، فقال له حين أدى الرسالة: لولا

أنك رسول لقتلتك. قال أبو مسعود: وسمعت أن الحمّام قبله كان لرجل من العباد يقال له جابر أخو حيان الذي ذكره الأعشى، وهو صاحب مسناة جابر بالحيرة فابتاعه من ورثته. وقال ابن الكلبي: وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الأزد من بني عمرو بن مازن من الأزد وهم من غسان، قال وحمام عمر نسب إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص. قالوا: وشهار سوج بجيلة بالكوفة إنما نسب إلى بني بَجلة وهم ولد مالك بن ثعلبة بن يُهنة بن سليم بن منصور، وبجلة أمهم وهي غالبة على نسبهم فغلط الناس فقالوا بجيلة. وجبّانة عوزم نسبت إلى رجل يقال له عوزم، وكان يضرب فيها اللبن ولبنها رديء فيه قصب وخزف فربما وقع الحريق فيها فاحترقت الحيطان. . . وجبانة بشر نسبت إلى بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن قمير الخثعمي الذي يقول:

تَحِنّ بباب القادسية ناقتي وسعد بن وقاص عليَّ أمير

قال أبو مسعود: وكان بالكوفة موضع يعرف بعنترة الحجام وكان أسود، فلما دخل أهل خراسان الكوفة كانوا يقولون حمام عنترة فبقي الناس على ذلك، وكذلك حجّام خرج وضحّاك روّاس وبيطار حيان ويقال رستم ويقال صليب وهو بالحيرة. وقال هشام بن الكلبي نسبت زرارة إلى زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بني البكّا بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكانت منزله وأخذها منه معاوية بن أبي سفيان ثم أصفيت بعد حتى أقطعها محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي، قال: ودار حكيم بالكوفة في أصحاب الأنماط نسبت إلى حكيم بن سعد بن ثور البكّائي، وقصر مقاتل نسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن محروق أحد بني امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم قال: والسوادية بالكوفة نسبت إلى سواد بن زيد بن عدي بن زيد الشاعر العبادي وجده حماد بن زيد بن أيوب بن محروق. وقرية أبي صلابة التي على الفرات نسبت إلى صلابة بن مالك بن طارق بن جبر بن همام العبدي وأقساس مالك نسبت إلى مالك بن قيس بن عبد هند بن لجم أحد بني حذافة بن زهر بن إياد بن نزار. ودير الأعور لرجل من إياد من بني أمية ابن حذافة كان يسمى الأعور وفيه يقول أبو داؤود الإيادي:

وديرٌ يقول له الرائدو ن وَيْلُ أمْ دارُ الحذافي دارا

ودير قرّة نسب إلى قرة أحد بني أمية بن حذافة وإليهم ينسب دير السوا والسوا العدل كانوا يأتونه فيتناصفون فيه ويحلف بعضهم لبعض على الحقوق وبعض الرواة يقول السوا امرأة منهم. قال ودير الجماجم لإياد وكانت بينهم وبين بني بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وبين بني القين بن جسر بن شيع الله بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف حرب فقتل فيها من إياد خلق فلما انقضت الوقعة

دفنوا قتلاهم عند الدير، وكان الناس بعد ذلك يحفرون فخرج جماجم فسمي دير الجماجم، هذه رواية الشرقي القطامي؛ وقال محمد بن السائب الكلبي كان مالك الرماح بن محرز الإيادي قتل قوماً من الفرس ونصب جماجمهم عند الدير فسمي دير الجماجم. ويقال إن دير كعب لإياد ويقال لغيرهم. ودير هند لأم عمرو بن هند، وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وأمه كِنْدية.

قالوا: ومسجد بني عنز نسب إلى بني عنز بن وائل بن قاسط. ومسجد بني جذيمة نسب إلى جذيمة بن مالك بن نصر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان ابن أسد، ويقال إلى بني جذيمة بن رواحة العبسي، وفيه حوانيت الصيارفة. قال وبالكوفة مسجد ينسب إلى بني المقاصف بن زكوان بن زبينة بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ولم يبق منهم أحد. قال ومسجد بني بهدلة نسب إلى بني بهدلة بن المثل بن معاوية من كندة.

قال: وقصر العَدَسيين في طرف الحيرة لبني عمّار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عدس الكلبي نسبوا إلى جدّتهم عدَسة بنت مالك بن عوف الكلبي وهي أم الرمّاح والمشط ابني عامر المذمّم. وحدثني شيخ من أهل الحيرة قال: وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر أن المسجد الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم.

وحدثني أبو مسعود وغيره قال: كان خالد بن عبد الله بن أسد بن كُرْز القسري من بجيلة بنى لأمّه بيعةً هي اليوم سكة البريد بالكوفة وكانت أمه نصرانية. قال: وبنى خالد حوانيت انشأها وجعل سقوفها آزاجاً معقودة بالآجر والجص. وحفر خالد النهر الذي يعرف بالجامع واتخذ بالقرية قصراً يعرف بقصر خالد، واتخذ أخوه أسد بن عبد الله القرية التي تعرف بسوق أسد وسوقها ونقل الناس إليها فقيل سوق أسد وكان العبد الآخر صنيعة عتّاب بن ورقاء الريّاحي وكان معسكره حين شخص إلى خراسان والياً عليها عند سوقه هذا.

حدثني أبو مسعود وغيره قالوا: كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتمّ، فأتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا، فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها وأحدث فيها بناء وسمّاها الهاشمية، فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها فرفضها وبنى بحيالها المدينة الهاشمية ونزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنى بها مدينته المعروفة، فلما توفي دفن بها.

واستخلف أبو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئاً كان بقي منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد، ثم تحوّل منها إلى بغداد فبنى مدينة ومصّر بغداد وسماها مدينة السلام وأصلح سورها القديم الذي يبتدئ من دجلة وينتهي إلى الصراة.

وحدثني أبو مسعود قال: أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها وألزم كل امرئ منهم للنفقة عليه أربعين درهماً، وكان ذامّاً لهم لميلهم إلى الطالبين وإرجافهم بالسلطان.

وحدثنا الحسين قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن نافع ابن جبير بن مطعم قال، قال: عمّر بالكوفة وجوه الناس. وحدثنا الحسين وإبراهيم ابن مسلم الخوارزمي قالا: حدثنا وكيع عن يونس بن أبي إسحق عن الشعبي قال: كتب عمر إلى أهل الكوفة، إلى رأس الإسلام. وحدثنا الحسين بن الأسود قال: حدثنا وكيع عن قيس بن الربيع عن شمّر بن عطية قال: قال عمر، وذكر الكوفة فقال هم رمح الله وكنز الإيمان وجمجمة العرب يحرزون ثغورهم ويمدّون أهل الأمصار.

وحدثنا أبو نصر التمّار قال حدثنا شريك بن عبد الله بن أبي شريك العامري عن جندب عن سلمان قال: الكوفة قبّة الإسلام يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا وهو بها أو يهوى قلبه إليها.

(المصدر نفسه، ص ٢٧٥ ـ ٢٨٩).

اليَعقوبي

مقالات اليونانيين:

وكانت ملوك اليونانيين ومن ملك بعدهم من الروم مختلفة. فطائفة منهم على دين الصابئة وكانوا يسمون الحنفاء، وهم الذين يقرّون ويعترفون بخالق ويزعمون أن لهم نبياً مثل أوراني وعابيذيمون وهرمس وهو المثلّث بالنعمة، ويقال إنه إدريس النبي، وهو أول من خط بالقلم وعلّم علم النجوم، ويقولون في الخالق عز وجل على قول هرمس: إما أن يعقل الله فعسر وأن ينطق به فلا يمكن، وإن الله علة العلل المكوّن للعالم جملة واحدة.

وطائفة منهم أصحاب زينون وهم السوفسطائية، وتفسير هذا الاسم باليونانية المغالطة، وبالعربية التناقضية، يقولون: لا علم ولا معلوم، واجترحوا باختلاف الناس، وانتصاف بعضهم من بعض. وقالوا: نظرنا في قول الناس المختلفين، فوجدناها مختلفة غير مثقفة وأصبناهم في اختلافهم مجتمعين على أن الحق مؤتلف غير مختلف وأن الباطل مختلف غير مؤتلف، وكان في اجتماعهم شاهد لهم أنهم لم يعلموا بالصواب، فلما أقروا بهذا لم يعد للحق موضع يطمع في إصابته إلا في الخاصة منهم. فعلمنا أن ذلك لا يوجد إلا بأحد وجهين: إما بالتسليم للمدّعي وإما بالكشف لدعواه، فنظرنا في الدعوة فأصبنا بما يعمّهم فلم نجز تصديقهم لخلّتين: إحداهما أن يكذب بعضهم بعضاً والأخرى إجماعهم على أنهم لم يعلموا بالصواب، فلم يبق إلا كشف الدعوى ففعلنا فأصبناهما كل تكافئ وتجار بدور الغلبة عليهم جميعاً بالاستواء بينهم تقوى هذه مرة ومخالفتها أخرى، فلم نصب عند طائفة منهم فضلاً ولا تشارك فيه ولا حجة ولا تساوي بها ولا تجاري فيها. فلما أعوز وجود الحق في عامّتها وخاصّتها بالدعوة والمناظرة لم يبق للعلم موضع يوجد فيه ولا للحق مذهب يُصاب منه. فقضينا أنه لا علم ولا نعرفه؛ لأن الشيء إذا كان ثابتاً لا محالة فلا بد من الإحاطة في الاتفاق أو في الاختلاف، فلا يذكر ذاكر وهو غائب فقال

فلان غائب فأصابه فلو قال هو أو غيره فلان حاضر وليس بحاضر فخرج من الصدق ثم خالفه مخالف فقال: بل هو غائب فكان أحدهما صادقاً لا محالة لأنه لا يعدو إذا كان الشيء ثابتاً حقاً أن يكون حاضراً أو غائباً، فإذا لم يكن شيئاً فكلاهما كاذب فيما قال من أنه حاضر أو غائب لأن الحاضر شيء والغائب شيء، فإن لم يكن شيئاً فليس بحاضر ولا غائب.

واحتجوا بنحو [هذا...] آخر فقالوا إن كانت الأشياء كلها يدرك بالعلم والعلم بالعلم فإلى نهاية أو إلى لا نهاية فإن تناهى فإلى غير معلوم وما لم يكن معلوماً فهو بمجهول فأنى تعلم الأشياء بمجهول، فإن لم تتناه ولم تكن لذلك غاية فلا إحاطة به وما لم يحط به مجهول أيضاً فكان الوجهان في هذا القياس مجهولين غير معلومين فأنى يعلم شيء مجهول دون أن يعلم جميع الأشياء وذلك أبعد، وشقّقوا في هذين النوعين وكثر سعيهم وعظمت مؤنتهم.

وقالت طائفة تسمى الدهرية: لا دين ولا رب ولا رسول ولا كتاب ولا معاد ولا جزاء ولا بشر ولا ابتداء لشيء ولا انقضاء له ولا حدوث ولا عطب، وإنما حدوث ما سمّي حدثاً تركيبه بعد الافتراق وعطبه وتفريقه بعد الاجتماع وجميع الوجهين في الحقيقة حضور غائب ومغيب حاضر. وإنما سميت الدهرية لزعمها أن الإنسان لم يزل ولن يزول وأن الدهر دائر لا أول له ولا آخر، واحتجوا فيما ادعوا بأن قالوا إنما يعرف في وجود الشيء وفقده حالان لا ثالث لهما: حال الشيء فيها موجود فأنّى يحدث ما قد كان وُجد، وحال لا شيء فيها فأنّى يكون الشيء في حال لا تشبيه لها وذلك أبعد، وكذلك القول في المدعي من العطب لا يعرف غير حالين: حال الشيء فيها قائم فمحال قول من ادعى العطب للشيء في حال كونه وقيامه، وحال لا شيء فيها فأنى يكون العطب الأدنى وذلك محال، فإن أقرّ مخالفونا بصدقنا دخلوا في قولنا ونقضوا قولهم، فإن أنكروا قولنا ادّعوا حالاً ثالثة لا عدم فيها ولا وجود فذلك أقبح الثلاثة حالة.

وقالت فرقة منهم: إن أصل الأشياء في الأزلية حبّة كانت - فانفلقت - فبدا منها العالم على ما ترى من اختلافه في ألوانه وإحساسه، وزعم بعضهم أنه غير مختلف في معانيه وإنما تختلف معانيه من جهة إحساسه، وأنكر بعضهم ذلك وأثبتوا له اختلافاً في معانيه وتحقيقه. وقالت المنكرة لتحقيق الاختلاف: الأشياء إنما تختلف باختلاف الإحساس لها وإنه لا حقيقة لشيء منها تبيّن بها دون غيرها وادعوا من الدلالات في ذلك أن أهل المرض الحادث من الصفراء مثل أصحاب اليرقان إذا ذاق أحد منهم العسل وجده مراً وأهل السلامة من هذا الداء يجدونه حلواً فإن الخفّاش

البيت، فكان الطائف إذا طاف بدأ بإساف فقبّله وختم به. ونصبوا على الصفا صنماً يقال له «مُجاور الريح» وعلى المروة صنماً يقال له «مُطعم الطير»، فكانت العرب إذا حجت البيت فرأت تلك الأصنام سألت قريشاً وخزاعة فيقولون نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى. فلما رأت العرب ذلك اتخذت أصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يصلّون له تقرباً إلى الله فيما يقولون، فكان لكعب بن دبرة وأحياء قضاعة «وُدّ» منصوباً بدومة الجندل بجرش، وكان لحميَر وهمدان «نسر» منصوباً بصنعاء، وكان لكنانة «سُواع»، وكان لغطفان «العُزّى»، وكان لهند بجيلة وخثعم «ذو الخلصة»، وكان لطيئ «الفُلس» منصوباً بالحِبْس، وكان لربيعة وإياد «ذو الكعبات» بِسنداد من أرض العراق، وكان لثقيف «اللات» منصوباً بالطائف، وكان للأوس والخزرج «مناة» منصوباً بفدك مما يلي ساحل البحر، وكان لدَوْس صنم يقال له «ذو الكفين» ولبني بكر بن كنانة صنم يقال له «سعد»، وكان لقوم من عذرة صنم يقال له «شمس»، وكان للأزد صنم يقال له «رئام» فكانت العرب إذا أرادت حج البيت الحرام وقفت كل قبيلة عند صنمها، وصلوا عنده ثم تلبّوا حتى تقدموا مكة فكانت تلبياتهم مختلفة، وكانت تلبية قريش: لبيك اللهم لبيّك لبيّك لا شريك لك تملكه وما ملك، وكانت تلبية كنانة: لبيك اللهم لبيك اليوم [يوم] التعريف يوم الدعاء والوقوف، وكانت تلبية بني أسد: لبيك اللهم لبيك يا رب أقبلت بنو أسد أهل التفاني والوفاء والجلد إليك، وكانت تلبية بني تميم: لبيك اللهم لبيك لبيك عن تميم قد تراها قد أخلقت أثوابها وأثواب من وراءها وأخلصت لربها دعاءها، وكانت تلبية قيس بن عيلان: لبيك اللهم لبيك لبيك أنت الرحمن أتتك قيس عيلان راجلها والركبان، وكان تلبية ثقيف: لبيك اللهم إن ثقيفاً قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك، وكانت تلبية هذيل: لبيك عن هذيل قد أولجوا بليل في إبل وخيل، وكانت تلبية ربيعة: لبيك ربنا لبيك لبيك إنّ قصدنا إليك، وبعضهم يقول: لبيك عن ربيعة سامعة لربها مطيعة، وكانت حِمَير وهَمْدان يقولون: لبيك عن حميَر وهمدان والحليفين من حاشد وألهان، وكانت تلبية الأزد: لبيك رب الأرباب تعلم فصل الخطاب لملك كل مثاب، وكانت تلبية مذجج: لبيك رب الشعرى، رب اللات والعزى، وكانت تلبية كندة وحضرموت: لبيك لا شريك لك تملكه أو تهلكه أنت حكيم فاتركه، وكانت تلبية غسان: لبيك رب غسان راجلها والفرسان، وكانت تلبية بجيلة: لبيك عن بجيلة في بارق ومخيلة، وكانت تلبية قضاعة: لبيك عن قضاعة لربها دفاعة سمعاً له وطاعة، وكانت تلبية جذام لبيك عن جذام ذي النهى والأحلام، وكانت تلبية علكّ والأشعريين:

نحجّ للرحمن بيتاً عجبا   مستتراً مضبباً محجّبا

وكانت العرب في أديانهم على صنفين الحُمس والحِلة، فأما الحُمس فقريش منها، وأما الحلة فخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً، وكانوا يشدّدون على أنفسهم في دينهم، فإذا نسكوا لم يسلئوا سمناً ولم يدّخروا لبناً ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه ولم يجزوا شعراً ولا ظفراً ولم يدّهنوا ولم يمسّوا النار ولا الطّيب ولم يأكلوا لحماً ولم يلبسوا في حجهم وبراً ولا صوفاً ولا شعرى ويلبسون جديداً ويطوفون بالبيت في نعالهم لا يطأون أرض المسجد تعظيماً له ولا يدخلون البيوت من أبوابها ولا يخرجون إلى عرفات ويلزمون مزدلفة ويسكنون في حال نسكهم قباب الأدم. وكان الحلة وهي تميم وضبّة ومزينة والرباب وعُكَل وثور وقيس عيلان كلها ما خلا عدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وربيعة بن نزار كلها وقضاعة وحضرموت وعك وقبائل من الأزد لا يحرّمون الصيد في النسك ويلبسون كل الثياب ويسلئون السمن ولا يدخلون من باب بيت ولا دار ولا يؤويهم ما داموا مُحرِمين، وكانوا يدّهنون ويتطيّبون ويأكلون اللحم فإذا دخلوا مكة بعد فراغهم نزعوا ثيابهم التي كانت عليهم، فإن قدروا على أن يلبسوا ثياب الحمس كراء أو عارية فعلوا وإلا طافوا بالبيت عراة، وكانوا لا يشترون في حجهم ولا يبيعون، فهاتان الشريعتان اللتان كانت العرب عليهما.

ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود وفارقوا هذا الدين، ودخل آخرون في النصرانية وتزندق منهم قوم فقالوا بالثّنوية. فأما من تهوّد منهم فاليمن بأسرها، كان تُبَّع حمل حبرين من أحبار اليهود إلى اليمن فأبطل الأوثان وتهوّد من باليمن وتهوّد قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير، وتهوّد قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام. وأما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزّى منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن العزى وورقة بن نوفل بن أسد ومن بني تميم وبنو امرئ القيس بن زيد مناة ومن ربيعة بنو تغلب ومن اليمن طيئ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم، وتزندق حِجر بن عمرو الكندي.

(المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٩).

خبر سقيفة بني ساعدة:

واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يوم توفي رسول الله (ﷺ) [...] يغسل، فأجلست سعد بن عبادة الخزرجي وعصبته بعصابة وثنت له وسادة، وبلغ أبا بكر وعمر والمهاجرين فأتوا مسرعين فنحَوّا الناس عن سعد، وأقبل أبو بكر وعمر

ابن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالوا: يا معشر الأنصار منا رسول الله فنحن أحق بمقامه، وقالت الأنصار: منا ومنكم أمير. فقال أبو بكر: منّا الأمراء وأنتم الوزراء، فقام ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الأنصار فتكلم وذكر فضلهم، فقال أبو بكر: ما ندفعكم عن الفضل وما ذكرتم من الفضل فأنتم له أهل ولكن قريشاً أولى بمحمد منكم، وهذا عمر بن الخطاب الذي قال رسول الله أعز الدين به، وهذا أبو عبيدة بن الجراح الذي قال رسول الله أمين هذه الأمة فبايعوا أيهما شئتم، فأبيا وقالوا والله ما كنا لنتقدمك وأنت صاحب رسول الله وثاني اثنين، فضرب أبو عبيدة على يد أبي بكر وثنّى عمر ثم بايع من كان معه من قريش، ثم نادى أبو عبيدة: يا معشر الأنصار إنكم كنتم أول من نصر فلا تكونوا أول من غيّر وبدل. وقام عبد الرحمن بن عوف وتكلم وقال: يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي. وقام المنذر بن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد ـ يعني علي بن أبي طالب ـ فوثب بشير بن سعد من الخزرج فكان أول من بايعه من الأنصار وأسيد بن حضير الخزرجي وبايع الناس حتى جعل الرجل يطفر وسادة سعد بن عبادة وحتى وطئوا سعداً، وقال عمر: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً. وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر، فقال بعضهم ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمد، فقال العباس: فعلوها ورب الكعبة، وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي عليه السلام. فلما خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس وكان لسان قريش فقال: يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم، وقام عتبة بن أبي لهب فقال:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف ... عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
عن أول الناس إيماناً وسابقة ... وأعلم الناس بالقرآن والسننِ
وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفنِ
من فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسنِ

فبعث إليه (علي عليه السلام) فنهاه.

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء ابن عازب وأبي بن كعب، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب

فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب حجة لكم على علي إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة حتى دخلوا على العباس ليلاً، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله بعث محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أموراً ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً، فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طالب يقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجأ فتكون حصنه المنيع وخطبه البديع، فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا وإما صرفتموهم عما مالوا إليه، ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك؛ إذ كنت عم رسول الله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك. على رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: إي والله وأخرى أنا لم نأتكم لحاجة إليكم ولكن كرهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم.

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: إن الله بعث محمداً كما وصفت نبياً وللمؤمنين ولياً فمنّ على أمته به حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده فخلى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق لا مائلين بزيغ الهوى فإن كنت برسول الله فحقاً أخذت وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم فما تقدمنا في أمرك فرطاً ولا حللنا وسطاً ولا برحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر إنما وجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين، ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك ومالوا إليك وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلى على الناس أمورهم؛ ليختاروا فاختاروك، فأما ما قلت إنك تجعله لي فإن كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه وإن كان لنا فلم ترض ببعضه دون بعض وعلى رسلك فإن رسول الله شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده وكان فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر سفيان بن حرب وقال: أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم، وقال لعلي بن أبي طالب: أمدد يدك أبايعك وعلي معه قصيّ فقال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم	ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم وإليكم	وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن فأشدد بها كف حازم	فإنك بالأَمر الذي يرتجى ملي

وإن امــرأً يــرمــي قــصــيــاً وراءه عزيز الحمى والناس من غالب قصي

وكان خالد بن سعيد غائباً فأتى علياً فقال: هلم نبايعك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك. واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يدعونه إلى البيعة له، فقال لهم: أغدوا علي محلقين الرؤوس فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر.

وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار وخرج علي ومعه السيف فلقيه عمر فصارعه فصرعه عمر وكسر سيفه ودخلوا الدار، فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجّن إلى الله فخرجوا وخرج من كان في الدار. وأقام القوم أياماً ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع، ولم يبايع علي (رضي الله عنه) إلا بعد ستة أشهر وقيل أربعين يوماً.

(المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠٢ ـ ١٠٤).

أيام المهدي:

وقرأ المهدي وصية أبي جعفر وكانت نسختها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد عبد الله أمير المؤمنين إلى المهدي محمد ابن أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين حين أسند وصيته إليه بعده واستخلصه على الرعية من المسلمين وأهل الذمة وحرم الله وخزائنه وأرضه التي يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، إن أمير المؤمنين يوصيك بتقوى الله في البلاد، والعمل بطاعته في العباد. . . وليتسع إنصافك وينبسط عدلك، ويؤمن ظلمك، وواس بين الرعية في الاحتكام، واطلب بجهدك رضى الرحمن، وأهل الدين، فليكونوا أعضاءك، وأعط حظ المسلمين من أموالهم، ووفر لهم فيأهم، وتابع أعطياتهم عليهم، وعجل بنفقاتهم إليهم سنة سنة وشهراً شهراً، وعليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج، واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة، وليكن أهم أمورك إليك تحفظ [لعله: حفظ] أطرافك وسد ثغورك وإكمال بعوثك. . .».

وأمره بعد ذلك بأمور يطول الكتاب بها فاقتصرنا على صدر الوصية، وأظهر جزعاً شديداً على المنصور. ووردت إليه الوفود يعزونه فجعل كل قوم يقولون بما أمكنهم حتى دخل شبيب بن شيبة فعزاه ثم قال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض لك إذ قسم لك الدنيا إلا بأسناها وأرفعها فلا ترضَ لنفسك من الآخرة إلا بمثل ما

رضي الله لك من الدنيا، وعليك بتقوى الله، فإنها عليكم نزلت، ومنكم أخذت، وإليكم ردت.

وقدم الربيع مستهل المحرم ومعه مفاتيح الخزائن، فجلس المهدي للناس في النصف من المحرم. وأمر الربيع فأحضر دفتر القبوض ووجه إلى كل من كان أبو جعفر قبض شيئاً من ماله فأحضره وأقبل عليهم فقال: إن أمير المؤمنين المنصور كان بما حمله الله من أموركم وقلده من رعايتكم يدبر عليكم كما يدبر الوالد البر ولده وكان أنظر لكم منكم لأنفسكم وكان يحفظ عليكم ما لا تحفظون على أنفسكم فحرس لكم من أموالكم ما لم يأمن من ذهابه، وهذه أموالكم مبارك لكم فيها فحللوا أمير المؤمنين من إبطائها عنكم، ثم أمر بإخراج من في المحابس من الطالبيين وغيرهم من سائر الناس فأطلقهم وأمر لهم بجوائز وصلات وأرزاق دارة، ثم أطلق سائر الناس ولم يطلق أحداً إلا وكساه ووصله على قدره.

وخلع المهدي عيسى بن موسى من ولاية العهد واشترى ذلك بعشرة آلاف ألف درهم وبايع لابنه موسى بولاية العهد من بعده سنة ١٥٩هـ، ثم بايع لابنه هارون بولاية العهد بعد موسى.

وحج المهدي سنة ١٦٠هـ، فجرد الكعبة وكساها القباطي والخز والديباج، وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من أعلاها إلى أسفلها. وكانت الكعبة في جانب المسجد لم تكن متوسطة فهدم حيطان المسجد الحرام وزاد فيه زيادات واشترى من الناس دورهم ومنازلهم وأحضر الصناع والمهندسين من كل بلد وكتب إلى واضح مولاه وعامله على مصر في حمل الأموال إلى مكة واتخاذ الآلات وما يحتاج إليه من الذهب والفسيفساء وسلاسل القناديل والخروج بها حتى يسلمها إلى يقطين بن موسى ومحمد بن عبد الرحمن، وصيّرت الكعبة في الوسط وزاد مما يلي الكعبة إلى باب الصفا تسعين ذراعاً ومن الكعبة إلى باب بني شيبة ستين ذراعاً، وصير ذرعه مكسراً مائة ألف ذراع وعشرين ألف ذراع، وطول المسجد من باب بني جمح إلى باب بني هاشم إلى عند العلم الأخضر أربعمائة ذراع وأربع أذرع، وفيه من الأساطين مما حمل في البحر من مصر أربعمائة وأربع وثمانون أسطوانة طول كل أسطوانة عشر أذرع، وصيّر فيه أربعمائة طاق وثمانية وتسعين طاقاً، وجعل في المسجد الأبواب ثلاثة وعشرين باباً، فكان المهدي آخر من زاد في المسجد الحرام، وبني العلمين الذين يسعى بينهما وبين الصفا والمروة وبينهما من الذرع مائة واثنتا عشرة ذراعاً فصار بين الصفا والمروة لما أخرج المسجد إلى الموضع الذي هو فيه الساعة سبعمائة وأربع وخمسون ذراعاً. ووسع المسجد الذي لرسول الله (ﷺ) وزاد فيه مثل ما كان عليه

وحمل إليه الرخام والفسيفساء والذهب ورفع سقفه وألبس خارج القبر الرخام.

وبنى الثغر المعروف بالحدث سنة ١٦٣هـ وكان فيه دفع للعدو وتسديد، وذلك أن الروم أغاروا على مرعش فسبوا وقتلوا خلقاً، فلما بنى المهدي الحدث عظم ارتفاق أهل الثغور به. وأغزى هارون ابنه في هذه السنة ومعه جماعة من القواد والجند وخرج إلى جيحان ففتح هارون في تلك الغزاة سمالو وعدة حصون. ثم أغزاه سنة ١٦٤هـ إلى القسطنطينية فطلب منه الروم الصلح فصالحهم وانصرف.

واضطربت خراسان وتحركت السُغد وفرغانة وخرج يوسف البرم وهو رجل من موالي ثقيف ببخارى يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاتبعه على ذلك خلق من الناس فحارب السلطان. وخرج أحمد بن أسد إلى فرغانة ففتح حتى وصل إلى كاسان وهي المدينة التي ينزلها الملك، وكان يزيد بن مزيد الشيباني يحارب يحيى الشاري فكتب إليه المهدي أن ينكفئ فيمن معه إلى يوسف البرم فلقيه فكانت بينهما وقعات عدة، ثم هزمه يزيد فرفع علماً أحمر وآمن من يصير تحته فصار أصحاب يوسف كلهم تحته وأسر يوسف فحمله إلى المهدي فلما دخل عليه كلمه بكلام غليظ فشتمه المهدي، فقال لبئس ما أدبك أهلك، فضرب عنقه وصلبه.

فكتب إلى عمر بن العلاء وكان بطبرستان أن يصير إلى جرجان فيخرج من بها من المحمرة بعد أن يدعوهم إلى الطاعة. فصار إلى جرجان ففرق جمع المحمرة وقتل عبد القاهر وفض الجمع.

ووجه المهدي رسلاً إلى الملوك يدعوهم إلى الطاعة فدخل أكثرهم في طاعته فكان منهم ملك كابل شاه يقال له [حنحل] وملك طبرستان [الأصبهبذ] وملك السغد [الإخشيد] وملك طخارستان [شروين] وملك باميان [الشير] وملك فرغانة [فريران] وملك أشروسنة [أفشين] وملك الخرلخية [جيغويه] وملك سجستان [رتبيل] وملك الترك [طرخان] وملك التبت [جهورن] وملك السند [الراي] وملك الصين [بغبور] وملك الهند [وابراح] وهوفور وملك التغزغز [خاقان].

وأمر المهدي بجباية أسواق بغداد وجعل عليها الأجرة، وجعل [لعله: وكل] سعيد الحرشي بذلك فكان أول ما جبيت أسواق بغداد.

وكان المهدي قد ألح في طلب الزنادقة وقتلهم حتى قتل خلقاً كثيراً، فبلغه أن صالح بن أبي عبيد الله كاتبه زنديق فأحضره. فلما صح عنده أمره استتابه فقال: لا رغبة عما أنا عليه ولا حاجة في غيره، فأمر المهدي أبا عبيد الله أباه أن يقوم فيضرب عنقه فقام فأخذ السيف ثم دنا من ابنه فلما رفعه رجع فقال:

يا أمير المؤمنين إني قمت سامعاً مطيعاً وإنه أدركني ما يدرك الرجل في ولده فأمره فجلس، ثم أمر بضرب عنقه.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ١٢٥ ـ ١٣٣).

أيام أحمد المعتمد على الله:

وبويع أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل في اليوم الذي قتل فيه المهتدي وهو يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦هـ ومن شهور العجم حزيران، وكانت الشمس يومئذ في الأسد سبعاً وعشرين درجة وزحل في القوس خمساً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً، والمريخ في الأسد ثلاث درج وأربعين دقيقة.

وزحف الخارج بالبصرة المدعى إلى آل أبي طالب، واسمه علي بن محمد [يقصد صاحب الزنج] إلى الابلّة فنهبها وأخربها وأحرقها بالنار، وتوجه إليه سعيد بن صالح فواقعه بنهر أبي الخصيب.

ووردت كتب المعتمد إلى أحمد بن طولون عامل مصر يأمره برد المال الخراج إلى أحمد بن محمد بن المدبر وكان محبوساً في يده ومحمد بن هلال يتولى الخراج، فأخرج يوم السبت لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة ٢٥٦هـ وتولى الخراج وكان حبسه تسعة أشهر وعشرين يوماً.

وفي هذه السنة تنازع قوم من بني هلال وقوم من أهل مكة في الموقف بعرفات، فقتل قوم من هؤلاء وقوم من هؤلاء وكان صاحب الموسم الحسين بن اسماعيل الطاهري فأقام الحج للناس أحمد بن اسماعيل بن يعقوب الملقب [كعب البقر].

وتوفي بايكباك التركي فصير المعتمد ما كان إليه من أعمال مصر وغيرها إلى يارجوخ التركي وكتب يارجوخ التركي إلى أحمد بن طولون التركي عامل مصر بإقراره على ما كان يتولى. وولى المعتمد محمد بن هرثمة بن أعين برقة، فقدم الفسطاط في شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٧هـ ونفذ إلى برقة.

ووجه المعتمد بالحسين الخادم المعروف بـ (عرق الموت) إلى عيسى بن شيخ، وقد تغلب على فلسطين، بأمان على نفسه وماله وولده والصفح عما كان منه وتوليته أرمينية، ففعل ذلك وشخص من البلد في جمادى الآخرة سنة ٢٥٧هـ، وسلّم ما كان في يده إلى أماجور التركي ولم يرد من الأموال درهماً واحداً. وكانت في السماء نار

عظيمة أخذت من المشرق إلى المغرب ثم أجلت، وتلتها هزة شديدة وزلزلة، وكان ذلك مع طلوع الفجر لثمان بقين من رجب ومن شهور العجم في حزيران.

وحمل أحمد بن طولون ما كان حاصلاً في بيت المال بمصر إلى أمير المؤمنين المعتمد فكان مبلغه ألفي ألف ومائة ألف درهم، وقاد الخيل وحمل الطراز والخيش والشمع ووازنه بنفسه حتى يسلمه إلى أماجور التركي وأشهد به عليه وانصرف إلى الفسطاط.

وفي هذه السنة وجه أحمد بن طولون رجلاً من التراك يقال له [ماطعان] في ألف فارس مع حاج مصر وأمره أن يدخل المدينة ومكة بالصلاح والتبعية ويفعل مثل ذلك بعرفات، وفعل ذلك ووافى عرفات بالأعلام والطبول والسلاح.

وفي هذه السنة دخل الدعي البصرة ونهب وحرق المسجد الجامع وتوجه إليه رجل من الأتراك يقال له محمد المولد فلما بلغه الخبر انصرف ولم يلقه.

وفي هذه السنة وقعت مصيبة بفلسطين بين لخم وجذام فتحاربوا حرباً أخذت من الفريقين. وفيها حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد وأخرج أحمد بن محمد المدبر من الفسطاط متوجهاً إلى الشامات في المحرم سنة ٢٥٨هـ، فقام بالشامات وقصد مدينة دمياط وتولى أعمال الخراج.

وفي هذه السنة دخل محمد المولد التركي البصرة وأخرج المدعي إلى آل أبي طالب وأصحابه عنها ورجع قوم فلم يجدوا منزلاً يُسكن.

وفيها وقع الوباء بالعراق فمات خلق من الخلق وكان الرجل يخرج من منزله فيموت قبل أن ينصرف، فيقال إنه مات ببغداد في يوم واحد اثنا عشر ألف إنسان.

وفيها زار أبو أيوب أحمد بن محمد، ابن أخت الوزير عامل خراج مصر، في المسجد الجامع بمصر في آخر المسجد.

وفيها توجه أبو أحمد بن المتوكل على الله إلى المدعي إلى آل أبي طالب الخارج بالبصرة في جمع كثيف وكان العسكر والزاد والسلاح في السفن فوقعت النار في السفن، فاحترقت وانصرف أبو محمد راجعاً.

وفيها أخذ أحمد بن طولون على الجند والشاكرية والموالي وساير الناس البيعة لنفسه على أن يعادوا من عاداه ويوالوا من والاه ويحاربوا من حاربه من الناس جميعاً.

وفيها بويع لأحمد بن الموفق بن المتوكل ولقب بالمعتضد بولاية العهد، وصير إليه أعمال يارجوخ من مصر وغيرها فدعي له على منابر مصر.

وحج بالناس الفضل بن العباس، ونال أهل البادية زلازل ورياح وظلمة، وخاف الناس ممن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد فهربوا إلى المدينة وإلى مكة يستجيرون بقبر رسول الله (ﷺ) وبالكعبة، وأحضروا متاعاً من متاع الحاج الذي قطعوا عليه الطريق، وذكروا أنه هلك منهم خلق عظيم في البادية وكان ذلك في سنة ٢٥٩هـ، وفيها تغير ماء نيل مصر حتى صار يضرب إلى الصفرة وأقام على هذه الحال أياماً ثم رجع إلى ما كان عليه.

(المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٢).

ابن قُتَيْبَة

كتاب المعارف:

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب: هذا كتاب جمعت فيه من المعارف، ما يحقّ على من أنعم عليه بشرف المنزلة وأخرج بالتأدب عن طبقة الحشوة وفضل بالعلم والبيان على العامة، أن يأخذ نفسه ويروضها على تحفّظه، إذ كان لا يُستغنى عنه في مجالس الملوك أنّى جالسهم، ومحافل الأشراف أنىّ عاشرهم، وحَلَق أهل العلم أنّى ذاكرهم، فإنه قلّ مجلس عقد على خير أو أسس لرشد أو سلك فيه سبيل إلا وقد يجري فيه من أسباب المعارف إما في ذكر نبي أو ذكر ملك أو عالم أو نسب أو سلف أو زمان أو يوم من أيام العرب، فيحتاج من حضر إلى أن يعرف عين القصد ومحل القبيلة وزمان الملك وحال الرجل المذكور وسبب المثل المشهور، فإني رأيت من الأشراف من يجهل نسبه ومن ذوي الأحساب من لا يعرف سلفه ومن قريش من لا يعرف من أين تمسّه القربى برسول الله (ﷺ) أو الرحم بالأعلام من صحابته، ورأيت من أبناء ملوك العجم من لا يعرف حال أبيه وزمانه، ورأيت من ينتمي إلى الفضيلة وهو لا يدري من أي العماير هي وإلى البطن ولا يدري من أي القبائل هو، ورأيت من رغب بنفسه عن نسب دقّ فانتهى إلى رجل لم يعقب كرجل رأيته ينسب إلى أبي ذر ولا عقب لأبي ذر وآخر ينتمي إلى حسّان بن ثابت وقد انقرض عقب حسان، وكآخر دخل على المأمون فكّلمه بكلام أعجبه فسأله عن نسبه فقال: من طيئ من ولد عدي بن حاتم فقال له المأمون: لصلبه؟ قال: نعم، فقال المأمون: هيهات أضللت إن أبا طريف لم يعقّب، فكان سقوطه بجهله حال الرجل الذي اختاره لدعوته أقبح من سقوط بالنسب الذي رغب فيه، وقد يكون الرجل متبوعاً في الأدب قد سمق فيه وأخذ بالحظ الأوفى منه إلا أنه أغفل شيئاً من الجليل كان أولى به من حفظ بعض ما حفظ فيلحقه فيه النقيصة ويرجع عليه من الهجنة كطالب غوامض الفقه وقد أغفل أبواب الصلاة والفرايض، وطالب طرق الحديث

وقد أغفل متونها ومعانيها وطالب علم النحو وتصاريفه وهو يلحن في رقعة إن كتبها وبيت شعر ينشده.

وكتابي هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف أولها مبتدأ الخلق... [ويذكر محتويات الكتاب].

وكان غرضي في جميع ما اقتصصت الإيجاز والتخفيف والقصد المشهور من الأنباء دون المغمور، ولما يجري له سبب على ألسنة الناس دون ما لا يجري له سبب، ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب حتى يعجز عن نسخه فضلاً عن حفظه ولاختلط الخفيّ بالجلي فمجّته الآذان وملّته النفوس والنفس إلى ما يصلح منه شيئاً أكثر تطلعاً وأشد استشرافاً وهو بها ألصق ولها ألزم. وقد شرطت عليك تعلّم ما في هذا الكتاب وتعرفه ولو أطلته وذكرت ما بك عنه الغناء أكثر دهرك أتعبتك وكددتك وأحوجتك إلى أن تتلقّظ منها شيئاً للمعرفة والحفظ وتنبذ منه شيئاً، فكفيتك ذلك واحتطت له فيه بأبلغ الاحتياط وعايرت على نظري بنظر الحفّاظ من إخواننا والنساب، وأرجو أن أكون قد بلغت لك فيه همة النفس وثلج الفؤاد ولنفسي ما أملت في تبصيرك وإرشادك من توفيق الله وحسن الثواب.

(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **المعارف** (القاهرة: [د.ن.]، ١٩٣٤)، ص ٣ ـ ٦).

مبتدأ الخلق:

قال أبو محمد [عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب]: قرأت في التوراة في أول سفر من أسفارها أن أول ما خلق الله (تعالى) من خليقته السماء والأرض، وكانت الأرض خربة خاوية وكانت الظلمة على الغمرة وكانت ريح الله تبارك وتعالى ترفّ على وجه الماء فقال الله (عز وجل) ليكن النور فكان نوراً فرآه الله حسناً فميزه من الظلمة وسمّاه نهاراً وسمى الظلمة ليلاً فكان مساء وكان إصباح يوم الأحد. وقال الله (تعالى) ليكن سقف وسط الماء فليَحُلْ بين الماء فكان سقفه وميّز بين الماء الذي هو أسفل وبين الماء الذي هو أعلا فسمى الله السقف سماء وكان مساء وكان إصباح يوم الاثنين. قال أبو محمد (حدثني أبو الخطاب قال: حدثنا مالك بن سعد قال: حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح) في قوله الله عز وجل **﴿والبحر المسجور﴾** قال: كان علي (رضي الله عنه) يقول هو بحر تحت العرش وهذا شبيه بما ذكر في التوراة من أن السماء بين ماءين. وعاد الخبر إلى التوراة وقال الله (عز وجل): ليجتمع الماء كله الذي تحت السماء إلى مكان واحد فلير اليبس وكان كذلك، فدعا الله (عز وجل) اليبس أرضاً وسمى ما اجتمع من المياه البحور، ثم قال الله تبارك

وتعالى لتخرج الأرض زهرة العشب والشجر ذا الحمل كلاً لسوسه فأخرجت الأرض ذلك فرآه الله حسناً وكان مساء وكان إصباح يوم الثلاثاء. وقال الله لتكن نورين في سقف السماء ليميزا بين الليل والنهار وليكونا آيات للأيام والسنين فكانا نورين الأكبر لسلطان النهار والأصغر والنجوم لسلطان الليل فرآه الله حسناً وكان مساء وكان إصباح يوم الأربعاء. وقال الله: ليحرك الماء كلَّ نفس حية وليطير الطير على وجه الأرض في جو السقف، وخلق الله تنانين عظاماً وحرك الماء كل نفس حية لجنسها وكل طاير لجنسه فرأى الله ذلك حسناً فتركهن وقال أثمروا وأكثروا وكان مساء وكان إصباح يوم الخميس. ثم قال الله نخلق بشراً بصورتنا فخلق آدم من آدمة الأرض ونفخ في وجهه نسم الحياة، وقال إن آدم لا يصلح أن يكون وحده ولكن أصنع له عيناً مثله فألقى عليه السبات فأخذ إحدى أضلاعه فلامها وسمى الضلع الذي أخذه امرأة لأنها من المرء أخذت فقربها إلى آدم فقال عظم من عظامي ولحم من لحمي، ومن أجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتبع امرأته ويكونان كلاهما جسداً واحداً، وتركهما الله وقال: أثمروا وأكثروا وأملوا الأرض وتسلّطوا على أبواب البحور وطير السماء والأنعام والدواب وعشب الأرض وشجرها وثمرها، ورأى كل ما خلق فإذا هو حسن جداً وكان مساء وكان إصباح يوم السادس. فكمل كل أعمال الله التي عمل ثم استراح في اليوم السابع من خليقته فبرّكه وطهّره.

ونصب ربنا الفردوس في عدن وبها نهر يسقي الفردوس فانقسم على أربعة رؤوس، فجيحون بأرض خويلاء كلها وثم يكون أجود الذهب وحجارة البلّور والفيروزج، واسم النهر الثاني سيحون وهو محيط بأرض كوش والحبشة، واسم النهر الثالث دجلة وهو الذي يذهب قِبَل آثور والنهر الرابع الفرات. ونصب شجرة الحياة وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشر وقال لآدم كل ما شئت من شجرة الفردوس ولا تأكل من شجرة علم الخير والشر فإنك يوم تأكل منها تموت، وقال أبو محمد: يريد أنك تتحول إلى حال من يموت. وكانت الحية أعرم دواب البر فقالت للمرأة: إنكما لا تموتان إن أكلتما منها ولكن أعينكما تتفتح وتكونان كالآلهة تعلمان الخير والشر فأخذت المرأة فأكلت وأطعمت بعلها فانفتحت أبصارهما وعلما أنهما عريانان فوصلا من ورق التين واصطنعاه أزراً، ثم سمعا صوت الله في الجنة حين بورك النهار فاختبأ آدم وامرأته في شجر الجنة فدعاهما فقال آدم: سمعت صوتك في الفردوس ورأيتني عرياناً فاختبيت منك، فقال: ومن أدراك أنك عريان ها لقد أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها، فقال: إن المرأة أطعمتني، وقالت المرأة: إن الحية أطعمتني، فقال الله (تعالى) للحيّة: من أجل فعلك هذا فأنت ملعونة وعلى بطنك تمشين وتأكلين التراب وسأغري بينك وبين المرأة وولدها فيكون يطأ رأسك وتكونين

أنت تلدغينه بعقبه، وقال للمرأة: وأنت فأكثر أوجاعك وأحبالك وتلدين الأولاد بالألم وتردين إلى بعلك فيكون مسلطاً عليك، وقال لآدم: ملعونة الأرض من أجلك وتنبت الحاج والشوك وتأكل منها بالشقا ورشح وجهك حتى تعود إلى التراب من أجل أنك تراب. وسمى الله امرأته حواء لأنها أم كل حي وألبسها وإياه سرابيل من جلود وقال إن آدم قد علم الخير والشر فلعله يقدم يده ويأخذ من شجرة الحياة فيأكل منها فيعيش الدهر فأخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض التي منها أخذ.

فهذا ما في التوراة، وأما وهب بن منبّه فذكر أن الجن كانت سكان الأرض قبل آدم فكفرت طايفة منهم فسفكوا الدماء فأمر الله جنداً من الملائكة من أهل سماء الدنيا منهم إبليس وكان رئيسهم فهبطوا إلى الأرض فأجلوا عنها الجان، واستشهد على ذلك بقول الله عز وجل: **﴿والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم﴾**، أي من قبل أن نخلق آدم، فألحقوهم بأطراف التخوم وجزائر البحر، وسكن إبليس والجند الذي معه عُمران الأرض وأريافها وكان اسم إبليس عزرايل. ثم ذكر خلق الله آدم، وقال: ثم كساه لباساً من ظفر يزداد جدة في كل يوم وحسناً، فلما أكلا من الشجرة انكشط عنهما اللباس وكان له مثل شعاع الشمس حتى صار في أطراف أصابعهما من أيديهما وأرجلهما، قال: وخلقه يوم الجمعة ومكث في الجنة ستة أيام وكان أول شيء أكله في الجنة العنب، وكانت الشجرة التي نُهيا عنها شجرة البُر وكان الله أخدم آدم الحية في الجنة وكانت أحسن خلق الله لها قوايم كقوايم البعير فعرض إبليس نفسه على دوابّ الأرض كلّها أنها تدخله الجنة فكلها أبى ذلك عليه إلا الحية فإنها حملته بين نابين من أنيابها ثم أدخلته الجنة. قال: ولما تاب الله على آدم أمره أن يسير إلى مكة فطوى له الأرض وقبض عنه المفاوز فلم يضع قدمه إلى شيء من الأرض إلا صار عمراناً حتى انتهى إلى مكة، وكان مهبّطه حين أهبط من جنة عدن في شرقي أرض الهند، وأهبط الله حواء بجدّة والحية بالبرّية وإبليس على ساحل بحر الأبلّة. وقال ابن إسحق: يذكر أهل العلم أن مهبط آدم وحواء على جبل يقال له واسم من أرض الهند.

(المصدر نفسه، ص ٦ ـ ٩).

الفتوح:

[خراسان] أمّا خراسان فافتتحت في خلافة عثمان بن عفان صلحاً على يدي عبد الله بن عامر بن كريز وكان منتهى ما افتتح منها في خلافة عثمان مرو ومرو الروذ، وأما ما وراءهما فإنه افتتح بعد عثمان على يدي سعيد بن عثمان بن عفان

لمعاوية صلحاً سمرقند وكشّ ونسَف وبُخارى وبعد ذلك على يدي المهلب بن أبي صفرة وقتيبة بن مسلم.

[طبرستان وجرجان والري] فأما الري فإن أبا موسى الأشعري افتتحها في خلافة عثمان بن عفان صلحاً، وأما طبرستان ففتحها سعيد بن العاص في ولاية عثمان صلحاً ثم فتحها عمر بن العلاء والطالقان ودنباوند سنة وسبع وخمسين وماية، وأما جرجان فافتتحها يزيد بن المهلب في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ثمان وتسعين.

(كرمان وسجستان) وأمّا كِرمان وسجستان ففتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان صلحاً.

(الجبل) وأما الجبل فإنه افتتح كلّه عنوة في وقعة جلولا ونهاوند على يدي سعد والنعمان بن مقرن.

[الأهواز وفارس وأصبهان] وأما الأهواز وفارس وأصبهان فافتتحت عنوة لعمر على يدي أبي موسى وعثمان بن أبي العاص وعتبة بن غزوان وكان فتح أصبهان على يدي أبي موسى خاصة.

[السواد] وأما السواد فافتتح كلّه عنوة على يدي سعد في خلافة عمر.

[الجزيرة] وأما الجزيرة فإنها فتحت صلحاً على يدي عياض بن غنم.

[الشام] وأما الشام فإن أجنادين منها افتتح صلحاً في خلافة أبي بكر، وافتتح عمر بن الخطاب بيت المقدس، ومدن الشام كلها، افتتحت صلحاً دون أراضيها لعمر، وأما أرضوها فعنوة على يدي يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة وخالد بن الوليد.

[مصر] وأما مصر ففتحت صلحاً على يدي عمرو بن العاص.

[المغرب] من المغرب ما افتتحه عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعثمان وهو أفريقية افتتحها عنوة، والثغور وقيسارية افتتحها معاوية عنوة لعمر.

[الأندلس] افتتحها طارق بن زياد مولى موسى بن نصير اللخمي سنة اثنتين وتسعين.

[هَجَر واليمامة والبحرين] أما هجر والبحرين فإنهم أدوا الجزية إلى رسول الله (ﷺ) وكذلك دومة الجندل وأذرح، وأما اليمامة فافتتحها أبو بكر (رحمه الله).

[الهند] وأما أرض الهند فافتتحها القاسم بن محمد الثقفي في سنة ثلاث وتسعين.

(المصدر نفسه، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢).

[التابعون ومن بعدهم] الحسن البصري:

اسم أمه خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي (ﷺ) قالوا: كانت خيرة أمّه ربما غابت فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلّله به إلى أن تجيء أمه فيدّر ثديها فيشربه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك. ونشأ الحسن بوادي القرى، وحدثني عبد الرحمن والرياشي عن الأصمعي عن حماد بن زيد وحماد بن سلمة بن علي بن زيد من جدعان قال: ولد الحسن على العبودية.

وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن جدّه عن قتادة أن أم الحسن كانت مولاة لأم سلمة. وقال أبو اليقظان: أبو الحسن البصري وأبو محمد بن سيرين من سبي ميسان، وكان المغيرة افتتحها زمن عمر بن الخطاب لما ولاّه البصرة، وقال آخرون: يسار من أهل نهر المراة. وكان الحسن من أجمل أهل البصرة حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث. وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبيه قال: ما رأيت أعرض زنداً من الحسن كان عرضه شبراً. وكان تكلم في شيء من القدر ثم رجع عنه. وكان عطاء بن يسار قاصّاً ويرى القدر وكان لسانه يلحن فكان يأتي الحسن هو ومعبد الجُهَني فيسألانه ويقولان: يابا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون الأموال ويفعلون ويقولون إنما تجري أعمالنا على قدر الله فقال: كذب أعداء الله، فيتعلق عليه بهذا وأشباهه، وكان يشبه برؤبة بن العجاج في فصاحة لهجته وعربيته. وكان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر ومات سنة عشر وماية، وفيها مات محمد بن سيرين بعده بماية يوم ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما. وكان الحسن كاتب الربيع بن زياد الحارثي بخراسان. وقيل ليونس بن عبيد أتعرف أحداً يعمل بعمل الحسن فقال: والله لا أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بعمله. ثم وصفه فقال: كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه وإذا جلس فكأنه أمر بضرب عنقه وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له.

(المصدر نفسه، ص ٢٢٥).

الأوايل:

حدثني زيد بن أخزم قال: حدثنا عبد الصمد قال حدثنا شعبة قال: حدثنا

المغيرة قال: سمعت سماك بن سلمة يقول: أول من سلم عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة.

حدثنا زيد بن أخزم قال: حدثنا كثير بن همام عن فرات عن ميمون بن مهران قال: أول من مشت معه الرجال وهو راكب الأشعث بن قيس.

قال أبو اليقظان وغيره: أول من سنّ الدية مائة من الإبل أبو سيارة العدواني الذي كان يفيض بالناس من المزدلفة، ويقال: إن أول من سن ذلك عبد المطلب فأخذ به قريش والعرب وأقره رسول الله (ﷺ) في الإسلام.

قالوا: والوليد بن المغيرة أول من خلع نعليه لدخول الكعبة في الجاهلية فخلع الناس نعالهم في الإسلام، وأول من قضى بالقسامة في الجاهلية فأقرها رسول الله (ﷺ) في الإسلام، وأول من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وأول من قطع في السرقة في الجاهلية فقطع رسول الله (ﷺ) في الإسلام. وكانوا يقولون في الجاهلية: لا وثَوْبي الوليد الخلق منها والجديد وقال وهب بن منبه: الحكم بالقسامة أوصاه الله إلى موسى في كل قتيل وجد بين قريتين أو محلتين فلم تزل بنو إسرائيل تحكم بها وقضى بها رسول الله (ﷺ).

قال وهب: أول من خط بالقلم إدريس وهو أول من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود.

وحدّثني سهل بن محمد عن الأصمعي أو غيره قال: أول من كتب بالعربية مرامر بن مُرة من أهل الأنبار ومن الأنبار انتشرت في الناس. قال وقال الأصمعي: ذكروا أن قريشاً سئلوا من أين لكم الكتاب؟ قالوا: من أهل الحيرة، وقيل لأهل الحيرة: من أين لكم الكتاب؟ قالوا: من الأنبار. وقال غيره: كان بشر بن عبد الملك العبادي علّم أبا سفيان بن أمية وأبا قيس بن عبد مناف بن زهرة الكتاب فعلّما أهل مكة.

قالوا: وأول من حكم في الخنثى باتباع المبال عامر بن الظَّرِب العدواني، فجرى في الإسلام، وهو الذي قال لابنته: إذا أنكرت من فهمي شيئاً عند الحكم فاقرعي لي المجنّ بالعصا، فقال المتلمس:

ذي الحكم قبل اليوم ما تقرع العصا   وما عُلّم الإنسان إلا ليعلما

وقد يقال إن ذا الحكم صيفي أبو أكثم وقيل عمرو بن حممة الدوسي وكان من المعمَّرين.

قالوا: وأول من خضب بالسواد من أهل مكة عبد المطلب بن هاشم وكان رجل من حميَر خضبه بذلك باليمن وزوده بالوسمة. وأول من عمل المحامل وحمل فيها الحجاج بن يوسف.

هارون الرشيد:

هو هارون بن المهدي، بويع له في اليوم الذي توفي فيه موسى ببغداد، وولد له ابنه عبد الله المأمون في هذا اليوم، وكان يكنّى أبا جعفر وأمّه الخيزران، وكان ينزل الخلد من بغداد في الجانب الغربي. وكان يحيى بن خالد وزيره وابناه الفضل وجعفر ينزلان في رحبة الخلد، ثم ابتنى جعفر قصره بالدور ولم ينزله حتى قتل.

وحجّ هارون بالناس ستّ حجج آخرها في سنة ست وثمانين وماية، وحج معه في هذه السنة ابناه ووليّا عهده محمد الأمين وعبد الله المأمون، وكتب لكل واحد منهما كتاباً على صاحبه وعلّقه في الكعبة، فلما انصرف نزل الأنبار. ثم حج بالناس سنة ثمان وثمانين وماية. وقتل جعفر بن يحيى بالعُمْر، وهو موضع بقرب الأنبار سنة سبع وثمانين وماية آخر يوم من المحرم، وبعث بجثته إلى بغداد، ولم يزل يحيى وابنه الفضل محبوسين حتى ماتا بالرقة.

وخرج في خلافته الوليد بن طريف الشاري، وهزم غير عسكر فوجّه إليه يزيد ابن مزيد فظفر به وقتله، وخرج بعده خراشة الشاري أيضاً. وقتل هارون أنس بن أبي شيخ وهو ابن أخي خالد الحذاء المحدّث وكان أنس صديقاً لجعفر بن يحيى وصلبه بالرقة وكان يُرمى بالزندقة، وكذا البرامكة كانوا يُرمون بالزندقة إلا أقلهم، وفيهم قال الأصمعي:

إذا ذكر الشِّرك في مجلس أضاءت وجوهُ بني برمك
وإن تُليتْ عندهم آيةٌ أتوا بالأحاديث عن مزدك

وغزا هارون سنة تسعين وماية الروم وافتتح هرقلة فظفر ببنت بطريقها فاستخلصها لنفسه. فلما انصرف ظهر رافع بن ليث بن نصر بن سيار بطخارستان مبايناً لعلي بن عيسى فوجّه هرثمة لمحاربته وإشخاص علي بن عيسى إليه فلما قدم عليه أمر بحبسه واستصفاء أمواله وأموال ولده. وتوجّه هارون سنة اثنين وتسعين ومابة ومعه المأمون نحو خراسان حتى قدم طوس فمرض بها ومات، فقبره هناك، وكانت وفاته ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومابة وقد بلغ من السن سبعاً وأربعين سنة وشهرين وسبعة عشر يوماً. ومن ولده محمد أمه زبيدة بنت جعفر والمأمون عبد الله أمه مراجل، والقاسم المؤتمن وصالح وأبو عيسى وأبو إسحاق المعتصم وأبو يعقوب وحمدونة وغيرهم.

(المصدر نفسه، ص ١٩٣ ـ ١٩٤).

الدِّينَوَري

قباذ وأنوشروان:

فلما مضى للملك قباذ عشر سنين أتاه رجل من أهل اصطخر يقال له مزدك فدعاه إلى دين المزدكية فمال قباذ إليها فغضبت الفرس من ذلك غضباً شديداً وهمّوا بقتل قباذ فاعتذر إليهم فلم يقبلوا عذره وخلعوه من الملك وحبسوه في محبس ووكّلوا به وملّكوا عليهم جاماسف بن فيروز أخا قباذ. وإن أخت قباذ اندست لقباذ حتى أخرجته بحيلة فمكث أياماً مستخفياً إلى أن أمن الطلب. ثم خرج في خمس نفر من ثقاته فيهم زَرْمِهر بن شوخر نحو الهياطلة يستنصر ملكها فأخذ طريق الأهواز فانتهى أرمشير ثم صار إلى قرية في حد الأهواز وأصبهان فنزلها متنكراً وكان نزوله عند دهقانها فنظر قباذ إلى بنت لصاحب منزله ذات جمال فوقعت بقلبه فقال لزرمهر بن شوخر: إني قد هويت هذه الجارية ووقعت بقلبي فانطلق إلى أبيها فاخطبها عليّ ففعل فأرسل قباذ إلى الجارية بخاتمه وجعل ذلك مهرها فهيئت وأدخلت عليه فخلا بها قباذ وسر بها سروراً شديداً لما ألفاها ذات عقل وجمال وأدب وهيئة فأقام عندها ثلاثاً ثم أمر بحفظ نفسها وخرج سائراً حتى ورد على صاحب الهياطلة، فشكا إليه صنيع رعيته به وسأله أن يمدّه بجيش ليسترجع ملكه فأجابه إلى ذلك وشرط عليهم أن يسلّم له حيّز الصغانيان ووجّه معه بثلاثين ألف رجل فأقبل بهم يريد أخاه فأخذ على طريقه الذي شخص فيه بديئاً حتى نزل القرية التي تزوج فيها بتلك المرأة فنزل على أبيها وسأله عنها فأخبره أنها ولدت غلاماً فأمر بإدخالها عليه مع ابنها فدخلت فدخل إلى الغلام فابتهج به ورآه كأجمل ما يكون من الغلمان فسماه كسرى وهو كسرى أنوشروان الذي تولى الملك من بعده فقال لزرمهر أخرج فسل لي عن هذا الرجل أبي الجارية هل له قديم شرف فسأل عنه فأخبره أنه من ولد فريدون الملك ففرح بذلك قباذ وأمر بالجارية وابنها فحُملا معه. ولما انتهى إلى مدينة طيسفون تلاومت العجم فيما بينها وقالوا إن قباذ تنصّل إلينا من شأن مزدك ورجع عما كنا اتهمناه فلم نقبل

ذلك منه وظلمناه حقه وأسأنا إليه، فخرجوا إليه جميعاً، وفيهم جاماسف أخوه الذي ملّكوه، فاعتذروا إليه، فقبل ذلك منهم وصفح عن أخيه جاماسف وعنهم وأقبل فدخل قصر المملكة ووصل الجيش الذي أقبل بهم وأجازهم وأحسن إليهم وردهم إلى ملكهم وأمر بالجارية فأنزلت في أفضل مساكنه. ثم إن قباذ تجّهز وسار في جنوده غازياً بلاد الروم فافتتح مدينة آمد وميافارقين وسبى أهلها، وأمر فبنيت لهم مدينة فيما بين فارس والأهواز فأسكنهم فيها وسماها أبر قباذ وهي إستان الأعلى وجعل لها أربعة طساسيج: طسّوج الأنبار وكان منها هيت وعانات، فضمّها يزيد ابن معاوية حين ملك إلى الجزيرة، وطسّوج بادوريا وطسّوج مسكن، وكوّر كورة بْهقُباذ الأوسط وبهقُباذ الأسفل وضمّ إليها ثمانية طساسيج لكل كورة أربعة طساسيج وهي الإستانات، وشق كورة أصبهان كورتين: شق جَيّ وشق التَّيْمُرة.

وكان لقباذ عدة من الأولاد لم يكن فيهم آثر عنده من كسرى لاجتماع الشرف فيه غير أنه كانت به ظِنة، أي سيّىء الظن، فلم يكن قباذ يحمده عليها، فقال له ذات يوم: يا بني قد كملت فيك الخصال التي هي جماع أمور الملك غير أن بك ظنة وإن الظنة في غير موضعها داعية الأوزار ومحبطة للأعمال فاعتذر كسرى لأبيه مما وقع في قلبه من ذلك واستصلح نفسه عنده.

فلما أتى لملك قباذ ثلث وأربعون سنة حضره الموت ففوّض إلى ابنه كسرى وهو أنوشروان فملك بعد أبيه، وأمر بطلب مزدك بن مازيار الذي زيّن للناس ركوب المحارم فحرّض بذلك السِّفَل على ارتكاب السيئات وسهّل للغَصَبة الغصب وللظَّلَمة الظلم فطلب حتى وجد فأمر بقتله وصلبه وقتل من دخل في ملّته. ثم قسم كسرى المملكة أربعة أرباع وولّى كل ربع رجلاً من ثقاته، فأحد الأرباع خراسان وسجستان وكِرمان، والثاني أصبهان وقمّ والجبل وأذربيجان وأرمينية، والثالث فارس والأهواز إلى البحرين، والرابع العراق إلى حد مملكة الروم، وبلغ بكل رجل من هؤلاء الأربعة غاية الشرف والكرامة. ووجّه الجيوش إلى بلاد الهياطلة وافتتح تخارستان وزابلستان وكابلستان والصغانيان. وإنّ ملِك الترك سِنْجِبو خاقان جمع إليه أهل المملكة واستعد وسار نحو أرض خراسان حتى غلب على الشاش وفرغانة وسمرقند وكشّ ونَسَف وانتهى إلى بخارى وبلغ ذلك كسرى فعقد لابنه هرمز، الذي ملك من بعده، على جيش كثيف ووجّهه لمحاربة خاقان التركي فسار حتى إذا قرب منه خلّى ما كان غلب عليه ولحق ببلاده فكتب كسرى إلى ابنه هرمز بالانصراف.

قالوا: وإن خالد بن جبلة الغساني غزا النعمان بن المنذر، وهو المنذر الأخير وكانا منذرين ونعمانين، فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور، والمنذر الثاني

الذي كان في زمان كسرى أنوشروان وكانوا عمّال كسرى على تخوم أرض العرب، فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة واستاق إبل المنذر وخيله فكتب المنذر إلى كسرى يخبره بما ارتكب منه خالد بن جبلة، فكتب كسرى إلى قيصر أن يأمر خالداً بإقادة المنذر وما قتل من أصحابه ورد ما أخذ من أمواله، فلم يحفل قيصر بكتابه فتجهز كسرى لمحاربته فسار حتى وغل في بلاد الجزيرة وكانت إذ ذاك في يد الروم فاحتوى على مدينة دارا ومدينة الرها ومدينة قنسرين ومدينة منبج ومدينة حلب حتى انتهى إلى انطاكية فأخذها وكانت أعظم مدينة بالشام والجزيرة وسبى أهلها أهل انطاكية وحملهم إلى العراق. وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جانبِ طيسفون على بناء مدينة أنطاكية بأزقّتها وشوارعها ودورها لا يغادر منها شيئاً وسمّاها زبر خسرو وهي المدينة التي إلى جانب المدائن تسمى الروميّة ثم سُرّحوا فيها فانطلق كل إنسان منها إلى مثل داره بمدينة أنطاكية وولى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الأهواز يقال له يَزْدَفناه.

وإن قيصر كتب إلى كسرى يسأله الصلح وردّ ما احتوى عليه من هذه المدن على أن يؤدّي إليه ضريبة موظّفة عليه في كل عام، وكره كسرى البغي فأجابه إلى ما بذل، ووكل بقبضه وتوجيهه إليه في كل عام شَرْوين الدَّستباي فأقام مع ملك الروم هناك ومعه خُرّين مملوكه المشهور الخبر وكان نجداً فارساً بطلاً.

ولما قفل كسرى من أرض الشام أصابه مرض شديد فمال إلى مدينة حمص فأقام بها في جنوده إلى أن تماثل للشفاء، فكان قيصر يحمل إليه كفاية عسكره إلى أن شخص.

قالوا: وكانت ملوك الأعاجم يضعون على غَلات الأرضين شيئاً معروفاً من المقاسمات النصف والثلث والربع والخمس إلى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والريع، فهمّ قباذ بإسقاط ذلك ووضع الخراج فمات قبل أن يستتمّ المساحة. فأمر كسرى أنوشروان باستتمامها فلّما فرغ منها أمر الكتاب ففصّلوها ووضعوا عليها الوضائع ووظّف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والأساورة والكتّاب ومن كان في خدمة الملك ولم يلزم أحداً لم يأتِ له عشرون سنة أو جاوز الخمسين، وكتب تلك الوضائع في ثلاث نسخ: نسخة خلّدها ديوانه ونسخة بعث بها إلى ديوان الخراج ونسخة دفعت إلى القضاة في الكوَر؛ ليمنعوا العمّال من اعتداء ما في الدستور الذي عندهم، وأمر أن يجبى الخراج في ثلاثة أنجم وسمّى الدار التي يجبي فيها ذلك سَراي سَمَرّه وتفسيره دار الثلاثة الأنجم، وهي التي تعرف بالشمَرَّج اليوم. وقد قيل في تفسير ذلك غير هذا؛ أي إنما هي دار الحساب والحساب شَمَرّه وهذا كلام معروف في لغة فارس إلى اليوم

يسمّون الخراج الشِمُرّة بالشين على معنى الحساب، ورفع خراج الرؤوس عن الفقراء والزّمْنى وكذلك خراج الغلات رفعه عما نالته الآفة على قدر ما أصاب منها، ووكّل بكل ذلك قوماً ثقات ذوي عدالة ينفذونه ويحملون الناس معه على النَّصَفَة.

ولم يكن في ملوك العجم ملك كان أجمع لفنون الأدب والحكم ولا للعلم منه، وكان يقرّب أهل الآداب والحكمة ويعرف لهم فضلهم. وكان أكبر علماء عصرهُ بُزْرجِمَهر بن البخْتكان وكان من حكماء العجم وعقلائهم وكان كسرى يفضله على وزرائه وعلماء دهره. وكان كسرى ولّى رجلاً من الكتّاب نبيهاً معروفاً بالعقل والكفاية يقال له بابك بن النهروان ديوان الجند، فقال لكسرى: أيها الملك إنك قد قلدتني أمراً من صلاحه أن تحتمل لي بعض الغلظة في الأمور، عَرْضَ الجنود في كل أربعة أشهر وأخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاسبة المؤدّبين على ما يأخذونه على تأديب الرجال بالفروسية والرمي والنظر في مبالغتهم في ذلك وتقصيرهم فإن ذلك ذريعه إلى إجراء السياسة مجاريها، فقال كسرى: ما المجاب بما قال بأحظى من المجيب لاشتراكهما في فضله وانفراد المجيب بعد بالراحة فحقّق مقالتك، وأمر فبنيت له في موضع العرض مصطبة وبسط له عليها الفرش الفاخرة ثم جلس ونادى مناديه لا يبقين أحد من المقاتلة إلا حضر للعرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فأمرهم فانصرفوا، وفعل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى فانصرفوا، فنادى في اليوم الثالث أيها الناس لا يتخلفنّ من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسرير فإنه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة، وبلغ كسرى ذلك فتسلّح سلاحه ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذي يؤخذ به الفارس تجفافاً ودرعاً وجوشناً وبيضة ومغفراً وساعدين وساقين ورمحاً وترساً وجُرزاً يلزمه منطقته وطبرزيناً وعموداً وجعبة فيها قوسان بوترهما وثلثين نشابة ووترين ملفوفين يعلّقهما الفارس في مغفره ظهرياً، فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام خلا الوترين اللذين يستظهر بهما فلم يُجِز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلقهما في مغفره واعترض على بابك فأجاز على اسمه وقال لسيد الكماة أربعة آلاف درهم ودرهم وكان أكثر من له الرزق أربعة آلاف درهم ففضّل كسرى بدرهم، فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى فقال: أيها الملك لا تلمني على ما كان من إغلاظي فما أردت به إلا الدربة للمعدلة والإنصاف وحسم المحاباة، قال كسرى: ما غلظ علينا أحد فيما يريد به إقامة أودنا أو إصلاح ملكنا إلا احتملنا له غلظته كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه لما يرجو من منفعته.

قالوا: وكانت كَسْكر كورة صغيرة فزاد كسرى أنوشروان فيها من كورة بُهَرَسير وكروة هُرْمِزد خُرَّة وكورة ميسان فوسّعها بذلك وجعلها طسّوجين طسوج

جنديسابور وطسوج الزندورد، وكور بجوخي كورة خسروماه وجعل لها ستة طساسيج: طسوج طيسفون وهي المدائن وطيسفون قرية على دجلة أسفل من قباب حميد بثلاثة فراسخ يقال لها بالنبطية طيسفونج، وطسوج جازر وطسوج كلواذي وطسوج نهر بوق وطسوج جلولا وطسوج نهر الملك.

(أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، جمعها واعتنى بترتيبها اغناطيوس كراتشقوفسكي (ليدن: مطبعة بريل، ١٩١٢)، ص ٦٠ ـ ٧٥).

الدعوة العباسية:

قالوا: وفي ذلك العام [١٠١هـ] توقّدت الشيعة على الإمام محمد بن علي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هشام، وكان مستقره بأرض الشام بمكان يسمى الحميمة، وكان أول من قدم من الشيعة ميسرة العبدي وأبو عكرمة السراج ومحمد بن خنيس وحيان العطار، فقدم هؤلاء عليه فأرادوه على البيعة وقالوا له: أبسط يدك لنبايعك على طلب هذا السلطان لعل الله أن يحيي بك العدل ويميت بك الجور فإن هذا وقت ذلك وأوانه الذي وجدناه مأثوراً عن علمائكم، فقال لهم محمد بن علي: هذا أول ما نؤمل ونرجو من ذلك؛ لانقضاء مائة سنة من التاريخ فإنه لم تنقض مائة سنة على أمة قط إلا أظهر الله حق المحقين وأبطل باطل المبطلين لقول الله جل اسمه **﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾** [البَقَـرَة: ٢٥٩] فانطلقوا أيها النفر فادعوا الناس في رفق وستر فاني أرجو أن يتم الله أمركم ويظهر دعوتكم ولا قوة إلا بالله. ثم وجه ميسرة العبدي ومحمد بن خنيس إلى أرض العراق، ووجه أبا عكرمة وحيان العطار إلى خراسان، وعلى خراسان يومئذ سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص، فجعلا يسيران في أرض خراسان من كورة إلى أخرى فيدعوان الناس إلى بيعة محمد ابن علي ويزهدانهم في سلطان أمية لخبث سيرتهم وعظيم جورهم، فاستجاب لهما بخراسان أناس كثير وفشا بعض أمرهما وعلن، فبلغ أمرهما سعيداً فأرسل إليهما فأتي بهما فقال: ما أنتما؟ قالوا: نحن قوم تجار، قال: فما هذا الذي يذكر عنكما؟ قالا: وما هو؟ قال: أخبرنا أنكما جئتما دعاة لبني العباس، قالا: أيها الأمير لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا، فأطلقهما. فخرجا من عنده وارتحلا من مرو فجعلا يدوران كور خراسان ورساتيقها في عداد التجار فيدعوان الناس إلى الإمام محمد بن علي فمكثا بذلك عامين، ثم قدما على الإمام محمد بن علي بأرض الشام فأخبراه أنهما قد غرسا بخراسان غرساً يرجوان أن يثمر في أوانه وألفياه قد ولد له أبو العباس ابنه فأمر بإخراجه إليهم، قال هذا صاحبكم فقبلوا أطرافه كلها. وكان مع الجنيد بن عبد

الرحمن عامل السند رجل من الشيعة يسمى بكير بن ماهان فانصرف إلى موطنه من الكوفة، وقد أصاب بأرض السند مالاً كثيراً، فلقيه ميسرة العبدي وابن خنيس وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يدخل في الأمر معهما فأجابهما إليه وقام معهما وأنفق جميع ما استفاد بأرض السند من الأموال بذلك السبب، ومات ميسرة بأرض العراق وكتب الإمام محمد بن علي إلى بكير بن ماهان أن يقوم مقام ميسرة. وكان بكير يكنّى بأبي هاشم وبها كان يعرف في الناس، وكان رجلاً مفوهاً فقام بالدعاء وتولّى الدعوة بالعراقين. وكان كُتُب الإمام تأتيه فيغسلها بالماء ويعجن بغسالتها الدقيق ويأمر فيختبز منه قرصاً فلا يبقى أحد من أهله وولده إلا أطعمه منه.

ثم إنه مرض مرضه الذي مات فيه فأوصى إلى أبي سلمة الخلّال، وكان أيضاً من كبار الشيعة، وكتب إلى الإمام يعلمه ذلك فكتب محمد بن علي إلى أبي سلمة، فولّاه الأمر وأمره بالقيام بما كان يقوم به أبو هاشم، ثم كتب إلى أبي عكرمة وحيّان وكان صاحب الأمر بخراسان يأمرهما أن يكاتبا أبا سلمة وينتهيا إلى أمره ورأيه. وكان يقطين والوليد بن الأزرق صديقين لأبي سلمة فدعاهما إلى الدخول معه في أمره فأجاباه ودخلا معه وكانفاه.

ثم إن يزيد بن عبد الملك عزل أخاه مسلمة عن العراق وخراسان واستعمل مكانه خالد بن عبد الله القسري، واستعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله على خراسان، فانتهى خبر أبي عكرمة وحيان إلى أسد بن عبد الله فأمر بطلبهما فأخذا وأتي بهما فضربت أعناقهما وصُلبا، وبلغ ذلك محمد بن علي فقال الحمد لله الذي صحّح هذه العلامة وقد بقي من شيعتي رجال سوف يفوزون بالشهادة.

فلما تم لملك يزيد بن عبد الملك أربع سنين وأشهر توفي بالبلقاء من أرض دمشق وكانت وفاته سنة خمس ومائة، وله يوم مات ثمان وثلاثون سنة، ثم استخلف هشام بن عبد الملك وهو ابن أربع وثلاثين سنة فعزل أسد بن عبد الله عن خراسان وولاها الجنيد بن عبد الرحمن وكان رجلاً من اليمانية ذا فضل وسخاء وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ذهب الجود والجُنيد جميعاً ... فعلى الجود والجنيد السلام

ولما قتل أبو عكرمة وحيّان، وجّه الإمام محمد بن علي إلى خراسان خمسة نفر من شيعته: سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب وخالد بن الهيثم وطلحة بن زريق، وأمرهم بكتمان أمرهم وأن لا يفشوه إلى أحد إلا بعد أن يأخذوا عليه العهود المؤكدة بالكتمان. فساروا حتى أتوا خراسان فكانوا يأتون كورة بعد كورة فيدعون الناس سراً إلى أهل بيت نبيهم ويبغّضون إليهم بني أمية لما يظهر من

جورهم واعتدائهم وركوبهم القبائح حتى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان، وبلغ الجنيد أمرهم فأمر بطلبهم وأخذوا وأتى بهم الجنيد فقال: يا فسقة قدمتم هذه البلاد فأفسدتم قلوب الناس على بني أمية ودعوتم إلى بني العباس، فتكلم سليمان بن كثير وقال: أيها الأمير أتأذن لي في الكلام؟ قال: تكلم، قال: أنا وإياك كما قال الشاعر:

لـو بـغـيـر الماء حـلـقـي شـرِقٌ   لاستـغـثـتُ اليوم بـالماء الـقـراح

نعلمك أيها الأمير أننا أناس من قومك اليمانية وأن هؤلاء المضرية تعصبوا علينا فَرقوا إليك فينا الزور والبهتان لأنا كنا أشد الناس على قتيبة فهم الآن يطلبون بثأره بكل علة، فقال الجنيد لمن كان حوله من أصحابه: ما ترون؟ فتكلم عبد الرحمن ابن نعيم رئيس ربيعة وكان من خاصته: نرى أن تمن بهم على قومك فلعل الأمر كما يقولون، فأمر بإطلاقهم فخرجوا وكتبوا بقصتهم إلى الإمام، فكتب إليهم أن هذا أقل ما لكم فاكتموا أمركم وترفقوا في دعوتكم. فساروا من مدينة مرو إلى بخارى ومن بخارى إلى سمرقند ومن سمرقند إلى كشّ ونسف ثم عطفوا على الصغانيان وجازوا منها إلى ختلان وانصرفوا إلى مروروذ الطالقان وعطفوا إلى هراة وبُوشْنج وجازوا إلى سجستان، فغرسوا في هذه البلاد غرساً كثيراً وفشا أمرهم في جميع أقطار خراسان وبلغ ذلك الجنيد فأسف على تركهم ووجّه في طلبهم فلم يقدر عليهم، فكتب إلى خالد بن عبد الله القسري وكان على العراق يعلمه انتشار خراسان وما حدث فيها من الدعاة إلى محمد بن علي، فكتب خالد بن عبد الله إلى هشام يعلمه بذلك فكتب إليه هشام يأمره بالكتاب إلى الجنيد ألا يرغب في الدمار وأن يكفّ عمّن كفّ عنه ويسكن الناس بجهده وأن يطلب النفر الذين يدعون الناس حتى يجدهم فينفيهم، فلما انتهى ذلك إلى الجنيد بعث رسله في أقطار خراسان وكتب إلى عمّاله في الكور بطلب القوم فطُلبوا فلم يُدرك لهم أثر.

قالوا: وكان بدء أمر أبي مسلم أنه كان مملوكاً لعيسى ومعقل ابني إدريس بن عيسى العجليين، وكان مسكنهما بماه البصرة مما يلي أصبهان، وكان أبو مسلم ولد عندهما فنشأ غلاماً فهماً لقناً أديباً ذهناً فأحباه حتى نزل منهما منزلة الولد، وكانا يتوليان بني هاشم ويكاتبان الإمام محمد بن علي، فمكثا بذلك ما شاء الله. ثم إن هشاماً عزل خالد بن عبد الله القسري عن العراق وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي، فكان يوسف بن عمر لا يدع أحداً يعرف بموالاة بني هاشم ومودة أهل بيت رسول الله (ﷺ) إلا بعث إليه فحبسه عنده بواسط. فبلغه أمر عيسى ومعقل ابني إدريس فأشخصهما وحبسهما بواسط فيمن حبس من الشيعة، وكانا أخرجا معهما أبا مسلم فكان يخدمهما في الحبس، وإن سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم

ولاهز بن قريظ، وهم كانوا الدعاة بخراسان، قدموا للحج وقدم معهم قحطبة بن شبيب وكان ممن بايعهم وشايعهم على أمرهم فجعلوا طريقهم على مدينة واسط ودخلوا الحبس فلقوا من كان فيه من الشيعة فرأوا أبا مسلم فأعجبهم ما رأوا من هيئته وفهمه واستبصاره في حب بني هاشم، ونزل هؤلاء النفر بعض الفنادق بواسط فكان أبو مسلم يختلف إليهم طول مقامهم حتى أنس بهم وأنسوا به فسألوه عن أمره فقال: إن أمي كانت أمة لعمير بن بطين العجلي فوقع عليها فحملت بي فباعها وهي حامل فاشتراها عيسى ومعقل ابنا إدريس فولدت عندهما فأنا كهيئة المملوك لهما. ثم إن النفر شخصوا من واسط وأخذوا نحو مكة على طريق البصرة فوصلوا إلى مكة وقد وافاها الإمام محمد بن علي حاجاً فلقوه وسلموا عليه وأخبروه بما غرسوا في جميع خراسان من الغرس ثم أخبروه بممرهم بواسط ودخولهم على إخوانهم المحبّسين بها ووصفوا له صفة أبي مسلم وما رأوا من ذكاء عقله وفهمه وحسن بصره وجودة ذهنه وحسن منطقه، فسألهم أحر هو أم مملوك؟، فقالوا: أما هو فيزعم أنه ابن عمير بن بطين العجلي كانت قصته كيت وكيت ثم فسروا له ما حكى لهم من أمره، فقال: إن الولد تبع للأم فإذا انصرفتم فاجعلوا ممركم بواسط فاشتروه وابعثوا به إلى الحميمة من أرض الشام لأجعله الرسول فيما بيني وبينكم على أني لا أحسبكم تلقوني بعد عامي هذا فإن حدث بي حدث فصاحبكم ابني هذا، يعني إبراهيم، فاستوصوا به خيراً فإنه سأوصيه بكم خيراً. فانصرف القوم نحو خراسان ومروا بواسط ولقوا عيسى ومعقل ابني إدريس فأخبروهما بحاجة الإمام إلى أبي مسلم وسألوهما بيعه منهم، فزعموا أنهما وهباه له، فوجه به القوم إلى الإمام، فلما رآه تفرّس فيه الخير ورجا أن يكون هو القيّم بالأمر لعلامات رآها فيه قد كانت بلغته، فجعله الرسول فيما بينه وبينهم فاختلف إليهم مراراً كثيرة.

ثم توفي الإمام محمد بن علي فقام بالأمر بعده ابنه إبراهيم بن محمد، وكان أكبر ولده، فأمر أبا مسلم أن يسير إلى الدعاة بالعراق وخراسان فيعلمهم وفاة الإمام وقيامه بالأمر من بعده، فسار حتى وافى العراق ولقي أبا سلمة ومن كان معه من الشيعة فأخبرهم بما أمره به ثم سار إلى خراسان ولقي الدعاة بها فأخبرهم بذلك وبلغ وفاة الإمام جميع من بايع في أقطار خراسان فسوّدوا ثيابهم حزناً لمصابه وتسلُّباً عليه، وكان أول من سوّد منهم ثيابه حريش مولى خزاعة وكان عظيم أهل نسا ثم سوّدها من بعده قحطبة بن شبيب ثم سوّد القوم جميعاً.

وكثرت الشيعة بخراسان كلها وعُلن أمرهم وكتب يوسف بن عمر، وكان على العراق، إلى هشام يخبره بذلك فكتب هشام إلى يوسف يأمره أن يبعث إليه رجلاً له علم بخراسان ومعرفة بمن فيها من قوادها وجنودها، وقد كان يوسف بن عمر عزل

عنها الجنيد بن عبد الرحمن واستعمل عليها جعفر بن حنظلة البهراني فكتب جعفر إلى يوسف بن عمر مع عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي يخبره بتفاقم أمر المسوَّدة بخراسان وكثرة من أجاب الدعاة بها، فلما أتاه كتاب هشام يأمره أن يوجّه إليه رجلاً له علم بخراسان حمل عبد الكريم بن سليط إليه على البريد. قال عبد الكريم: فسرت حتى وافيت دمشق فدخلت على هشام فسلّمت عليه بالخلافة، فقال لي: من أنت ؟ قلت: أنا عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي، قال: كيف علمك بخراسان وأهلها؟ قلت: أنا بها جِدّ عالم، أخبرته أن وجهي كان منها بكتاب أميرها جعفر بن حنظلة الهراني إلى يوسف بن عمر يخبره بما حدث فيها، قال: إني أريد أن أولي أمرها رجلاً من القواد الذين هم مرتّبون بها، فمن ترى أن أولي أمرها منهم وأيهم أقوم بها؟ قال: عبد الكريم وكان هواي في اليمانية فقلت: يا أمير المؤمنين أين أنت عن رجل من قوادّها ذي حزم وبأس ومكيدة وقوة ومكانفة من قومه، قال: ومن هو؟ قلت: جديع بن علي الأزدي المعروف بالكرماني، قال: وكيف سمي الكرماني؟ قلت: ولد بكرمان كان أبوه مع المهلب عند محاربة الأزارقة فولد هذا هناك، قال: لا حاجة لي في اليمانية، وكان هشام يبغض اليمانية وكذلك سائر بني أمية. . . قلت: فأين أنت من العفيف المجرب الباسل المحنك نصر بن سيار الليثي؟ قال فكأنه تفاءل به ومال إليه بالمضرية، قلت: إن اغتفرت منه خصلة، قال: وما هي؟ قلت: ليست له بخراسان عشيرة من جنودها وإنما يقوى على ولاية خراسان من كانت له بها عشيرة من جنودها قال: فأي عشيرة أكثر مني لا أبا لك، يا غلام انطلق إلى الكتّاب فمرهم بإنشاء عهده وأتوني به فكتب لي عهده. . .

وإن سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب أرادوا الحج فخرجوا مع الحاجّ متنكّرين حتى أتوا مكة وقد وافاها في ذلك العام إبراهيم بن محمد الإمام فأخبروه بما اجتمع له الناس بخراسان، وقد كانوا حملوا إليه ما بعثت به إليه الشيعة فقالوا: قد جمعنا إليك مالاً، قال: وكم هو؟ قالوا: عشرة آلاف دينار ومائتا ألف درهم، فقال: سلّموه إلى مولاي عروة، فدفعوه إليه، فقال لهم إبراهيم: إني قد رأيت أن أوّلي الأمر هناك أبا مسلم لما جربت من عقله وبلوت من أمانته وأنا موجهه معكم فاسمعوا له واطيعوا امره فإنّ والدي رحمة الله عليه قد كان وصف لنا صفته وقد رجوت أن يكون هو الذي يسوق لنا الملك، فعاونوه وكانفوه وانتهوا إلى رأيه وأمره، قالوا: سمعاً وطاعة لك أيها الإمام. فانصرفوا وأبو مسلم معهم حتى صاروا إلى خراسان، فتشمّر أبو مسلم للدعاء وأخذ القوم بالبيعة ووجّه كل رجل من أصحابه إلى ناحية من خراسان، فكانوا يدورون بها كورة كورة وبلداً بلداً في زِي التجار. فاتبعه عالم من الناس عظيم فواعدهم لظهوره يوماً سمّاه

لهم، وولّى على من بايعه في كل كورة رجلاً من أهلها وتقدم إليهم بالاستعداد للخروج في ذلك اليوم الذي سمّاه لهم حتى أجاب جميع أرض خراسان سهلها وجبلها وأقصاها وأدناها وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أصحابه من قبله واستتب له الأمر على محبته وصار من أعظم الناس منزلاً عند شيعته حتى كانوا يتحالفون به فلا يحنثون ويذكرونه فلا يملّون.

(المصدر نفسه، ص ٣٣٤ ـ ٣٤٤).

الطَّبَري

تعريف بالكتاب [تاريخ الرسل والملوك]:

قال أبو جعفر [محمد بن جرير الطبري]: وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من ابتداء ربنا جلّ جلاله خلقه إلى حال قيامهم من انتهى إلينا خبره ممن ابتدأه الله (تعالى) بآلائه ونعمه فشكر نعمه، من رسول له مرسل أو ملك مسلّط أو خليفة مستخلف فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً وإلى ما تفضل به عليه فضلاً ومن أخر ذلك له منهم وجعله له عنده ذخراً ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه وعجل له نقمه ومن كفر منهم نعمه فمتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه، مقروناً ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر نعمائه وجمل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه؛ إذ كان الاستقصاء في ذكر يقصر عنه العمر وتطول به الكتب، مع ذكري مع ذلك مدة أكله وحين أجله بعد تقديمي أمام ذلك ما تقديمه بنا أولى والابتداء به قبله أحجى من البيان عن الزمان ما هو وكم قدر جميعه وابتداء أوله وانتهاء آخره وهل كان قبل خلق الله (تعالى) إياه شيء غيره وهل هو فانٍ وهل بعد فنائه شيء غير وجه المسبّح الخلاق تعالى ذكره وما الذي كان قبل خلق الله إياه وما هو كائن بعد فنائه وانقضائه وكيف كان ابتداء خلق الله (تعالى) إياه وكيف يكون فناؤه، والدلالة على أن لا قديم إلا الله الواحد القهار الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، بوجيز من الدلالة غير طويل؛ إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج لذلك بل لما ذكرنا من تاريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم وأيام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم ومبالغ ولاياتهم والكائن الذي كان من الأحداث في أعصارهم. ثم أنا مُتبع آخر ذلك كله إن شاء الله وزائد منه بعون وقوة ذكر صحابه نبينا محمد (ﷺ) وأسمائهم وكُناهم ومبالغ أنسابهم ومبالغ أعمارهم ووقت وفاة كل إنسان منهم والموضع الذي كانت به وفاته، ثم متبعهم ذكر من كان بعدهم من التابعين لهم

بإحسان على نحو ما شرطنا من ذكرهم، ثم ملحق بهم ذكر من كان بعدهم من الخلف كذلك وزائد في أمورهم للإبانة عمن حمدت منهم روايته ونقلت أخباره ومن رفضت منهم روايته ونبذت أخباره ومن وهن منهم نقله وضعف خبره والسبب الذي من أجله نبذ من نبذ منهم خبره والعلة التي من أجلها وهن من وهن منهم نقله. وإلى الله عز وجل أنا راغب في العون على ما أقصده وأنويه والتوفيق لما ألتمسه وأبغيه فإنه ولي الحول والقول وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم تسليماً.

وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه؛ إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم إنه لم يُؤتَ في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا وإنما أدينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا.

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، [تحقيق ميخائيل جان دوغويه، ١٥ ج (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١)].

ما جرى بين المهاجرين والأنصار في سقيفه بني ساعدة [سنة ١١هـ]

[حدثنا هشام بن محمد]، عن أبي مخنف قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي عمرة الأنصاري، أن النبي (ﷺ) لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد (ﷺ) سعد بن عبادة، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه: إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلّهم كلامي ولكن تلقَّ مني قولي فأسمعهموه، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع أصحابه. فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إن محمداً (ﷺ) لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان فما آمن به من قومه إلا رجال قليل وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يُعِزّوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عُمّوا به حتى إذا أراد بكم

الفضيلة ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله والمنع له ولأصحابه والإعزاز له ولدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه منكم وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً واعطى البعيد صاغراً داخراً حتى اثخن الله (عز وجل) لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين، استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دون الناس. فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي وأصبت في القول ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر فإنك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضىً.
ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده، فقالت طائفة منهم: فإنا نقول: إذاً منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً، فقال سعد بن عبادة حين سمعها: وهذا أول الوهن. وأتى عمر الخبر فأقبل إلى منزل النبي (ﷺ) فأرسل إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) دائب في جهاز رسول الله (ﷺ) فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إلي، فأرسل إليه أني مشتغل فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج إليه فقال: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يرويدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة، وأحسنهم مقالة من يقول منا أمير ومن قريش أمير؟ فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم، فلقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة فقالا لهم: ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون، فقالوا: لا نفعل، فجاؤوا وهم مجتمعون. فقال عمر بن الخطاب: أتيناهم وقد كنت زوّرت كلاماً أردت أن أقوم به فيهم، فلما أن دفعت إليهم ذهبت لابتدئ المنطق فقال لي أبو بكر: رويداً حتى أتكلم ثم انطق بعد بما أحببت فنطق، فقال عمر: فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه. فقال عبد الله بن عبد الرحمن: فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ولهم نافعة وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور، ثم قرأ **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾** وقالوا: **﴿ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾**، فعَظُمَ على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس لهم مخالف زارٍ عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم وإجماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته

وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا يُنكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله وجعل إليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور. قال، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، انتم أهل العز والثروة وأولو العدد والمنعة والتجربة ذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير. فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وأمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدلٍ بباطل أو متجانف لإثم أو متوّرط في هلكة. فقام الحباب بن المنذر فقال: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم وأن لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جُذَيْلها المحكك وعُذَيقها المُرجّب أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة. فقال عمر: إذاً يقتلك الله، قال: بل إياك يقتل. فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير. فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضى ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً فإن الله ولي المنة علينا بذلك، ألا إن محمداً (ﷺ) من قريش وقومه أحق به وأولى وايم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم. فقال أبو بكر: هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا، فقالا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك؛ أبسط يدك نبايعك. فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عققت عَقاق ما أحوجك إلى ما صنعت، أنفست على ابن عمك الإمارة؟ فقال: لا والله، ولكني كرهت أن أنازع

قوماً حقاً جعله الله لهم. ولما رأت الأوس ما صنعه بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد ابن حضير وكان أحد النقباء: والله لئن وَلِيتَها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر، فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له أمرهم.

قال هشام قال أبو مخنف: فحدثني أبو بكر بن محمد الخزاعي أنّ أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السلك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر.

قال هشام عن أبي مخنف قال عبد الله بن عبد الرحمن: فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطأون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعداً لا تطأوه، فقال عمر اقتلوه قتله الله، ثم قام على رأسه فقال له: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك فأخذ سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفيك واضحة، فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر الرفق هاهنا أبلغ فأعرض عنه، فقال سعد: أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسكلها زئيراً يُجحرك وأصحابك أما والله إذاً لألحقنّك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع احملوني من هذا المكان، فحملوه، فأدخلوه في داره وترك أياماً ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل، وأَيم الله لو أن الجنّ اجتمعت لكم مع الأنس حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي. فلما أتي أبو بكر بذلك قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع، فقال له بشير بن سعد: إنه قد لجّ وأبى وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته، وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضارّكم إنما رجل واحد، فتركوه وقبلوا مشورة بشير ابن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ويحجّ ولا يفيض معهم بإفاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر (رحمه الله).

حدثنا عبيد الله بن سعيد قال: حدثنا عمي قال: حدثنا سيف بن عمر عن سهل وأبي عثمان عن الضحاك بن خليفة قال: لما قام الحباب بن المنذر انتضى سيفه وقال: أنا جُذيلها المحكّك وعُذيقها المرجّب أنا أبو شبل في عرينة الأسد يعزى إلى الأسد فحامله عمر فضرب يده فندر السيف فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على

سعد وتتابع القوم على البيعة وبايع سعد، وكانت فلتة كفلتات الجاهلية قام أبو بكر دونها، وقال قائل حين أوطئ سعد: قتلتم سعداً فقال عمر: قتله الله إنه منافق واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه.

حدثنا عبيد الله بن سعيد قال، حدثني عمّي يعقوب قال، حدثنا سيف عن مبشر عن جابر قال، قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر: إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة، فقالوا: إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة، ولكنا أجبرنا على الجماعة فلا إقالة فيها، لئن نزعت يداً من طاعة أو فرقت جماعة لنضربنّ الذي فيه عيناك.

(المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٣٧ ـ ١٨٤٥).

حديث السقيفة [تتمة]:

حدثني علي بن مسلم قال: حدثنا عبّاد بن عبّاد قال: حدثنا عبّاد بن راشد قال: حُدّثِنا عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن، قال: فحجّ عمر وحججنا معه، قال: فإني لفي منزل بمنىً إذ جاءني عبد الرحمن بن عوف فقال: شهدت أمير المؤمنين اليوم وقام إليه رجل فقال: إني سمعت فلاناً يقول: لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلاناً. قال فقال أمير المؤمنين: إني لقائم العشية في الناس فمحذّرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوا الناس أمرهم، قال فقلت: يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وإنهم الذين يغلبون على مجلسك وإني لخائف إن قلت اليوم مقالة ألا يعوها ويحفظوها ولا يضعوها على مواضعها وأن يطيّروا بها كل مطيّر ولكن أمهل حتى تقدم المدينة تقدم دار الهجرة والسنّة وتخلص بأصحاب رسول الله (ﷺ) من المهاجرين والأنصار فتقول ما قلت متمكناً فيعوا مقالتك ويضعوها على مواضعها، فقال: والله لأقومن بها في أول مقام أقومه بالمدينة.

قال: فلما قدمنا المدينة وجاء يوم الجمعة... فلما جلس عمر على المنبر أذّن المؤذنون، فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإني أريد أن أقول مقالة قد قُدّر أن أقولها، من وعاها وعقلها وحفظها فليحدّث بها حيث تنتهي به راحلته، ومن لم يعها فإني لا أُحل لأحد أن يكذب عليّ، إن الله (عز وجل) بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب وكان فيما أنزل آية الرجم فرجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا بعده، وإني قد خشيت أن يطول بالناس زمان فيقول قائل والله ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله، وقد كنا نقول: لا ترغبوا عن

آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم. ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول لو قد مات أمير المؤمنين بايعتُ فلاناً فلا يغرنّ أمرأ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فقد كانت كذلك غير أن الله وقى شرها وليس منكم من تقطّع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنه كان من خبّرنا حين توفّى الله نبيه (ﷺ) أن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلّفت عنا الأنصار بأسرها واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم، فلقينا رجلان صالحان قد شهدا بدراً فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قال: فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم، فقلنا: والله لنأتينهم. قال: فأتينا وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، قال: وإذا بين أظهرهم رجل مزمّل، قال قلت؛ من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما شأنه؟ قالوا وجع، فقام رجل منهم فحمد الله وقال: أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط نبيّنا وقد دفّت إلينا من قومكم دافّة، قال: فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا وقد كنت زورت في نفسي مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر وقد كنت أداري منه بعض الحد وكان هو أوقر مني وأحلم فلما أردت أن أتكلم قال: على رسلك فكرهت أن أعصيه، فقام فحمد الله وأثنى عليه فما ترك شيئاً كنت زوّرت في نَفسي أن أتكلم به لو تكلمت إلا قد جاء به أو بأحسن منه، وقال: أما بعد يا معشر الأنصار فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا وأنتم له أهل وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، وهم أوسط داراً ونسباً ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وإني والله ما كرهت من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة أن كنت لأقدَّم فتضرب عنقي فيما لا يقرّبني إلى إثم أحب إليّ من أن أؤمر على قومٍ فيهم أبو بكر، فلما قضى أبو بكر كلامه قام رجل منهم فقال: أنا جُذَيلها المحكّك وعُذَيقها المرجّب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال: فارتفعت الأصوات وكثر اللغط فلما أشفقت الاختلاف قلت لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار، ثم نزونا على سعد حتى قال قائلهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعداً، وإنّا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعةً فإما أن نتابعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون فساد.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن الزهري، عن عروة بن الزبير قال: إن أحد الرجلين اللذين [لُقوا] من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة والآخر معن بن عدي أخو بني العجلان، فأما عويم بن

ساعدة فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله (ﷺ) من الذين قال الله لهم ﴿**فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين**﴾، فقال رسول الله (ﷺ): نعم المرء منهم عويم بن ساعدة، وأما معن فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله (ﷺ) حين توفاه الله، وقالوا: والله لوددنا أنّا متنا مثله، إنا نخشى أن نفتتن بعده، فقال معن بن عدي: والله ما أحب أني متّ قبله حتى أصدّقه ميتاً كما صدّقته حياً، فقتل معن يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر.

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهري قال: حدثنا عمّي يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرني سيف بن عمر، عن الوليد بن عبد الله بن أبي ظبية البجلي قال: حدثنا الوليد ابن جميع الزهري قال: قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد: أشهدت وفاة رسول الله (ﷺ) قال: نعم، قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله (ﷺ) كرهوا أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة...»

(المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٢٠ ـ ١٨٢٤).

النزاع بين المستعين والمعتز (سنة ٢٥١هـ):

ولما اتصل بمحمد بن عبد الله خبر البيعة للمعتز وتوجّهه العمال أمر بقطع الميرة عن أهل سامرّا، وكتب إلى مالك بن طوق في المسير إلى بغداد هو ومن معه من أهل بيته وجنده، وإلى نجوبة بن قيس وهو على الأنبار في الاحتشاد والجمع، وإلى سليمان بن عمران الموصلي في جمع أهل بيته ومَنْع السفن أو شيء من الميرة أن ينحدر إلى سامرّا، ومنع أن يصعد شيء من الميرة من بغداد إلى سامرّا وأخذت سفينة فيها أرز وسَقَطٌ فهرب الملّاح منها وبقيت السفينة حتى غرقت.

وأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد فتقدم في ذلك فأدير عليها الحصن من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء حتى أورده دجلة، ومن دجلة من باب قطيعة أم جعفر حتى أورده قصر حُميد بن عبد الحميد، ورتب على كل باب قائداً في جماعة من أصحابه وأمرهم بحفر الخنادق حول السورين كما يدوران في الجانبين جميعاً ومظلات يأوي إليها الفرسان في الحر والأمطار، فبلغت النفقة فيما ذكر على السورين وحفر الخنادق والمظلّات ثلثمائة ألف دينار وثلثين ألف دينار وجعل على باب الشماسية خمس شداخات بعرض الطريق فيها العوارض والألواح والمسامير الطوال الظاهرة، وجُعل من خارج الباب الثاني باب معلّق بمقدار الباب ثخين قد ألبس بصفائح الحديد وشد بالحبال؛ كي إن وافى أحد ذلك الباب أرسل عليه الباب المعلق فقتل من تحته، وجعل على الباب الداخل عرَّادة وعلى الباب

الخارج خمس مجانيق كبار وفيها واحد كبير سمّوه الغضبان وست عرادات ترمى بها إلى ناحية رقّة الشماسية وصيّر على باب البَرَدان ثماني عرادات في كل ناحية أربع شداخات، وكذلك على كل من أبواب بغداد في الجانب الشرقي والغربي، وجعل لكل باب من أبوابها دهليزاً بسقائف تَسَعُ مائةَ فارس ومائة راجل ولكل منجنيق وعرادة رجالاً مرتّبين يمدّون بحباله ورامياً يرمي إذا كان القتال. وفرض فروضاً ببغداد ومن قوم من أهل خراسان قدموا حجاجاً فسألوهم المعونة على قتال الأتراك فأعانوا، وأمر محمد بن عبد الله بن طاهر أن يُفرض من العيارين فرض وأن يجعل عليهم عريف ويعمل لهم تراسٌ من البواري المقيرة وأن يعمل لهم مخال تملأ بالحجارة ففعل ذلك وتولى فيما ذكر عمل البواري المقيرة محمد بن أبي عون، وكان الرجل منهم يقف خلف البارية ولا يرى منها عملت بسائجات أنفق عليها زيادة على مائة دينار، وكان العريف على أصحاب البواري المقيّرة من العيارين رجل يقال له بنبوية وكان الفراغ من عمل السور يوم الخميس لسبع بقين من المحرم. وكتب المستعين إلى عمال الخراج بكل بلدة وموضع أن يكون حملهم ما يحملون من الأموال إلى السلطان إلى بغداد ولا يحملون إلى سامرّا شيئاً، وإلى عمّال المعاون في رد كتب الأتراك، وأمر بالكتاب إلى الأتراك والجند الذين بسامرّا يأمرهم بنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء ببيعتهم إياه، ويذكّرهم أياديه عندهم وينهاهم عن معصيته ونكث بيعته، وكان كتابه بذلك إلى سيما الشرابي.

ثم جرت بين المعتز ومحمد بن عبد الله بن طاهر مكاتبات ومراسلات يدعو المعتز محمداً إلى الدخول فيه من بايعه بالخلافة وخلع المستعين ويذكّره ما كان أبو المتوكل أخذ له عليه بعد أخيه المنتصر من العهد وعقد الخلافة ودعوة محمد بن عبد الله المعتز إلى ما عليه من الأوبة إلى طاعة المستعين واحتجاج كل واحد منهما على صاحبه فيما يدعو إليه من ذلك بما يراه حجة له تركتُ ذكرها كراهة الإطالة بذكرها وأمر محمد بن عبد الله بكسر القناطر وبثق المياه بطسّوج الأنبار وما قرب منه من طسوج بادوريا ليقطع طريق الأتراك حين تخّوف من ورودهم الأنبار...

وكتب كل واحد من المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا وهو مقيم بأطراف الشام قرب الجزيرة وكان خرج إلى حمص لحرب أهلها يدعوه إلى نفسه وبعث كل واحد منهما إليه بعدة ألوية يعقدها لمن أحب ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام ويستخلف على عمله من رأى فانصرف إلى المعتز وصار معه وقدم عبد الله بن بغا الصغير بغداد وكان قد تخلّف بسامّرا حين خرج أبوه منها مع المستعين وصار إلى المستعين واعتذر إليه وقال لأبيه إنما قدمت إليك لأموت تحت ركابك وأقام ببغداد أياماً ثم استأذن ليخرج إلى قرية بقرب بغداد على طريق الأنبار فأذن له فأقام فيها إلى

الليل ثم هرب من تحت ليلته فمضى في الجانب الغربي إلى سامرّا مجانباً لأبيه ومماليأ عليه واعتذر إلى المعتز من مصيره إلى بغداد وأخبره إنما صار إليها ليعرف أخبارهم وليصير إليه فيعرّفه صحيحاً فقبل ذلك منه وردّه إلى خدمته وورد الحسن بن الأفشين بغداد فخلع عليه المستعين وضم إليه من الأشروسنية وغيرهم جماعة كبيرة وزاد في أرزاقه ستة عشر ألف درهم في كل شهر...

وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة وهي سنة ٢٤١ على حرب المستعين وابن طاهر وولاّه ذلك وضمّ إليه الجيش وجعل إليه الأمر والنهي، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركي فعسكر بالقاطول في خمسة آلاف من الأتراك والفراغنة وألفين من المغاربة وضم المغاربة إلى محمد بن راشد المغربي، فوافوا عكبراء ليلة الجمعة لليلة بقيت من المحرم فصلى أبو أحمد ودعا للمعتز بالخلافة وكتب بذلك نسخاً إلى المعتز: فذكر جماعة من أهل عكبراء أنهم رأوا الأتراك والمغاربة وسائر أتباعهم وهم على خوف شديد يرون أن محمد بن عبد الله قد خرج إليهم فسبقهم إلى حربهم وجعلوا ينتهبون القرى ما بين عكبراء وبغداد، وهرب الناس ما بين عكبراء وبغداد وأوانا وسائر القرى من الجانب الغربي تخوّفاً على أنفسهم وخلّوا عن الغلات والضياع فخربت الضياع وانتهبت الغلات والأمتعة وهُدمت المنازل وسُلب الناس في الطريق. ولما وافى أبو أحمد عكبراء ومن معه خرج جماعة من الأتراك الذين كانوا مع بغا الشرابي بمدينة السلام من مواليه والمضمومين إليه فهربوا ليلاً فاجتازوا بباب الشماسية وكان على الباب عبد الرحمن بن الخطاب ولم يعلم بخبرهم وبلغ محمد بن عبد الله ذلك فأنكره عليه وعنّفه وتقدم في حفظ الأبواب وحراستها والنفقة على من يتولاها، ولما وافى الحسن بن الأفشين مدينة السلام وُكّل بباب الشماسية. ثم وافى أبو أحمد وعسكره الشماسية ليلة الأحد لسبع خلون من صفر ومعه كاتبه محمد بن عبد الله بن بشر بن سعد المرثدي وصاحب خبر العسكر من قبل المعتز الحسن بن عمرو بن قماش ومن قبله صاحب خبر له يقال له جعفر بن أحمد... فقال رجل من البصريين كان في عسكره ويعرف بباذنجان:

يا بني طاهر أتتكم جنود الله والموتُ بينها منثور
وجيوش أمامهن أبو أحـ ـمد نعم المولى ونعم النصير

ولما صار أبو أحمد بباب الشماسية ولّى المستعين الحسين بن اسماعيل باب الشماسية وصيرّ مَن هناك من القواد تحت يده فلم يزل مقيماً هناك مدة الحرب إلى أن شخص إلى الأنبار فولى مكانه إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم ولثلث عشرة مضت من صفر صار إلى محمد بن عبد الله جاسوس له فأعمله أن أبا أحمد قد عبّى قوماً يحرقون ظلال الأسواق من جانبي بغداد فكشطت في ذلك اليوم. وذكر أن محمد بن عبد الله

وجّه محمد بن موسى المنجّم والحسين بن إسماعيل وأمرهما أن يخرجا من الجانب الغربي وأن يرتفعا حتى يجاوزا عسكر أبي أحمد ويحزرا كم في عسكره، فزعم محمد ابن موسى أنه حزرهم ألفي إنسان معهم ألف دابة. فلما كان يوم الاثنين لعشر خلون من صَفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشماسية فوقفوا بالقرب منه، فوجه محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال وبندار الطبري فيمن معهم وعزم على الركون لمقاتلتهم فانصرف إليه الشاه فأعلمه أنه وافى بمن معه باب الشماسية فلما عاين الأتراك الأعلام والرايات وقد أقبلت نحوهم انصرفوا إلى معسكرهم فانصرف الشاه والحسين وترك محمد الركوب يومئذ. فلما كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر عزم محمد بن عبد الله على توجيه الجيوش إلى القُفص ليعرض جنده هناك ويرهب بذلك الأتراك وركب معه وصيف وبغا في الدروع. . . ومضى معه بالفقهاء والقضاة وعزم على دعائهم إلى الرجوع عما هم عليه من التمادي في الطغيان واللجاج والعصيان وبعث يبذل لهم الأمان على أن يكون أبو عبد الله وليّ العهد بعد المستعين فإن قبلوا الأمان وإلا باكرهم بالقتال يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة تخلو من صفر، فمضى نحو باب قُطْرَبُّل فنزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبغا ولم يمكنه التقدم لكثرة الناس. . .

ووافى الأتراك في هذا اليوم باب الشماسية فرموا بالسهام والمنجنيق والعرّادات وكان بينهم قتلى وجرحى كثير وكان الأمير الحسين بن إسماعيل لمحاربتهم، ثم أُمِدّ بأربع مائة رجل من المطلّبين مع رجل يعرف بأبي السنا الغنوي ثم أمدهم بقوم من الأعراب نحو من ثلثمائة رجل وحمل في هذا اليوم من الصلات لمن أبلى في الحرب خمسة وعشرين ألف درهم وأطوقة وأسورة من ذهب. . . فكان الجرحى من أهل بغداد أكثر من مائتي إنسان والقتلى عدة وكذلك الجراحات في الأتراك والقتلى أكثرهم بالمجانيق، وانهزم أكثر عامة أهل بغداد وثبت أصحاب البواري وانصرفوا جميعاً وهم في القتلى والجرحى شبيه بالسواء وجرح من هؤلاء فيما ذكر مائتان ومن هؤلاء مائتان وقتل جماعة من الفريقين. وجاء كردوس من الفراغنة والأتراك في هذا اليوم إلى باب خراسان من الجانب الشرقي ليدخلوا منه وأتى الصريخ محمد بن عبد الله وثبت لهم المبيضة والغوغاء فردوهم. . .

وأحضر الأتراك منجنيقاً فغلبهم الغوغاء عليه والمبيضة وكسروا قائمة من قوائمه. . .

وكان محمد بن عبد الله اتصل به أن جماعة من الأتراك قد صاروا إلى ناحية النهروان فوجه قائدين من قواده يقال لهما عبد الله بن محمود السرخسي ويحيى بن

حفص المعروف بحبوس في خمسمائة من الفرسان والرَّجالة إلى هذه الناحية ثم أردفهم بسبعمائة رجل أيضاً وأمرهم بالمقام هناك ومنع من أراده من الأتراك، فتوجه آخرهم إلى هذه الناحية يوم الجمعة لسبع خلون من صفر. فلما كان ليلة الاثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر صار قوم من الأتراك إلى النهروان فخرج جماعة ممن كان مع عبد الله بن محمود فرجعوا هرّاباً وأخذت دوابّهم وانصرف من نجا منهم إلى مدينة السلام مغلولين وقتل زهاء خمسين رجلاً وأخذوا ستين دابة وعدة البغال قد كانت جاءت من ناحية حلوان عليها السلاح فوجّهوا بها إلى سامّراء ووجّهوا برؤوس من قتلوا من الجند فكانت أول رؤوس وافت في تلك الحرب سامرّا وانصرف عبد الله ابن محمود مغلولاً في شرذمة وصار طريق خراسان في أيدي الأتراك وانقطع الطريق من بغداد إلى خراسان.

ووجه المعتز عسكراً من الأتراك والمغاربة والفراغنة ومن هو في عدادهم، وعلى الأتراك والفراغنة الدرغمان الفرغاني وعلى المغاربة ربله (؟) المغربي فساروا إلى مدينة السلام من الجانب الغربي فجازوا قطربل إلى بغداد وضربوا عسكرهم بين قطربل وقطيعة أم جعفر وذلك عشية الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر، فلما كان يوم الأربعاء من غد هذه الليلة وجّه محمد بن عبد الله بن طاهر الشاه ابن ميكال من باب القطيعة وبندار وخالد من عمران فيمن معهم من أصحابهم من الفرسان والرجالة فصادفهم الشاه وأصحابه فتراموا بالحجارة والسهام وألجأوا الشاه إلى مضيق عند باب القطيعة وكرَّ المبيِّضة من أهل بغداد، ثم حمل الشاه والمبيّضة حملة واحدة أزالوا بها الأتراك والمغاربة ومن معهم عن موضعهم وحمل عليهم المبيّضة وأصحروا بهم وحمل عليهم الطبرية فخالطوهم وخرج عليهم بندار وخالد بن عمران من الكمين وكانوا كمنوا في ناحية قطربل فوضعوا في أصحاب أبي أحمد الأتراك منهم وغيرهم السيف فقتلوهم أبرح قتل فلم يفلت منهم إلا القليل وانتهب المبيضة عسكرهم وما كان فيه من المتاع والأهل والأثقال والمضارب والخرثي فكل من أفلت من السيف رمى بنفسه في دجلة؛ ليعبر إلى عسكر أبي أحمد فأخذه أصحاب الشبارات وكانت الشبَّارات قد شحنت بالمقاتلة فقتلوا وأسروا وجعل القتلى والرؤوس من الأتراك والمغاربة وغيرهم في الزواريق، فنصبت بعضها في الجسرين وعلى باب محمد بن عبد الله فأمر محمد بن عبد الله لمن أبلى في هذا اليوم بالأسورة فسوّرَ قوم كثير من الجند وغيرهم. . . وذكر أن عسكر الأتراك يوم هزموا بباب القطيعة كانوا أربعة آلاف فقتل منهم يوم الوقعة هناك ألفان وكان وضع فيهم السيف من باب القطيعة إلى القفص فقتلوا من قتلوا وغرق من غرق وأسر منهم جماعة. . . وكان انصرافهم من الوقعة مع المغرب، وسخرت البغال وأخذ لها الجواليق لتحمل فيها الرؤوس إلى

بغداد وكان كل من وافى دار محمد برأس تركي أو مغربي أعطوه خمسين درهماً، وكان أكثر ذلك العمل للمبيضة والعيارين، ثم وافى عيارو بغداد قطربل فانتهبوا ما تركه الأتراك من متاع أهل قطربل وأبواب دورهم. فوجه محمد في آخر هذا اليوم أخاه أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله والمظفر بن سيسل في أثر المنهزمين حياطة لأهل بغداد؛ لأنه لم يأمن رجعتهم عليه فبلغا القفص وانصرفا سالمين وزعجا من أقام من الرجالة والعيارين بناحية قطربل. وأشير على محمد بن عبد الله أن يتبعهم بعسكر في اليوم الثاني وفي تلك الليلة ليوغل في آثارهم فأبى ذلك ولم يتبع مولياً ولم يأمر أن يجهز على جريح وقبل أمان من استأمن، وأمر سعيد بن حُميد فكتب كتاباً يذكر فيه هذه الوقعة فقرئ على أهل بغداد في مسجد جامعها نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته والقادر فلا يعارض في قدرته والعزيز فلا يذل في أمره... ولله عند أمير المؤمنين في رئيس دعوته وسيف دولته والمحامي عن سلطانه ومحل ثقته والمتقدم في طاعته ونصيحته لأوليائه والذاب عن حقه والقائم بمجاهدة أعدائه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين نعمة يرغب إلى الله في إتمامها والتوفيق لشكرها والتطول بمن أراد المزيد فيها فإن الله قدر لآبائه القيام بالدعوة لآباء أمير المؤمنين ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية حين حاول أعداء الله أن يطمسوا معالم دينه ويعفوها، فقام بحق الله وحق خليفته محامياً عنها ومرامياً من ورائها متناولاً للبعيد برأيه ونظره مباشراً للقريب بإشرافه وتفقده باذلاً نفسه في كل ما قربه من الله وأوجب له الزلفة عنده وسيمتع الله أمير المؤمنين به ولياً مكانفاً على الحق وناصراً مؤازراً على الخير وظهيراً مجاهداً لعدو الدين، وقد علمتم ما كان من كتاب أمير المؤمنين تقدم به إليكم فيما أحدثته الفرقة الضالة عن سبيل ربها المفارقة لعصمة دينها الكافرة لنعم الله ونعم خليفته عندها المباينة لجماعة الأمة التي ألّف الله بخلافته نظامها المحاولة لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها الناكثة لبيعته الخالعة لربقة الإسلام من أعناقها... إلخ.

وركب محمد بن عبد الله بن طاهر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر إلى الشماسية وأمر بهدم ما وراء سور بغداد من الدور والحوانيت والبساتين وقطع النخل والشجر من باب الشماسية إلى ثلاثة أبواب؛ ليتسع الناحية على من يحارب فيها وكان وجه من ناحية فارس والأهواز نيف وسبعون حماراً بمال إلى بغداد قدم به فيما ذكر منكجور بن قارن الأشروسني القائد فوجّه الأتراك وأبو أحمد بن بابك إلى طرارستان في ثلثمائة فارس وراجل ليتلقى ذلك المال إذا صار إليها فوجه محمد بن عبد الله قائداً يقال له يحيى بن حفص يحمل ذلك المال فعدل به عن طرارستان خوفاً من ابن بابك فلما علم ابن بابك أن المال قد فاته صار بمن معه إلى

النهروان فأوقع من كان معه من الجند بأهلها وأخرج أكثرهم وأحرق سفن الجسر وهي أكثر من عشرين سفينة وانصرف إلى سامراء وقدم محمد بن خالد بن يزيد وكان المستعين قلده الثغور الجزرية وكان مقيماً بمدينة بلد ينتظر من يصير إليه من الجند والمال، فلما كان من اضطراب أمر الأتراك ودخول المستعين بغداد ما كان لم يمكنه المصير إلى بغداد إلا من طريق الرقة فصار إليها بمن معه من خاصته وأصحابه وهم زهاء أربعمائة فارس وراجل ثم انحدر إلى مدينة السلام فدخلها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر فصار إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فخلع عليه خمس خلع ديبقي وملحم وخز ووشى سواد، ثم وجهه في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد فأخذ على ظهر الفرات فحاربه في نفر يسير فهزم وصار إلى ضيعة بالسواد. فذكر عن سعيد بن حميد أنه قال: لما انتهى خبر هزيمة محمد بن خالد إلى محمد بن عبد الله قال: ليس يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره الله به وفي هذا اليوم كانت للأتراك وقعة بباب الشماسية كانوا صاروا إلى الباب فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى كشفوا من عليه ورموا بالمنجنيق المنصوب يسرة الباب بالنفط والنار فلم يعمل فيه نارهم وكثرهم من على الباب من الجند حتى أزالوهم عن موقفهم ودفعوهم عن الباب بعد قتلهم عدة يسيرة من أهل بغداد وجرحهم منهم جماعة كثيرة بالسهام، فوجه محمد بن عبد الله إليهم عند ذلك العرادات التي كانت تحمل في السفن والزواريق، فرموهم بها رمياً شديداً فقتلوا منهم جماعة كثيرة نحواً من مائة إنسان فتنحوا عن الباب...

وذكر أن الغوغاء اجتمعوا بسامراء بعد هزيمة الأتراك يوم قطربل ورأوا ضعف أمر المعتز فانتهبوا سوق أصحاب الحلي والسيوف والصيارفة وأخذوا جميع ما وجدوا فيها من متاع وغيره فاجتمع التجار إلى إبراهيم المؤيد أخي المعتز فشكوا ذلك إليه وأعلموه أنهم قد كانوا ضمنوا لهم أموالهم وحفظها عليهم، قال لهم: كان ينبغي أن تحولوا متاعكم إلى منازلكم وكبر عنده ذلك...

وفي شهر ربيع الأول منها (٢٥١هـ) أمر محمد بن عبد الله أن يتخذ لعياري أهل بغداد كافر كوبات وأن يصير فيها مسامير الحديد ويجعل ذلك في دار المظفر بن سيسل؛ لأنهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح وكانوا يرمون بالآجر، ثم أمر منادياً فنادى: من أراد السلاح فليحضر دار المظفر فوافاها العيارون من كل جانب فقسم ذلك فيهم وأثبت أسماءهم ورأس العيارون عليهم رجلاً يدعى بنبوية ويكنى أبا جعفر وعدة أخر يدعى أحدهم دونل والآخر دمحال والآخر أبا نملة والآخر أبا عصارة، فلمْ يثبت منهم إلا بنبوية فإنه لم يزل رئيساً على عياري الجانب الغربي حتى انقضى أمر هذه الفتنة. ولما أعطي العيارون الكافر كوبات تفرقوا على أبواب بغداد

فقتلوا من الأتراك ومن أتباعهم نحواً من خمسين نفساً في ذلك اليوم وقتل منهم عشرة أنفس وخرج منهم خمسمائة بالنشاب وأخذوا من الأتراك علمين وسلمين.

وفيها كانت لنجوبة بن قيس وقعة مع جماعة من الأتراك بناحية بزغى لقيهم هو ومحمد بن أبي عون وغيرهما فأسروا منهم سبعة وقتلوا ثلاثة ورمى بعضهم بنفسه في الماء فغرق بعضهم ونجا بعضهم. . . وخرج فيما ذكر بنبوية وأصحابه من العيارين في بعض هذه الأيام من باب قطربل فمضوا يشتمون الأتراك حتى جازوا قطربل، فعبر من عبر إليهم من الأتراك ناشبة في الزواريق فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا منهم عشرة وكاثرهم العيارون بالحجارة فأثخنوهم فرجعوا إلى معسكرهم فأحضر بنبوية دار بن طاهر فأمر ألا يخرج إلا في يوم قتال وسور وأمر له بخمسمائة درهم. ولأربع عشرة خلت من ربيع الأول منها قدم من ناحية الرقة مزاحم بن خاقان وأمر القواد وبني هاشم وأصحاب الدواوين بتلقيه وقدم من كان معه من أصحابه الخراسانية والأتراك والمغاربة وكانوا زهاء ألف رجل معهم عتاد الحرب من كل صنف ودخل بغداد ووصيف عن يمينه، وبغا عن شماله وعبيد الله بن عبد الله ابن طاهر عن يسار بغا وإبراهيم بن إسحاق خلفهم وهو بوقار ظاهر، فلما وصل خلع عليه سبع خلع وقلد سيفاً وخُلِع على ابنيه على كل واحد منها خمس خلع ثم أمر أن يفرض له ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرجّالة ووجه المعتز موسى بن أشناس ومعه حاتم بن داود بن حور (؟) في ثلاثة آلاف رجال من الفرسان والرجالة فعسكر بإزاء عسكر أبي أحمد من الجانب الغربي بباب قطربل لليلة خلت من ربيع الأول، وخرج رجل من العيارين يعرف بديكوية على حمار وخليفته على حمار ومعهما ترسة وسلاح وخرج آخر في الباب الشرقي يكنى أبا جعفر ويعرف بالمخرمي في خمسمائة رجل في سلاح ظاهر معهم الترسة وبواري مقيّرة وسيوف وسكاكين في مناطقهم ومعهم كافر كوبات، وقرب العسكر الوارد من سامرا إلى الجانب الغربي من بغداد. . .

(المصدر نفسه، ج٣، ص ١٥٤٢ ـ ١٥٩٢).



المراجع

١ ـ العربية

كتب

ابن آدم، أبو زكريا يحيى بن سليمان. **كتاب الخراج**. صححه وشرحه أحمد محمد شاكر. القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

ابن أبي حديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله. **شرح نهج البلاغة**.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد. **تاريخ الكامل: وبهامشه أخبار الدول وآثار الأول للقرماني وغيره**. القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م. ١٢ج.

ـــــــ. **الكامل في التاريخ**. [تحقيق كارلوس يوهانس تورنبرغ]. ليدن: مطبعة بريل، ١٨٥١ ـ ١٨٧١. ١٢ج.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. **صفوة الصفوة**. حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٥ ـ ١٣٥٦هـ/١٩٣٦ ـ ١٩٣٧م. ٤ج.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي. **تهذيب التهذيب**. حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥هـ/[١٩٠٧م]. ١٢ج.

ـــــــ. **لسان الميزان**. حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٩ ـ ١٣٣١هـ/١٩١١ ـ ١٩١٢م. ٦ج.

ـــــــ. ـــــــ. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١. ٧ج.

ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس بن محمد. **وفيات الأعيان**. تحقيق فرديناند وستنفلد. غوطا: دويرليخ، ١٨٣٥ ـ ١٨٥٠. ٣ج.

ـــــــ. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: [ويليه فوات الوفيات للصلاح**

الكتبي]. القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م. ٢ ج.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع. **الطبقات الكبرى**. بيروت: دار صادر، ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨.

ـــــ. **كتاب الطبقات الكبير في السيرة الشريفة النبوية**. عني بتصحيحه أوجين منوخ [وآخرون]. ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٤ ـ ١٩١٨. ٩ج.

ابن سلام، أبو عبد القاسم الهروي. **الأموال**. صححه وعلق هواشه محمد حامد الفقي. القاهرة: مطبعة حجازي، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م. ٤ج في١.

ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح محمد. **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**. القاهرة: [د.ن.]، ١٣٥٦هـ/ [١٩٣٧م]. ٢ج.

ابن شاكر الكتبي، أبو عبد الله محمد. **فوات الوفيات**. القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م. ٢ج.

ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن علي. **مختارات ابن الشجري**. [القاهرة]: مطبعة الاعتماد، ١٩٢٥.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد. **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم**. حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. **فتوح مصر وأخبارها**. تحقيق شارلز كتلر توري. ليدن: مطبعة بريل، [١٩٢٢]. (سلسلة الدراسات الشرقية، جامعة يال؛ ٣)

ـــــ. ـــــ. نيوهافن: [د.ن.]، ١٩٣٢.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥٠ ـ ١٣٥١هـ/ ١٩٣١ ـ ١٩٣٢م. ٨ج.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. **المعارف**. [تحقيق فرديناند وستنفلد]. غوتنغن: فاندنهوك وروبرخت، [١٨٥٠].

ـــــ. ـــــ. القاهرة: [د.ن.]، ١٩٣٤.

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر. **البداية والنهاية في التاريخ**. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨هـ/ ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩م.

ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد. **جمهرة النسب**. المتحف البريطاني. (قسم منه مخطوط).

ـــــــ.ـــــــ. رواية محمد بن حبيب عنه؛ تحقيق وخط لوحات محمود فردوس العظم. دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٨٦. ٣ج.

ـــــــ. **كتاب الأصنام**. بتحقيق أحمد زكي؛ [مع مقدمة وترجمة وشروح لروزا كلنكه ـ روزنبرغر. ليبزيغ: هراسوفيتش، [١٩٤١].

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق. **الفهرست**. تحرير غوستاف فلوغل واعتنى به بعد موته يوهانس روديغر وأوغست موللر. ليبزيغ: فوغل، [١٨٧١ ـ ١٨٧٢]. ٢ج في١.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. **التيجان في ملوك حمير**. نشره ف. كرنكو. حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

ـــــــ. **سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**. تحقيق فرديناند وستنفلد. غوتنغن: [د.ن.]، ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠. ٢ج.

ـــــــ. **السيرة النبوية لابن هشام**. حققها وضبطها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة: البابي، ١٩٣٦. ٤ج.

أبو تمام، حبيب ابن أوس. **ديوان الحماسة**. مختصر من شرح العلامة التبريزي. القاهرة: [د.ن.]، ١٣٣٥هـ/١٩١٦. ٢ج.

أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود. **الأخبار الطوال**. جمعها واعتنى بترتيبها اغناطيوس كراتشقوفسكي. ليدن: مطبعة بريل، ١٩١٢.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى. **كتاب النقائض: نقائض جرير والفرزدق**. تحرير انطوني اشلي بفان. ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٧ ـ ١٩١٢. ٣ج.

ـــــــ. **مجاز القرآن**. عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين. القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٤.

أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين. **كتاب الأغاني**. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٧ ـ ١٩٧٤. ٢٤ج.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣٢ ـ ١٩٣٨. ١٠ج.

الأصفهاني، حمزة بن الحسن. **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**. بطرسبورج: [د.ن.]، ١٨٤٤ ـ ١٨٤٨. ٢ج.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. **تاريخ الكبير**. حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف، ١٣٦٠ ـ ١٣٦٤هـ/[١٩٤١ ـ ١٩٤٤م]. ٣ج.

ـــــ. **صحيح البخاري**. القاهرة: بولاق، ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م. ٨ج.

البدء والتاريخ (المنسوب) لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي = *Le Livre de la Creation et de l'histoire de Motahhar ben Tahir el-Maqdisi*. اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرانسوية كلمان هوار. باريس: ارنست لورو، ١٨٩٩ ـ ١٩١٩. ٦ج.

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى. **أنساب الأشراف**. حرر الجزء ٤، القسم ٢ مع الشروح والفهارس ماكس شلوسينغر والجزء ٥ مع الشروح والفهارس سولومن غويتن. القدس: مطبعة الجامعة العبرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠. ٢ج في٤.

ـــــ. **الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول وهو لعله كتاب أنساب الأشراف وأخبارهم**. غرايفسفالد: مطبعة يولس آبل، ١٨٨٣. ١١ج.

ـــــ. **فتوح البلدان**. نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٢. ٣ج.

ـــــ. **كتاب فتوح البلدان**. تحرير م.ج. دو غويه. ليدن: مطبعة بريل، ١٨٦٦.

ـــــ. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد. **الآثار الباقية عن القرون الخالية** = *Chronologie Orientalischer Volker*. تحقيق أدوارد ساخو.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. **لطائف المعارف**. تحرير بيتر دو يونغ. ليدن: مطبعة بريل، [١٨٦٧].

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. **البيان والتبين**. بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠. ٤ج. (مكتبة الجاحظ؛ ٢)

الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام. **طبقات الشعراء**. نشره حامد عجان الحديد. القاهرة: مطبعة السعادة، [١٩٢٠].

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. **كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون**. لندن: بنتلي، ١٨٣٥ ـ ١٨٥٨.

ـــــ. ـــــ. عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف مجرداً عن الزيادات واللواحق من بعده وتعليق حواشيه ثم بترتيب الذيول عليه وطبعها محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي. استانبول: وكالة المعارف، ١٩٤١ ـ ١٩٤٣. ٢ مج.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. **تاريخ بغداد أو مدينة السلام: وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣هـ**. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣١.

الدوري، عبد العزيز. **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**. بغداد: مكتبة المثني، [١٩٤٩].

ـــــ. ـــــ. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥. (الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري؛ ١).

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. **تذكرة الحفاظ**. ط ٢. حيدر آباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤هـ/ ١٩١٤ ـ ١٩١٥م. ٤ج في٢.

ـــــ. **تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم**. نشره أوغست فيشر. ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٠.

ـــــ. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ [رجال الحديث]**. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م. ٣ج.

رسائل البلغاء. اختيار وتصنيف محمد كرد علي.

الزبير بن بكار، أبو عبد الله محمد. **الأخبار الموفقيات**. تحقيق سامي مكي العاني. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٢.

الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله. **نسب قريش**. عني بنشره إ. ليفي بروفنسال. القاهرة: دار المعارف، [١٩٥٣]. (ذخائر العرب؛ ١١)

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الله. **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم [أهل]**

التاريخ. دمشق: القدسي، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

السلطان الملك الأشرف، عمر بن يوسف. **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**. تحقيق صلاح الدين المنجد.

ـــــ. ـــــ.حققه ك. و. سترستين. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٤٩.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد. **كتاب الأنساب لأبي سعد [نسخة مصورة عن مخطوط المتحف البريطاني]**. مع مقدمة بقلم د.ص. مارغوليوث. ليدن: مطبعة بريل، [١٩١٢]. (مجموعة تذكار جب؛ ٢٠)

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الشماريخ في علم التاريخ**. تحرير كريستيان فريدريخ سيبولد. ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٤.

ـــــ. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، [١٩؟]. ٢ج.

الشايب، أحمد. **تاريخ النقائض في الشعر العربي**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، [١٩٤٦].

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. **الوافي بالوفيات**. باعتناء هلموت ريتر. استانبول: مطبعة وزارة المعارف، ١٩٣١.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الأمم والملوك**. القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م. ١٣ج في ٥.

ـــــ. ـــــ.راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء. القاهرة: المكتبة التجارية؛ مطبعة الإستقامة، ١٩٣٩. ٨ ج.

ـــــ. **تاريخ الرسل والملوك**. [تحقيق ميخائيل جان دو غويه]. ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١. ١٥ ج.

ـــــ. **تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر؛ راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٤ ـ ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨م. ١٥ ج.

ـــــ. **جامع البيان في تفسير القرآن [وبهامشه] تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري**. القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣٢١هـ/

١٩٠٣م. ٣٠ ج في ١٠.

ــــــ. **المنتخب من كتاب ذيل المذيل.**

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. **الفهرست.** صححه وعلق عليه محمد صادق آل بحر العلوم. النجف: المكتبة المرتضوية، ١٩٣٧.

كريستنسن، آرثر. **إيران في عهد الساسانيين**: ترجمه يحيى الخشاب؛ راجعه عبد الوهاب عزام. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. **كتاب التنبيه والإشراف.** تحقيق ميخائيل جان دو غويه. ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٣. (المكتبة الجغرافية؛ ٨)

ــــــ. **مروج الذهب ومعادن الجوهر.** طبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي. باريس: [د.ن.]، ١٨٦١ ـ ١٨٧٦. ٩ج.

المنقري، نصر بن مزاحم. **كتاب صفين.** [تحقيق] عبد السلام هارون. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف. **تهذيب الأسماء.**

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد. **الأكليل.** حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب. القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

ــــــ. ــــــ. حققه أوسكار لوفكرن. ابسالا: [د.ن.]، ١٩٥٣.

هوروفتس، جوزيف. **المغاري الأول ومؤلفوها.** ترجمة حسين نصار. القاهرة: البابي، [١٩٤٩].

الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر. **المغازي.** تحرير ألفرد فون كريمر. كلكته: مطبعة بپتست مش بريس، ١٨٥٥.

ــــــ. ــــــ. القاهرة: [د.ن.]، ١٩٤٨.

ــــــ. ــــــ. [لندن]: مكتبة مدرسة اللغات الشرقية، [د.ن.].

اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان.** حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٧ ـ ١٣٣٩هـ/١٩١٨ ـ ١٩٢٠م. ٤ج.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله. **إرشاد الأريب إلى معرفة**

الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء. تحقيق د.ص. مرجليوث. ط٢. القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٢٣ ـ ١٩٢٦. ٤ج. (سلسلة و.ج. التذكارية؛ ج ٦).

ـــــ. **معجم الأدباء**. نشره مرغليوث. ليدن: [مطبعة بريل]، ١٩٠٧ ـ ١٩٢٧. ٧ج.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. **البلدان**. ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٢. (المكتبة الجغرافية العربية؛ ٧)

ـــــ. **تاريخ اليعقوبي**. تحرير مارتن ثيودور هوتسما. ليدن: مطبعة بريل، [١٨٨٣]. ٢ج.

ج١: **تاريخ ما قبل الإسلام**.

ج٢: **التاريخ الإسلامي حتى المعتمد على الله العباسي**.

ـــــ. ـــــ. النجف: المكتبة المرتضوية، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م. ٣ج في١.

دوريات

علي، جواد. «موارد تاريخ الطبري.» **مجلة المجمع العلمي العراقي**: السنة ٣، العدد ١، ١٩٥٢.

الهاجري، طه. «أبو عبيدة.» **مجلة الكاتب المصري**: السنة ٢، العدد ٦، ١٩٣٦.

٢ ـ الأجنبية

Books

Abbot, Nabia. *Studies in Arabic Literary Papyri*. Chicago, IL: University of Chicago Press, [1957-1972]. 3 vols. (Oriental Institute Publications; v. 75-77)

Vol. 1: *Historical Texts.*

Vol. 2: *Quranic Commentary and Tradition.*

Vol. 3: *Language and Literature.*

Bainton, Roland H. [et al.]. *The Idea of History in the Ancient Near East*. New Haven: Yale University Press, 1955.

Becker, Carl H. *Papyri Schott-Reinhardt I.* Heidelberg: [n.pb.], 1906.

Blachère, Régis. *Histoire de la littérature arabe des origines à la fin du XV^ème siècle de J.-C.* Paris: A. Maisonneuve, 1952.

Blachère, Régis. *Le Problème de Mahomet, essai de biographie critique du fondateur de l'islam.* Paris: Presses universitaires de France, 1952.

Brockelmann, Carl. *Geschichte der arabischen litteratur.* 2^nd ed. den supplement bnden angepasste aufl. Leiden: E.J. Brill, 1943.

Chauvin, Victor Charles. *La Recension égyptienne des mille et une nuits.* Paris; Bruxelles: Société belge de librairie, 1899.

Christensen, Arthur. L'Iran sous les Sassanides. Copenhague: Levin and Munksgaard, 1936.

Corpus inscriptionum Semiticarum. Paris: Academie des inscription et belles-lettres, 1889-1931.

Encyclopedia of Islam.

Fück, Johann. Muhammad ibn Ishâq. Frankfurt am Main: [n.pb], 1923.

Gibb, H.A.R. *Studies on the Civilization of Islam.* Stanford J. Shaw and William R. Polk. Boston, MA: Beacon Press, [1962] (Beacon Books on World Affairs).

Goldziher, Ignaz. *Etudes sur la tradition islamique: Extraites du tome II des Muhammedanische Studien.* Traduites Léon Bercher. Paris: Adrien-Maisonneuve, 1952. (Initiation à l'islam; 7)

———. *Muhammedanische Studien.* Halle: M. Niemeyer, 1888-1890. 2 vols. in 1.

Grohmann, Adolf (ed.). *Arabic Papyri Hirbet el-Mird.* Louvain: Publications universitaires, 1963. (Bibliothèque du Muséon; v. 52)

Loth, Otto. *Das Classenbuch Des Ibn sa'd.* Leipzig: Druck von G. Kreysing, 1869.

Margoliouth, D.S. *Lectures on Arab Historians.* [Calcutta]: University of Calcutta, 1930.

Moberg, Axel. *The Book of the Himyarites.* London: C.W.K. Gleerap, 1924.

Nldeke, Theodor. *Geschichte der perser und Araber Zu Zeit der Sasaniden: Aus der Arabischen Chronik des Tabari Übers.* Leiden: Brill, 1879.

Pellat, Charles. *Le Milieu Basrien et la Formation de Gahiz.* Paris: Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien; Maisonneuve, 1953.

Répertoire d'Epigraphie Sémitique. Paris: Imprimerie nationale, 1929-1950.

Richter, G. *Das Geschichtsbild der Arabischen Historiker der Mittelalters.*

Tubingen: [n.pb.], 1933. (Philosophie und Geschichte; 43)

Rosenthal, Franz. *A History of Muslim Historiography*. Leiden: Brill, 1952.

Ryckmans, Jacques. *L'Institution monarchique en Arabie méridionale avant l'islam (ma'in et saba)*. Louvain: Publications universitaires, 1951. (Bibliothèque du Muséon; 28)

Sauvaget, Jean. *Introduction à l'histoire de l'orient Musulman, elements de bibliographie*. Paris: Adrien-Maisonneuve, 1923. (Initiation à l'islam)

Schacht, Joseph. *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*. Oxford: Clarendon Press, 1950.

Wellhausen, Julius. *Skizzen und Vorarbeiten*. Berlin: [n.pb.], 1899.

Wüstenfeld, F. *Die Geschichteschreiber der Araber und ihre Werke*. Gottingen: Dieterichsche Verlagsbuchh und Lung, 1882.

Periodicals

Caskell, W. «Aiyam al-Arab.» *Islamica: vol. 3, 1931.*

Horovitz, J. «The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors I.» *Islamic Culture*: vol. 1, 1927.

———. «The Earliest Biograhpies of the Prophet and their Authors II.» *Islamic Culture*: vol. 2, 1928

Krenkow, F. «The Two Oldest Books on Arabic Floklore.» *Islamic Culture*: vol. 3, 1928.

Islamic Culture: vol. 33, 1959.

Lichtenstadter, Il se. «Arabic and Islamic Historiography.» *Muslim World*: vol. 35, 1954.

Mackensen, Ruth Stellhorn. «Arabic Books and Libraries in the Umaiyad Period.» *A.J.S.L.*: vol. 53, 1936-1937.

Marçais, W. «Les Origines de la prose litteraire arabe.» *Revue africaine*: vol. 68, 1927.

Smith, Sidney. «Events in Arabia in the 6th Century A.D.» *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*: vol. 16, 1954.

Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft (ZDMG): 1890.

Thesis

Arafat, Walid. «A Critical Introduction to the Study of the Poetry Ascribed to Hassan Ben Thabit.» (Ph. D. Dissertation, [n.d.]).

فهرس

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

- غ -

- ف -

- ق -

ـ ك ـ

- ل -

- م -

ـ ن ـ

- هـ -

- و -

- ي -



هذا الكتاب

هذا هو المجلد الثاني من الأعمال الكاملة للمؤرخ العربي الأبرز الدكتور عبد العزيز الدوري يُقدّمها مركز دراسات الوحدة العربية إلى القارئ العربي.

إن كتاب **نشأة علم التاريخ عند العرب** مرجعٌ أساس في تطوّر الكتابة التاريخية ودراسة تاريخ التاريخ لدى العرب، والتي بدونها تتعذّر الكتابة التاريخية النقدية. فيه فحصٌ للمصادر التاريخية، ونقدٌ لرواياتها، وتمييزُ القوي من الضعيف، والأول من التالي، والأصيل من الموضوع، وتحليلٌ لأسباب نشأة الكتابة التاريخية عند العرب، ولدوافع كتابة التاريخ، واتجاهات المؤرخين، وآرائهم التاريخية، وأسلوبهم في تمحيص الروايات، ونظرتهم إلى أهمية التاريخ ودوره في الحياة الثقافية والحياة العامة، بالإضافة إلى إبراز عوامل الوضع والارتباك، وأثر التيارات السياسية والحزبية..

يشتمل هذا المجلد على خمس رسائل: **الأولى**: «نشأة التاريخ عند العرب وتطوّره خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة»، و**الثانية**: «أصول مدرسة التاريخ في المدينة: عروة ـ الزهري»، و**الثالثة**: «بداية القصص التاريخي: وهب بن منبه»، و**الرابعة**: «أصول مدرسة التاريخ في العراق»، و**الخامسة**: «دوافع الكتابة التاريخية والآراء التاريخية التي تنطوي عليها مؤلفات المؤرخين الأولين»..

الطبعة الثانية

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٣٤ ٢٤٠٧ ـ لبنان

تلفون: ٧٥٠٠٨٤ ـ ٧٥٠٠٨٥ ـ ٧٥٠٠٨٦ ـ ٧٥٠٠٨٧ (+٩٦١١)

برقياً: «مرعربي» ـ بيروت

فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (+٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb

Web site: http://www.caus.org.lb

الثمن: ١٢ دولاراً
أو ما يعادلها

ISBN 978-9953-82-143-6

